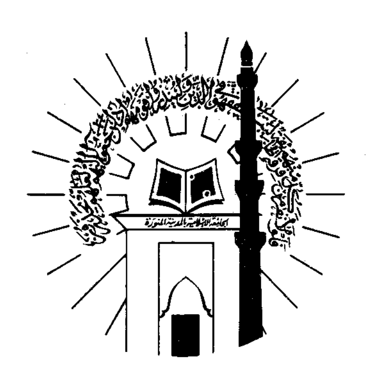
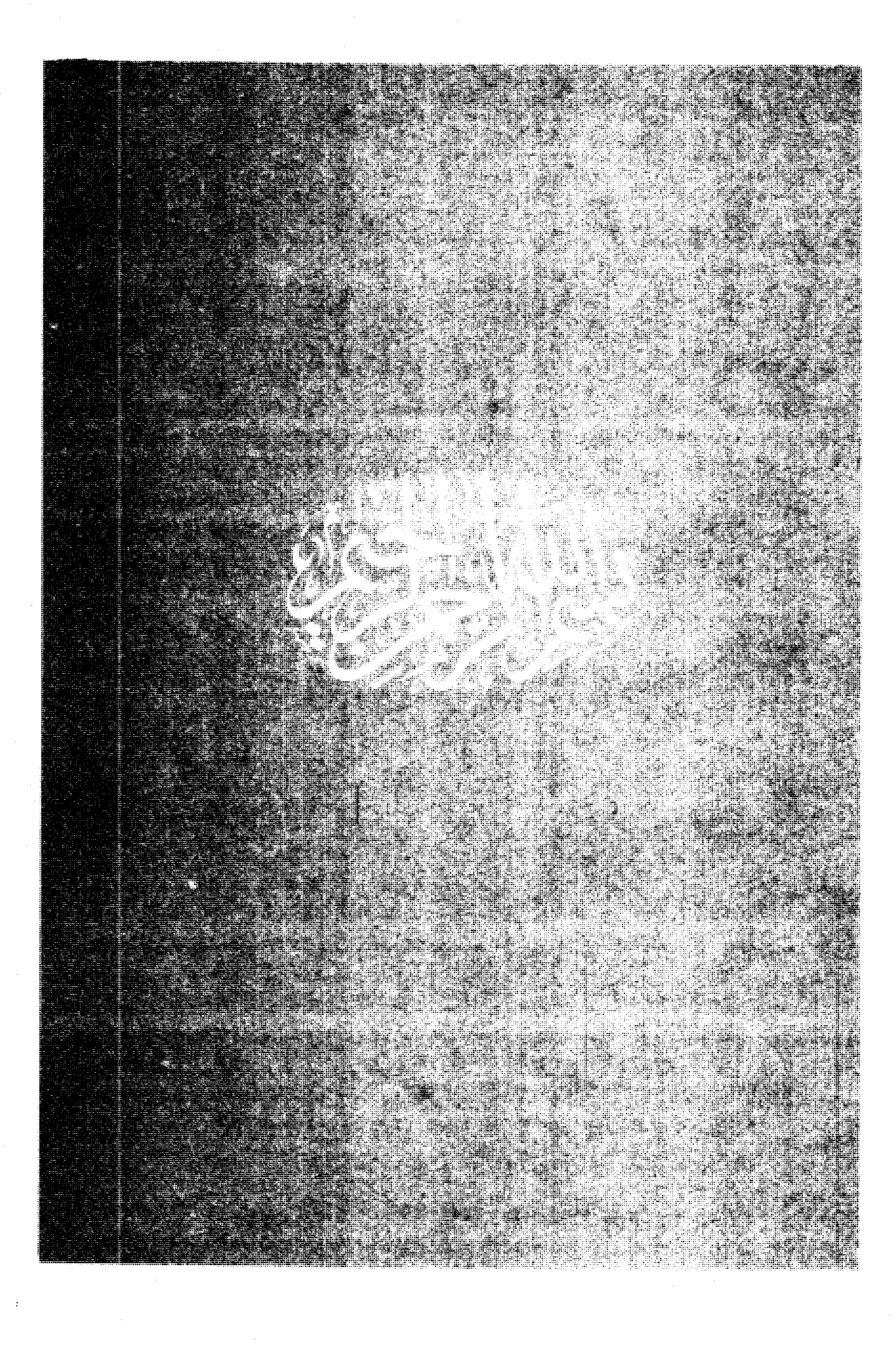
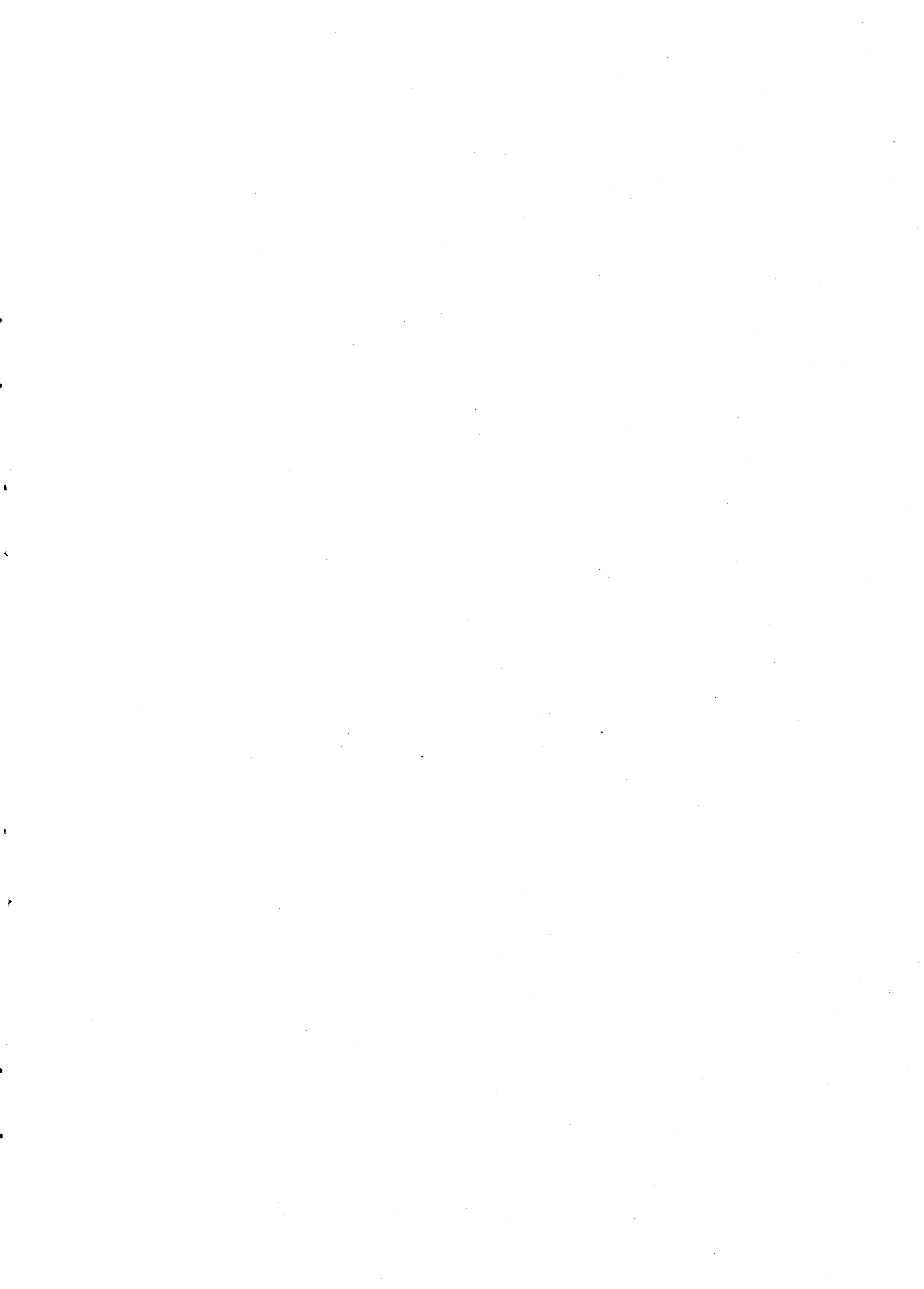
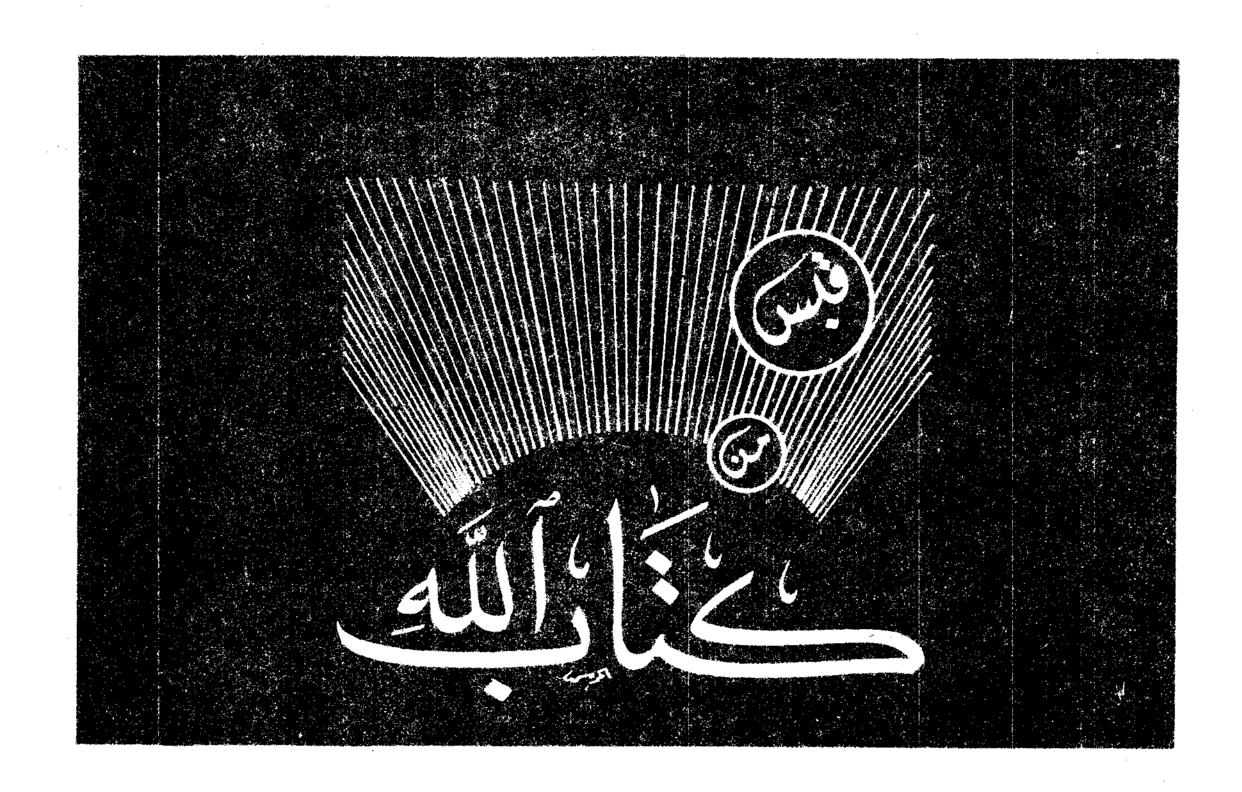



بسم الله الرحمن الرحيم

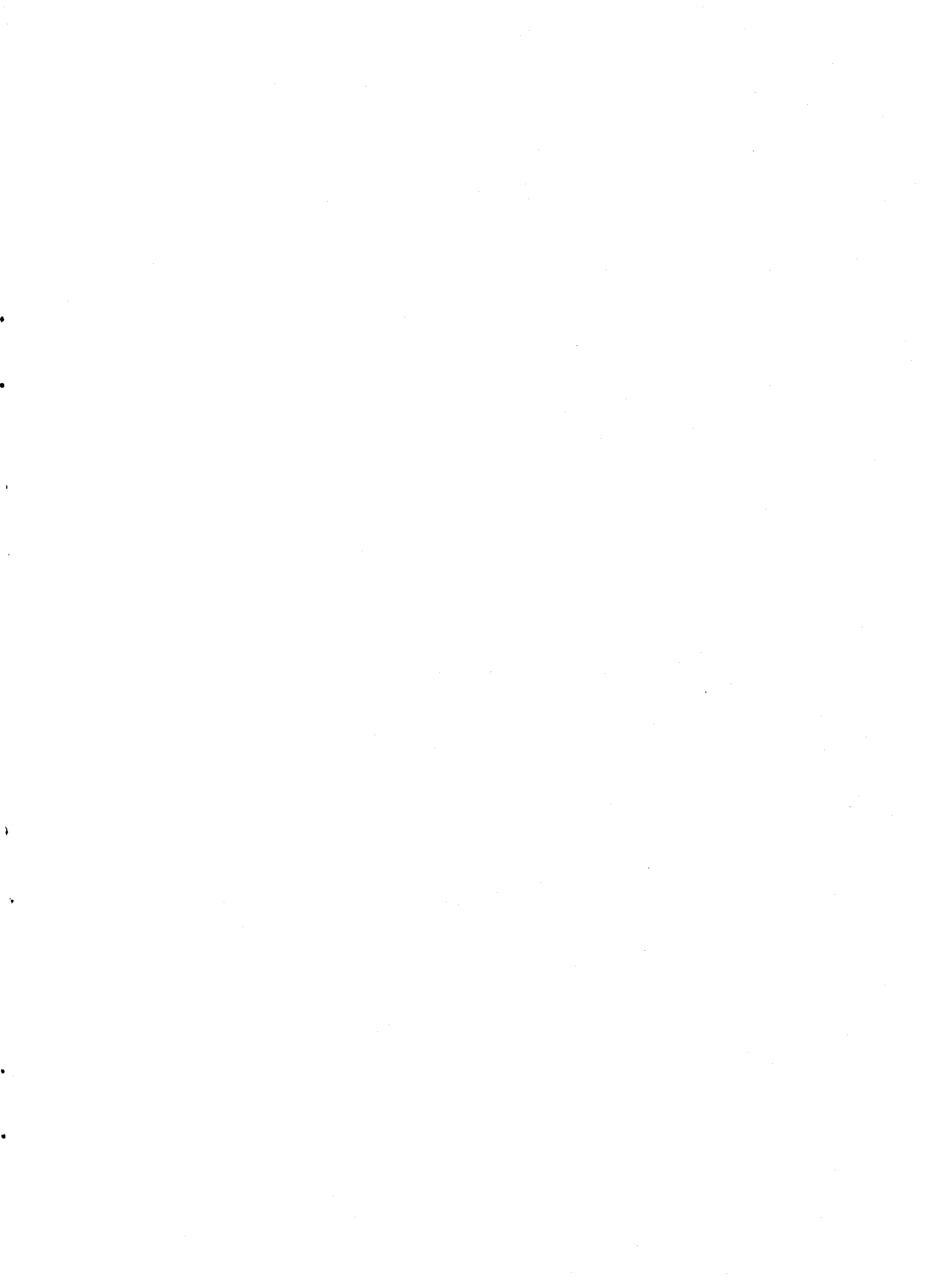




قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :

ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾

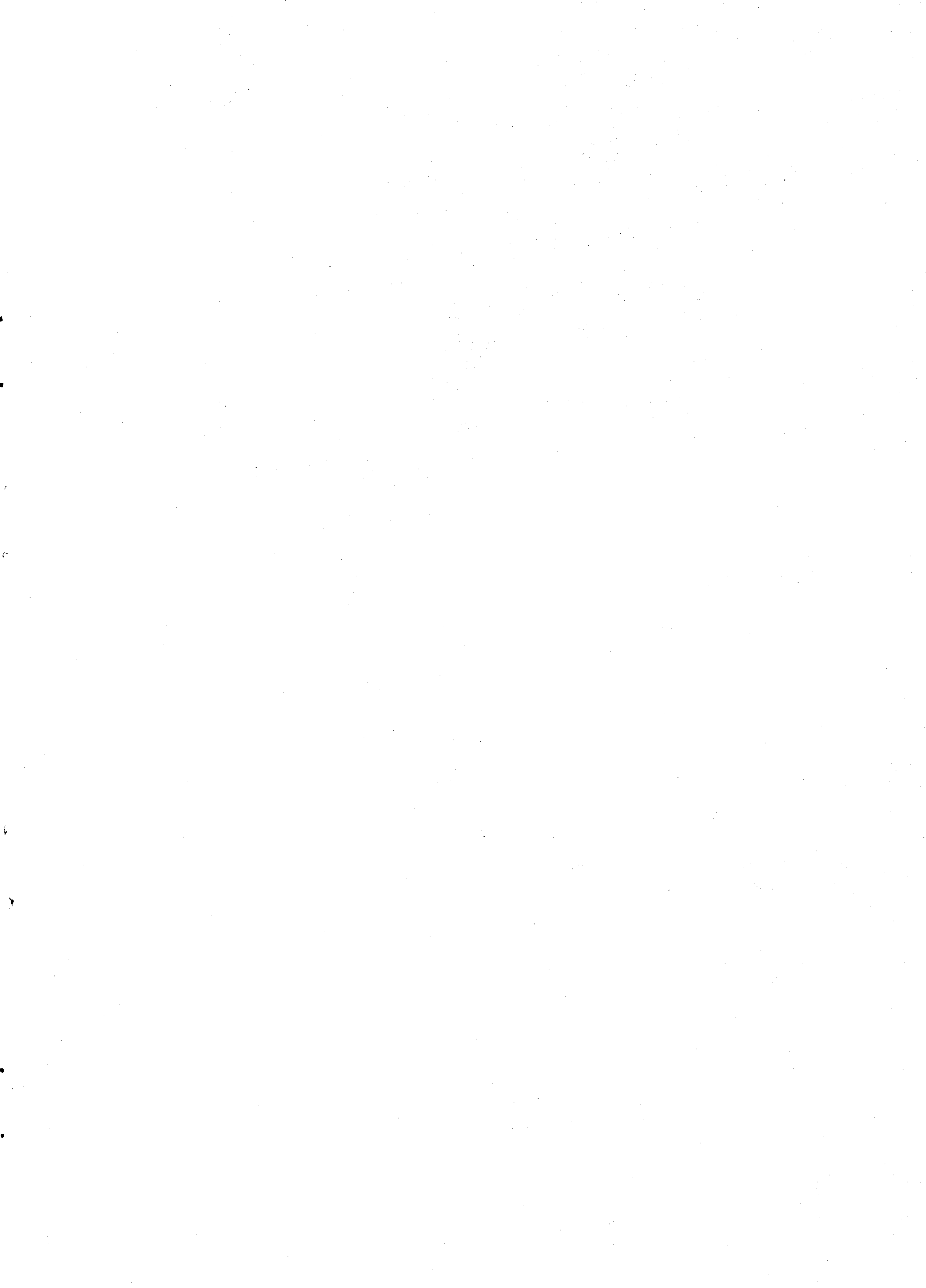
من سورة البقرة



عَنْ عائشةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنها أنَّ رَسُولَ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيهِ وسَلَّم

قَالَ: مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يَعْتِقَ اللّٰهُ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ المَلَائِكَةَ فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هٰؤُلَاءِ؟.

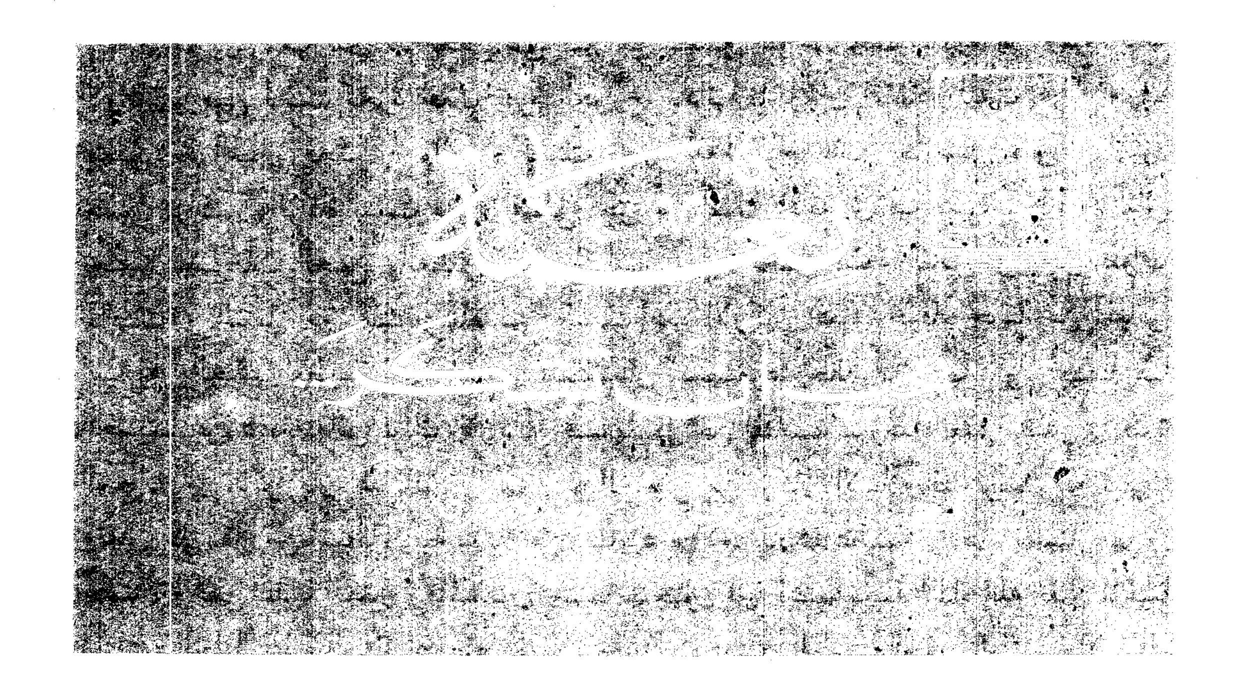
رَواه الإمام مسلم





«مَن فَاتَهُ رفقةُ المؤمنينَ، وَخَرَجَ عَنْ دائرةِ الإيمَانِ، فَاتَهُ حُسْنُ دِفَاعِ اللَّهِ عَنِ المؤمنين فَإِنَّ اللَّهَ يُدافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا، وَفَاتَهُ كُلُّ خَيْرٍ رَتَّبَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ عَلَى الإيمَانِ، وَهُوَ نَحْوُ مائة خَصْلَةٍ كُلُّ خَصْلَةٍ منْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا.»

«الإمام ابن قيم الجوزيه»



الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على رسوله الأمين نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحابته أجمعين ؛ أما بعد :

فإن نعم الله علينا كثيرة لا تحصى ، إلا أن أجلها نعمة الإسلام الذي ختم الله تبارك وتعالى به الأديان . ولذلك كان رسوله صلى الله عليه وسلم مبعوثاً إلى الناس كافة ، وكان غيره من الرسل يبعث إلى قومه خاصة ۰ وإذا كان الإسلام للبشرية كلها إذ لا دين يقبل من أهله بعده سواه . فإن عمومه يقتضى صلاحه لجميع البشر في جميع الأماكن والأزمان . وقد أودع الله فيه من الخصائص العظيمة التى انفرد بها عما سواه من الأديان الأخرى ما جعل الفطر السليمة ترتاح إليه فتعتنقه عن قناعة تامة لأنه هو الدين الحق الذي تجد فيه النفوس ما تنشده من الهدى . إذ كتابه « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » وقد وعد الله سبحانه وتعالى بحفظه فقال : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » ۰ وإذا كان الله تعالى قد رضي الإسلام لنا ديناً ، فإنه ـ سبحانه ـ قد أوضح أركانه التى لا يقوم بغيرها ، وأصبحت معرفة هذه الأركان من الأمور البدهية التى لا تخفى على أى مسلم مهما كان ۰

إلا أن الأمر الذي قد يخفى على كثير من المسلمين هو ما يجب تصوره عن حقيقة تلك الأركان . فهى ليست مجرد أفعال تقوم الجوارح بأدائها . بل إن الشهادة ليست قولاً أجوف ينطق به اللسان فحسب . والصلاة ليست مجرد أفعال وحركات يمارسها المصلى في اليوم خمس مرات . والزكاة ليست مجرد اقتطاع جزء من المال لأدائه إلى فئة معينة . والصوم ليس تحسساً لمضايقات الجوع والعطش . والحج ليس مجرد تحمل لمشقة السفر من أجل طواف بالبيت أو التنقل بين المشاعر المقدسة · ليست هذه الأركان أفعالاً جوفاء خالية من المعاني السامية والحكم العظيمة التى ينبغى للمسلم أن يستشعرها حالة أدائه لها . ولا يهمنا هنا الحديث عن هذه المعاني لتلك الأركان جميعها بل من المناسب – وهذا العدد يصدر في فترة الحج – أن نذكر بأن هذا الركن الذي هو الخامس من أركان الإسلام قد فرضه الله تبارك وتعالى على كل من استطاع إليه سبيلا من أبناء هذه الأمة لحكم عظيمة أرادها . علمنا منها ما علمنا . وخفي علينا الكثير · فالمسلمون حينما يتجهون إلى قبلتهم تلبية لنداء الله تعالى لأ بينا إبراهيم الخليل عليه السلام إذ أمره بقوله سبحانه « وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق » واستجابة لأمر الله القائل « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا » فإنهم بذلك يحصدون من المكاسب العظيمة ما ينفعهم في الحياة الدنيا . ومن الثواب الكبير ما تقر به أعينهم في الآخرة · وإذا كانت المكاسب الدنيوية المباحة ثمرة من ثمار الحج . فإن الحج المبرور الذي وعد صاحبه بالجنة فى قوله عليه الصلاة والسلام : « الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » أعظم ثمرة يجنيها الإنسان ليتزود بها من دار الممر إلى دار المقر . حيث لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم . إلا أن لتحقق هذه الثمرة المرجوة من الحج شروطاً حتمية ذكر الله تبارك وتعالى أبرزها حين قال سبحانه « الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج » وإن المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها الذين أكرمهم الله بأن وفقهم لأداء هذه الفريضة ليشعرون بالغبطة والسرور حينما يجدون أنفسهم في حشد بشري هائل . تتوفر له كل سبل الراحة والأمن والاطمئنان . ولذلك وجب عليهم شكر الله تبارك وتعالى على هذه النعمة التى لا تعدلها نعمة . فإن الأمن في عصرنا الحاضر يكاد يكون مفقوداً فى أرقى دول العالم التى استطاعت أن تبتكر من الوسائل التى تحاول بها التخلص من الجريمة وتثبيت الأمن مالم يتوفر لمجتمع على مر التاريخ البشري . ومع ذلك عجزت عن تحقيق مفهوم الأمن فى مجتمعاتها . فقد استشرت الجريمة وانتشر الفساد ودخل الرعب إلى كل قلب . ناهيك عن الدول التى تفتقر لمثل هذه الوسائل فلم تحصل منها إلا على ما مكنتها منه مواردها وطاقاتها المحدودة . فإنها لم تستطع ولن تستطيع أن توفر لمجتمعاتها ما تبحث عنه من أمن وراحة بال . وما ذلك إلا لأن هذه وتلك إنما تعتمد على ما شرعته لها قوانينها البشرية القاصرة ·

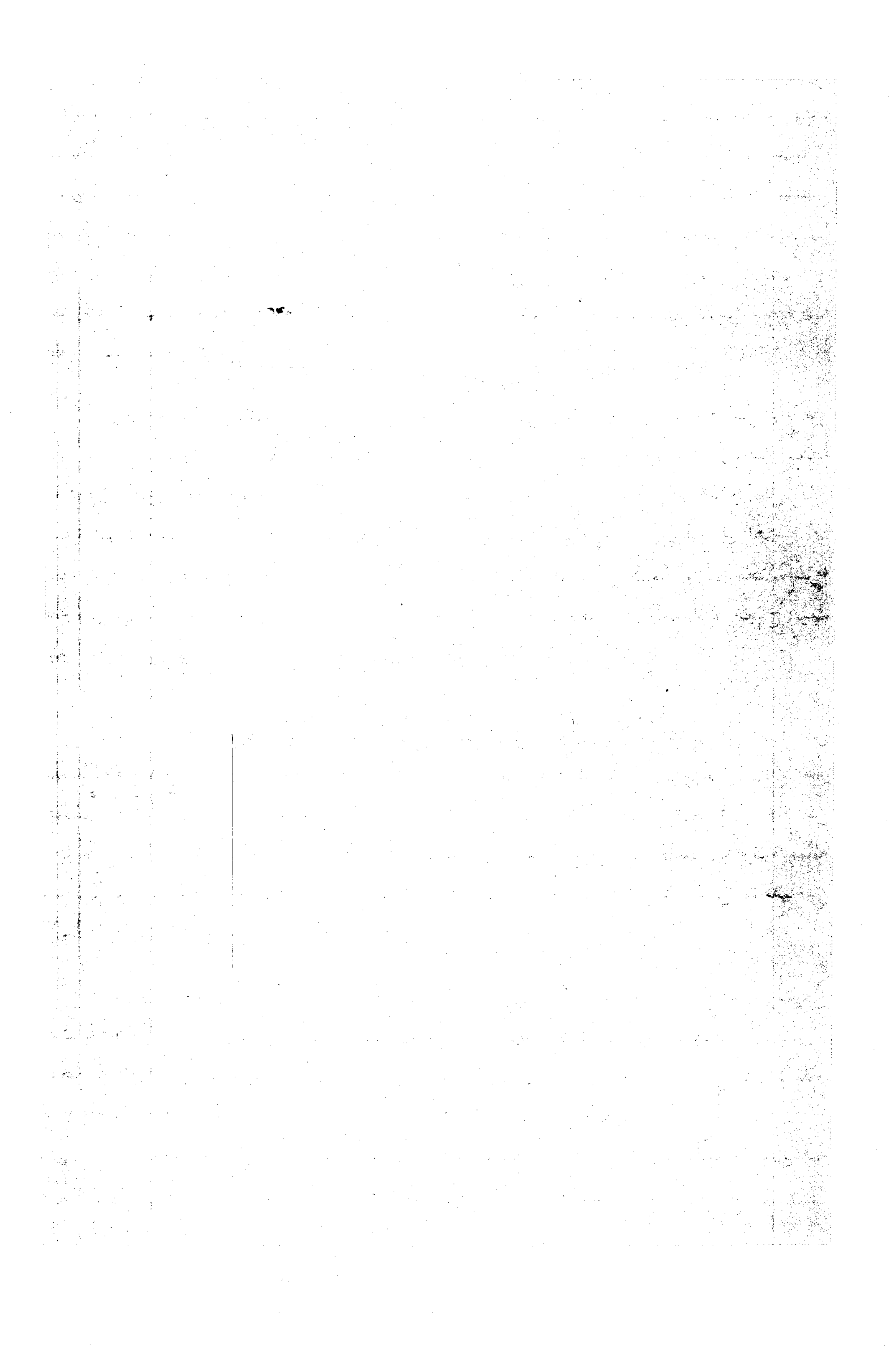
أما المجتمع الإسلامي الذي تعتبر المملكة العربية السعودية أسمى مثل له في عصرنا الحاضر .-فإنه ـ بفضل الله ـ قد تحقق له من الأمن ما عجز الآخرون عن تحقيقه رغم وفرة الوسائل العلمية الحديثة وكثرة التشريعات · وسبب هذا الأمن الوارف المكين ما اعتمدته حكومة هذه البلاد منذ أول أيامها على يد جلالة الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ مؤسس الدولة السعودية الحديثة من إلزام نفسها بتطبيق شريعة الله . والسير على هداها . والذود عن حياضها . فكان ثمرة ذلك العز والنصر والتمكين . فلا أمن يعدل أمنها الذى ينعم به شعبها في هذا العصر الهائج المائج المضطرب . كما أن كل وافد إلى هذه البلاد ينعم بهذا الأمن ويجد فيه ضالته التى طالما نشدها ·

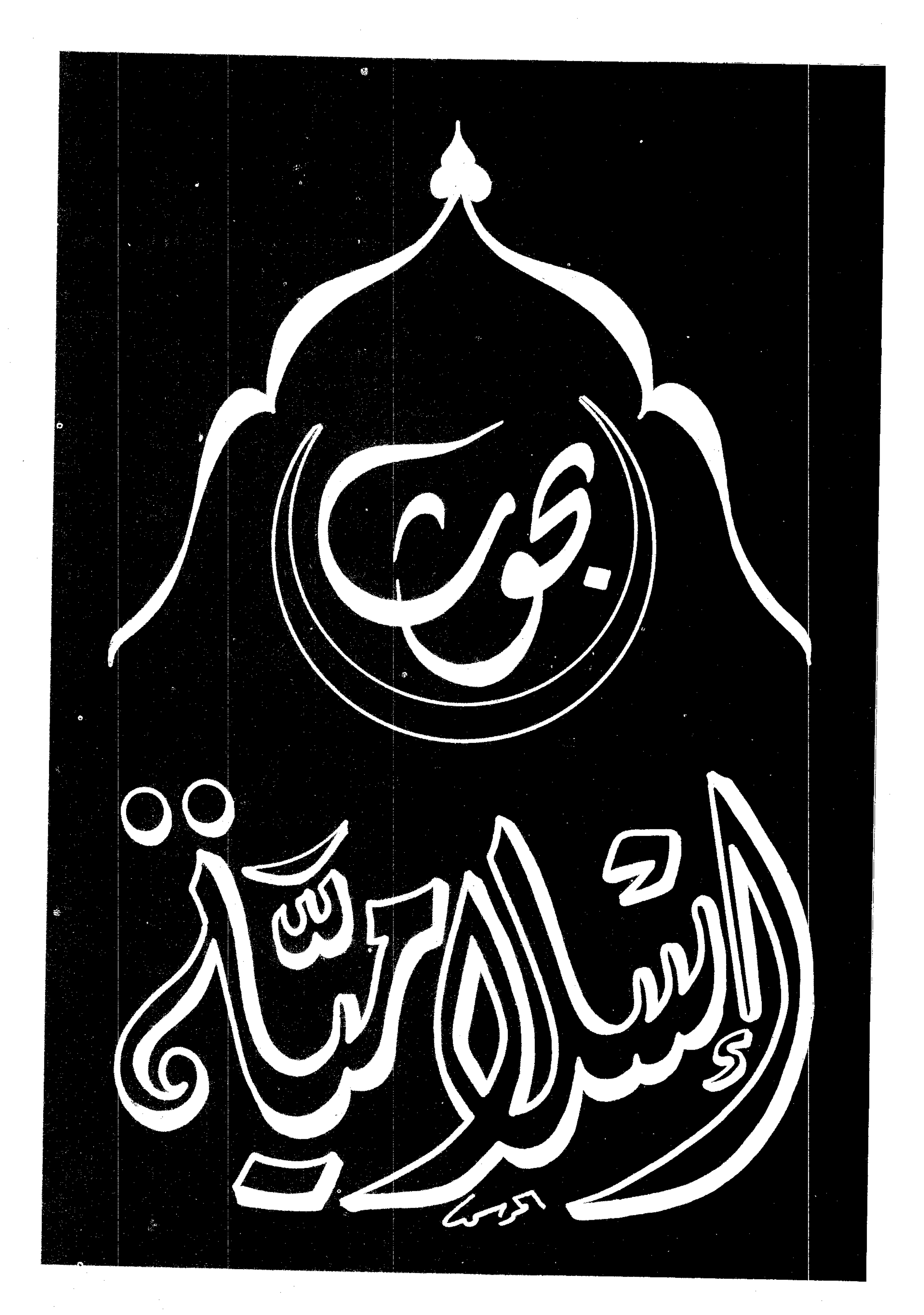
وإن من أبرز مظاهر الأمن الذى أنعم الله به على هذه البلاد ما نشهده كل عام من أداء ملايين الحجاج لفريضتهم بيسر واطمئنان بعد أن كانوا في أحقاب تاريخية سالفة يغادرون أهليهم مودعين وداع اليائس من الرجوع . وذلك لأن النهب والسلب والقتل كان شبحاً يهدد حياة كل حاج وهو في طريقه إلى بيت الله الحرام وحين عودته إلى أهله · أما اليوم فليهنأوا وليطمئنوا . فإن الله تعالى قد هيأ لهذه البلاد المقدسة حكومة مسلمة تحكم شرع الله وترعى مصالح المسلمين في إطار هذه الشريعة الغراء . وقد قامت بواجبها إزاء حجاج بيت الله الحرام خير قيام . فكان الأمن وكان اليسر وكان الرخاء ·

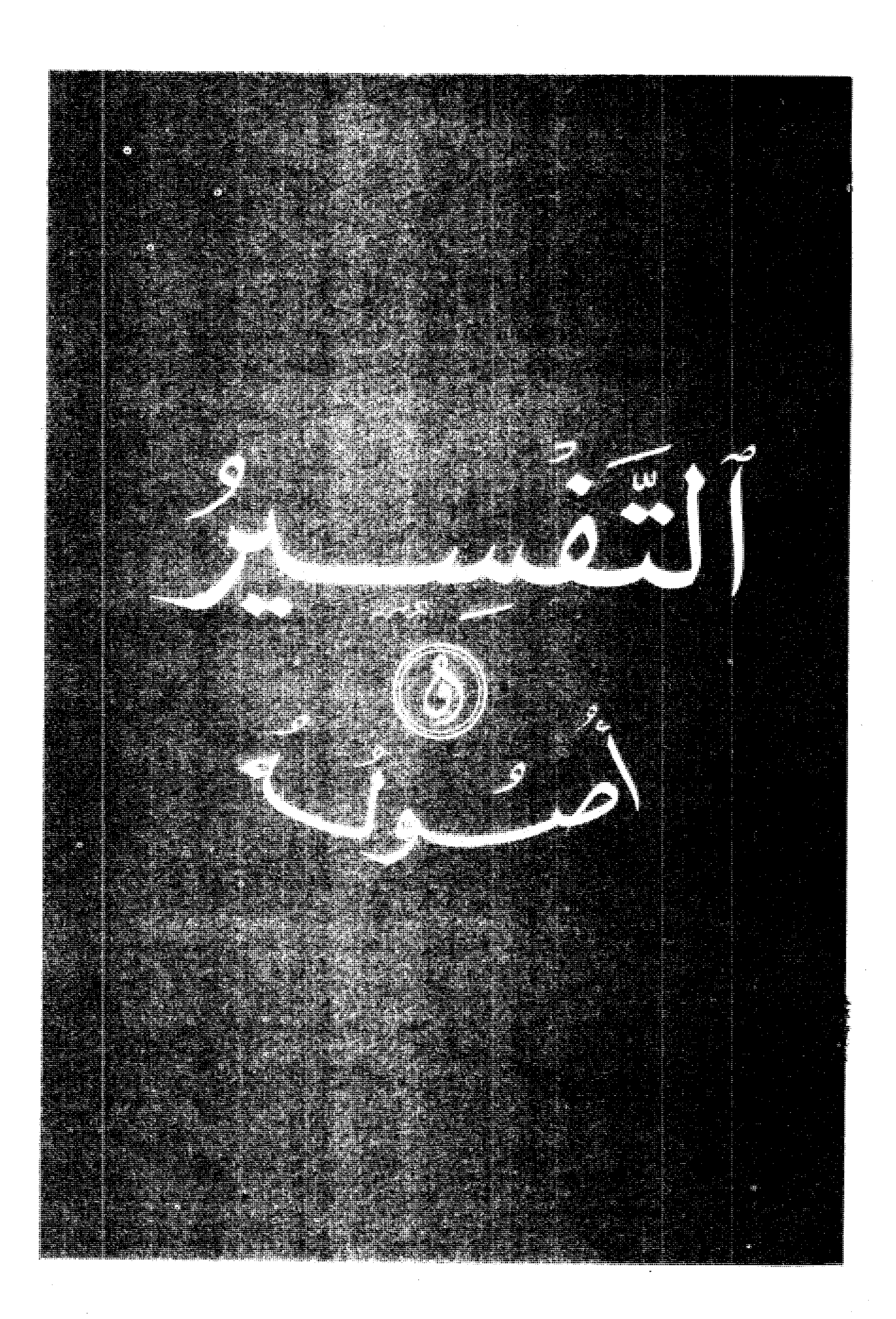
إلا أن مما يجب الإشارة إليه أن أعداء الإسلام حريصون كل الحرص على النيل من هذه البلاد وهي حصن الإسلام الحصين . إلا أن كيدهم يعود دائماً إلى نحورهم « فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين » · وليس بعيداً عنا ما حدث خلال موسم حج هذا العام من محاولة يائسة لتعكير صفو الأمن السائد بين الحجيج . والتى تتمثل فيما قامت به زمرة ضالة مسخرة من قبل مطايا الصهيونية المعاصرة . أحفاد السبئية الحاقدة . التى لا تخفى مواقفها من الإسلام والمسلمين على مر التاريخ ·

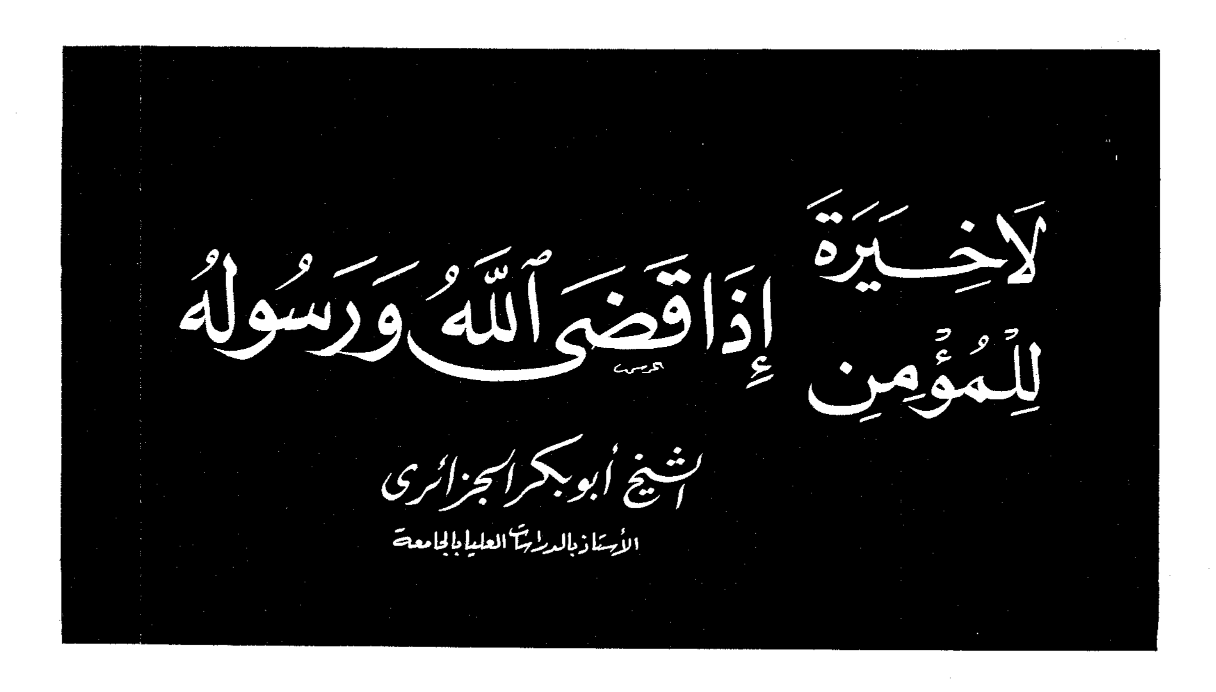
إلا أن الله تبارك وتعالى خيب مقاصدهم لأن الحق دائما مؤيد بتأييد الله . وستبقى حكومة هذه البلاد إن شاء الله غصة في نحور أعداء الإسلام . وحامياً أميناً لمقدسات المسلمين . ومحكمًا عادلا لشريعة الله وبذلك سيظل الأمن مسيطراً . والرخاء سائداً . وراية الإسلام مرفوعة بإذن الله · أما أعداء الإسلام فسيجرون أذيال الخيبة والخذلان ·

والله نسأل أن يحفظ علينا ديننا الذى هو عصمة أمرنا . وأن يديم علينا ما نحن فيه من أمن ورخاء . وأن يعيننا على شكر نعمه . إنه نعم المولى ونعم النصير ·




بحوث
إسلامية


التفسير
و
أصوله



قال الله تعالى : (وما كان لمؤمنٍ ولا مؤمنةٍ إذا قَضَى الله ورسولهُ أمراً أن يكون لهم الخِيَرةُ من أمرِهم ، ومَنْ يَعْصِ الله ورسوله فقد ضَل ضلالاً مُبيناً)

(الاحزاب الآية : ٣٦)

بـين يـدى الآيــة

الحمد لله . وبعد : فإن هذه الآية الكريمة تُعتبر لدى المتأمل فيها دليل الإيمان الذى به يعرف وجوده مِنْ عَدَمِه . وإلى القارىء الكريم بيان وجه ذلك :

لقد شاع بين العرب فى الجاهلية وفى صدر الإسلام أيضا . شاع بينهم عادة التبنّى وهى أن ينسب المرءُ ولد غيره إليه . فيكون ابنه بالتبنّى ويترتب على ذلك أحكام البنوّة تامة من إرث ودية وعقل ، وحرمة نكاح . ولما كانت هذه العادة قائمة على أساس الباطل من الكذب والزور ؛ إذ ابن الرجل لا يكون ابن غيره بمجرد الدعوى والانتساب . كما قال تعالى في المظاهر منهن من الزوجات : (ما هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم وإنهم ليقولون **منكراً** من القول **وزوراً**) . ولما كانت هذه العادة الباطلة مظهراً من مظاهر الخلخلة والضعف فى المجتمع نزل القرآن الكريم بإبطالها نهائيا وإلقائها خارج المجتمع الإيمانى كغيرها مما هو باطل وشر مما كان سائداً فى المجتمع الجاهلى .

قال تعالى من سورة آيتنا هذه التى نريد تفسيرها للقراء الكرام : (ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه . وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن **أمهاتكم** . وما جعل **أدعياءكم أبناءكم ، ذلكم قولكم بأفواهكم ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ، ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله · فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم فى الدين ومواليكم) ، أى بأن يُقَالَ لمن كان مُتبَنًّى : أخي ، أو مولاي ·**

وكان النبىّ صلى الله عليه وسلم قد تبنّى فى الجاهلية قبل أن يوحى إليه زيد بن حارثة الكلبى . وسبب ذلك أن زيداً جاء به حكيم بن حزام بن خويلد مع رقيق من الشام فدخلت عليه عمته خديجة وهى يومئذ زوجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال لها حكيم اختارى يا عمتى من هؤلاء الغلمان ما شئت فاختارت زيداً . ثم استوهبها إياه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوهبته إياه فاعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبناه · فكان يعرف بزيد بن محمد صلى الله عليه وسلم وجاء الإسلام فأسلم زيد أول من أسلم من الموالى · ولما نزلت الآية المذكورة آنفاً وفيها : ادعوهم لآبائهم · قال زيد : أنا زيد بن حارثة راغباً عن نسبة التبنّى إلى نسبة البنوة الحقة ·

وكونه يتخلى عن النسبة الكلامية هذا أمر سهل . ولكن الصعب التخلّى عن أحكام التبنّى كنكاح امرأة المتبنّى مثلا . فهذا لا يقدر عليه إلا شجعان العقول والقلوب · وأراد الله تعالى القضاء على هذه العادة نهائياً وبكل تبعاتها . فأمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يزوج مولاه زيداً . وأعلمه أنه سيطلقها بإرادته واختياره . وأنه سيزوجه بها بعد طلاق زيد لها ·

فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب لمولاه زيدا ووقع اختياره على ابنة عمته : زينب بنت جحش رضى الله عنها فخطبها . فظنت أنها مخطوبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهشت لذلك وأسرت فرحها · غير أنه بعد قليل تبيّنت أنها مخطوبة على زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهنا آثرت لشرفها وكرامتها على خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم : وقالت : مثل هذا لا يكون : شريفة تتزوج مولى من موالى العرب ماذا يقول الناس إذا سمعوا ؟؟ ووقف إلى جنبها أخوها القائد البطل عبد الله بن جحش وأعلنا التأبى الكامل والامتناع التام ــ وإذا أراد الله أمراً لا بد أن يكون . فأنزل الله تعالى آيتنا هذه التى نعتزم شرحها : وما كان لمؤمن ولا مؤمنة الخ .....

وفهم عبد الله وأخته رضى الله عنهما أنهما مقصودان بالذات . وأن الآية وضعت حدا بين الكُفْر والإيمان ولم يبق لهما مجال للاختيار . إذ هو الكفر أو الإيمان فقط . وآثرا

الإيمان على الكفر وأسلما أمرهما لله . ونفذا حكم الله وحكم رسوله فيهما وتزوجت زينب زيد بن حارثة وهى طائعة مختارة · وضحت بالكرامة الاجتماعية والشرف القبلى ·

وتزوج زيد ولم يطق الحياة مع امرأة ليس هو كفؤاً لها فى شرف النسب ، والمكانة الاجتماعية إذ زيد مولى وزينب شريفة قرشية . فما كان منه إلا ان طلقها بعد أن بذل رسول الله صلى الله عليه وسلم جهداً فى حمله على الصبر معها والإبقاء على رابطة الزوجية بينهما ولم يفلح فى ذلك ؛ لأن قدر الله كان مقدوراً · وفى هذا المعنى يقول الله تعالى : (وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه : أمسك عليك زوجك واتق الله) · وطلقها زيد وزوجها الله تعالى رسوله ؛ فأصبحت بعد ذلك أم المؤمنين رضى الله عنها ·

والشاهد أيها القارىء من هذه المقدمة أن تعلم أن هذه الآية الكريمة « وما كان لمؤمن » هى معيار الإيمان ودليل وجوده أو عدمه . فمن جاءه أمر الله أو أمر رسوله الجازم ورده بوصفه أنه حرٌّ ومختار فى تصرفاته الشخصية إن شاء قبل الأمر أو رفضه ، وإن شاء نفذ حكم الله تعالى وحكم رسوله أو نبذه وأهمله . فهذا العبد ما هو بمؤمن ولا يعد فرداً من أفراد المؤمنين إذ الآية تنفى وجود إيمان صحيح مع إختيار حرّ بالرفض والقبول لاحكام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ـ وأعد قراءة الآية وتأمل فإنك ترى ذلك واضحاً بحمد الله تعالى ·

تفسـير الآيـة الكريمـة

سبب نزولها :

قال القرطبى رحمه الله فى تفسيره الجامع لأحكام القرآن عند شرحه لهذه الآية : روى قتادة وابن عباس ومجاهد فى سبب نزول هذه الآية : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب زينب بنت جحش . وكانت بنت عمته . فظنت أن الخطبة لنفسه . فلما تبين أنه يريدها لزيد مولاه كرهت وأبت وامتنعت وامتنع معها أخوها عبد الله بن جحش لنسبها من قريش . وأن زيداً كان بالأمس عبداً · إلى أن نزلت هذه الآية · فقال له أخوها مرنى بما شئت ، فزوجها من زيد ·

مباحث بعض ألفاظ الآية

ما كان لمؤمن : هذه الصيغة من التعبير يُؤتى بها لنفى الشأن والحال لأنها أبلغ من نفى الفعل فقوله تعالى : (وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمناً إلا خطأً) أبلغ مما لو قال لا يقتل

مؤمن مؤمناً لأن الأولى لنفى الشأن أى أن هذا الفعل لا يتأتى لصاحبه مع الإيمان بحال من الأحوال . وأما الثانية فهى لنفى الفعل فقط ٠

كما أن هذا التعبير فى الآية أبلغ مما لو قال : لا يختر مؤمن على قضاء الله ورسوله قضاء غيرهما ولا على حكمهما حكم سواهما ٠

القضـــاء : الحكم بالشيء والأمر به على وجه الإلزام فعلا كان أو تركا ٠

الأمـــر : يكون بمعنى الطلب وجمعه أوامر . وصيغته إفعل . ويكون بمعنى الشأن والحال ، وهو المقصود فى هذه الآية ٠

الخِـــيَرة : مصدر بمعنى الاختيار ٠ وهو بكسر الخاء وفتح الياء على وزن طِيَرة وفعل الأول تخيّر والثانى تطيّر وزنتهما هذه غريبة ولا نظير لها فى المصادر ويقال بشذوذ الخِيْرة والطِيْرة بسكون الياء فيهما مع كسر الأول منهما ٠

المعصية : مخالفة الأمر أو النهى مع القدرة على عدم المخالفة ٠ وتكون المعصيّة كفراً وتكون دون ذلك وأخوف آية فى القرآن فى باب المعصيّة قوله تعالى من سورة الجن : (ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً) ٠ إذ حكمت على العصاة بالنار والخلود الأبدى فيها ، وهذا لا يكون إلا مع الكفر والعياذ بالله تعالى ٠

الضّـــلال : مجانبة الطريق الموصل إلى القصد ، وتنكبه والبعد عنه بقصد أو بغير قصد ، وكل عاص لله ورسوله فى أحكامهما فهو ضال ، لأن المعصيّة توجب له الشقاء والخسران ، وهو يريد الربح والسعادة ، فلما عصى سلك للربح والسعادة غير طريقهما فهو لذلك ضال ٠

معنى الآية الكريمة : وما كان لمؤمن الخ ...

أى ليس من شأن المؤمن ولا مما يتأتى له أو يصح منه بحال : أن يحكم الله تعالى فى شيء أو يأمر به أمر إيجاب ، وكذا حكمُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره المقتضى للوجوب ٠ ويكون المؤمن مختاراً معه إن شاء نفّذ الحكم وإن شاء تركه ، إن شاء امتثل الأمر وإن شاء أهمله ، فمثل هذا الاختيار مع حكم الله ورسوله وقضائهما لا يجامع الإيمان ولا يخالطه أبداً فمتى كان الاختيار ذهب الإيمان ، ومتى انتفى الاختيار ثبت الإيمان وهذا الذى فهمه عبد الله بن جحش وأخته زينب رضى الله عنهما حين نزلت الآية ومن ثَمَّ عَدَلاَ عن رأيهما واختيارهما وقبلا حكم الله تعالى ورسوله ونفذاه فوراً وقال عبد الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم مرني بما شئت ٠

فَمَنْ أرادَ التخيّر فى قضاء الله ورسوله فقد آثر الكفر على الإيمان والمعصيّة على الطاعة . ومن يعص الله ورسوله فيما يأمران به وينهيان عنه مما هو عقائد وشرائع وأحكام فقد ضلّ طريق الفلاح والنجاح وسلك سبيل الخيبة والخسران والعياذ بالله .

هـــداية الآيـــــة :

إن من هداية هذه الآية وضعَها الحد الفاصل بين الكفر والإيمان كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة » وقال : « العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر » فجعل إقام الصلاة حداً فاصلا بين الكفر والإيمان .

فكذلك هذه الآية . فإنها أفهمت أن من يزعم أن له حق الرفض والقبول فى شرائع الله تعالى والتخيّر بينها فما وافق مصالحه وناسب هواه وشهواته . اعتقده أو قال به أو عمله وما تنافى مع مصالحه أو هواه أو شهواته رفضه معتذراً أو غير معتذر . فإنه كافر غير مؤمن ولا مسلم . فإما أن يراجع دين الله تعالى بالإيمان والعمل الصالح . وإلا فليس هو بمؤمن . وذلك لأن الإيمان يثمر الإسلام وهو الإذعان والانقياد لأحكام الله وأحكام رسوله صلى الله عليه وسلم . ودلالة الإسلام على الإيمان كدلالة الثمر على الشجر . فلا يتصور وجود ثمر بلا شجر . كما لا يتصور وجود إيمان بلا إسلام هذه حقيقة قررتها هذه الآية . وبالرجوع إلى سبب نزول الآية والتأمل فيه وقد تقدم تتجلى هذه الحقيقة واضحة أكثر . والله المستعان .

ثمرة الإســــــلام لله تعالى :

إذا كان الإيمان يثمر الإسلام فإن الإسلام يثمر الرفعة وعلو الشأن . إن زيداً لما أسلم لله . وتخلى عن أحب شيء إليه وأعزه عنده وهو نسبته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد كان يدعى زيد بن محمد فأصبح يدعى زيد بن حارثة الكلبى . أثمر له إسلامه لله تعالى وانقياده له عزّاً ورفعة لم يظفر بهما سواه فخلد الله ذكره . فاسم زيد الذى هو علم عليه يقرأ فى كتاب الله الليل والنهار من ملايين المسلمين وذلك الدهر كله . ولم يكن ذلك لأحد من المسلمين إلا لزيد بن حارثة رضى الله عنه وأرضاه ...

وإن زينب بنت جحش رضى الله عنها قد أثمر لها إسلامها رفعة لا تسامى وشرفا لا يرام . فقد تنازلت عن كرامتها وشرفها لله تعالى فعوضها الله أعظم منهما فأصبحت بعد

زواجها من زيد المولى زوجاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وأمّا لكل المؤمنين وزاد فى شرفها وعلو قدرها ورفعة مكانتها أن تولى الله تعالى عقد نكاحها · فكانت تفخر بهذا الشرف على نساء الرسول صلى الله عليه وسلم وتقول : ما منكن امرأة إلا وتولى وليُّها عقد نكاحها . إلاَّ أنا فقد تولى الله تعالى عقد نكاحى من فوق سبع سموات · وتقريراً لهذه الحقيقة نورد حديث أبى هريرة عند مسلم وفيه يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ما نقصت صدقة من مال . وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً . وما تواضع أحدٌ لله إلاّ رفعه الله » ·

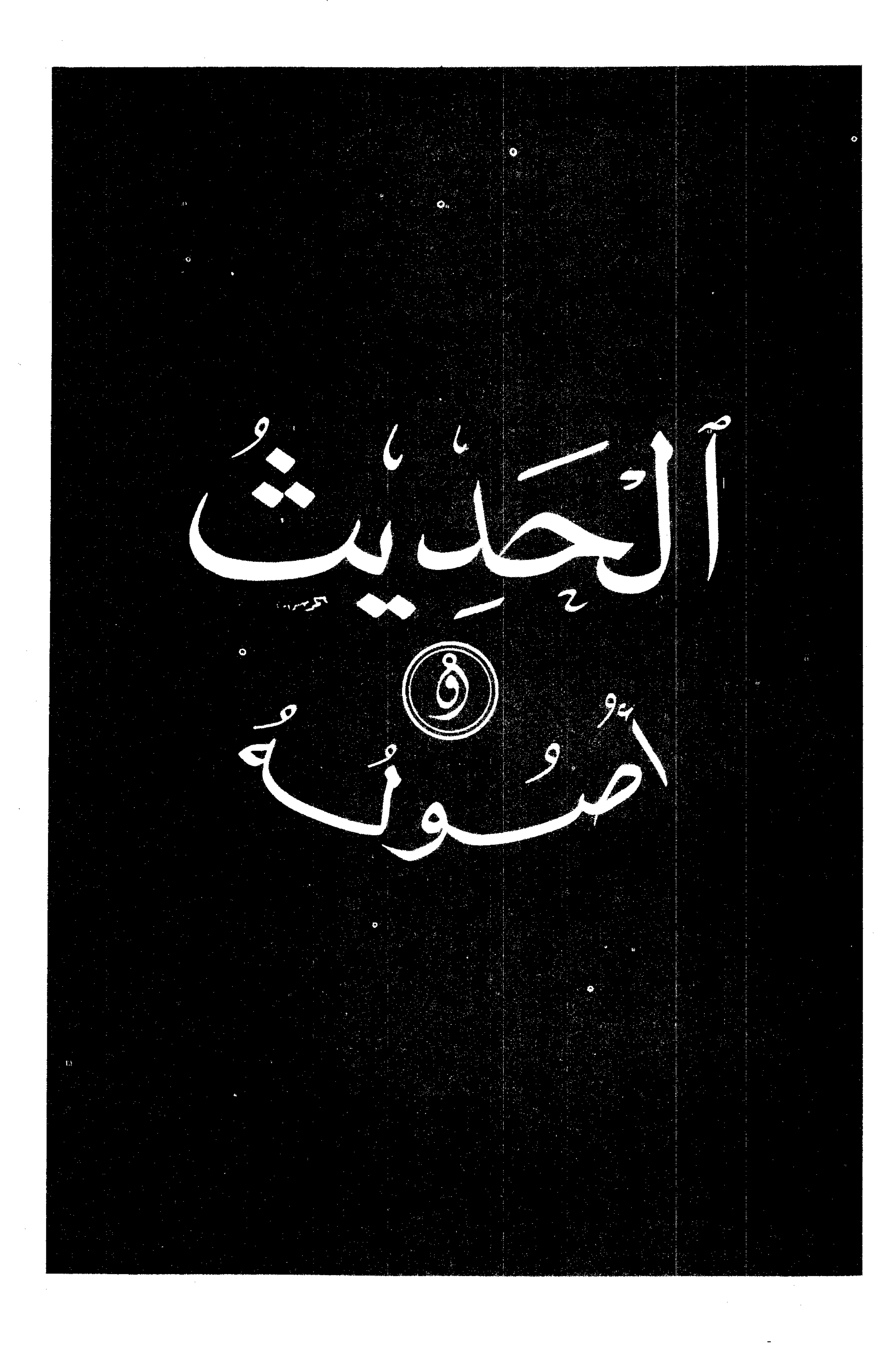
ما فى الآيــــة من مســـائل :

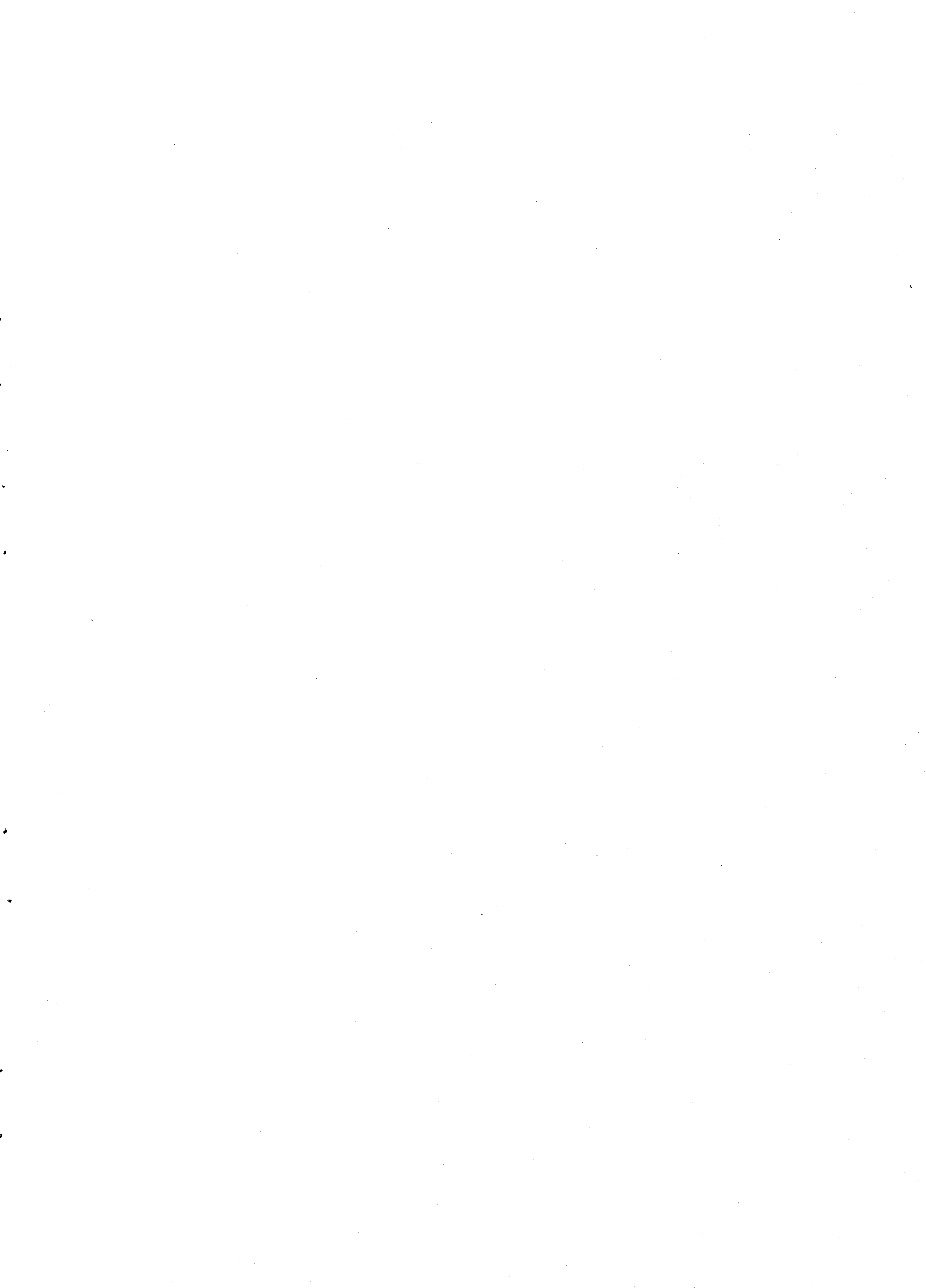
(١) المسألة الأصولية المعروفة وهى : العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . إذ سبب نزول الآية كان امتناع زينب من الزواج بزيد . ولكن حكمها عام فى كل مؤمن ومؤمنة كما دلت عليه الصيغة الكلاميّة ·

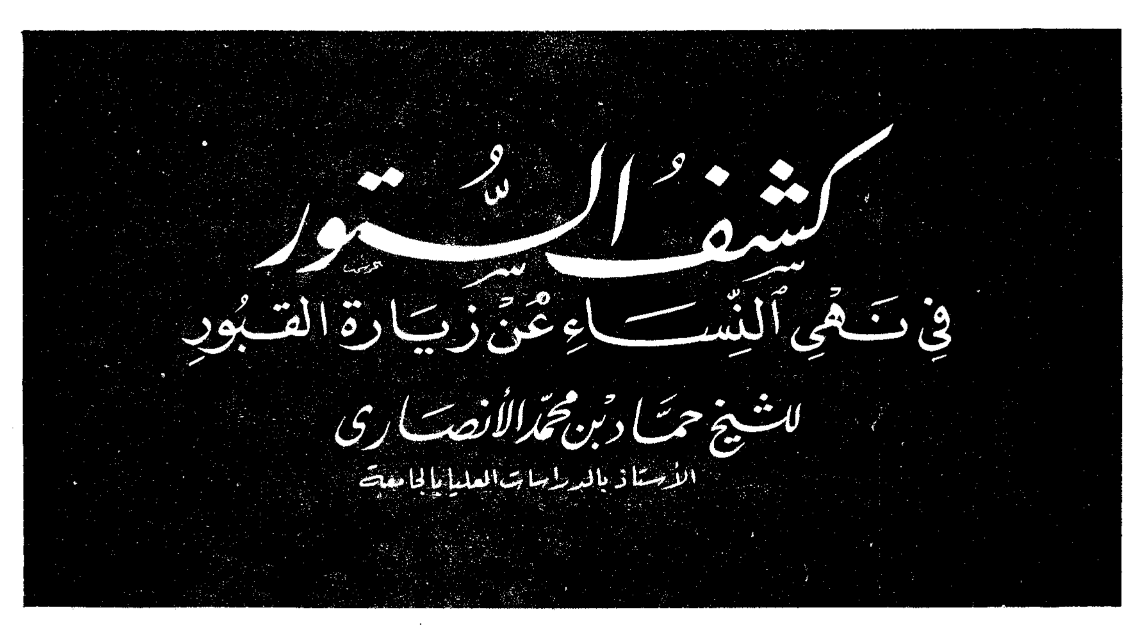
(٢) وجوب الستر على المؤمن وعدم التصريح باسمه عند وعظه أو نصحه ؛ إذ المقصود فى الآية زينب وأخوها عبد الله رضى الله عنهما . ولكن التعبير كان بلفظ مؤمن ومؤمنة ·

(٣) ما بين الكفر والإيمان إلا الإسلام . فمن لم يسلم بالإعلان عن استعداده التام لطاعة الله ورسوله فليس بمؤمن ؛ إذ الآية نفت الإيمان عمن لا يرى ذلك ولا يباشره بفعل الواجبات وترك المحرمات ·

(٤) طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم عبارة عن نهج يُفضى بسالكه إلى دار السعادة وهى الجنّة فمن ترك طاعة الله ورسوله فقد خرج عن ذلك النهج . وسار فى نهج آخر يفضى بسالكه إلى دار الشقاوة والخسران . وهى النار . والعياذ بالله تعالى ·


الحديث
في
أصوله





الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين · وبعـــــد :

فلما كان حكم زيارة النساء للقبور من المسائل المختلف فيها بين العلماء ما بين مبيح ومانع ومفصل ، والحاجة إلى معرفة حكم الله فيها تهم الجميع ، رأيت من الواجب عليّ أداءً للنصيحة للخاصة والعامة بيان الحق الذى يجب أن يدين به كل مسلم غيور · بذكر النصوص الصحيحة المانعة من زيارة النساء للقبور على الإطلاق ، مبينا أن الاستدلال على الجواز برواية « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زوارات القبور » غير مسلم به ، كما أن تضعيف رواية « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور » ليس صحيحا · لما سأذكره عن أئمة الشأن الذين يجب الرجوع إليهم فى مثل هذا الميدان · هذا وقد سميت هذه العجالة **« كشف الستور عن حكم زيارة النساء للقبور »** مرتبا لها على العناوين التالية :

١ ـ اختلاف العلماء فى هذه المسألة ·
٢ ـ المخرجون لأحاديث اللعن إجمالاً ·
٣ ـ تفصيل روايات المخرجين ·
٤ ـ سند حديث « زائرات » بطريقيه ·
٥ ـ الكلام على سندي هذا الحديث ·
٦ ـ ضبط زاي (زوارات) ·
٧ ـ تفصيل أدلة المنع ·

٨ ـ أدلة المجيزين والجواب عنها ٠
٩ ـ نقل جملة من كلام أئمة التحقيق فى هذه المسألة
١٠ ـ خاتمة : فى أن هدى السلف فى الاتباع ومجانبة الابتداع ٠
والآن الشروع فى المقصود ومن الله المدد المزيد ٠

١ ـ إختلاف العلماء فى هذه المسألة :

اختلف العلماء فى زيارة النساء للقبور على ثلاثة أقوال ، وهى ثلاث روايات عن الإمام أحمد رحمه الله :

أولاً : الكراهة من غير تحريم كما هو منصوص الإمام أحمد رحمه الله فى إحدى الروايات عنه ، واستدل له بحديث أم عطية المتفق عليه « نهينا عن اتباع الجنائز ولم يعزم علينا » وإليه ذهب أكثر الشافعية وبعض الحنفية ٠

ثانيا : أنها مباحة لهن غير مكروهة ، وبه قال أكثر الحنفية والمالكية وهو الرواية الأخرى عن الإمام أحمد رحمه الله تعالى ٠ واستدل له بحديث مسلم عن بريدة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها » ٠ وبحديث عائشة فى زيارة أخيها عبد الرحمن ، وبحديثها أيضا عند مسلم « ما أقول لهم ؟ قال قولى » الحديث ٠ وبحديث أنس رضى الله عنه « مر النبى صلى الله عليه وسلم بامرأة تبكى عند قبر » الحديث ٠

ثالثا : التحريم لأحاديث اللعن وغيرها مما يعضدها ، وهو مذهب بعض المالكية والشافعية والحنفية ، وإليه ذهب أكثر أهل الحديث وهو الرواية الثالثة عن الإمام أحمد رحمه الله ٠ كما حكاها العلامة علي بن سليمان المداوى فى كتابه « الإنصاف فى معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام المبجل أحمد بن حنبل » قال ما نصه : : وعنه أى عن الإمام أحمد رواية ثالثة : يحرم كما لو علمت بانه يقع منها محرم ، ذكره المجد واختار هذه الرواية بعض الأصحاب ، وحكاها ابن تميم وجها ٠ اهـ

قلت : وهو اختيار شيخ الإسلام أبى العباس بن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم والنووي فى مجموعه والشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب وكثير من أئمة التحقيق الآتى ذكر أقوالهم بعد إن شاء الله تعالى ٠

واعلم أن القائل بالإباحة مقيد لها بما إذا لم تشتمل زيارة النساء للقبور على ما يفعله كثير من نساء زماننا من المنكر قولاً وفعلاً ، بل ما يفعله كثير من جهلة الرجال أيضا ، فلا خلاف إذاً فى الحرمة كما لا يخفى على المطلع الخبير إذا حصل ما ذكر ٠

وهذه مذاهب العلماء فى هذه المسألة ٠ وقد ذهب بعض أهل زماننا إلى جواز زيارة النساء للقبور مالم تتكرر محتجا برواية « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زوارات القبور » على أنها للمبالغة مضعفاً رواية « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور » تقليداً لمن فهم ذلك قبله من غير تحقيق ، وهو خلاف لا يعتد به إذ ليس له حظ من نظر وقد قيل :

وليس كل خلاف جاء معتبراً ... إلا خلاف له حظ من النظر

أى من نظر صحيح ٠ وسيأتى الجواب عن أدلة الجميع إن شاء الله تعالى غير منكرين ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل كما قال العلامة شمس الدين بن القيم رحمه الله تعالى : ندين الله بكل ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نجعل بعضه لنا وبعضه علينا ، فنقر ما لنا على ظاهره ونتأول ما علينا على خلاف ظاهره ، بل الكل لنا لا نفرق بين شىء من سننه ، بل نتلقاها كلها بالقبول ونقابلها بالسمع والطاعة ، ونتبعها أين توجهت ركائبها وننزل معها أين نزلت مضاربها ، فليس الشأن فى الأخذ ببعض سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك بعضها ، بل الشأن في الأخذ بجملتها وتنزيل كل شىء منها منزلته ووضعه بموضعه والله المستعان وعليه التكلان ٠

٢ ـ المخرجون لأحاديث اللعن إجمالاً :

١ ـ أخرج الإمام أحمد والترمذى وابن ماجه حديث النهى عن زيارة النساء للقبور من ثلاثة طرق :

أولاً : من طريق أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه ٠

ثانياً : من طريق أبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما ٠

ثالثاً : من طريق عبد الرحمن بن حسان عن أبيه رضى الله عنهما ٠

٢ ـ وخرجه أبو داود ٣ ـ والنسائي ٤ ـ وأبو داود الطيالسى عن ابن عباس فقط ٠

وكذلك ٥ ـ خرجه ابن حبان فى صحيحه عن أبى هريرة وابن عباس ، ٦ ـ والحاكم عن حسان بن ثابت رضى الله عنه ٠

٣ ـ **تفصيل روايات المخرجين :**

أما الإمام أحمد فقد رواه بلفظين :

أولاً : رواه عن أبى هريرة رضى الله عنه بلفظ « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن زوارات القبور) .

وأيضاً : عن حسان مثله .

ثانيا : عن ابن عباس بلفظ « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » .

وأما أبو داود والنسائى وأبو داود الطيالسى فقد أخرجوه كلهم عن ابن عباس مثل لفظ الإمام أحمد المتقدم عنه . وكذلك **ابن حبان** فقد رواه عن ابن عباس وأبى هريرة مثله . وأما **الترمذى** فقد رواه من طرق الإمام أحمد الثلاثة المتقدمة ولفظه عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن زائرات القبور وعن أبى هريرة وحسان بلفظ « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زوارات القبور » . بعد أن ترجم لها بقوله : باب ما جاء فى كراهية زيارة القبور للنساء . ثم قال هذا حديث حسن صحيح وقد رأى بعض أهل العلم أن هذا كان قبل أن يرخص النبى صلى الله عليه وسلم فلما رخص دخل فى رخصته الرجال والنساء . وقال بعضهم : إنما كره زيارة القبور للنساء لقلة صبرهن وكثرة جزعهن .

ورواه أيضا ٧ ـ **ابن ماجه** فى سننه من الطرق الثلاثة المتقدمة عند الإمامين أحمد والترمذى كلها بلفظ « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زُوَّارات القبور » . بعد أن بوب لها بقوله : باب ما جاء فى النهي عن زيارة النساء للقبور . وقال فى الزوائد إسناد حديث حسان بن ثابت صحيح ورجاله ثقات .

فتبين من هذا أن لفظ « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زوارات القبور » جاء من الطرق الثلاثة المتقدمة أعنى : عن ابن عباس ، وثانيا عن أبى هريرة وثالثا عن حسان بن ثابت رضى الله عنهم أجمعين .

وأن لفظ « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور » جاء من طريقين .

أولاً : عن ابن عباس عند الإمام أحمد وأبى داود والنسائى والترمذى وابن حبان وأبى داود الطيالسى .

وثانيا : عن أبى هريرة عند ابن حبان والله أعلم .

٤ ـ سند حديث « زائرات » بطريقيه :

وسند الجميع عن ابن عباس ما يلى :

قال الإمام أحمد فى مسنده : حدثنا يحيى عن شعبة حدثنا محمد بن جحادة عن أبى صالح عن ابن عباس فذكره ٠

ومثله بإسناده عند من تقدمت الإشارة إليهم ٠ إلا أن ابن حبان رواه أيضا بسند آخر عن أبى هريرة رضى الله عنه فقال : أخبرنا محمد بن عبد الله بن الجنيد حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا أبو عوانة عن عمر بن أبى سلمة عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » فهذا الحديث روي عن كل من أبى هريرة وابن عباس رضى الله عنهم بلفظ « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زوارات القبور » ، وبلفظ « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور » ، كما صرح به الترمذى فى جامعه ، وابن ماجه فى سننه ٠ فلهذا قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح لكثرة طرقه ، وقال شيخ الإسلام تقى الدين بن تيمية رحمه الله تعالى : هذا مع أنه ليس فى الإسنادين من يتهم بالكذب ومثل هذا حجة بلا ريب ، وهذا من أجود الحسن الذى شرطه الترمذى ، فإنه جعل الحسن ما تعددت طرقه ولم يكن شاذاً ، وهذا الحديث تعددت طرقه وليس فيها متهم ولا خالفه أحد من الثقات ، هذا لو كان عن صاحب واحد فكيف إذا كان هذا رواه عن صاحب وذاك عن آخر فهذا كله يبين أن الحديث فى الأصل معروف ٠

٥ ـ الكلام على سندى هذا الحديث :

١ ـ وأما أبو صالح الراوى عن ابن عباس ، فقد اختلف فى اسمه على قولين :

القول الأول : أنه ميزان البصرى أبو صالح ، وبهذا جزم ابن حبان فى الصحيح فى النوع السادس من الثانى وفى التاسع والمائة من الثانى أيضا بعذ أن أورد هذا الحديث من رواية عبد الوارث عن محمد بن جحادة ، وأقره ابن القيم فى تهذيب سنن أبى داود وقوّى هذا القول بأنه « ميزان » ولكن صحف فى طبعة مختصر سنن أبى داود بلفظ : (مهران) والصحيح أنه (ميزان) كما فى تهذيب التهذيب لابن حجر ٠ وميزان هذا قال فيه يحيى بن معين ـ وهو من أشد الناس مقالة فى الرجال ـ : إنه ثقة مأمون ٠ وذكره ابن حبان فى الثقات ٠ وقال الحاكم فى الصحيح : هو ثقة ٠ ولم يذكره المزي ولا الخلاصة ولا الميزان ولا لسانه ٠ وقال الحافظ ابن حجر فى تهذيب التهذيب : إن أبا صالح ميزان روى الترمذي عن طريقه فى كتاب الجنائز من طريق عبد الوارث بن سعيد عن محمد بن جحادة عن أبى صالح عن ابن عباس يشير إلى هذا الحديث ٠

القول الثانى : أن أبا صالح هذا هو (باذام مولى أم هانىء) ويقال بالنون (باذان) وجزم بهذا الحاكمُ وعبد الحق الإشبيلى فى الأحكام وابن القطان وابن عساكر والمنذري وابن دحية وغيرهم قاله فى التهذيب ٠

فعلى كلا القولين فإن الحديث برواية « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور » حديث صحيح سواء كان من رواية (ميزان) أو من رواية (باذام مولى أم هانىء) ، فقد قال أبو حاتم فى الجرح والتعديل : لم أر أحداً من أصحابنا ترك أبا صالح مولى أم هانىء وما سمعت أحداً من الناس يقول فيه شيئاً ، ولم يتركه سعيد ولا زائدة ولا عبد الله ابن عثمان ٠ وقال يحيى بن معين : أبو صالح مولى أم هانىء ليس به بأس فإذا روى عنه الكلبى فليس بشىء وإذا روى عنه غير الكلبى فليس به بأس ، لأن الكلبى يحدث به مرة من رأيه ومرة عن أبى صالح اهـ وهذا والله أعلم هو أعدل الأقوال فى أمر أبى صالح مولى أم هانىء كما أشار إلى ذلك العلامة المحقق الشيخ أحمد شاكر ٠ قال فى حاشيته على مسند الإمام أحمد : والحق أن أبا صالح مولى أم هانىء ثقة ليس لمن ضعفه حجة وإنما تكلموا فيه من أجل التفسير الكثير المروي عنه والحمل فى ذلك على تلميذه محمد بن السائب الكلبى ودعوى ابن حبان أنه لم يسمع من ابن عباس غلط عجيب ، فإن أبا صالح تابعى قديم روى عمن هو أقدم من ابن عباس كأبى هريرة وعلى بن أبى طالب وأم هانىء والله أعلم ٠

٢ ـ الطريق الثانى : عن أبى هريرة رضى الله عنه قال ابن حبان : أخبرنا محمد بن عبد الله بن الجنيد حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا أبو عوانة عن عمر بن أبى سلمة عن أبيه عن أبى هريرة فذكر الحديث ٠ وعمر هذا هو : عمر بن أبى سلمة بن عبد الرحمن ابن عوف أخو مسلم مدينى الأصل ٠ قال أبو حاتم : هو عندى صالح صدوق يكتب حديثه ولا يحتج به يخالف فى بعض الشىء ٠ وقال الذهبى صحح له الترمذى حديث « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زوارات القبور » ، فناقشه عبد الحق وقال : عمر ضعيف عندهم ـ فأسرف عبد الحق ٠ وقال ابن معين فى رواية أحمد بن أبى خيثمة عنه ليس به بأس وذكره ابن حبان فى الثقات ٠ وقال الحافظ فى التقريب صدوق يخطىء مات سنة ١٣٢ هـ ٠

وبكلام الحافظ ابن حجر هذا عرفنا أن عمر المذكور وإن كان يخطىء إذا انفرد كما يشير إليه كلام الحافظ ، ولكن مع وجود طريق آخر لهذا الحديث عن (ميزان البصرى) على الصحيح وعن مولى أم هانىء على قول يتبين أن عمر فى هذا الحديث لم يخطىء فصح على هذا تصحيح الترمذى لهذا الحديث كما صرح بتصحيح الترمذى له الذهبى وبإسراف الإشبيلى فى تضعيفه ٠ فتبين من هذا صحة هذا الحديث من غير مدافعة والله أعلم ٠

٦ ـ ضبط زاى زوارات :

هذا مع أن رواية « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زوارات القبور » هى بمعنى زائرات لأن زُوَّارات بضم الزاى المعجمة كما قاله الجلال المحلي فى شرح المنهاج والسيوطي - وأقره السندي والمناوي وصاحب تنقيح الرواة شرح المشكاة قال هؤلاء : الدائر على الألسنة ضم الزاى من زُوارات ، جمع زُوار جمع زَائرة سماعا وزائر قياساً . وقيل زُوارات للمبالغة فلا يقتضى وقوع اللعن على وقوع الزيارة إلا نادراً . ونوزع بأنه إنما قابل المقابلة بجميع القبور ، ومن ثم جاء فى رواية أبى داود زائرات بلا مبالغة انتهى . فعلى هذا الضبط فهى بمعنى زائرات لا للمبالغة كما ظنه كثير من طلبة العلم فصيغة المبالغة بفتح الزاى لا بضمها ، كما أن الصيغَة الدالة على النسب بالفتح أيضا كقوله عز وجل : (وما ربك بظلام للعبيد) وذلك معلوم عند أهل التصريف قال ابن مالك فى ألفيته :

فعَّال أو مِفعَال أو فعُول بكثرة عن فاعِل بديل

وقال فى النسب :

ومع فاعل وفعَّال فعل فى نسب أغنى عن اليا فقبل

فيكون معنى زوارات القبور ـ ذوات زيارة القبور على أن الصيغة للنسب . فاتفقت الروايتان على منع النساء من زيارة القبور مطلقاً . فعلى هذا فليس فى هذه الرواية دليل على جواز زيارة النساء للقبور إن لم تتكرر ، كما يقول به بعض الناس ، مع أن صحة رواية « زائرات » كما تقدم نص صريح فى أن زوارات ليست للمبالغة . بل إما أن تكون هذه الصيغة على ما تقدم من أنها بالضم وإما أن تكون للنسب توفيقاً بين الدليلين فإن الجمع بين الدليلين متى أمكن فهو أولى من طرح أحدهما أو دعوى التعارض بينهما . قال شيخ الإسلام تقى الدين بن تيمية رحمه الله : وإذا كانت زيارة النساء للقبور مظنةً وسبباً للأمور المحرمة والحكمة هنا غير مضبوطة فإنه لا يمكن أن يحد المقدار الذى لا يفضى إلى ذلك ولا التمييز بين نوع ونوع إلى آخر ما سيأتى من كلامه إن شاء الله تعالى .

فإذا استقر وضوح دلالة هذا الحديث على المنع مطلقا وان اختلاف اللفظين لفظي ليس بينهما فارق على ما ذكرنا فاعلم أن هناك نصوصاً صحيحة تؤيد ما أسلفناه دافعة لتأويل سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مالا يحتمله النص إلا بتكلف ظاهر ، مقررة لذلك المعنى العظيم وتلك القاعدة الشرعية الكبرى التى أجمعت عليها الأمة ، وذلك **ان سد الذرائع مطلوب ومقدم على جلب المنافع** قال الله تعالى : (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله

فيسبوا الله عدوا بغير علم) وفى الحديث الصحيح « ولولا أن قومك حديثو عهد بكفر لهدمت الكعبة وبنيتها على قواعد إبراهيم » مع العلم أنه ليس هناك مصلحة راجحة فى زيارتها للقبور كما هو الحال بالنسبة للرجال والله أعلم ٠

٧ ـ تفصيل أدلة المنع :

أولاً : ما تقدم عن ثلاثة من سادات أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مخبرين عنه بلعنه زائرات القبور ، وهو إما خبر عن الله فهو خبر صدق ، وإما دعاء من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فياويل من دعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا اللعن مفيد لحكمين هما : **التحريم والوعيد** فهذا الوعيد الشديد دليل على أن زيارة النساء للقبور محرمة بل وكبيرة من الكبائر ، لأن معنى اللعن هو الطرد والإبعاد عن رحمة الله تعالى ٠ قال الشيخ تقى الدين بن تيمية رحمه الله تعالى فى كتابه (رفع الملام عن الأئمة الأعلام) ـ ما نصه : إن العلماء متفقون على وجوب العمل بأحاديث الوعيد فيما اقتضته من التحريم ، وإنما خالف بعضهم فى العمل بآحادها فى الوعيد خاصة ، فأما بالتحريم فليس فيه خلاف معتد به إلى أن قال : بل إذا كان فى الحديث وعيد كان ذلك أبلغ فى اقتضاء التحريم على ما تعرفه القلوب ٠

ثانيا : روى الإمام أحمد فى مسنده ، وأبو داود والنسائى فى سننهما ، وابن حبان فى صحيحه ، والحاكم فى المستدرك من حديث ربيعة بن سيف المعافرى عن أبى عبد الرحمن الحبُلى عن عبد الله بن عمرو قال : قبرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً ، فلما فرغنا انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصرفنا معه ، فلما حاذينا به وتوسط الطريق إذا نحن بامرأة مقبلة ، فلما دنت إذا هى فاطمة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أخرجك يا فاطمة من بيتك ؟ قالت : يا رسول الله رحمت على أهل هذا الميت ميتهم ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : فلعلك بلغت الكُدَى ـ يعنى : المقابر ، بضم الكاف وفتح الدال المهملة مقصورا ـ قالت : معاذ الله وقد سمعتك تذكر فيها ما تذكر ٠ قال : لو بلغت معهم الكُدَى ما رأيت الجنة حتى يراها جد أبيك ٠ فسألت ربيعة عن الكُدَى فقال : القبور ٠

ثالثا : روى ابن ماجه والبيهقى عن علي رضى الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا نسوة جلوس فقال : ما يجلسكن ؟ قلن : ننتظر الجنازة ، قال : هل تغسلن ؟ قلن : لا ، قال : هل تدلين فيمن يدلى ؟ قلن : لا ، قال فارجعن مأزورات غير

مأجورات . وهذا كما قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى يدل على أن اتباعهن الجنائز وزر لا أجر لهن فيه إذ لا مصلحة لهن ولا للميت فى اتباعهن لها ، بل فيه مفسدة للحي والميت اهـ .

رابعاً : روى البخارى ومسلم وأحمد وابن جرير وأبو يعلى الموصلى والطبرانى عن أم عطية قالت : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جمع نساء الأنصار فى بيت وفيه ونهانا عن اتباع الجنائز ولم يعزم علينا .

والدلالة من الأحاديث الثلاثة المتأخرة - على منع النساء من زيارة القبور - ظاهرة ، إذ فى منعهن من اتباع الجنائز دليل على منعهن من زيارة المقابر ، والعلة بين الحكمين مشتركة وسيأتى ما يشد المنع ويؤيده .

وفى حديثى عبد الله بن عمر وعلى رضى الله عنهم دليل على أن نهى النساء عن اتباع الجنائز فى حديث أم عطية نهى تحريم لا نهى تنزيه كما قال به بعض أهل العلم رحمهم الله تعالى . وقد رأى عبد الله بن مسعود رضى الله عنه نساءً فى جنازة فطردهن وقال : والله لأرجع إن لم ترجعن وحصبهن بالحجارة ، ذكره ابن الحاج فى المدخل والله أعلم .

٨ - أدلة المجيزين والجواب عنها :

استدل المجيزون لزيارة النساء للقبور بما يلى :

أولاً : بحديث أم عطية المتفق عليه قال البخارى فى صحيحه : حدثنا قبيصة ابن عقبة حدثنا سفيان عن خالد عن أم الهذيل عن أم عطية رضى الله عنها قالت : نهينا عن اتباع الجنائز ولم يعزم علينا .

ثانياً : حديث أنس عند البخارى قال فى صحيحه : حدثنا آدم حدثنا شعبة حدثنا ثابت عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال مر النبى صلى الله عليه وسلم بامرأة تبكى عند قبر فقال : اتق الله واصبرى ، قالت : إليك عنى فإنك لم تصب بمصيبتى ولم تعرفه ، فقيل لها إنه النبى صلى الله عليه وسلم فأتت النبى صلى الله عليه وسلم فلم تجد عنده بوابين فقالت : لم أعرفك فقال : إنما الصبر عند الصدمة الأولى .

ثالثاً : حديث بريدة عند مسلم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : كنت نهيتكم عن زيارة القبور . فزوروها فانها تذكر الموت .

رابعاً : حديث عائشة عند مسلم والنسائى وفيه قالت : كيف أقول لهم يا رسول الله ؟ قال : قولى السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين - الحديث .

خامساً : حديث عبد الله بن أبى مليكة عند الترمذى فى زيارة عائشة رضى الله عنها قبر أخيها عبد الرحمن بن أبى بكر قال ابن أبى مليكة : توفى عبد الرحمن بن أبى بكر بالحبشى ، فحمل إلى مكة فدفن فيها فلما قدمت عائشة رضى الله عنها أتت قبر عبد الرحمن بن أبى بكر فذكر الحديث وفيه أنها قالت : لو شهدتك لما زرتك ·

سادساً : رواية البيهقى عن بسطام بن مسلم عن أبى التياح يزيد بن حميد عن عبد الله بن أبى مليكة أن عائشة رضى الله عنها أقبلت ذات يوم من المقابر ، فقلت لها : يا أم المؤمنين من أين أقبلت ؟ قالت : من قبر أخى عبد الرحمن بن أبى بكر ، فقلت لها : أليس كان نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن زيارة القبور ؟ قالت : كان نهى ثم أمر بزيارتها ·

سابعاً : ما رواه الحاكم فى مستدركه قال : حدثنا أبو حميد أحمد بن محمد ابن حامد العدل بالطابران ـ حدثنا تميم بن محمد ، حدثنا أبو مصعب الزهرى ، حدثنى محمد بن اسماعيل بن أبى فديك ، أخبرنى سليمان بن داود عن جعفر بن محمد عن أبيه عن على بن الحسين عن أبيه أن فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم كانت تزور قبر عمها حمزة كل جمعة فتصلى وتبكى عنده ·

قال الحاكم : رواته عن آخرهم ثقات وتعقبه الذهبى فى تلخيصه فقال : هذا منكر جداً وسليمان ضعيف ·

هذه جملة ما استدلوا به على الجواز وقد أوردها شيخ الإسلام ابن تيمية وفصّل الجواب عنها فى كثير من كتبه ، كما استوفى ذكرها والجواب عنها شمس الدين بن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ وذلك فى تهذيبه لسنن أبى داود ونحن إن شاء الله نلخص ما ذكره هذان الإمامان وما ذكره غيرهما مع ما يفتح الله به علينا فى هذا المقام والله المستعان ·

أما حديث أم عطية رضى الله عنها : فمحل استدلالهم من قولها ولم يعزم علينا ، والجواب عنه كما قال الإمام أبو العباس بن تيمية رحمه الله قال ما نصه : وأما قول أم عطية : ولم يعزم علينا فقد يكون مرادها لم يؤكد النهى وهذا يقتضى التحريم وقد تكون هى ظنت أنه ليس بنهى تحريم ، والحجة فى قول النبى صلى الله عليه وسلم لا فى ظن غيره · وقال ابن القيم رحمه الله تعالى : وأما قول أم عطية فهو حجة للمنع وقولها ولم يعزم علينا إنما نفت فيه وصف النهى وهو النهى المؤكد بالعزيمة وليس ذلك شرطاً فى اقتضاء

التحريم بل مجرد النهى كاف ، ولمّا نهاهن انتهين لطواعيتهن لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم فاستغنين عن العزيمة عليهن . وأم عطية لم تشهد فى ذلك النهي وقد دلت أحاديث لعنة الزائرات على العزيمة فهى مثبتة للعزيمة فيجب تقديمها .

قلت : **وفى حديثى عبد الله بن عمرو وعلى رضى الله عنهم** المتقدم ذكرهما ما يدل على أن نهيهن عن اتباع الجنائز نهى تحريم لا تنزيه ، وفى ذلك دليل واضح على منعهن من زيارة القبور إذ العلة بين الحكمين مشتركة فصح أن الاستدلال به فى جانب المنع أولى وأرجح والله أعلم .

وأما حديث أنس عند البخارى : مر النبى صلى الله عليه وسلم بامرأة تبكى عند قبر على صبى لها ، فقال : اتق الله واصبرى الحديث : فهو كذلك حجة للمنع لأن النبى صلى الله عليه وسلم لم يقرها بل أمرها بتقوى الله التى هى فعل ما أمر به وترك ما نهى عنه ومن جملتها النهى عن زيارة النساء للقبور وقال لها : « اصبرى » ومعلوم أن مجيئها للقبر وبكاءها مناف للصبر ، فلما أبت أن تقبل منه لأنها لم تعرفه انصرف عنها ، فلما علمت أنه صلى الله عليه وسلم هو الآمر لها جاءته تعتذر إليه من مخالفة أمره ، فأى دليل فى هذا الحديث على جواز زيارة النساء للقبور ؟ ومع هذا فلا يعلم أن هذه القضية كانت بعد لعنه صلى الله عليه وسلم زائرات القبور ، ونحن نقول إما أن تكون دالة على الجواز فلا دلالة على تأخرها عن أحاديث المنع ، أو تكون دالة على المنع لأمرها بتقوى الله فلا دلالة فيها على الجواز ، وعلى كلا التقديرين فلا تعارض هذه القضية أحاديث المنع ولا يمكن دعوى نسخها بها والله أعلم .

وأما حديث **بريدة رضى الله عنه** : فقد قال المجيزون : إن هذا الخطاب يتناول النساء بعمومه ، بل هن المراد به فإنه إنما علم نهيه عن زيارتها للنساء دون الرجال وهذا صريح فى النسخ لأنه قد صرح فيه بتقديم النهى ولا ريب فى أن المنهى عن زيارة القبور هو المأذون له فيها والنساء قد نهين عنها فيتناولهن الإذن .

والجواب عن هذا : أن الصيغة فى هذا الحديث هى خطاب للذكور . والنساء وإن دخلن فيه تغليباً فهذا حيث لا يكون دليل صريح يقتضى عدم دخولهن . وأما حديث التحريم فمن أظهر القرائن على عدم دخولهن فى خطاب الذكور ، وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم فى أول الإسلام قد نهى عن زيارة القبور صيانة لجانب التوحيد وقطعاً للتعلق بالأموات وسدا لذريعة الشرك ، التى أصلها تعظيم القبور وعبادتها كما قال ابن عباس رضى

الله عنهما : فلما تمكن التوحيد من قلوبهم واضمحل الشرك واستقر الدين أذن فى زيارة يحصل بها مزيد الإيمان وتذكير ما خلق العبد له من دار البقاء فأذن حينئذٍ فيها فكان نهيه عنها للمصلحة وإذنه فيها للمصلحة . وأما النساء فإن هذه المصلحة وإن كانت مطلوبة منهن لكن ما يقارن زيارتهن من المفاسد التى يعلمها الخاص والعام من فتنة الأحياء وإيذاء الأموات والفساد الذى لا سبيل إلى دفعه إلا بمنعهن منها أعظم مفسدة من مصلحة يسيرة تحصل لهن بالزيارة . والشريعة مبناها على تحريم الفعل إذا كانت مفسدته أرجح من مصلحته . ورجحان هذه المفسدة لا خفاء به . فمنعهن من الزيارة من محاسن الشريعة . اهـ . من كلام ابن القيم ملخصاً .

وقال شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : إن الخطاب فى الإذن فى قوله : فزوروها لم يتناول النساء فلا يدخلن فى الحكم الناسخ . والعام إذا عرف أنه بعد الخاص لم يكن ناسخا له عند الجمهور فكيف إذا لم يعلم أن هذا العام بعد الخاص . إذ قد يكون قوله : « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زوارات القبور » بعد إذنه للرجال فى الزيارة يدل على ذلك أنه قرنه بالمتخذين عليها المساجد والسرج . ومعلوم أن اتخاذها المنهى عنه محكم كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة . والصحيح أن النساء لم يدخلن فى الإذن فى زيارة القبور لعدة أوجه :

الأول : أن قوله صلى الله عليه وسلم فزوروها صيغة تذكير وصيغة التذكير إنما تناول الرجال بالوضع وقد تتناول النساء أيضا على سبيل التغليب لكنْ هذا فيه قولانِ .

الثانى : أن النبى صلى الله عليه وسلم علل الإذن للرجال بأن ذلك يذكر الموت ويرقق القلب ويدمع العين ومعلوم أن المرأة إذا فتح لها هذا الباب أخرجها إلى الجزع والندب والنياحة لما فيها من الضعف وقلة الصبر . وإذا كانت زيارة النساء مظنة وسبباً للأمور المحرمة والحكمة هنا غير مضبوطة فإنه لا يمكن أن يحد المقدار الذى لا يفضى إلى ذلك ولا التمييز بين نوع ونوع . ومن أصول الشريعة أن الحكمة إذا كانت خفية أو منتشرة علق الحكم بمظنتها فيحرم هذا الباب سداً للذريعة كما حرم النظر إلى الزينة الباطنة وكما حرمت الخلوة بالأجنبية وليس فى ذلك من المصلحة ما يعارض هذه المفسدة فانه ليس فى ذلك إلا دعاؤها للميت وذلك ممكن فى بيتها ـ إلى أن قال رحمه الله : إن قوله صلى الله عليه وسلم « من صلى على جنازة فله قيراط ومن تبعها حتى تدفن فله قيراطان » معلوم أنه أدل على العموم من صيغة التذكير المتقدمة فإن لفظ « من » يتناول الرجال والنساء باتفاق الناس . وقد علم بالأحاديث الصحيحة أن هذا العموم لم يتناول النساء لنهى النبى صلى الله عليه وسلم لهن عن

اتباع الجنائز فإذا لم يدخلن فى هذا العموم فكذلك لا يدخلن فى العموم المتقدم بطريق الأولى ... فإذا كان النساء لم يدخلن فى عموم اتباع الجنائز مع ما فى ذلك من الصلاة على الميت فأن لا يدخلن فى زيارة القبور التى غايتها دون الصلاة عليه بطريق الأولى ، وعلى هذا فيكون الإذن فى زيارة القبور مخصوصاً بالرجال ، وخص بلعنه صلى الله عليه وسلم زائرات القبور فيكون من العام المخصوص اهـ وبمثل هذا قال العلامة النووي فى شرح مسلم . هذا من الأحاديث التى تجمع الناسخ والمنسوخ وهو صريح فى نسخ نهي الرجال عن زيارتها ، وأجمع على أن زيارتها سنة لهم ، أما النساء ففيهن خلاف لأصحابنا وقدمنا أن مَنْ منعهن قال : النساء لا يدخلن فى خطاب الرجال وهو الصحيح عند الأصوليين اهـ . منه بلفظه .

وأما حديث عائشة : عند مسلم والنسائى الذى فيه قالت كيف أقول لهم ـ الحديث فالجواب عنه من وجوه :

أولها : حمل سؤالها للرسول صلى الله عليه وسلم وتعليمه إياها على ما إذا اجتازت بقبر فى طريقها بدون قصد للزيارة ، ولفظ الحديث ليس فيه تصريح بالزيارة عند من خرّجه بل قالت : ماذا أقول لهم ؟ ولذلك صرح العلماء ـ رحمهم الله تعالى ـ بأنه يجوز لها أن تدعو بهذا الدعاء فى هذه الحال ، بل ولا تسمى زائرة والحالة هذه ، فكأنها رضى الله عنها قالت ماذا أقول إذا جزت بقبر فى الطريق فقال : « قولى السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين » الحديث .. ولا أدل على ذلك من قولها فى زيارتها لأخيها عبد الرحمن لو شهدتك لما زرتك وإلا لما كان لقولها هذا كبير معنى ، وإن فى حمل الحديث على هذا جمعاً بينه وبين أدلة المنع ودفعاً للتعارض عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن الجمع بين الدليلين متى أمكن فهو أولى من طرح أحدهما أو دعوى التعارض بينهما قال صاحب مراقى السعود فى ذلك :

والجمع واجب متى ما أمكنا   إلا فللأخير نسخ بينا

وثانيها : أن حديث عائشة هذا يحتمل إحتمالاً قوياً أنه كان على البراءة الأصلية ثم نقل عنها إلى التحريم العام فنسخ نهى الرجال عن الزيارة وبقى نهى النساء على عمومه كما أشار إلى ذلك المنذرى رضى الله عنه بقوله : قد كان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن زيارة القبور نهيا عاماً للرجال والنساء ثم أذن للرجال فى زيارتها واستمر النهى فى حق النساء لورود ما يقتضى تخصيصهن فى ذلك الحكم من أحاديث اللعن وغيرها .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : وقد قرن الرسول صلى الله عليه وسلم لعنة الزائرات بلعنة المتخذين عليها المساجد والسرج ، ومعلوم أن اتخاذ المساجد والسرج لم يقل أحد من العلماء بجوازه فكذلك ما قرن به من لعنة الزائرات والله أعلم .

والثالث : أن عائشة رضى الله عنها ليست كغيرها من النساء لما تحلت به من الآداب اللائقة بزيارة القبور لقوة إيمانها وعظيم صبرها وكمال عقلها ووفور فضلها ، قال الله تعالى فى عموم نساء النبى صلى الله عليه وسلم (يا نساء النبى لستن كأحد من النساء) (الأحزاب / ٣٢) وقال عليه الصلاة والسلام « كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم ابنة عمران وآسية وان فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » أما غيرها من النساء فانه لا يؤمن ممن زارت القبر لجهالتها وضعف عزيمتها وقرب جزعها أن ترتكب شيئا من المحظورات كالنياحة والجزع والتعديد خصوصا فى زمننا هذا الذى انضم إلى ما ذكر كثرة تبرج النساء وارتكابهن فتنة العري والتبرج والاختلاط ، ومن له غيرة فى الدين وبصيرة بقواعد الشريعة عرف وجاهة ما ذكر والله المستعان .

الرابــع : حمل سؤالها للرسول صلى الله عليه وسلم وتعليمه إياها على أنها مبلغة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومثل هذا فى السنة كثير فى تعلمها وأخذها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تخبر به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رضوان الله عليهم مع عدم شرعيته فى حق النساء . قال الزركشى ـ فى الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة ـ أخرج مسلم عن داود بن عامر بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه أنه كان قاعداً عند عبد الله بن عمر إذ طلع خباب صاحب المقصورة فقال : يا عبد الله بن عمر ألا تسمع ما يقول أبو هريرة إنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من خرج مع جنازة من بيتها وصلى عليها ثم تبعها حتى تدفن كان له قيراطان من أجر كل قيراط مثل أحد ، ومن صلى عليها ثم رجع كان له من الأجر مثل أحد » » فأرسل ابن عمر خبابا إلى عائشة يسألها عن قول أبى هريرة ثم يرجع إليه فيخبره بما قالت . وأخذ ابن عمر قبضة من حصى المسجد يقلبها فى يده حتى رجع إليه الرسول فقال : قالت عائشة : صدق أبو هريرة . فضرب ابن عمر بالحصى الذى كان فى يده الأرض وقال : لقد فرطنا فى قراريط كثيرة اهـ .

وقد لاح لك مما تقدم من الأحاديث الصحيحة أن هذا العموم لم يتناول النساء لورود النهى الخاص من النبى صلى الله عليه وسلم عن اتباعهن الجنائز فكذلك ما هنا فاحفظ ذلك وكن به حفيا وتدبر بعين البصير بمرامي الشريعة وقواعدها فسيظهر لك بمعونة الله صحة ما ذكرناه ورجحان ما أبديناه ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وخلاصة القول أن فى حمل الحديث على أحد الوجوه المذكورة جمعاً بين الأحاديث وتأليفاً لسنن كثيرة نذكر فيها مايلى :

أولاً : موافقته للنهى الخاص من النبى صلى الله عليه وسلم عن زيارة القبور كما فى أحاديث اللعن وما فى معناها كحديثى عبد الله بن عمرو وعلى رضى الله عنهم ·

ثانياً : أن فى حمل الحديث على ذلك جمعاً بينه وبين قولها المتأخر قطعاً على ذلك - لو شهدتك لمازرتك - وإلا لما كان فى قولها هذا كبير معنى ·

ثالثاً : موافقته لحال الصحابة رضوان الله عليهم حيث لم ينقل فيما نعلم أن نساءهم كن يزرن المقابر ، ولو كان شىء من ذلك لنقل إلينا كما نقل إلينا سائر سيرهم وما جرى بينهم من القضايا والمناظرات فى الأحكام الشرعية ، فلما لم ينقل إلينا شىء من ذلك دل على أنهم آمنوا بالنهي وأقروه على ظاهره كما جاء من غير بحث ولا نظر ، وهذا هو مذهب أهل الحديث وأئمة التحقيق كثر الله سوادهم ، قال الإمام أبو العباس بن تيمية رحمه الله تعالى : وما علمنا أن أحداً من الأئمة استحب لهن زيارة القبور ولا كان النساء على عهد النبى صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين يخرجن إلى زيارة القبور كما يخرج الرجال اهـ بلفظه ·

رابعاً : أن المحرم لا بد أن يشتمل على مفسدة محضة أو راجحة وزيارة النساء للقبور تشتمل على مفاسد كثيرة فى الغالب فالتحريم إذاً ألصق بأصول الشرع ومقاصده ·

خامساً : أن أحاديث النهى تضمنت حكماً منطوقاً به ، وحديث عائشة عند مسلم صحيح غير صريح فيما استدل به عليه ، إذ لم تقل ماذا أقول إذا زرت القبور بل قالت ما أقول لهم ، وهذا يحتمل الزيارة وغيرها · قال أبو بكر الحازمى فى كتابه الاعتبار : الوجه الثالث والثلاثون من وجوه الترجيح أن يكون الحكم الذي تضمنه أحد الحديثين منطوقاً به وما تضمنه الحديث الآخر يكون محتملاً اهـ · أى فيجب تقديم ما هو منطوق به ·

سادساً : أن عامة العلماء قد رجحوا الدليل الحاظر كحديث اللعن فى هذا المقام على دليل الإباحة كحديث عائشة عند مسلم على احتماله ، فمن ادعى بعد ذلك أنه أبيح بعد المنع فعليه البيان لاسيما وقد ذكر هذا الوعيد الشديد فى جانب المنع فالمسألة إذاً لا مسرح فيها للاجتهاد والله أعلم ·

سابعاً : ان مما يرجح به أحد الحديثين على الآخر كثرة العدد فى أحد الجانبين وهى مؤثرة فى باب الرواية لأنها تقرب مما يوجب العلم وهو التواتر كما حكى ذلك الحافظ أبو بكر الحازمى فى اعتباره ·

قلت : وقد لاح لك مما تقدم أن عدد جانب المنع أكثر والاستدلال بها أظهر وبالله التوفيق ٠

والجواب عن حديثها فى زيارتها لأخيها عبد الرحمن هو كما قال الحافظ بن القيم فى تهذيب السنن : ان المحفوظ فى هذا الحديث حديث الترمذى مع ما فيه ، وعائشة إنما قدمت مكة للحج فمرت على قبر أخيها فى طريقها فوقفت عليه وهذا لا بأس به ، إنما الكلام فى قصدها الخروج لزيارة القبور ولو قدر أنها عدلت إليه وقصدت زيارته فهى قد قالت لو شهدتك لما زرتك وهذا يدل بالصراحة أن من المستقر المعلوم عندها أن النساء لا يشرع لهن زيارة القبور وإلا لم يكن فى قولها ذلك معنى اهـ ٠

وأما رواية الحاكم التى فيها أن عائشة قالت لمن سألها نهى عنها ثم أمر بزيارتها فقد قال الإمام تقى الدين بن تيمية : لا حجة في حديث عائشة هذا ، فإن المحتج عليها احتج بالنهي العام فدفعت ذلك بأن النهى منسوخ وهو كما قالت رضى الله عنها ولم يذكر لها المحتج النهى المختص بالنساء الذى فيه لعنهن على الزيارة يبين ذلك قولها قد أمر بزيارتها فهذا يبين أنه أمر بها أمراً يقتضى الاستحباب ، والاستحباب إنما هو ثابت للرجال خاصة ولكن عائشة بينت أن أمره الثانى نسخ نهيه الأول فلم يصلح أن يحتج به ، وهو أن النساء على أصل الإباحة ، ولو كانت عائشة تعتقد أن النساء مأمورات بزيارة القبور لكانت تفعل ذلك كما يفعله الرجل ولم تقل لأخيها لما زرتك ٠ وقال ابن القيم رحمه الله فى هذه الرواية : انها من رواية بسطام بن مسلم ، ولو صح فإن عائشة رضى الله عنها تأولت ما تأول غيرها من دخول النساء فى الإذن ، والحجة فى قول المعصوم لا فى تأويل الراوى ، وتأويل الراوى إنما يكون مقبولاً حيث لا يعارضه ما هو أقوى منه وهذا الحديث قد عارضه أحاديث منع زيارة النساء للقبور اهـ ٠

« **تنبيـــــه** » : قول ابن القيم رحمه الله تعالى إن هذا الحديث من رواية بسطام ابن مسلم ولو صح قد يفهم منه أن هذا الحديث ضعيف من جهة بسطام هذا وليس الأمر كما يظن بل بسطام بن مسلم ثقة كما قال الحافظ فى التقريب : بسطام بن مسلم بن نمير العوذي بفتح المهملة وبسكون الواو ، بصرى ثقة من السابعة اهـ ٠ وقال أحمد صالح الحديث ليس به بأس ٠ وقال ابن معين وأبو زرعة ثقة والله أعلم ٠

وأما ما رواه الحاكم أن فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم كانت تزور قبر عمها حمزة كل جمعة الحديث ٠ فهو حديث ضعيف منكر كما قاله الذهبى فى تلخيصه وتضعيفه

من سليمان بن داود وقال البيهقى فى سننه الكبرى بعد سياقه لهذا الحديث : إن حديث فاطمة رضى الله عنها فى زيارتها قبر عمها حمزة منقطع اهـ .

وقال العلامة محمد بن إسماعيل الصنعانى فى سبل السلام بشرح بلوغ المرام - ما نصه : وما أخرجه الحاكم من حديث على بن الحسين أن فاطمة رضى الله عنها كانت تزور قبر عمها حمزة كل جمعة فتصلى وتبكى عنده . قلت : وهو حديث مرسل فإن على بن الحسين لم يدرك فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم . وعموم ما أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان مرسلاً : من زار قبر الوالدين أو أحدهما فى كل جمعة غفر له وكتب باراً اهـ .

فهذا الحديث كما رأيت قد رمى بالضعف والنكارة والإنقطاع والإرسال فلا يكون مثل هذا حجة فى الدين والله أعلم .

٩ ـ نقل جملة من كلام أئمة التحقيق فى هذه المسألة :

قال أبو العباس على بن محمد بن عباس البعلى الحنبلى فى ترتيبه اختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله - ما نصه : ونهى النساء عن زيارة القبور هل هو نهى تنزيه أو تحريم فيه قولان : وظاهر كلام أبى العباس ترجيح التحريم لاحتجاجه بلعن النبى صلى الله عليه وسلم زائرات القبور وتصحيحه إياه ، ورواه الإمام أحمد وابن ماجه والترمذى وصححه وأنه لا يصح ادعاء النسخ بل هو باق على حكمه ، والمرأة لا يشرع لها الزيارة الشرعية ولا غيرها اللهم إلا إذا اجتازت بقبر فى طريقها فسلمت عليه ودعت له فهذا حسن اهـ .

وقال صاحب المهذب : ولا يجوز للنساء زيارة القبور لما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن زوارات القبور .

وقال السيوطى فى كتابه زهر الربى على المجتبى للنسائى عند الحديث المتكلم عليه فى النهى : وبقين أى النساء تحت النهى لقلة صبرهن وكثرة جزعهن . قال السندى : وهو الأقرب لتخصيصهن بالذكر والله أعلم . وقال ابن حجر الهيثمى الشافعى فى كتابه الزاوجر ما نصه : الكبيرة الحادية والثانية والثالثة والعشرون بعد المائة اتخاذ المساجد أو السرج على القبور وزيارة النساء لها ، وتشييعهن الجنائز ، فساق حديث ابن عباس وأبى هريرة وابن عمر ثم قال : تنبيه : عد هذه الثلاثة هو صريح الحديث الأول فى الأولين لما فيه من لعن فاعلها وصريح الحديث الثانى فى الثانية وظاهر حديث فاطمة فى الثالثة بل صريح رواية النسائى : ما رأيتن الجنة الى أخرها . ولم أر من عد شيئاً من ذلك بل كلام أصحابنا فى الثلاثة مصرح بكراهتها دون حرمتها فضلا عن كونها كبيرة فليحمل كون هذه كبائر على ما إذا

عظمت مفاسدها كما يفعل كثير من النساء من الخروج إلى المقابر وخلف الجنائز بهيئة قبيحة جداً إما لاقترانها بالنياحة وغيرها أو بالزينـة عند زيارة القبور بحيث يخشى منها الفتنة إلى آخر كلامه رحمه الله تعالى ·

قلت : وقد تقدم كلام النووى رحمه الله وهو من كبار الشافعية ـ مصرحا بالتحريم وأما حمل ابن حجر الهيتمى التحريم على ما إذا عظمت الفتنة فهذا مما لا خلاف فيه بين أهل العلم فيما نعلم وقد صرح بذلك غير واحد ، وأما بدون اقتران ذلك فتبين لك مما تقدم ومما يأتى أن مقتضى نصوص الشريعة وقواعدها التحريم وما أحسن ما قاله العينى رحمه الله تعالى : إن زيارة القبور مكروهة للنساء بل حرام فى هذا الزمان ولاسيما نساء مصر لأن خروجهن على وجه الفساد والفتنة وإنما رخص فى الزيارة لتذكر أمر الآخرة وللاعتبار بمن مضى وللتزهيد فى الدنيا قاله صاحب عون المعبود نقلاً عنه ·

وهذا : قاله العينى فى نساء مصر القرن التاسع فكيف لو رأى هو وأمثاله من الغيورين على الإسلام نساء القرن الرابع عشر وما يرتكبنه من التبرج والسفور وفتنة العرى والإختلاط لما تردد هو وأمثاله فى منعهن من الزيارة قولاً واحداً والله أعلم ·

وقال الساعاتى فى الفتح الربانى : قال صاحب المدخل المالكى قد اختلف العلماء فى زيارة النساء للقبور على ثلاثة أقوال : أولاً المنع مطلقاً · ثانياً الجواز على ما يعلم فى الشرع من الستر والتحفظ عكس ما يفعل اليوم · ثالثاً : يفرق بين الشابة والمنجالة أى العجوز ـ · ثم قال اعلم ان الخلاف فى نساء ذلك الزمان أما خروجهن فى هذا الزمان فمعاذ الله أن يقول أحد من العلماء أو من له مروءة فى الدين بجوازه ·

وقال العلامة صديق بن حسان البخارى فى كتابه حسن الأسوة : الراجح نهى النساء عن زيارة القبور وإليه ذهب عصابة أهل الحديث كثر الله سوادهم · وقال صاحب المرعاة قال أحمد شاكر فى تعليقه على الترمذي : النهى ورد خاصا بالنساء والإباحة لفظها عام والعام لا ينسخ الخاص بل الخاص حاكم عليه ومقيد له ·

وقد سئل سماحة مفتى الديار السعودية الشيخ العلامة محمد بن ابراهيم بن عبد اللطيف عن حكم وقوف النساء عند دخولهن المسجد النبوى الشريف ـ على قبر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فأجاب رحمه الله بفتوى قال فيها بعد أن ذكر أحاديث اللعن : إن التعبير برواية زائرات القبور يدل على عدم تخصيص النهى بالإكثار من الزيارة كما توهمه بعضهم من التعبير فى الروايات الأخرى بلفظ « زوارات القبور » ثم قال بعد أن ذكر تحقيقاً

جلياً فى المسألة والخلاصة : انه لا يجوز للنساء قصد القبور بحال ولا يدخلن فى عموم الإذن بل الإذن خاص بالرجال والله أعلم ٠

قلت : فالقول بالتحريم مطلقاً هو القول الذي ندين الله به ولا نعتقد سواه ، إذ هو الموافق لأمر رسول الله ونهيه وقواعد شريعته ومصالح أمته فأما موافقته لأمره فإنه صلى الله عليه وسلم حكم على المرأة التى تبكى عند قبر على صبى لها بمنافاة ذلك للصبر والتقوى فأمرها بقوله لها : اتق الله واصبرى فهذا موافق لأمره . وأما موافقته لنهيه فلقوله : لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور فاجتمع فى هذه المسألة أبلغ الطرق لإثبات هذا الحكم من أمره ونهيه صلى الله عليه وسلم ٠ وأما موافقته لقواعد شريعته ومصالح أمته فمن وجوه عديدة نذكر منها ما يلى :

أولاً : من المستقر المعلوم من قواعد الشريعة المطهرة : أن درء المفاسد مغلب على جلب المنافع لاسيما عند عظمة المفاسد كالحالة هذه إذ ليس فى زيارة النساء للمقابر أى مصلحة راجحة كما هى فى حق الرجال ، والخروج فى حقهن لا يكون إلا لحاجة فكيف يقدم ما ليس بواجب على الواجب بل كيف إذا لم يكن مشروعاً ٠

ثانيا : إن النساء ناقصات عقل ودين مع ضعف صبرهن وكثرة جزعهن ومن جراء هذا نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن الجزع المؤدى إلى لطم الخدود وشق الجيوب وزيارتهن مجددة للحزن والبكاء والنوح على ما جرت به عادتهن الناتجة من نقصان الدين والعقل وقلة الصبر وكثرة الجزع فلو لم تحرم زيارة النساء للقبور إلا من هذا الباب لكفى فكيف إذا ترتب عليها من المخالفات الباطلة مالا يخفى على كل من شهد ما يقع منهن فى زماننا هذا من تبرج بزينة واختلاط وغير ذلك مما أنكره الشرع ٠

ثالثاً : ان حرمة التبرج والاختلاط ـ معلوم بالضرورة من الدين والعقل السليم ٠ فخروج المرأة من بيتها لغير ضرورة يؤدى فى الغالب إلى ارتكاب هذه الممنوعات شرعا بل وإلى ترك ما هو أهم من إحصانها وقرارها فى بيتها والقيام بحقوق زوجها كما قال الله عز وجل (وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) ٠ بل يؤدى إلى أعظم مما تقدم من وقوع اللعنة عليها على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن شهد ما يقع فى عصرنا هذا عند مزارات قبور الصالحين وغيرهم لاسيما عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم وصاحبيه علم غاية العلم أن ما ذكرناه من المفاسد المترتبة على فتح هذا الباب أمر واقع لا يحتمل الشك والارتياب وأن منعهن من زيارة القبور هو مقتضى شرعه وحكمه ومن محاسن شريعته ٠ وكم

من مسائل منعها الشارع لا لذاتها ولكن لما يتوصل إليه بأسبابها من ذلك نهيه عن تجصيص القبور وتشريفها والبناء عليها وعن الصلاة إليها وعندها وعن شد الرحال إليها ـ كل ذلك لئلا يكون ذريعة إلى اتخاذها أوثاناً وهذا التحريم عام فى حق من قصد ومن لم يقصد ، كل ذلك حماية لجناب التوحيد وسلامة الفطرة ، والمحافظة على ذلك معروفة بطبيعة العقائد الإسلامية والله المستعان .

خاتمة فى أن هدى السلف فى الاتباع ومجانبة الابتداع :

لا يخفى على كل من كان هدفه التمسك بآداب شريعة الإسلام أن الخير كله فى اتباع السلف وأن الشر فى ابتداع الخالفين ، فمن ثم لما لم ينقل عن القرون المشهود لها بالخير أن نساءهم يزرن المقابر تيقنا يقينا لا يساوره شك أنهم فهموا المنع من الشارع من غير قيد ، ومن المعلوم أيضا لما هم عليه من قوة التمسك بالسنة والولوع بها ومن الورع وحب التسابق إلى الخير وتبليغ ما جاء عن المصطفى عليه الصلاة والسلام ، أنه لو كانت زيارة النساء خيراً لسبقونا إليها ولنقل عنهم جوازها كما نقل عنهم منعها على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد قال الأول :

والحق أبلج لاتزيغ سبيله ‏ ‏ ‏ ‏ والحق يعرفه ذوو الألباب .

فلنفعل كما فعلوا وليسعنا ما وسعهم من الاستغناء بما أحل الله عما حرمه فما أحسن الاقتصار على الطريقة المأثورة عن سلف هذه الأمة فإنهم كانوا أعلم بشريعة الله وأقوى تعظيما لأوامره وأوامر رسوله من سائر الأمم ، ومن ظن أن فى قدرته وإمكانه أن يفوقهم فى تعظيم أوامره فقد خاب ظنه ورجع بخفى حنين فوالله لو انفق أحدنا مثل أحدٍ ذهباً لما بلغ مد واحد منهم ولا نصيفه كما ورد عنه ذلك عليه الصلاة والسلام ويذكر أن الإمام مالكاً رحمه الله كثيراً ما ينشد :

وخير أمور الدين ما كان سنة ‏ ‏ ‏ ‏ وشر الأمور المحدثات البدائع

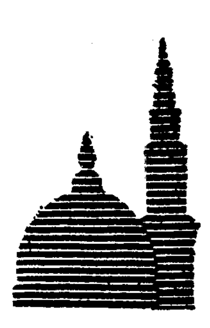
فما من بدعة تحدث فى الإسلام إلا ويرفع فى مقابلتها سنة من سنن الهدى . وحسبك فى وجوب الاتباع والتحذير من الإبتداع ما رواه المقدسى فى المختارة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته .

وساق الشاطبى فى الاعتصام من حديث : المدينة حرم ما بين عير إلى ثور من أحدث فيها حدثا أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً _ وهذا الحديث فى سياق العموم فيشمل كل حدث أحدث فيها مما ينافى الشرع . والبدع من أقبح الحدث وهو وان كان مختصاً بالمدينة فغيرها أيضا يدخل فى المعنى ... ويروى عن أبى أويس الخولانى أنه قال لأن أرى فى المسجد ناراً لا أستطيع إطفاءها أحب إلى من أن أرى فيه بدعة لا أستطيع تغييرها .

وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم وعليكم بالأمر العتيق . وكان السلف يقولون : احذروا من الناس صنفين : صاحب فتنة فتنهُ هواه . وصاحب دنيا أعجبته دنياه . وقال أبو عمير عيسى بن محمد النحاس فى صفة الإمام أحمد رحمه الله : عن الدنيا ما كان أصبره وبالماضين ما كان أشبهه وبالصالحين ما كان ألحقه . أتته البدع فنفاها والدنيا فأباها . وخصه الله بنصرة دينه والقيام بحفظ سنته ورضيه لإقامة حجته ونصر كلامه حين عجز عنه الناس .

ويروى عن الإمام مالك رحمه الله : لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها فما لم يكن يومئذٍ ديناً لا يكون اليوم ديناً .

وإلى هنا انتهى ما أردنا جمعه وكان ذلك فى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم جعلها الله آمنة مطمئنة وسائر بلاد المسلمين والحمد لله الذى بتوفيقه تتم الصالحات . وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .



جَاهِـلية جَدِيـدَة

مِنَ البـدع الخبيثة ذبح القرابـين على القبور طلبًا للمطر ، وهٰذا العمَل إلى جَانب أنه شـرك يضـم فاعـله إلى عبدة الأوثـان الذينَ يَذبحُون لِغـير ٱللهِ فهُو يتسبب في تـَرك سُـنة النبى عَليـه الصّلاة والسّلام بإقـامة صَلاة الاسْتسقاء .

وقد ظهرَ هذا واضحًا في السّـنوات الأخِـيرَة فـَتركت بذلكَ سُنة الصّـلاة واسْـتمر الجهـلة عَـلى عـملهم في الذبْح للقبُور .

(النور المغربية)


العقيدة



فى الحلقات الخمس الماضية يسَّرَ الله لى معالجة شىء من المعانى المتعلقة ببعض أسماء الله الحسنى فى محاولة لفهم جوانب من مضامينها ؛ وكان آخر ما شملته هذه المحاولة هو اسمى (المولَى - والولّى) . ولما بدا لى أن أستكمل بحثى فى هذه الحلقة ، ذكرت دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم الجامع لهذين الاسمين فى آنٍ معاً حين يضرع إلى ربه قائلاً : (اللهمَّ آتِ نفسى تقْوَاها ، وَزَكِّها أنت خيرُ مَنْ زَكَّاها ، أنتَ وَلِيُّها ومَوْلاَها) .

وهذا الدعاء الرائع يشمل خَيْرىْ الدنيا والآخرة ، إذ أنه لو جُمِعَ للإنسان أن يُبعَدَ عن نفسه فجورْها ، وأن تُحقَّقَ لها تقواها ، لكان كلُّ ما يأتيه مراقِباً فيه لله تعالى طامِعاً فى ثوابه ، حَاذِرا من عقابه ، وكذلك لو جُمِعَ للإنسان أن تُجَنَّبَ نفسُه تدسيتها ، وتُحَصَّلَّ لها تزكيتها ، لكان كلُّ ما يصدر عنه نقيّاً طاهراً .

ومادام أن عمل الإنسان قد خلص لله جل وعلا ، ونُقِّىَ من كل شائبة ، فإنه يكون سبباً فى خيره وفلاحه فى دنياه وآخرته .

ومن ذا الذى يُخلِّصُ النفس من فجورها وتدسيتها ؟ ومن ذا الذى يحقق لها تقواها وزكاتها ؟ إنه الله القدير سبحانه ، قلوبُنا بين أصبعين من أصابعه يُقلِّبها كيف يشاء ، ذلك بأنه - جل وعلا - يتولى أمر عبده المؤمن ، ويوليه رعايته وتوفيقه ، فيعيش فى كنفه ، ويحظى بالأمن فى رحابه .

ومَنْ أسعد ممن يرعاه حبيبه ، ويتولاه مولاه ؟ ويأخذ بناصيته إلى برِّ النجاة ؟

وبالتأمل فى كتاب الله العزيز ، نجد تلك المعانى فى مثل قوله تعالى : **(ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكَّاها ، وقد خاب من دسَّاها)** (الشمس آية ١٠٦) ٠

ومعنى قوله تعالى : **(ونفسٍ وما سواها)** : أى خلقها سويةً مستقيمةً على الفطر القويمة كما قال سبحانه : **(فأقم وجهك للدين حنيفاً فِطرةَ اللهِ التى فَطَر الناسَ عليها لا تبديل لخلق الله)** (١) ٠

أو بمعنى : سوَّاها : خلقها وأنشأها وسوى أعصابها (٢) ٠

ومعنى قوله تعالى : **(فألهمها فُجورَها وتقواها)** : أى بيَّن لها الخير والشر ، أو ألهمها الخير والشر ، أو جعل فيها فجورها وتقواها (٣) ٠

أو بمعنى : عَرَّفَها وأفهمها حالهما (أى حال التقوى والفجور) وما فيهما من الحسن والقُبح ٠ أو عرَّفَها طريق الفجور والتقوى ، والمعصية والطاعة ٠ أو : عَرَّفَها طريق الخير وطريق الشر كما قال تعالى : **(وهديناه النجدين)** ٠ وقد حكى الإمام ابن كثير قول محمد بن كعب : إذا أراد الله بعبده خيراً ألهمه الخير فعمل به ، وإذا أراد به الشر ألهمه الشر فعمل به ٠ كما حكى قول ابن زيد : جعل فيها ذلك بتوفيقه إياها للتقوى ، وخذلانه إياها للفجور ٠ واختار الزجاج هذا القول ، وحمل الإلهام على التوفيق والخذلان ٠ وقال الواحدى : وهذا هو الوجه لتفسير الإلهام ، فإن التبيين والتعليم والتعريف دون الإلهام ، والإلهام أن يوقع فى قلبه ويجعل فيه ، وإذا أوقع الله فى قلب عبد شيئا ألزمه ذلك الشىء ، وهذا صريح فى أن الله خلق فى المؤمن تقواه ، وفى الكافر فجوره (٤) ٠

وجاء فى معنى قوله تعالى : **(فألهمها فجورها وتقواها)** أن الرسول صلَى الله عليه وسلم كان عندما يقرأ هذه الآية يقول : « اللهم إنى أعوذ بك من العجز والكسل ، والهرم والجبن والبخل وعذاب القبر ، اللهم آتِ نفسى تقواها ، وَزَكِّها أنت خير من زكاها ، أنت وليُّها ومولاها ، اللهم إنى أعوذ بك من قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، وعلم لا ينفع ، ودعوة لا يستجاب لها » رواه الإمام أحمد ـ بسنده ـ عن زيد بن أرقم الذى قال عن هذه الدعوات :

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير الجزء ٤ ص ٥١٥ ٠

(٢) فتح القدير للشوكانى الجزء ٥ ص ٤٤٩ ٠

(٣) تفسير القرآن العظيم الجزء ٤ ص ٥١٦ ٠

(٤) فتح القدير الجزء ٥ ص ٤٤٩ ٠

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُعَلِمنْاهُنَّ ونحن نُعلمكُموُهنَّ · ورواه الإمام مسلم ـ بسنده ـ كذلك عن زَيد بن أرقم (١) ·

وقيل فى معنى (**فألهمها فجورها وتقواها**) أنه عرفها الفجور والتقوى ، وما تُميِّزُ به رشدَها وضلالَها ـ قال ابن عباس : بين لها الخير والشر والطاعة والمعصية ، وعرفها ما تأتى وما تتقى (٢) ·

أقـــــول : وقد تظهر شبهة عند بعض الذين لا يعلمون ، فيرى أن هناك تعارضا بين الآية المذكورة وهى قوله تعالى : (**فألهمها فجورها وتقواها**) وبين آيات أخرى تضاد معناها من مثل قوله تعالى : (**أولئك الذين اشترَوا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين**) (البقرة آية ١٦) ، وقوله تعالى : (**وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهُونِ بما كانوا يكسبون**) (فصلت آية ١٧) ، وقوله تعالى : (**فمن شاء فليؤمنْ ومن شاء فليكفرْ**) (الكهف آية ٢٩) ، وقوله تعالى : (**وقال الشيطان لما قُضىَ الأمر إن الله وعدكم وَعْدَ الحق ووعدتكم فأخلفتكم ، وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى ، فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ، ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخىَّ ، إنى كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم**) (ابراهيم آية ٣٢) ، وقوله تعالى : (**ويوم يَعَضُّ الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا ، يا ويلتى ليتنى لم اتخذ فلانا خليلا**) (الفرقان آية ٢٧ ، ٢٨) ، وقوله تعالى : (**وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا**) (الأحزاب آية ٦٧) · وقوله تعالى : (**كَمَثَلِ الشيطانِ إذْ قال للإنسان اكْفُرْ ، فلما كفر قال إنى برىء منك إنى أخاف الله رب العالمين**) (الحشر آية ١٦) · إلى غير ذلك من كثير الآيات التى يفهم منها أن فجور العبد وضلاله إنما هو بكامل اختياره ومشيئته دون تدخل لأى إرادة أو مشيئة أخرى سواه · فى حين أن قوله تعالى : (**فألهمها فجورها وتقواها**) يفهم منه أن الله هو الذى يضع الفجور أو التقوى بالإلهام فى قلب عبده ·

وخلص هؤلاء إلى أن هناك تعارضا بين نوعى الآيات ، وأخذوا يؤولون ويخبطون ، ونشأت اتجاهات شاذة حملتها الفرق الضالة كالقَدَرِيَّة الذين نفوا قدرة الله القدير سبحانه

---

(١) تفسير القرآن العظيم الجزء ٤ ص ٥١٥ ، ٥١٦ ·

(٢) صفوة التفاسير الجزء ٣ ص ٥٦٦ ·

فزعموا أن العبد هو الذى يخلق عمله استقلالا ، ولهذا سمُّوا (مجوس هذه الأمة) ، وذلك لمشابهتهم المجوس في قولهم بالأصلين : النور والظلمة ؛ ويعنون بذلك أن هناك إلهين : إله النور ويصدر عنه كل خير ، وإله الظلمة ويصدر عنه كل شر · كذلك القدرية يقولون إن الله خالق العباد ، وأن العباد خالقون لأفعالهم · وبهذا كان عند القدرية ـ كما يعتقد المجوس ـ خالقان ·

ومن ثم عطلوا صفة (القدرة) التى يتصف بها الله جل وعلا ، وكذبوه فيما سمى به نفسه سبحانه من اسم (القادر ، والقدير) كما عطلوا صفة المشيئة أو الإرادة التى وصف بها نفسه تبارك وتعالى ، فى مثل قوله تعالى : **(ولا تقولنَّ لشىء إنى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله)** (الكهف آية ٢٣ ، ٢٤) · وقوله تعالى : **(إن الله يفعل ما يريد)** (الحج آية ١٤) ·

ومن الفرق الضالة كذلك الجَبْرِيَّة الذين زعموا أن فاعل جميع الأفعال هو الله تعالى ، ونفوا أن العبد يفعل شيئا ، ونتج عن اتجاههم هذا : القولْ بأن العبد مجبور على فعله لأنه بإتيانه ما يفعل ليس إلا كريشة فى مهب الرياح تتقاذفها تارة يمنةً وتارة يسرةً ، ومن ثم فلا مشيئة له ولا إرادة ، وهو فى أفعاله مسيَّر تسييرا كاملا لا اختيار له فى أى عمل ·

وهؤلاء كذبوا الله تعالى فيما أثبته للعبد من مشيئة فى مثل قوله تعالى : **(فمن شاء فليؤمنْ ومن شاء فليكفرْ)** (الكهف آية ٢٩) ، وافتروا عليه الكذب سبحانه فى أنه يجبر العبد على مالا يريد فعله ومالا يقدم عليه بمحض اختياره · وبهذا الاتجاه الضال انتشرت بين الناس مقالة أن العبد مُسَيَّرٌ لا مخير · وهذا زعم كاذب ، وخبْطٌ فى التيه ، بلا برهان من الله ·

ومثل هاتين الفرقتين القدرية والجبرية قد فرطت أولاهما فنفت ما أثبته الله لنفسه سبحانه من صفات ، وأفرطت الثانية فأثبتت للعبد ما لم يثبته له الله ، وكلا الفرقتين مكذب لله تعالى فيما أخبر من إثبات مشيئة له سبحانه وإثبات مشيئة للعبد فى مثل قوله تعالى : **(وما تشاءون إلا أن يشاء الله)** (الإنسان الآية ٣٠) وفيما أخبر من خلقه للعبد ولعمله فى مثل قوله تعالى : **(والله خلقكم وما تعملون)** (الصافات الآية ٩٦) ·

ومن ثم فالعبد له مشيئة ، وهو مُخيَّر تمام التخيير فى جميع التكليفات ، وتتميز بأنها تتم بعمله واختياره ، كالصلاة والصيام والزكاة وسائر التكاليف ، وهو مُسَيَّر تسييرا كاملا فيما وراء التكاليف كالرزق ، والأجل ، وإنجاب الأولاد أو العقم وما ماثل ذلك ، وتتميز هذه الأمور بأنه لا يد له فيها البتة · وهذا ما توسط به أهل السنة والجماعة ·

وتحقيق هذه المسألة يرجع إليها في مظانّها لأن المقام يضيق هنا عن تفصيلها · فأحيل القارىء الكريم على تلك المظان من كتب العقيدة ·

ومعنى قوله تعالى : **(قد أفلح من زكاها)** : قد أفلح من زكى نفسه بطاعة الله وطهرها من الأخلاق الدنيئة والرذائل · أو أن المعنى : قد أفلح من زكى الله نفسه (١) ·

وقد ذكر الإمام الشوكانى فى معنى هذه الآية : أنه قد فاز من زكى نفسه وأنماها وأعلاها بالتقوى بكل مطلوب ، وظفر بكل محبوب (٢) ·

وذُكر فى تيسير الكريم الرحمن أن معنى هذه الآية : أنه طهر نفسه من الذنوب ، ونقاها من العيوب ، ورقّاها بطاعة الله وعلّاها بالعلم النافع ، والعمل الصالح (٣) ·

وجاء فى صفوة التفاسير أن معنى هذه الآية : أنه فاز وأفلح من زكى نفسه بطاعة الله ، وطهرها من دنس المعاصى والآثام (٤) ·

ومعنى قوله تعالى : **(وقد خاب من دسَّاها)** أنه خاب من دسَّسَ نفسه أى أخملها ووضع منها ، وذلك بخذلانه إياها عن الهدى حتى ركب المعاصى وترك طاعة الله عز وجل · أو أن المعنى : قد خاب من دسىَّ الله نفسه (٥) ·

وذكر الإمام الشوكانى فى معنى (وقد خاب من دساها) : أى خسر من أضلها وأغواها ـ أو أخفاها وأخملها ولم يشهرها بالطاعة والعمل الصالح ، أو أنه دسَّ نفسه فى جملة الصالحين وليس منهم (٦) ·

وجاء فى تيسير الكريم الرحمن فى معنى هذه الآية أنه أخفى نفسه الكريمة التى ليست حقيقةً بقمعها وإخفائها بالتدنس بالرذائل والدنو من العيوب والذنوب ، وترك ما يكملها وينميها ، واستعمال ما يشينها ويدسيها (٧) ·

وجاء فى صفوة التفاسير أن معنى هذه الآية أنه قد خسر وخاب من حقّر نفسه بالكفر والمعاصى ، وأوردها موارد الهلكة · فإن من طاوع هواه ، وعصى أمر مولاه ، فقد نقص من عداد العقلاء ، والتحق بالجهلة الأغبياء (٨) ·

---

(١) تفسير القرآن العظيم الجزء ٤ ص ٥١٦ ·
(٢) فتح القدير ص ٤٤٩ ·
(٣) تيسير الكريم الرحمن الجزء ٨ ص ٢٤٦ ·
(٤) صفوة التفاسير الجزء ٣ ص ٥٦٦ ·
(٥) تفسير القرآن العظيم الجزء ٤ ص ٥١٦ ·
(٦) فتح القدير للشوكانى الجزء ٥ ص ٤٤٩ ·
(٧) تيسير الكريم الرحمن الجزء ٨ ص ٢٤٦ ·
(٨) صفوة التفاسير الجزء ٣ ص ٥٦٦ ·

أقـــــول : وإذا كان إلهام النفس وإتيانها تقواها ، هو تعريفها دروب الخير وإلهامها سلوكها وتوفيقها إلى التزامها ، وإذا كانت زكاة النفس هو تطهيرها من كل دنس ، والسمو بها - بطاعة الله عز وجل - إلى مراقى الفوز والفلاح ، إذا كانت تقوى النفس وتزكيتها بهذه المثابة ، فقد حُقَّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلجأ فى ضراعة لمولاه الذى يتولاه ويتولى المؤمنين ، فيقول : « اللهم آت نفسى تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها » .

وحين يستجاب هذا الدعاء العظيم ، يتحقق للنفس من خيرى الدنيا والآخرة ، ما تسعد به سعادة لم تشهد قبل لها مثيلا .

ومن ثم كان مقتضى معرفة معنى اسم (المولى - والولّى) ، أن ينزع المؤمن من قلبه كل ولاية لغير الله تعالى ، فيستبعد كل ولاية زائفة ويحطم كل ولاية لعديد الجبابرة من طواغيت الأحياء أيا كانت سطواتهم ومهما بلغ سلطانهم ، ولحشود المقبورين من طواغيت الأموات أيا كانت شخصياتهم ومهما سمت مرتباتهم ، وأن يُجَرِّد الولاية لله الحق فى الحياة الدنيا والآخرة ، لينعم بإكرام الله تعالى له بالنصر والفوز فى الدارين .

أسألك اللهم ربى ومولاى ، أن تثبت قلبى - مع إخوتى على درب الإيمان - على دينك ، وأن تصرفه على طاعتك ، وأن تجعل ولايته خالصة لك . « **أنت وليى فى الدنيا والآخرة ، توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين** » .

قَالَ اللهُ تَعَالَى :

" فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ "

(سورة الروم آية ٤٣)


الفقه
و
أصوله

فضل صيام رمضان وقيامه

مع بيان أحكام مهمة قد تخفى على بعض الناس

لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز

رئيس إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى من يراه من المسلمين سلك الله بي وبهم سبيل أهل الإيمان ووفقني وإياهم للفقه في السنة والقرآن . آمـــــين .

ســـــلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد . فهذه نصيحة موجزة تتعلق بفضل صيام رمضان وقيامه وفضل المسابقة فيه بالأعمال الصالحات مع بيان أحكام مهمة قد تخفى على بعض الناس .

ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يبشر أصحابه بمجيء شهر رمضان ويخبرهم عليه الصلاة والسلام أنه شهر تفتح فيه أبواب الرحمة وأبواب الجنة وتغلق فيه أبواب جهنم وتغل فيه الشياطين ويقول صلى الله عليه وسلم : « إذا كان أول ليلة من رمضان فتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب وغلقت أبواب جهنم فلم يفتح منها باب وصفدت الشياطين وينادى مناد يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة » ويقول عليه الصلاة والسلام : « جاءكم شهر رمضان شهر بركة يغشاكم الله فيه فينزل الرحمة ويحط الخطايا ويستجيب الدعاء ينظر الله إلى تنافسكم فيه فيباهي بكم ملائكته فأروا الله من أنفسكم خيراً فإن الشقي من حرم فيه رحمة الله » ويقول عليه الصلاة والسلام : « من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » ويقول عليه

الصلاة والسلام : يقول الله عز وجل (كل عمل ا بن آدم له الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام فإنه لى وأنا اجزى به ترك شهوته وطعامه وشرا به من أجلى للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك » والأحاد يث فى فضل صيام رمضان وقيامه وفضل جنسى الصوم كثيرة فينبغى للمؤمن أن ينتهز هذه الفرصة وهى ما من الله به عليه من إدراك شهر رمضان فيسارع إلى الطاعات ويحذر السيئات ويجتهد فى أداء ما افترض الله عليه ولاسيما الصلوات الخمس فإنها عمود الإسلام وهى أعظم الفرائض بعد الشهادتين . فالواجب على كل مسلم ومسلمة المحافظة عليها وأداؤها فى أوقاتها بخشوع وطمأنينة ، ومن أهم واجباتها فى حق الرجال أداؤها فى الجماعة فى بيوت الله التى أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه كما قال عز وجل : (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأركعوا مع الراكعين) (البقرة آية ٤٣) وقال تعالى (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين) (البقرة آية ٢٣٨) وقال عز وجل (قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون) (المؤمنون آية ١ ، ٢) إلى أن قال عز وجل (والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) (المؤمنون الآ يات ٨ ـ ١١) .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر » وأهم الفرائض بعد الصلاة أداء الزكاة كما قال عز وجل : (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) (البينة آية ٥) وقال تعالى (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون) (النور آية ٥٦) . وقد دل كتاب الله العظيم وسنة رسوله الكريم على أن من لم يؤد زكاة ماله يعذب به يوم القيامة ، وأهم الأمور بعد الصلاة والزكاة صيام رمضان وهو أحد أركان الإسلام الخمسة المذكورة فى قول النبى صلى الله عليه وسلم « بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت » . ويجب على المسلم أن يصون صيامه وقيامه عما حرم الله عليه من الأقوال والأعمال لأن المقصود بالصيام هو طاعة الله سبحانه وتعظيم حرماته وجهاد النفس على مخالفة هواها في طاعة مولاها وتعويدها الصبر عما حرم الله وليس المقصود مجرد ترك الطعام والشراب وسائر المفطرات ولهذا صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « الصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سا به أحد أو قاتله فليقل إنى صائم » وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرا به » .

فعلم بهذه النصوص وغيرها أن الواجب على الصائم الحذر من كل ما حرم الله عليه والمحافظة على كل ما أوجب عليه وبذلك يرجى له المغفرة والعتق من النار وقبول الصيام والقيام ·

وهناك أمور قد تخفى على بعض الناس منها أن الواجب على المسلم أن يصوم إيمانا واحتسابا لا رياء ولا سمعة ولا تقليدا للناس أو متابعة لأهله أو أهل بلده بل الواجب عليه أن يكون الحامل له على الصوم هو إيمانه بأن الله قد فرض عليه ذلك واحتسابه الأجر عند ربه فى ذلك ·

وهكذا قيام رمضان يجب أن يفعله المسلم إيمانا واحتسابا لا لسبب آخر ولهذا قال عليه الصلاة والسلام « من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » ·

ومن الأمور التى قد يخفى حكمها على بعض الناس ما قد يعرض للصائم من جراح أو رعاف أو قيء أو ذهاب الماء أو البنزين إلى حلقه بغير اختياره فكل هذه الأمور لا تفسد الصوم ، لكن من تعمد القيء فسد صومه لقول النبى صلى الله عليه وسلم « من ذرعه القيء فلا قضاء عليه ومن استقاء فعليه القضاء » ·

ومن ذلك ما قد يعرض للصائم من تأخير غسل الجنابه إلى طلوع الفجر وما يعرض لبعض النساء من تأخير غسل الحيض أو النفاس إلى طلوع الفجر إذا رأت الطهر قبل الفجر فإنه يلزمها الصوم ، ولا مانع من تأخيرها الغسل إلى ما بعد طلوع الفجر ولكن ليس لها تأخيره إلى طلوع الشمس بل يجب عليها أن تغتسل وتصلى الفجر قبل طلوع الشمس · وهكذا الجنب ليس له تأخير الغسل إلى ما بعد طلوع الشمس بل يجب عليه أن يغتسل ويصلى الفجر قبل طلوع الشمس ، ويجب على الرجل المبادرة بذلك حتى يدرك صلاة الفجر مع الجماعة ·

ومن الأمور التى لا تفسد الصوم تحليل الدم وضرب الإبر غير التى يقصد بها التغذية ، لكن تأخير ذلك إلى الليل أولى وأحوط إذا تيسر ذلك لقول النبى صلى الله عليه وسلم « دع ما يريبك إلى مالا يريبك » وقوله عليه الصلاة والسلام « من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه » ·

ومن الأمور التى قد يخفى حكمها على بعض الناس عدم الاطمئنان فى الصلاة سواء كانت فريضة أو نافلة ، وقد دلت الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن الطمأنينة ركن من أركان الصلاة لا تصح الصلاة بدونه وهى الركود فى الصلاة والخشوع

فيها وعدم العجلة حتى يرجع كل فقار إلى مكانه . وكثير من الناس يصلي فى رمضان صلاة التراويح صلاة لا يعقلها ولا يطمئن فيها بل ينقرها نقرا . وهذه الصلاة على هذا الوجه باطلة وصاحبها آثم غير مأجور ·

ومن الأمور التى قد يخفى حكمها على بعض الناس ظن بعضهم أن التراويح لا يجوز نقصها عن عشرين ركعة وظن بعضهم أنه لا يجوز أن يزاد فيها على احدى عشرة ركعة أو ثلاث عشرة ركعة وهذا كله ظن فى غير محله بل هو خطأ مخالف للأدلة ·

وقد دلت الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن صلاة الليل موسع فيها فليس فيها حد محدود لا تجوز مخالفته بل ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يصلي من الليل احدى عشرة ركعة وربما صلى ثلاث عشرة وربما صلى أقل من ذلك فى رمضان وفى غيره . ولما سئل صلى الله عليه وسلم عن صلاة الليل قال « مثنى مثنى فإذا خشى أحدكم الصبح صلى ركعة واحدة توتر له ما قد صلى » متفق على صحته ·

ولم يحدد ركعات معينة لا فى رمضان ولا فى غيره ولهذا صلى الصحابة رضى الله عنهم فى عهد عمر رضى الله عنه فى بعض الأحيان ثلاثا وعشرين ركعة وفى بعضها احدى عشرة ركعة كل ذلك ثبت عن عمر رضى الله عنه وعن الصحابة فى عهده ·

وكان بعض السلف يصلي فى رمضان ستا وثلاثين ركعة ويوتر بثلاث وبعضهم يصلي أحدى وأربعين . ذكر ذلك عنهم شيخ الإسلام ابن تيميه ـ رحمه الله ـ وغيره من أهل العلم كما ذكر ـ رحمه الله ـ أن الأمر فى ذلك واسع . وذكر أيضا أن الأفضل لمن أطال القراءة والركوع والسجود أن يقلل العدد · ومن خفف القراءة والركوع والسجود زاد فى العدد . هذا معنى كلامه رحمه الله . ومن تأمل سنته صلى الله عليه وسلم علم أن الأفضل فى هذا كله هو صلاة احدى عشرة ركعة أو ثلاث عشرة ركعة فى رمضان وغيره لكون ذلك هو الموافق لفعل النبى صلى الله عليه وسلم فى غالب أحواله . ولأنه أرفق بالمصلين وأقرب إلى الخشوع والطمأنينة . ومن زاد فلا حرج ولا كراهة كما سبق . والأفضل لمن صلى مع الإمام فى قيام رمضان أن لا ينصرف إلا مع الإمام لقول النبى صلى الله عليه وسلم « إن الرجل إذا قام مع الإمام حتى ينصرف كتب الله له قيام ليلة » ·

ويشرع لجميع المسلمين الاجتهاد فى أنواع العبادة فى هذا الشهر الكريم من صلاة النافلة وقراءة القرآن بالتدبر والتعقل والإكثار من التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير والاستغفار والدعوات الشرعية والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والدعوة إلى الله عز وجل

ومواسات الفقراء والمساكين والاجتهاد فى بر الوالدين وصلة الرحم وإكرام الجار وعيادة المريض وغير ذلك من أنواع الخير لقوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث السابق « ينظر الله إلى تنافسكم فيه فيباهى بكم ملائكته فأروا الله من أنفسكم خيرا . فإن الشقى من حرم فيه رحمة الله » . ولقوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث السابق « يا باغى الخير أقبل ويا باغى الشر أقصر » ولما روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال « من تقرب فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه . ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه . ولقوله عليه الصلاة والسلام فى الحديث الصحيح « عمرة فى رمضان تعدل حجة أو قال حجة معى » .

والأحاديث والآثار الدالة على شرعية المسابقة والمنافسة فى أنواع الخير فى هذا الشهر الكريم كثيرة . والله المسؤول أن يوفقنا وسائر المسلمين لكل ما فيه رضاه وأن يتقبل صيامنا وقيامنا ويصلح أحوالنا ويعيذنا جميعا من مضلات الفتن . كما نسأله سبحانه أن يصلح قادة المسلمين ويجمع كلمتهم على الحق إنه ولى ذلك والقادر عليه .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

من أقوالهم

قال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه :

أفضل الزهد إخفاء الزهد . .

وقال أيضًا :

أشد مايكون حنق حاسدك عليك إذا صبرت على حسده .

رخصة الفطر فى سفر رمضان
وما يترتب عليها من الآثار

٢

الدكتور أحمد طه ريان

أستاذ مساعد بجامعة الأزهر

هـــل الفطر فى السفر رخصة أم عزيمة :

بعد أن عرفنا مقدار المسافة التى يشرع فيها الفطر للمسافر إذا عزم على قطعها أو تجاوزها ، ننتقل الآن إلى بيان مدى هذه المشروعية . وبمعنى أوضح ، هل هذه المشروعية تقف عند حدها الأدنى ، وهو الإباحة ، فيكون المسافر له حرية الفطر مع القضاء فى أيام أخر ، أو الصيام مع الإجزاء بدون أدنى حرج عليه فى فعل أى منهما ؟ أو أن هذه المشروعية ترتفع عن هذا الحد إلى مستوى أعلى قليلا عن الاباحة ، فتصل إلى حد الندب أو الأفضلية للفطر على الصيام ، فيكون من صام فى سفره قد ارتكب أمرا مكروها ، والمكروه ، وان كان لا يعاقب على تركه ، لكنه لا يثاب على فعله ، كما عرفه بذلك كثير من الفقهاء ، أو أن هذه المشروعية للفطر ترتفع إلى درجتها العليا ، فتصل إلى درجة الوجوب ، فيكون الصائم قد ارتكب أمرا قد حرمه الشارع ، وبالتالى ، يثبت لصومه حكم البطلان ، ويجب عليه قضاء هذه الأيام التى صامها فى السفر لعدم احتساب الشارع لها .

لبيان ما هو الحق فى ذلك نقول :

نقل عن عدد كبير من الصحابة والتابعين والفقهاء ، عدم مشروعية الصيام فى السفر ، إلا أن بعضهم قد نقل ذلك عنه بلفظ الكراهة وبعضهم قد نقل عنه بلفظ عدم الإجزاء أو بوجوب القضاء .

فروى نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما « لأن أفطر فى رمضان فى السفر أحب إلى من أن أصوم » (١) .

وقال ابن المنذر : كان ابن عمر وسعيد بن جبير يكرهان صوم المسافر وقال : روينا عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال : « إن صام قضاه » وقال : وروى عن ابن عباس قوله : « لا يجزئه الصيام » (٢) .

كما نقل عن عبد الرحمن بن عوف قوله : « الصائم فى السفر كالمفطر فى الحضر » (٣) .

وروى عبد الرزاق عن ابن عيينة ، قال أخبرنى عاصم بن عبيد الله بن عاصم عن ابن عبد الله بن عامر بن ربيعة « أن عمر بن الخطاب أمر رجلا صام رمضان فى السفر أن يقضيه ، قال وأخبرنيه عمرو بن دينار عن كلثوم بن جبر عن عمر (٤) .

وروى عن أبى سعيد مولى المهرى ، قال : أقبلت مع صاحب لى من العمرة فوافينا الهلال هلال رمضان فنزلنا فى أرض أبى هريرة فى يوم شديد الحر فأصبحنا مفطرين إلا رجلا منا واحدا ، فدخل علينا أبو هريرة نصف النهار فوجد صاحبنا يلتمس برد النخل ، فقال : ما بال صاحبكم ؟ قالوا صائم ، قال : ما حمله على ألا يفطر ؟ قد رخص الله له ، لو مات ما صليت عليه . قال الحافظ ابن حجر ـ عن هذا الأثر ـ موقوف صحيح . ونقل محقق المطالب العالية ، عن البوصيرى قوله عنه : رجاله ثقات (٥) .

وقد نقل هذا القول أيضا ـ بالإضافة إلى سعيد بن جبير ـ عن عدد من التابعين ، كالزهرى والنخعى وغيرهما (٦) .

وقد ذهب إلى ذلك من الفقهاء بعض أصحاب داود الظاهرى والشيعة الإمامية كما أشرنا من قبل إلى ما قاله ابن حزم بشأن وجوب الفطر على الصائم المسافر إذا بلغ ميلا أو تجاوزه (٧) .

ويتلخص رأى هذا الفريق ، بأن الفطر فى السفر عزيمة فمن خالفها وصام فقد اقترف إثما ولا يعتد بما صامه شرعا ويجب عليه قضاء هذه الأيام بعد انتهاء رمضان وانقضاء سفره .

---

(١) السنن الكبرى جـ ٤ ص ٢٤٥ .

(٢) المجموع جـ ٦ ص ٢١٧ .

(٣) النسائى : احياء التراث جـ ٤ ص ١٨٣ .

(٤) المصنف جـ ٤ ص ٢٧٠ .

(٥) المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ـ وهذا الأثر من مسند مسدد ـ جـ ١ ص ٨١ .

(٦) تحفة الأحوذى جـ ٣ ص ٣٩٧ .

(٧) المحلى جـ ٦ ص ٣٦٤ . المجموع جـ ٦ ص ٢١٧ . نيل الأوطار جـ ٤ ص ٥١ .

وأهم الأدلة التى استند اليها هذا الفريق ما يلى :

١ ـ قال تعالى : **(فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر)** (البقرة : آية ١٨٥) ٠

وجه الدلالة : من المعلوم أن هذه الآية محكمة بإجماع المسلمين لم يرد عليها نسخ ولا تخصيص ، وقد أوجبت الصيام على من شهد الشهر صحيحا مقيما ، وعلى من شهد الشهر وكان مريضا أو مسافرا ، عدة من أيام أخر ٠ ووجوب قضاء أيام السفر بعد رمضان يستلزم وجوب الفطر فى رمضان أثناء السفر ، وحتى لو عاند وخالف وصام ، فإنه لا يعتد بذلك الصيام ، بل يجب عليه قضاء هذه الأيام التى صامها (١) ٠

ويناقش هذا الاستدلال بأن الآية قد تضمنت دلالة اقتضاء ، وهو تقدير بعض الألفاظ التى لا يتضح المعنى بدونها ٠ والمقدر هنا : عبارة « فأفطر » فيكون المعنى الاجمالى : ومن كان مريضا أو على سفر ـ فأفطر ـ فعدة من أيام أخر ـ وقد أوضحت السنة هذا المعنى بجلاء تام فى أكثر من حديث ، فقد جاء فى حديث حمزة بن عمرو الأسلمى رضى الله عنه أنه قال يا رسول الله : أجد بى قوة على الصيام فى السفر ، فهل على جناح ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هى رخصة من الله فمن أخذ بها فحسن ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه » (٢) ورفع الجناح يقتضى صحة الصوم وإجزاءه ورفع الإثم عن الصائم ٠

قد يقال : إن نفى الجناح ؟ قد يكون المراد منه نفى الحرمة عن الصائم فى السفر لكنه لا يقتضى الاعتداد بما صامه شرعا ، أو يكون المراد : لا جناح عليه لو صام فى سفره تطوعا أو قضاء لصوم سابق كان عليه ٠

ويجاب عن ذلك بأن نفى الجناح يقتضى الإباحة والشىء المباح إذا فعل بنية العبادة ، فإنه يثاب عليه ، حتى الأكل والشرب إذا فعلهما الشخص بنية التقوى على العبادة ، فإنه يثاب عليهما ٠

أما تأويل الحديث على أنه لا جناح عليه فى صيام هذه الأيام تطوعا أو قضاء ، فهو بعيد ، لأن التعبير عن الفطر بكونه رخصة يقتضى جواز العمل بها ، أو تركها والعمل بالعزيمة ٠ هذا هو المعروف من معنى الرخصة ، وإن كان العمل بها أفضل ، لأن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه ٠

٢ ـ الدليل الثانى من أدلة هذا الفريق على وجوب الفطر فى السفر وعدم الاعتداد

---

(١) أشار الى هذه الدلالة من الآية صاحب المحلى جـ ٦ ص ٣٨١ ٠

(٢) صحيح مسلم جـ ٣ ص ١٤٥ ٠

بالصيام فيه : حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عام الفتح إلى مكة فى رمضان فصام حتى بلغ كراع الغميم (١) فصام الناس ثم دعا بقدح من ماء فرفعه حتى نظر الناس إليه ثم شرب ، فقيل له : بعد ذلك إن بعض الناس قد صام ، فقال : أولئك العصاة أولئك العصاة » (٢) ٠

وجه الدلالة : وصف الصائمين فى السفر بالعصاة ، يقتضى أنهم آثمون ، ويقتضى كونهم آثمين أن صومهم غير مجزىء وبالتالى : يجب عليهم القضاء ٠

ويناقش هذا الاستدلال ، بأن وصف الصائمين بالعصيان لا يلزم منه أن يكون الوصف منصبا على الصوم ، بل قد يكون منصبا على مخالفتهم أمره صلى الله عليه وسلم بالفطر ، وقد أمر الله تعالى بطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم : **(وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)** (الحشر الآية ٧) ٠ وقال تعالى أيضا : **(فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم)** (النور الآية ٦٣) ٠

قد يقال : إن تركهم طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم فى أمره لهم بالفطر ، يقتضى أنهم عاصون بالصيام أيضا إلى جانب عصيانهم بمخالفة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفطر ٠

فيجاب عن ذلك بأن تشديد الرسول عليه الصلاة والسلام فى أمر الفطر ووصف التاركين بالعصيان إنما كان لسبب خاص وهو ملاقاة الأعداء ، ومعلوم أن القتال يحتاج إلى قوة ٠ وأن الفطر مما يساعد على إيجاد هذه القوة ، ومن هنا يدخل الفطر فى وسائل القوة التى أمر الله بإعدادها ، بقوله تعالى : **(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة)** (الأنفال الآية ٦٠) ٠

ويقوى هذا المعنى ما جاء فى حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه « سافرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة ونحن صيام ، قال : فنزلنا منزلا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنكم قد دنوتم من عدوكم والفطر أقوى لكم ، فكانت رخصة ، فمنا من صام ومنا من أفطر ، ثم نزلنا منزلا آخر ، فقال : إنكم مصبحو عدوكم والفطر أقوى لكم فأفطروا ، وكانت عزمة فأفطرنا ، ثم قال : لقد رأيتنا نصوم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فى السفر » (٣) ٠

---

(١) كراع الغميم : على ثلاثة أميال من عسفان ، القاموس المحيط جـ ٣ ص ٧٨ ٠

(٢) صحيح مسلم جـ ٣ ص ١٤٢ ٠

(٣) صحيح مسلم جـ ٣ ص ١٤٤ ٠

فأمره صلى الله عليه وسلم بالفطر عند قربهم من لقاء عدوهم إنما كان يقصد بذلك تقويتهم فى مواجهة عدوهم والأخذ بأسباب هذه التقوية واجب فيكون تركها معصية ٠

ويتضح من حديث أبى سعيد أيضا ، أنهم فى حالة بعدهم من عدوهم ، أن الفطر ليس بلازم ، فمن شاء صام ومن شاء أفطر ٠ وقد فهم الصحابة ذلك ، ففى حديث أبى سعيد هذا « فكانت رخصة فمنا من صام ومنا من أفطر » ٠

ومن باب أولى إذا كان السفر لغير الجهاد ، فيكون الفطر فيه لمشيئة المسلم إن شاء صام وإن شاء أفطر ٠ وقد ثبت ذلك من حديث أبى سعيد رضى الله عنه أيضا ، فقد جاء فيه : « لقد رأيتنا نصوم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فى السفر » ٠

قد يقال : إن هذه الصيغة ـ نصوم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ يفهم منها أنهم كانوا يصومون وهم فى صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم دون أن يشاركهم الرسول صلى الله عليه وسلم فى الصيام ٠ وفعل الصحابة فى حياته صلى الله عليه وسلم ليس حجة » ٠

فيجاب عن ذلك ، بأنه يكفى فى حجية هذا الفعل ، اطلاع رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه دون أن ينكره ٠ فيكون سنة تقريرية وهى حجة قد يقال : يحتمل أنه لم يطلع عليهم حتى يكون ذلك سنة تقريرية ٠

فيجاب عن ذلك : بأنه وان كان فيه بعد ، لكن يكفى فى الحجية حدوث هذا الفعل زمن نزول الوحى ، لأنه لو كان فيه مخالفة لنزل الوحى ببيانها ٠

٣ ـ الدليل الثالث : عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما ، قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فرأى رجلا قد اجتمع الناس عليه وقد ظلل عليه ، فقال : ماله ٠ قالوا : رجل صائم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس البر أن تصوموا فى السفر » (١) ٠

وجه الدلالة : أن النبى صلى الله عليه وسلم نفى البر ـ بكسر الباء ـ يعنى الطاعة والعبادة عن الصيام فى السفر ، أى ليس من الطاعة والعبادة ، أن تصوموا فى السفر ، وإذا انتفى كون الصيام فى السفر من البر ، فإن من خالف وصام ، فإنه يكون آثما وبالتالى لا يجزىء عنه هذا الصيام ٠

وقد أجيب عن ذلك ، بأن هذا الحديث ، قصد بلفظه شخص معين ـ وهو المذكور فى

---

(١) البخارى جـ ١١ ص ٤٨ مع شرحه عمدة القارىء ، صحيح مسلم جـ ٣ ص ١٤٢ ٠

الحديث ـ وما يكون مماثلا له · والمعنى : ليس من البر أن يبلغ الإنسان بنفسه هذا المبلغ بعد أن رخص الله عز وجل له فى الفطر (١) ·

ولكن تناقش هذه الإجابة ، بما قيل فى علم الأصول ، بأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ·

وترد هذه المناقشة ، بأن الحديث واقعة عين ، ووقائع الأعيان لا يستدل بها على عموم الأحكام · والدليل على عدم قصد العموم فى هذا الحديث ، ما ثبت من صوم الرسول صلى الله عليه وسلم فى رمضان فى حديث أم الدرداء عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر رمضان فى حر شديد حتى ان كان أحدنا ليضع يده على رأسه من شدة الحر وما فينا صائم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن رواحة » (٢) ·

وقد حمل بعض العلماء هذا الحديث على القاعدة الشرعية ، فى رفع مالا يطاق عن هذه الأمة ، فيكون مؤداه : أن المريض المقيم ، والمسافر المرهق ، ومن أجهده الصوم ، عليهم أن يفطروا ، فإن لم يأخذوا بالرخصة واستمروا على صومهم ، حتى خشى عليهم التلف ، فإنهم يكونون عصاة بصومهم واستحق من يفعل مثل هذا الفعل ، أن يوصف صومه ، بأنه ليس من البر ، والله أعلم (٣) ·

وقد أجاب ابن حزم على ذلك ، بأن هذه الحال ـ المشار إليها فى القاعدة السابقة ـ محرم البلوغ إليها باختيار المرء للصوم فى الحضر والسفر ، وقد خصص النبى صلى الله عليه وسلم المنع من الصيام فى السفر مطلقا بهذا الحديث ، فيجب أخذ كلامه عليه الصلاة والسلام على عمومه (٤) ·

ويجاب عن ادعاء العموم من الحديث ، بأن فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وفعل أصحابه بعد ذلك ، قد بين أن هذا العموم غير مراد ، فقد ثبت عنهم الصوم والفطر بعد هذه الواقعة وقد وضحت ذلك فى تعليقى على حديث أبى سعيد الخدرى الذى جاء فيه : « لقد

---

(١) عمدة القارىء جـ ١١ ص ٤٩ ·

(٢) صحيح مسلم جـ ٣ ص ١٤٥ ·

(٣) انظر الاشارة الى هذه القاعدة فى عمدة القارىء جـ ١١ ص ٤٩ كما أشار اليها ابن القيم فى تعليقه على عون المعبود جـ ٦ ص ٤٩ ·

(٤) المحلى جـ ٦ ص ٣٨٣ ·

رأيتنا نصوم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فى السفر » (١) والشريعة كل لا يتجزأ ٠

وقد رد ابن القيم على أصحاب هذا الاتجاه وهو الاستدلال بعموم النص مع قطع النظر عن فعله صلى الله عليه وسلم وفعل أصحابه المخصص له ، فقال : وهذا موضع يغلط فيه كثير من قاصرى العلم يحتجون بعموم نص على حكم ويغفلون عن عمل صاحب الشريعة وعمل أصحابه الذى يبين مراده (٢) ٠

٤ ــ الدليل الرابع : من أدلة هذا الفريق الموجب للفطر فى السفر : ما رواه أبو سلمة قال : أخبرنى عمرو بن أمية الضمرى ، قال : قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر فقال : « انتظر الغداء يا أبا أمية ، فقلت : إنى صائم ، فقال : تعال ادن منى حتى أخبرك عن المسافر أن الله عز وجل وضع عنه الصيام ونصف الصلاة » (٣) ٠

ويناقش هذا الاستدلال من وجهين :

الـــوجــه الأول :

أنه قد اختلف فى سند هذا الحديث اختلافا كثيرا ، فقد اختلف فيه على الأوزاعى ، حيث رواه الأوزاعى عن يحي عن أبى سلمة عن أبى أمية الضمرى ٠ ثم رواه الأوزاعى عن يحي عن أبى قلابة عن أبى المهاجر عن أبى أمية الضمرى ٠ ثم رواه الأوزاعى عن يحي عن أبى قلابة عن أبى أمية الضمرى (٤) ٠

كما اختلف فيه أيضا على معاوية بن سلام وعلى بن المبارك : فقد رواه عثمان عن معاوية عن يحي بن أبى كثير عن أبى قلابة : أن أبا أمية الضمرى ٠٠ كما رواه عثمان عن على بن يحي عن أبى قلابة عن رجل أن أبا أمية أخبره (٥) ٠

ولهذا الحديث شاهد من حديث أنس بن مالك الكعبى ، إلا أنه أيضا مختلف فى إسناده ، فقد رواه سفيان الثورى عن أيوب عن قلابة عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « إن الله وضع عن المسافر نصف الصلاة ، والصوم وعن الحبلى والمرضع » (٦) ٠

---

(١) صحيح مسلم جـ ٣ ص ١٤٤ ٠

(٢) عون المعبود جـ ٦ ص ٤٩ ٠

(٣) النسائى جـ ٤ ص ١٧٩ من المجتبى ٠

(٤) النسائى جـ ٤ ص ١٧٩ من المجتبى ٠

(٥) النسائى جـ ٤ ص ١٨٠ من المجتبى ٠

(٦) النسائى جـ ٤ ص ١٨١ من المجتبى ٠

وعن ابن حبان عن عبد الله عن ابن عيينة عن أيوب شيخ من قشير عن عمه ·
وعن عبد الله عن خالد الحذاء عن أبى قلابة عن رجل قال أتيت النبى صلى الله عليه وسلم وهكذا ...(١) ·

وقد روى أبو داود هذا الحديث عن طريق شيبان بن فروخ عن أبى هلال الراسبى عن أبى سواد القشيرى عن أنس بن مالك ـ رجل من بنى عبد الله بن كعب أخوة بنى قشير ـ وقد رواه بلفظ « أغارت علينا خيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانتهيت ـ أو قال ـ فانطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يأكل فقال : اجلس فأصب من طعامنا هذا ، فقلت : إنى صائم ، قال ـ فقال ـ اجلس أحدثك عن الصلاة وعن الصيام : إن الله وضع شطر الصلاة ـ أو نصف الصلاة والصوم عن المسافر وعن المرضع أو الحبلى ـ والله لقد قالهما جميعا أو أحدهما ـ قال : فتلهفت نفسى ألا أكون أكلت من طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم » (٢) وقد سكت عنه أبو داود ·
وقد رواه الترمذى بنفس اللفظ الذى أورده به أبو داود ثم قال : حديث حسن (٣) ·

الوجـــــه الثـــــانى :

إن لفظ (وضع) فى الحديث يفسر بمعنيين ، أولهما : وضع : بمعنى أسقط بلا مقابل وهذا خاص بالنسبة لشطر الصلاة فى السفر · وهذا القول مستفاد من الكتاب والسنة ، فقد ورد فيهما قصر الصلاة فى السفر بلا مقابل ·

المعنى الثانى : أن وضع : أى أسقط الوجوب فى الحال مع القضاء فى المستقبل وهو بالنسبة للصوم للمسافر والمرضع والحامل وإنما قلنا بذلك أيضا للإجماع على أن المسافر والمرضع والحامل إن أفطر كل منهم فى رمضان وجب عليه القضاء بعد زوال عذره ·

فإسقاط الصوم هنا عن المسافر ليس بإطلاق ، بل هو إسقاط للوجوب الفورى مع وجوب القضاء بعد ذلك · إنْ أفطر عملا بالرخصة ، أى أن اسقاط الوجوب الفورى هنا رخصة فمن شاء أخذ بها وأفطر ومن شاء عمل بالعزيمة وترك العمل بالرخصة ، وهذا هو مدلول الرخصة ، فللمكلف الأخذ بها وهو أفضل ، أو العمل بالعزيمة ولا جناح عليه · وقد فسرها صلى الله عليه وسلم بذلك فى حديث حمزة بن عمرو الأسلمى رضى الله عنه حيث قال : يا رسول الله : أجد بى قوة على الصيام فى السفر فهل على جناح فقال رسول الله صلى الله

---

(١) النسائى جـ ٤ ص ١٨١ من المجتبى ·
(٢) سنن أبى داود مع شرحه عون المعبود جـ ٦ ص ٤٥ الى ٤٧ ·
(٣) سنن الترمذى مع شرحه تحفة الأحوذى جـ ٣ ص ٤٠٢ ·

عليه وسلم : « هى رخصة من الله فمن أخذ بها فحسن ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه » (١) ·

الدليل الخامس : عن ابن عباس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عام الفتح فى رمضان فصام حتى بلغ الكديد ثم أفطر ·· قال : « وكان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبعون الأحدث فالأحدث من أمره » (٢) ·

وفى رواية أخرى عن طريق الزهرى أيضا ـ جاء فيها « قال الزهرى وكان الفطر آخر الأمرين ، وإنما يؤخذ من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالآخر فالآخر » (٣) ·

وفى رواية ثالثة : قال ابن شهاب « فكانوا يتبعون الأحدث فالأحدث من أمره ويرونه الناسخ المحكم » (٤) ·

واضح من الحديث أن الفطر فى السفر كان آخر الأمرين وأنه قد نسخ حكم جواز الصيام فيه · الذى كان موجودا قبل ذلك ·

ويناقش هذا الاستدلال بما يلى :

أولا : أن عبارة : فكان الفطر آخر الأمرين ، من قول ابن شهاب الزهرى ، وقد أشار إلى ذلك الإمام مسلم من خلال عرضه لسند الحديث ، كما أوضحناه فى ذكرنا لروايات الحديث الثلاث ·

ثانيا : ينبغى أن يفهم ، أن مراد الزهرى من الأمرين : هما عزيمة الصيام فى السفر والرخصة فى الفطر فيه · وعلى هذا يكون الدليل متمشيا مع رأى الجمهور ·

أما أن يحمل الأمران على عزيمة الصيام فى السفر ، وعزيمة الفطر فيه دائما فلا ، لأنه يتناقض مع فهم راوى الحديث نفسه ، وهو ابن عباس رضى الله عنهما فقد ورد عنه فى الصحيحين « سافر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رمضان فصام حتى بلغ عسفان ، ثم دعا باناء فيه شراب فشربه نهارا ليراه الناس ثم أفطر حتى دخل مكة · قال ابن عباس ـ عقب ذلك مباشرة ـ فصام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفطر فمن شاء صام ومن شاء أفطر » (٥) ·

---

(١) صحيح مسلم جـ ٣ ص ١٤٥ ·

(٢) صحيح مسلم جـ ٣ ص ١٤١ ·

(٣) صحيح مسلم جـ ٣ ص ١٤١ ·

(٤) صحيح مسلم جـ ٣ ص ١٤١ ·

(٥) صحيح مسلم جـ ٣ ص ١٤١ وصحيح البخارى جـ ١١ ص ٤٢ المطبوع مع شرح عمدة القارىء ·

فقول ا بن عباس : فمن شاء صام ومن شاء أفطر : أدل على فهم فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأدق من فهم ا بن شهاب رضى الله عنه ، وأولى بالاعتبار منه · وأما الآثار التى نقلت عن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شأن وجوب الفطر فى السفر ، ففى بعضها ضعف من جهة سندها أو هى معارضة بما هو أقوى منها ، وبعضها الآخر ، إما أن يكون قد ذكر على سبيل التغليظ والتشديد وأما أن يكون على سبيل الاجتهاد الشخصى من صاحبه فى فهم النصوص ، ونبين ذلك بشىء من الإيضاح فنقول :

(أ) ما روى عن ا بن عباس رضى الله عنهما ، من قوله : لا يجزئه الصيام وما ورد بمعناه عنه ، فإنه يتعارض مع ما هو أقوى منه ، وهو رواية ا بن عباس لحديث صيامه صلى الله عليه وسلم فى غزوة الفتح حتى بلغ الكديد ثم أفطر ـ وقد قال ا بن عباس معقباً على الحديث : لقد صام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفطر فمن شاء صام ومن شاء أفطر ·· وقد تقدم ذلك قريبا ، وهذا الحديث مخرج فى الصحيحين وغيرهما فهو أقوى ·

(ب) وأما ما نقل عن عبد الرحمن بن عوف من قوله : الصائم فى السفر كالمفطر فى الحضر · فقد قال البيهقى : هو موقوف ، فى اسناده انقطاع ، وقد روى مرفوعا وإسناده ضعيف (١) وقد نقل النووى قول البيهقى هذا فى المجموع واحتج به على من تمسك بهذا الأثر · لكن صاحب الجوهر النقى قد تعقب قول البيهقى السابق : فذكر أن هذا الأثر ، قد رواه أبو سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه ، وقد قال ا بن معين والنسائى : لم يسمع من أبيه ، فهذا معنى قول البيهقى : وفى إسناده انقطاع : إلا أن ا بن حزم صرح بسماعه من أبيه ، وتابع حميد بن عبد الرحمن أخاه أبا سلمة فرواه عن أبيه كذلك · كذا أخرجه النسائى فى سننه بسند صحيح ، وذكر ا بن حزم أن سنده فى غاية الصحة وعلى فرض صحة نسبة هذا القول إلى عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه ، فإنه يحمل ، إما على التشديد فى قبوله الرخصة ردا على من تركها رغبة عنها ، أو على أن ذلك اجتهاد منه فى فهم النص القرآنى · وعليه ، فلا يكون حجة لإنه يتعارض مع تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم للرخصة والذى أشرنا اليه قريبا ··

(جـ) أما ما نقل عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه : من أن رجلا صام رمضان فى السفر فأمره عمر ، أن يقضيه ، ففى سنده عاصم بن عبيد الله بن عاصم قال عنه ا بن حجر فى التقريب : ضعيف ·

---

(١) السنن الكبرى جـ ٤ ص ٢٤٤ ·

(د) أما ما نقل عن أبى هريرة ، عن قوله : فى حق الرجل الذى صام فى السفر ، لو مات ما صليت عليه ، فإنه قد تبين من خلال القصة ، ضعف الرجل عن الصيام فى السفر ، ومن كان هذا حاله فإنه ينبغى أن يشدد عليه فى الأخذ بالرخصة ، فحالته هذه قريبة الشبه بحالة الرجل الذى قال صلى الله عليه وسلم فى حقه : ليس من البر الصيام فى السفر ، أى أن من ضعف عن الصيام فى السفر ، فلا ينبغى أن يشدد على نفسه حتى يفضى إلى هلاكها ، فإن هذا الفعل ليس من البر فى شىء .

أحوال القلب

قال أبو بكر الوراق :

للقلب ستة أشياء :

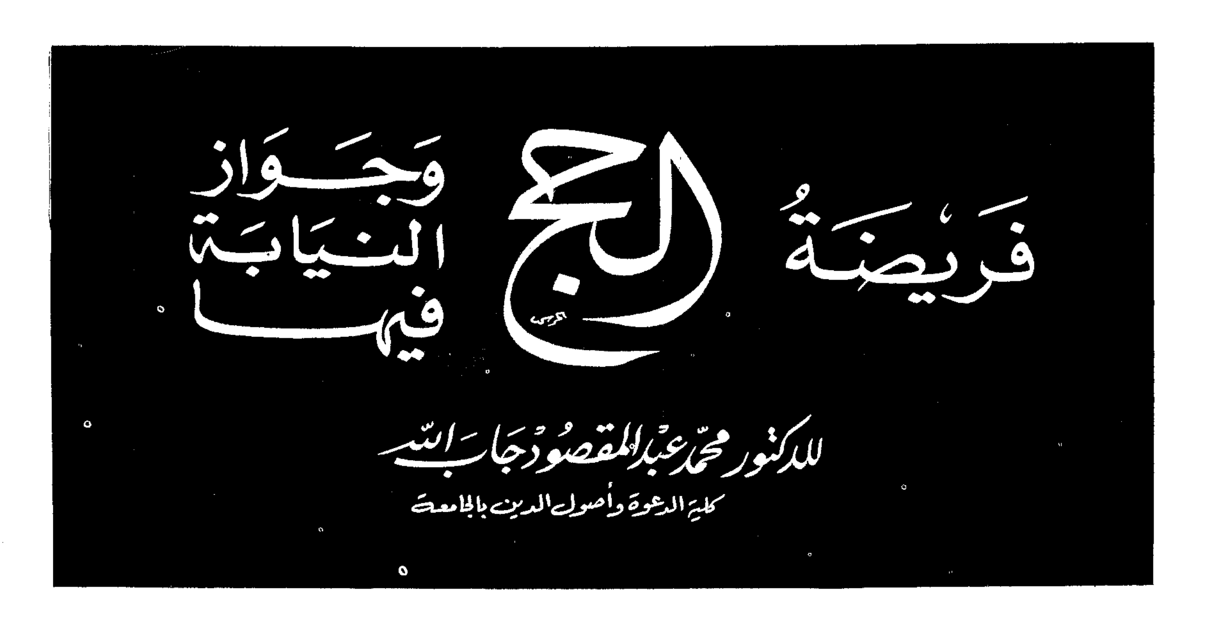
حياة ، وموت ، وصحة ، وسقم ، ويقظة ، ونوم.

فحياته الهدى .. وموته الضلالة .. وصحته الصفاء ، وعلته العلاقة ، ويقظته الذكر ، ونومه الغفلة.

وقال أبو حاتم :

موت القلب من أربعة أشياء :

فضول الكلام ومجالسة الجهال وأكل الشبهة وكثرة الضحك.



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد النبى المصطفى الكريم . وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد

فقد سألنى أحد تلاميذى بكلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وهو الطالب (سيد حامد سيد إبراهيم) من سنغافورة عن الحج عن الغير وهل يجوز أو لا ؟ وهل يجوز لمن يحج عن الغير أن يحج عن أكثر من واحد فى سنة واحدة ؟

وإنى استخير بالله سبحانه وتعالى فى الإجابة وهو حسبى ونعم الوكيل فأقول وبالله التوفيق .

الحج هو الركن الرابع من أركان الإسلام بعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وهى الصلاة والصيام والزكاة والحج لمن استطاع إليه سبيلا .

والأصل فى وجوبه قول الله سبحانه وتعالى (**ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين**) (من الآية ٩٧ من آل عمران) .

وقول النبى صلى الله عليه وسلم فيما يرويه ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان » متفق عليه (١) .

---

(١) البخارى ١ / ٤٧ ومسلم رقم (١٦) فى الإيمان . انظر شرح السنة للبغوى ١ / ١٧ ـ ١٨ .

وقد اتفق الفقهاء على أن الحج يجب على المسلم البالغ العاقل الحر المستطيع · وشرط الاستطاعة « ملك الزاد والراحلة » وزاد الحنفية أن يكون صحيحاً · وفسّر عكرمة الاستطاعة بالصحة · وتفسير الاستطاعة بملك الزاد والراحلة هو ما ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما رواه الدارقطنى عن جابر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وأنس وعائشة رضى الله عنهم أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل ما السبيل ؟ قال : « الزاد والراحلة » وروى ابن عمر رضى الله عنهما قال : جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ! ما يوجب الحج ؟ قال : الزاد والراحلة رواه الترمذى وقال حديث حسن وروى الإمام أحمد حدثنا هشيم عن يونس عن الحسن قال : لما نزلت هذه الآية (٣ : ٩٧ **ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا)** قال رجل : يا رسول الله ! ما السبيل ؟ قال : « الزاد والراحلة » (١) ·

فمن وجب عليه الحج بعد تحقق شروط الوجوب وشروط الأداء حسب ما فصله الفقهاء وجب عليه أداء الحج ، لقوله عليه الصلاة والسلام : « من ملك زادا وراحلة تبلغه الى بيت الله تعالى ولم يحج بيت الله فلا عليه أن يموت يهوديا أو نصرانيا » (٢) ·

الحج عن الغير :

اتفق العلماء على أنَّ من عليه حجة الإسلام وهو قادر على أن يحج لا يجزىء أن يحج غيره عنه ·

أما إذا كان مريضا مرضا لا يرجى برؤه أو كان شيخا فانياً ووجد من ينوب عنه فى الحج ومالاً يستنيبه به لزمه ذلك ـ عن أبى حنيفة وأحمد والشافعى وقال مالك لا حج عليه إلا أن يستطيع بنفسه لقوله تعالى : **(من استطاع إليه سبيلا)** وهذا غير مستطيع ـ ولأن هذه العبادة لا تدخلها النيابة مع القدرة فلا تدخلها مع العجز كالصوم والصلاة ·

واستدل أبو حنيفة وأحمد والشافعى بحديث ابن عباس رضى الله عنهما « أن امرأة من خثعم قالت يا رسول الله إن فريضة الله على عباده فى الحج أدركت أبى شيخا كبيرا لا يستطيع أن يثبت على الراحلة أفأحج عنه ؟ قال : نعم » وذلك فى حجة الوداع متفق عليه ·

---

(١) المغنى لابن قدامة ٣ / ٢٢٠ المطبعة اليوسفية ·

(٢) خرجه الترمذى وابن جرير وابن أبى حاتم وابن مردويه والبيهقى فى الشعب عن على بن أبى طالب وانظر فتح القدير للشوكانى ١ / ٣٦٢ ـ ٣٦٥ ·

وفى رواية عن ابن عباس أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت إن أمى نذرت أن تحج ولم تحج حتى ماتت أفأحج عنها ؟ قال : نعم حجى عنها ، أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته ؟ اقضوا الله فالله أحق بالوفاء » رواه البخارى .

وهذا دليل على أن الناذر بالحج إذا مات ولم يحج أجزأه أن يحج عنه ولده وقريبه ويجزئه عنه .

واختلف الفقهاء هل من شرط من يحج عن الغير أن يحج عن نفسه أولا ؟ جمهور الأمة يرون أنه لا يصح أن يحج عن غيره من لم يحج عن نفسه لحديث ابن عباس الذى خرجه أبو داود وابن ماجة وصححه ابن حبان « أن النبى صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول لبيك عن شبرمة قال : ومن شبرمة ؟ قال أخ لى أو قريب لى فقال : حججت عن نفسك ؟ قال : لا ، قال : حج عن نفسك ثم حج عن شبرمة » (١) وجوز ذلك الحنفية محتجين بحديث الخثعمية (٢) من غير أن يسألها هل حجت عن نفسها أو لا ؟ .

هذا على خلاف بين الفقهاء فى جواز الاستئجار على الحج والطاعات كالأذان وتعليم القرآن ونحوه مما يختص فاعله أن يكون من أهل القربَة ويتعدى نفعه .

فعلى حين يرى الإمامان أبو حنيفة وأحمد وإسحاق وابن حزم وعطاء والضحاك وابن قيس والزهرى أنه لا يجوز ذلك وحرموا أخذ الأجرة وبه قال ابن مسعود محتجين بما روى عن عثمان بن أبى العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتخذ مؤذنا لا يأخذ على أذانه أجراً » خرجه أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجة وأحمد وصححه الحاكم (٣) .

وأجاز الإمامان مالك والشافعى وكذلك ابن المنذر الاستئجار على الطاعات محتجين بحديث ابن عباس الذى خرجه البخارى وفيه « إن أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله » (٤) وأخذ أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم الجعل على الرقية .

وأرى أنه يجوز الاستنابة فى الحج إذا كان من وجب عليه الحج مريضا مرضا لا يرجى برؤه أو مات بعد أن وجب عليه الحج وأوصى به ولا يجوز إلا عن هذين فقط أى من مات بعد الوجوب عليه ومن عجز عجزاً مستمراً إلى الموت .

---

(١) سبل السّلام ٢ / ١٨٣ ـ ١٨٤ . المغنى لابن قدامة ٣ / ٢٢٧ ـ ٢٢٨ .

(٢) الاختيار ١ / ١٧١ . القوانين الفقهية ص ١٤٧ .

(٣) سبل السلام ١ / ١٢٧ .

(٤) نفس المصدر ٣ / ٧٩ .

ويكون ما يتقاضاه النائب عنه من باب النفقة لا من باب الأجرة ـ لأنه إذا وقع بأجرة لم يكن قربَة ولا عبادة والحج عبادة ولا يجوز الاشتراك فى العبادة ـ فمتى فعله من أجل الأجرة خرج عن كونه عبادة فلم يصح ـ وإنما يصح على أنه نائب عمن وجب عليه الحج وما يدفع إليه من المال يكون نفقة لطريقه ـ فلو مات أو أحصر أو مرض أو ضل الطريق لم يلزمه الضمان ـ نص عليه أحمد لأنه إنفاق بإذن صاحب المال (١) ٠

هل يجوز لمن يحج عن الغير أن ينوب عن أكثر من واحد فى عام واحد ؟

بعد أن عرفنا أنه يجوز الاستنابة فى الحج للعاجز عن أدائه بالموت أو بالعجز بسبب المرض الذى لا يرجى برؤه نقرر أنه يجوز أن ينوب الرجل عن الرجل والمرأة ٠ والمرأة عن الرجل والمرأة باتفاق عامة العلماء ـ لم يخالف فى ذلك إلا الحسن بن صالح ـ فإنه كره حج المرأة عن الرجل (٢) ويرد عليه بحديث الخثعمية التى قالت للنبى صلى الله عليه وسلم إن فريضة الله على عباده فى الحج قد أدركت أبى شيخا كبيرا لا يستطيع أن يستملك على الراحلة أفأحج عنه ؟ قال : نعم » متفق عليه ٠

ولا يجوز أن ينوب عن أكثر من واحد فى عام واحد بالنسبة لنسك الحج لأن الحج أشهر معلومات شوال وذو القعدة وعشر من ذى الحجة ٠ والوقوف بعرفات من ظهر اليوم التاسع من ذى الحجة إلى فجر اليوم العاشر هو الركن الأعظم ٠ لقوله عليه الصلاة والسلام : « الحج عرفة فمن وقف بها ليلا أو نهاراً فقد تم حجه ومن فاته عرفة بليل فاته الحج فليحل بعمرة وعليه الحج من قابل » (٣) وامتداد الوقوف إلى غروب الشمس واجب ـ فمن أفاض قبل ذلك وجب عليه دم عند أكثر أهل العلم ـ أبى حنيفة وأحمد وعطاء والثورى وأبى ثور وابراهيم النخعى وعلقمة بن قيس والشافعى فى رواية (٤) ٠

ويرى الإمام مالك أن استمرار الوقوف إلى ما بعد غروب الشمس ركن ٠ فإذا دفع قبل الغروب فلا حج له عنده (٥) وحجته ما روى ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من أدرك عرفات بليل فقد أدرك الحج ومن فاته عرفات بليل فقد فاته

---

(١) المغنى لابن قدامة ٣ / ٢٣١ ـ ٢٣٢ ٠
(٢) المصدر السابق ص ٢٣٣ ٠
(٣) خرجه أبو داود وابن ماجة ٠
(٤) انظر الجوهرة النيرة ١ / ١٥٧ . الاختيار ١ / ١٥٠ . بداية المجتهد ١ / ٣٦٢ . كفاية الاخيار ١ / ١٣٦ . المغنى لابن قدامة ٣ / ٤١٤ ٠
(٥) بداية المجتهد ١ / ٣٦٢ . المغنى لابن قدامة ٣ / ١١٤ . الموطأ ١ / ٣٩٠ . القوانين الفقهية ص ١٥٢ ٠

الحج فليحل بعمرة وعليه الحج من قابل » قال ابن عبد البر لا نعلم أحدا من العلماء قال بقول مالك (١) .

فكيف لمن أراد أن يحج عن أكثر من واحد أن يأتى بالواجب على قول جمهور الفقهاء أو يأتى بالركن على قول مالك رضى الله عنهم جميعاً .

وقبل هذا كله كيف يأتى بالإحرام والنية عنهم جميعاً فى وقت واحد وهى شرط أو ركن على اختلاف بين الفقهاء بشرط أن يكون الإحرام من الميقات . وقد نصَّ الحنفية على أن « من أحرم عن آمِريه ضمن النفقة ومعناه أن رجلًا أمره رجلان أن يحج عن كل واحد منهما حجة - فأهل بحجة عنهما فهى عن الحاج ويضمن النفقة ، لأنه خالفهما ، والمسألة على ثلاثة أوجه : ١ - إما أن يكون أحرم عنهما جميعاً . ٢ - أو عن أحدهما غير معين . ٣ - أو أطلق . فإن نواهما جميعاً وهى مسألة الكتاب فقد خالفهما ، لأن كل واحد منهما أمره أن يخلص له الحج وأن ينوبه بعينه عند الإحرام فإن لم يفعل صار مخالفاً ولا يكون عن أحدهما إذ ليس أحدهما بأولى من الآخر فوقع عن المأمور » (٢) .

ونص الحنابلة على أنه « إذا استنابه اثنان فى نسك فأحرم به عنهما وقع عن نفسه دونهما لأنه لا يمكن وقوعه عنهما وليس أحدهما بأولى من صاحبه ، وإن أحرم عن نفسه وغيره وقع عن نفسه ، لأنه إذا وقع عن نفسه ولم ينوِها فمع نية أولى ... » (٣) .

ولا اعتقد هذا إلا قول سائر الفقهاء لحديث ابن عباس « أن النبى صلى الله عليه وسلم سمع رجلًا يقول لبيك عن شبرمة قال : من شبرمة ؟ قال : أخ لى أو قريب لى ، فقال حججت عن نفسك ؟ قال : لا ، قال : حج عن نفسك ثم حج عن شبرمة » . خرجه أبو داود وابن ماجة وصححه ابن حبان .

والحج هو القصد إلى معظم وهو البيت الحرام ، ولو كان الجمع بين النيتين جائزا لقال له عليه الصلاة والسلام : « انو عن نفسك وشبرمة » ولكنه عليه الصلاة والسلام قال له : « حج عن نفسك ثم حج عن شبرمة » فدل هذا على أنه لا يجوز الجمع بين نسك واحد وهو الحج عن اثنين فى عام واحد .

---

(١) بداية المجتهد / ١ / ٣٦٢ المغنى لابن قدامة ٣ / ١١٤ الموطأ القوانين الفقهية ص ١٥٢ .

(٢) تبين الحقائق للزيلعى ٢ / ٨٦ .

(٣) المغنى لابن قدامة ٣ / ٢٣٦ .

وإن أفرد الإحرام من الميقات عن واحد ثم أتى بالاركان عنه فكيف يتسنَّى أن يحرم عن آخر وآخر وآخر قبل التحلل من الإحرام الأول ٠ ولا يكون التحلل إلاَّ برمى جمرة العقبة الأولى ثم الذبح فالحلق الذى يكون به التحلل وهذا قطعاً يكون بعد طلوع فجر يوم النحر وبعد شروق الشمس على ما هو الراجح من أقوال الفقهاء ٠

وإذا أحرم قبل التحلل يكون رافضا للإحرام الأوّل كما إذا كان محرما بالعمرة ثم نوى الحج يكون رافضا للعمرة ولا بد للإحرام لأهل مكة ومن فى حكمهم للحج من الحرم أى أنه يجب عليه أن يترك عرفات ويخرج إلى الحرم الذى حده التنعيم ثم يعود مرة أخرى الى عرفات فيقف بها ثم يعود مرة أخرى ليحرم عن الآخر وهكذا يكون حجا مكُوكيًّا لا إخلاص فيه ولا تفرغ فيه للدعاء وكل همه أن يحصِّل الإحرام عمن قبض منهم الذين يزيدون فى بعض الأحيان على العشرة كما أخبرنى السائل بذلك ٠

ثم إن الدماء التى تجب عليه لمجاوزة الميقات وهو ميقات أهل اليمن بالنسبة للهند وسنغافوره وهو (يلملم) ودم لتركه الوقوف بعرفات والإفاضة قبل الغروب على من تجب ؟ إنها تجب على النائب لأنه هو الذى تسبب فى ذلك ٠

فليتق الله من يفتى بجواز الحج والاستنابة عن أكثر من واحد فى عام واحد حيث لا دليل له لا من كتاب ولا من سنة ولا إجماع ولا قياس صحيح أو فاسد ٠ ولا يقال إنه اجتهاد منه ، لأنه لا اجتهاد مع النص كما قرر ذلك العلماء ٠

وما يفعله إنما هو أكل لأموال الناس بالباطل وتضليل للسُذَّج من عوام المسلمين وتغرير بهم ٠

اللهم اهدنا إلى صراطك المستقيم ٠ واجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ٠
هذا وبالله التوفيق ٠
وهو حسبى ونعم الوكيل ٠



هــل فى الإســلام رق ؟

الإسلام لا يبيح أن يسترق مسلم مسلما مهما كانت الدوافع العدائية بينهما ، فالمسلم المولود من أبوين حرين لا يجوز استرقاقه فى أى حال من الأحوال ، فالاسترقاق لا يجوز بين أهل الدين الواحد ٠ بل لقد جاء فى القرآن الكريم النهى عن مقاتلة المسلمين بعضهم بعضا ٠

يقول المولى سبحانه وتعالى : (**وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله فإن فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا إن الله يحب المقسطين**) (الحجرات الآية ٩) ٠

وكذلك لا يبيح الإسلام للمسلمين استرقاق أهل الكتاب الذين يعيشون بينهم والذين أمّنهم على أنفسهم وأهلهم وأموالهم ٠

وكذلك الذين ليس لهم كتاب كعبدة الأوثان ، والذين لم نحاربهم فالصحيح أن استرقاقهم لا يجوز مطلقا ٠

ولقد أغلق الإسلام كل أبواب الرق التى كان السابقون يتخذونها ذريعة إلى الاستعباد والتحكم الأعمى فى رقاب بنى آدم الذين كرمهم الله وفضلهم على جميع المخلوقات وأحل لهم الطيبات وجعل فيها رزقهم : (**ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا**) (الإسراء الآية ٧٠) ٠

فلا أسر بدون حرب ، ولا نهب للناس ، ولا استعباد بالدَّيْن أو المراهنة أو القوة أو الاستحسان .

ولقد حاول الإسلام جهده أن يلغى ذلك النظام ويحول دون انتشار الرق بشتى الوسائل فقد قال فقهاء الإسلام :

إن كل من أسلم قبل الأسر فى الحروب بين المسلمين وغير المسلمين عصم نفسه وماله وإن مجرد دخول العدو المحارب دار الإسلام أمان له من السبى وإذن فالرق الموجود فى الإسلام إنما يكون فى حالة واحدة هى الحرب التى شرعها الإسلام لحماية الدعوة والدفاع عن أنفس المسلمين كما جاء فى قوله تعالى :

(أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز . الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور) (الحج الآيات ٣٩ ـ ٤١) .

فهذه الآيات تفيد ما يأتى :

أولا : أن تشريع القتال فى الإسلام إنما كان لحماية الدعوة ، وحماية المؤمنين المضطهدين فهو دفاع لا هجوم ووسيلة لغاية شريفة .

ثانيا : أن القتال من هذا النوع هو من باب ما يقال (القتل انفى للقتل) فالمراد به هو استقرار السلام وضمان الحريات العامة فالحرب التى يقوم بها المسلمون لحماية دعوتهم تستوجب ظهور الإيمان ونصرة العقيدة ، بدون اكراه لغيرهم . فلقد كانت بيوت العبادة لليهود وللنصارى قائمة بجانب المساجد وكانت هناك دائما حرية العبادة للجميع .

ثالثا : أن الغاية من حرب الإسلام هى أن يتمكن المسلمون من إقامة شعائر الدين بكل حرية ويأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر .

ومعنى ذلك أن يتحقق وجود العالم الأفضل الذى أراده الله لعباده وتستأصل الرذائل والشرور من هذه الأرض (١) .

فإذا قامت الحرب واشتدت وتعرض الطرفان للقتل والأسر فماذا سيصنع الأعداء بأسرى المسلمين ؟

---

(١) التوجيه الاجتماعى ص ٩ موضوع الرق للأستاذ عبد الله كانون .

لا شك فى أنهم سيأخذونهم رقيقا عندهم · فهل يطلق المسلمون الحرية لأسرى أعدائهم بينما المسلمون الأسرى هم عبيد لغيرهم يباعون ويشترون ·

لذلك نجد الإسلام جعل هذه الحالة ضرورة وقتية تزول بزوال أسبابها ودوافعها ·

وجعل أيضا معاملة العدو بمثل معاملته ، وحيث أنه لم تكن هناك قوانين عامة تحمى أسرى الحرب من الاسترقاق ، فليس هناك وسيلة للضغط على العدو من أجل تحسين معاملة الأسرى الذين يقعون فى يده ومحاولة استخلاصهم من الرق ·

والإسلام لم يوجب هذا الاسترقاق الذى جاء عن طريق الحرب ، بل أباح الخيار بين أن يقبل الفداء من أسرى العدو أو يمن عليهم بإطلاق سراحهم بدون فداء ، وهذا ما صرحت به الآية الكريمة · فقال تعالى : **(حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما مَنًّا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها)** (محمد الآية ٤) ·

ولقد تأسى الخلفاء الراشدون والصالحون من بعدهم بما جاء به القرآن الكريم وما فعله الرسول الأمين ، فكثيرا ما كانوا يمنون على الأعداء المقاتلين بالفداء أو بدونه ويتركونهم ابتغاء وجه الله وكثيرا ما كانت هذه المعاملة الحسنة تأسر قلوبهم ·

ولقد وجدنا البطل المغوار صلاح الدين الأيوبى قائد الحروب ضد الصليبيين يطلق آلاف الأسرى من أعداء الإسلام الذين أتوا من أوروبا يقصدون الاستيلاء على البلاد وإهلاك العباد والذين هاجموا بلاد المسلمين وكبدوها من الخسائر فى النفوس والأموال الكثير (٢) ·

ولن ينسى التاريخ ما فعله الرسول الأعظم بأسرى غزوة بدر فقد جعل المفاداة لهم بالمال أو بأسرى مسلمين أو بالقيام بعمل شريف نبيل كتعليم العلم فقد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم فداء كل أسير تعليم عشرة من صبيان المسلمين القراءة والكتابة ·

وتغنى شعراء المسلمين بالمن على الأسرى وإطلاق سراحهم وجعله من أكرم الصفات وأنبل الأفعال إذ يقول شاعرهم :

ولا نقتل الأسرى ولكن نفكهم   إذا أثقل الأعناق حمل المغارم

---

(١) التوجيه الاجتماعى مقال « الرق » للأستاذ عبد الله كانون ·

الإســـــلام يدعـــو لتحريـر الــرقيق :

اعتبر الإسلام الرق عارضا حتى قال العقاد رحمه الله : « شرع الإسلام العتق ولم يشرع الرق ؛ إذ كان الرق مشروعا قبل الإسلام فى القوانين الوضعية والدينية بجميع أنواعه : رق الأسر فى الحروب ، ورق السبى فى غارات القبائل بعضها على بعض ، ورق الاستدانة أو الوفاء بالدين » (١) وغير ذلك مما كان القوم يستحدثونه .

ولهذا شرع الإسلام وسائل كثيرة إن حصل رق فى حرب وذلك مساعدة للأرقاء على استرداد حريتهم ، واستقلالهم ، فأوصى الله سبحانه وتعالى بالأرقاء وبالدعوة إلى اطلاق سراحهم . وكما أوصد الإسلام كل أبواب الرق المحرمة فإنه فتح أبواب التحرير على مصاريعها لأنه يدعو إلى الحرية ورفع نير الاستعباد والاضطهاد وإزالة كل وسائل الامتهان والاحتقار والسخرية والازدراء ، وبهذا ألغى جميع صور ومصادر الرق الأخرى المبنية على الظلم والجور والحيف والتعسف واعتبرها محرمة شرعا لا تحل بحال .

دعا الإسلام إلى مكاتبة الأرقاء ، وندب إلى اعتاقهم وحث على ذلك فقال تعالى فى كتابه العزيز : **(والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذى آتاكم)** (النور الآية ٣٣) .

ومما ورد فى سبب نزولها ما أخرجه ابن السكن فى معرفة الصحابة عن عبد الله بن صبيح عن أبيه قال : كنت مملوكا لحويطب بن عبد العزى فسألته الكتاب فأبى فنزلت الآية (٢) .

بل لقد نهى الشرع الحكيم عن استخدام الرقيق فيما حرم الله : **(ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا)** (النور الآية ٣٣) .

ومما ورد فى سبب نزول هذه الآية ما روى عن ابن عباس بسند صحيح قال كانت لعبد الله بن أبى جارية تزنى فى الجاهلية فلما حرم الزنا قالت لا والله لا أزنى أبدا فنزلت (١) .

وجعل الشرع الحكيم وسائل فردية تحرى فيها الإسلام العتق وتعجيل فكاك الأسرى ومن ذلك جعله العتق كفارة عن كثير من الذنوب كالقتل الخطأ فقال تعالى : **(ومن قتل**

---

(١) حقائق الإسلام للعقاد ص ٢٠٩ .

(٢) أسباب النزول للسيوطى سورة النور .

(٣) أسباب النزول للسيوطى سورة النور .

مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا ، فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة) (النساء الآية ٩٢) ٠

فمما ورد فى سبب نزول هذه الآية أن الحارث بن يزيد من بنى عامر بن لؤى كان يعذب عياش بن أبى ربيعة مع أبى جهل ثم خرج الحارث مهاجرا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيه عياش بالحرة فعلاه بالسيف وهو يحسب أنه كافر ثم جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره فنزلت الآية ٠ (١) ٠

كذلك إذا حنث المسلم بيمينه فإن كفارته أيضا عتق رقبة قال تعالى : **(لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم)** (المائدة الآية ٨٩) ٠

وكذلك الذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا قال تعالى : **(والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا)** (المجادلة الآية ٣) ٠

روت عائشة قالت : تبارك الله الذى وسع سمعه كل شىء ، إنى لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ، ويخفى علّى بعضه وهى تشتكى زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتقول : يارسول الله أكل شبابى ونثرت له بطنى حتى إذا كبرت سنى وانقطع ولدى ظاهر منى اللهم إنى أشكو إليك فما برحت حتى نزل جبريل بهؤلاء الآيات **(قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها)** (٢) ٠

أيضا يحسب من الرذائل المأخوذة على الإنسان السىء أنه لا يقتحم هذه العقبة أو لا ينهض بهذه الفدية المؤكدة ، إنها سبيل إلى رحمة الله ، وطريق إلى جنته : **(فلا اقتحم العقبة ٠ وما أدراك ما العقبة ٠ فك رقبة أو إطعام فى يوم ذى مسغبة ٠ يتيما ذا مقربة ٠ أو مسكينا ذا متربة)** (البلد الآيات ١١ ـ ١٥)

وأيضا فقد جعل الشرع الحكيم للإعتاق بابا من أبواب الزكاة ، وقسمها سبحانه وتعالى بنفسه وجعل فيها سهما مفروضا لتحرير الرقاب ٠

---

(١) أسباب النزول للسيوطى سورة النساء ٠

(٢) أسباب النزول للسيوطى سورة المجادلة ٠

قال تعالى : (**إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم**) (التوبة الآية ٦٠) .

ففى الرقاب إنما يكون العتق .

وبجانب القرآن نجد السنة توضح وتبين أسبابا للعتق فمن أوجب على نفسه تحرير رقبة بالنذر وجب عليه الوفاء به متى تحقق له مقصوده وتم له مراده .

قال صلى الله عليه وسلم : « من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه » .

كذلك من أعتق نصيبه من مملوك عتق عليه كله بالسراية وسلم قيمته لشركائه إن كان موسرا ، فعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم : « من أعتق شقصا من مملوك فعليه خلاصه كله فى ماله فإن لم يكن له مال قوم المملوك قيمة عدل ثم استسعى العبد غير مشقوق عليه .

وكذلك من ملك ذا رحم محرم عليه كأبيه وأخيه وعمه وخاله ، وأمه وعمته وخالته عتق عليه قهرا لقوله صلى الله عليه وسلم « من ملك ذا رحم محرم فهو حر » رواه أهل السنن .

أيضا من جرح مملوكه عتق عليه ، فقد جاء فى الحديث : أن رجلا جدع أنف غلامه فقال صلى الله عليه وسلم : « اذهب فأنت حر » فقال : يارسول الله فمولى من أنا ؟ قال صلى الله عليه وسلم : مولى الله ورسوله » .

وأيضا التدبير وهو تعليق عتق الرقيق بموت مالكه روى جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : دبر رجل من الأنصار غلاما له وفى لفظ بلغ النبى صلى الله عليه وسلم أن رجلا من أصحابه أعتق غلاما له عن دبر لم يكن له مال غيره فباعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بثمانمائة درهم ثم أرسل بثمنه إليه .

وإذا وطىء حر أمته فأتت منه بولد صارت أم ولد له تعتق بموته لحديث ابن عباس برفعه : « من وطىء أمته فولدت فهى معتقة عن دبر عنه » رواه أحمد وابن ماجة .

القـــول يتبعـــه العمــــل :

لقد ضرب لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل لنقتدى به فكثيرا ما كان يحث الصحابة على حسن معاملة الرقيق وهى القلة الباقية ثم حضهم على العتق والحرية .

فعن واصل الأحدب قال سمعت المعرور بن سويد قال : رأيت أبا ذر الغفارى وعليه حلة وعلى غلامه حلة فسألناه عن ذلك فقال : سابيت رجلا فشكانى إلى رسول الله صلى الله

عليه وسلم فقال لى النبى صلى الله عليه وسلم : أعيرته بأمه ؟ ! ثم قال : اخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه فإن لم يجلسه معه فليناوله لقمة أو لقمتين أو أكلة أو أكلتين .... » .

وعن ابن مسعود قال : « بينما أنا أضرب غلاما لى إذ سمعت صوتا من خلفى : إعلم يا ابن مسعود مرتين فالتفت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فألقيت السوط من يدى فقال : والله لَلّه أقدر عليك منك على هذا .

وبلغ من رحمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان لا يطيق أحدا أن يقول : كان عبدى وأمتى وأنه أمر المسلمين أن يكفوا عن ذلك ، وأن يقولوا فتاى وفتاتى .

وكان لهذه التربية أحسن الأثر فى تحرير الارقاء ونشر المساواة بين المسلمين .

وروى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا على دابة وغلامه يسعى خلفه فقال : « يا عبد الله احمله خلفك فإنما هو أخوك روحه مثل روحك فحمله » .

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أيما مؤمن أعتق مؤمنا فى الدنيا أعتق الله تعالى بكل عضو منه عضوا من النار » .

وعن واثلة بن الأسقع رضى الله عنه قال : « أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صاحب لنا قد أوجب ، فقال صلى الله عليه وسلم : اعتقوا عنه يعتق الله تعالى بكل عضو منه عضوا من النار » .

وعن البراء بن عازب رضى الله عنه قال : جاء أعرابى إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله علمنى عملا يدخلنى الجنة فقال صلى الله عليه وسلم : « أعتق النسمة ، وفك الرقبة فقال : أو ليسا واحدا ؟ قال صلى الله عليه وسلم : لا ، عتق النسمة أن تنفرد بعتقها ، وفك الرقبة : أن تعين على فكاكها .

ولعل ما عبر عنه القرآن الكريم فى سورة البلد فيه خير كثير ، فقد منّ الله على عباده بالنعم التى أنعم بها عليهم فقال سبحانه وتعالى : **(ألم نجعل له عينين . ولسانا وشفتين . وهديناه النجدين)** ثم قال بعد ذلك جل وعلا : **(فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة . فك رقبة . أو اطعام فى يوم ذى مسغبة . يتيما ذا مقربة . أو مسكينا ذا متربة)** (البلد الآيات ١١ ـ ١٦) .

ولقد ضرب لنا الصحابة المثل الأعلى فى معاملة أرقائهم ، فساووهم بأنفسهم بل أحيانا كان يفضل الواحد منهم عبده على نفسه .

فقد روى أن علىَّ بن أبى طالب رضى الله عنه قال : إنى لأستحى أن أستعبد إنسانا يقول ربى الله .

ومما روى عن على أنه أعطى غلاما دراهم ليشترى بها ثوبين متفاوتى القيمة ، فلما أحضرهما أعطاه أرقهما نسيجا واغلاهما قيمة وحفظ لنفسه الآخر وقال له : أنت أحق منى بأجودهما لأنك شاب وتميل نفسك للتجمل أما أنا فقد كبرت » .

ولقد عنى الإسلام بنفسية الأسير والرقيق عناية خاصة فقال سبحانه وتعالى يطيب خاطرهم ويفتح باب الأمل فى المغفرة وحسن الجزاء . **(يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم من الأسرى إن يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم)** (الأنفال الآية ٧٠) .

ولقد أثنى على الإسلام ومعاملته للرقيق كثيرٌ من المنصفين من الأوروبيين والمستشرقين ، فقد وصف المستشرق « فان دنبرغ » معاملة الإسلام للرقيق فى هذه العبارة : « لقد وضع للرقيق فى الإسلام قواعد كثيرة تدل على ما كان ينطوى عليه محمد وأتباعه نحوهم من الشعور الإنسانى النبيل ففيها تجد من محامد الإسلام ما يناقض كل المناقضة الأساليب التى كانت تتخذها إلى عهد قريب شعوب تدعى أنها تسير فى طليعة الحضارة » .

نعم إن الإسلام لم يلغ الرق الذى كان شائعا فى العالم ، ولكنه عمل على كثير من إصلاح حاله ، وأبقى حكم الأسير ولكنه أمر بالرفق .

يقول جوستاف لوبون : « إن الرق عند المسلمين غيره عند النصارى فيما مضى ، وإن حالة الأرقاء فى الشرق أفضل من حال الخدم فى أوروبا ، فالأرقاء يؤلفون جزءاً من الأسرة ويستطيعون الزواج ببنات سادتهم أحيانا ـ أى بعد أن يُعتقوا ـ ويقدرون أن يتسنموا أعلى الرتب ، وفى الشرق لا يرون فى الرقيق عارا ، والرقيق فيه أكثر صلة لسيده من الأجير فى بلادنا » (١) .

لـمـــاذا لـم يبدأ الإسلام بالغاء الرق ؟

إن الإسلام قد وضع الأساس الأول لإلغاء الرقيق منذ خمسة عشر قرنا من الزمن ، ولم يحاول أن يلغيه كما يقولون : بجرة قلم ؛ لأن الإسلام دين إصلاح لا هدم ، ولو دعا إلى

---

(١) حضارة الإسلام لجوستاف لوبون ص ٤٥٩ .

تحرير كل العبيد لاهتز كيان العالم وفسدت المصالح وتعطلت حاجات الناس ، وما استطاعوا فى ذلك الوقت أن يأخذوا سيرهم فى الحياة ، فكانت الظروف الاجتماعية التى كانت موجودة عند ظهور الإسلام تحتم على كل مشرع حكيم أن يقر الرق فى صورة ما ، وتجعل محاولة إلغائه تصاب بالفشل والاخفاق ·

وأيضا فإن الإسلام لم يقر الرق إلاّ فى صورة تؤدى نفسها إلى القضاء عليه بالتدريج ·

يقول الأستاذ د · على عبد الواحد وافى : « ظهر الإسلام فى عصر كان نظام الرق فيه دعامة ترتكز عليها جميع نواحى الحياة الاقتصادية ، وتعتمد عليها جميع فروع الإنتاج فى مختلف أمم العالم ، فلم يكن من الإصلاح الاجتماعى فى شىء أن يحاول مُشرّع تحريمه تحريما باتا لأول وهلة ؛ لأن محاولة كهذه كان من شأنها أن تعرض أوامر المشرع للمخالفة والامتهان · وإذا اتيح لهذا المشروع من وسائل القوة والقهر ما يكفل به إرغام العالم على تنفيذ ما أمر به فإنه بذلك يعرض الحياة الاجتماعية والاقتصادية لهزة عنيفة ، ويؤدى تشريعه إلى أضرار بالغة لا تقل فى سوء مغبتها عما تتعرض له حياتنا فى العصر الحاضر إذا الغى بشكل مفاجىء نظام البنوك أو الشركات المساهمة فيكون ضررها أكثر بكثير من نفعها » (١) ·

ولقد استخدم الإسلام فى بعض الأحيان طريق التدرج فى تحريم الخمر ، وقد كان العرب من أكثر الناس تناولا لها ، فلو حرمت مرة واحدة لأدى ذلك إلى تفكك المجتمع وتمسك البعض بها · فبين الشارع الحكيم ضررها أولا ولم يحرمها فى بادىء الأمر ثم حرمها عند إرادة الصلاة **(ولا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون)** (النساء الآية ٤٣) ·

وفى المرتين امتنع بعض الناس عن تناولها ثم بعد ذلك حرمها مطلقا ·

(إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) (المائدة الآية ٩٠) ·

ثم يقول الأستاذ د · عبد الواحد وافى : « وبذلك كفل الإسلام القضاء على الرق فى صورة سليمة هادئة وأتاح للعالم فترة للانتقال يتخلص فيها شيئا فشيئا من هذا النظام » (٢) ·

أثر الرق فى الإسلام :

كان سبب الرق فى الإسلام وقوع الكافر أسيرا فى يد المسلمين عند الحرب ، فإذا حارب المسلمين الكفارُ فمن وقع أسيرا فى يد المسلمين عند الحرب جاز للإمام أن يسترقه

---

(١) حقوق الإنسان فى الإسلام ص ١٤٠ ·

(٢) حقوق الإنسان ص ١٤١ ·

رجالا كانوا أو نساء وكان الأرقاء يوزعون على المسلمين غنائم حرب كما نص عليه الشرع الحكيم وكما جاء فى القرآن الكريم : **(واعلموا أنما غنمتم من شىء فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شىء قدير)** (الأنفال الآ ية ٤١) .

ولما كان الإسلام يستبيح الرق فى حالة الحرب ، وقد انتصر فى المعارك التى خاضها فى أول العهد بالدعوة فقد كثر الأسرى والرقيق ، وكان وجودهم مع العرب بالكيفية التى حث الإسلام على إتباعها معهم له أكبر الأثر فى عملية المزج بين العرب وغير العرب حيث فتحت بلاد كثيرة من غير العرب فى الشام والعراق وبلاد فارس ومصر وشمال أفريقيا على مر العصور والأزمنة .

ووجد العرب فى الإماء والرقيق خير عون على الحياة ، وتزوج كثير من الأرقاء ـ بعد عتقهم ـ بالعربيات ، ولم يروا فى ذلك عيباً ولا غبار عليه ، وبالتالى تسرى وتزوج كثير من العرب بالإماء من غير العرب وحصل مزج كان له أكبر الأثر فى الحياة العقلية ، ودخل البيت العربى عناصر فارسية ، ورومانية ، وسورية ، ومصرية ، وبربرية ، وبطريق التناسل اختلط الدم العربى بغيره من الدماء ، فانتج أعظم العقول المفكرة .

يقول الزمخشرى فى كتابه ربيع الأبرار : « إن الصحابة رضى الله عنهم لما أتوا المدينة بسبى فارس فى خلافة عمر بن الخطاب كان فيهم ثلاث بنات ليزدجرد ملك الفرس ، فباعوا السبايا وأمر عمر ببيع بنات يزدجرد أيضا ، فقال له علىّ بن أبى طالب إن بنات الملوك لا يعاملن معاملة غيرهن فقال كيف الطريق إلى العمل معهن ؟ قال يُقَوّمن . ومهما بلغ ثمنهن قام به من يختارهن ، فقومن فأخذهن على بن أبى طالب فدفع واحدة لعبد الله بن عمر وأخرى لولده الحسين وأخرى لمحمد بن أبى بكر الصديق فأولد عبد الله بن عمر ولده سالما وأولد الحسين زين العابدين وأولد محمد ولده القاسم فهؤلاء الثلاثة بنو خالة وأمهاتهم بنات يزدجرد » (١) .

ويقول المبرد فى كتابه الكامل : « وكان أهل المدينة يكرهون اتخاذ أمهات الأولاد حتى نشأ فيهم على بن الحسين وقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله ففاقوا أهل المدينة فقها وورعا فرغب الناس فى السرارى » (٢) .

ويقول أحمد أمين رحمه الله : « هؤلاء الأرقاء والموالى انجبوا فى الجيل الثانى لعهد

---

(١) ، (٢) فجر الإسلام ص ١٠٨ ، ١٠٩ الطبعة الحادية عشر . النهضة .

الفتح عددا عديدا ، يعد من بعد ، من سادات التابعين وخيرة المسلمين ، ومن حملة لواء العلم فى الإسلام » (١) .

ولما كان عدد الزوجات فى الإسلام مقيدا بالأربع وليس مقيدا بالنسبة للإماء ، فقد عاشر المسلمون كثيرا من الإماء ، وانجبوا كثيرا من الأولاد والبنات وكثيرا ما كان العرب ينجبون لأنهم يفتخرون بكثرة الأولاد وبذلك اختفى النظام القبلى الذى كان أساس المجتمع العربى من القديم ، ولم يقيموا وزنا للدم العربى ، ولم يعد لانتقاء الزوجة العربية أى أثر ، ووصل بعد ذلك الذين أمهاتهم من الرقيق إلى الخلافة مثل يزيد الثالث فى الخلافة الأموية فإن أمه غير عربية ، فقد كانت فارسية أسرها القائد قتيبة فى الصغد ثم اهداها إلى الوليد فولدت له يزيد .

وكذلك العباسيون فالمنصور ابن أمة من البربر والمأمون ابن أمة فارسية ، ومثله الواثق والمهتدى ، وكانت أم المنتصر يونانية أو حبشية ، وأم المستعين صقلية وأم المكتفى والمقتدر كانتا تركيتين وأم المستضىء أرمنية ، وكانت الخيزران نفسها أم الرشيد أجنبية وهى أول امرأة اضطلعت بسلطة واسعة فى شئون الدولة العباسية (٢) .

ولقد أثر الرقيق فى حياة الدولة فى جميع مناحى الحياة السياسية والدينية والعلمية والأدبية ، ووصل بعضهم إلى الوزارة والكتابة إلا أن الدولة اتجهت بالرقيق غير الاتجاه الإسلامى الصحيح فدخلوا فى سوق النخاسين يشترون العبيد المخطوفين والمنهوبين ، والذين يؤتى بهم بطريق غير شرعى ، فاشتروا كثيرا من العبيد من أوروبا وأطلقوا عليهم المماليك ، ووصل إليهم الكثير من بلاد الروم وغيرها من الصرب والممالك المجاورة ومن بلاد فارس ، واتخذوا منهم العسكر والجيوش التى يحاربون بها بعضهم بعضا أو يحاربون بها الأعداء إلا أنهم فى النهاية يقتلون الأسياد والخلفاء ويستولون على الحكم كما حصل فى أواخر الدولة العباسية .

ولا يحتج بهم على التشريع للرق فى الإسلام لأن أعمالهم وعمل من أتى من بعدهم ليست من الإسلام والإسلام برىء منها لأن معظم الرقيق والجوارى لم يكونوا عن طريق حرب إسلامية يدافع فيها المسلمون عن عقيدتهم ، وإنما كان عن طريق شراء المخطوفين والمخطوفات والراغبين والراغبات وغير ذلك مما يتبرأ منه الإسلام والمسلمون .

---

(١) فجر الإسلام ص ١٠٨ ، ١٠٩ الطبعة الحادية عشرة ـ النهضة .

(٢) تاريخ العرب فيليب حتى ص ٤٠٩ .

دراسات في أصول الفقه

تدرّج علم الأصول عبر الأجيال والعصور

-٣-

للدكتور علي أحمد محمد بابكر
أستاذ مساعد بكلية الشريعة بالجامعة

مبدأ أصـــول الفقـــه :

إذا علمنا أن علم أصول الفقه في أشمل تعريفاته هو : أدلة الأحكام الشرعية - أي مصادرها - وكيفية أخذ الأحكام منها ، فإنا نرتب على ذلك أن هذه الأصول قد بدأ وجودها مع البعثة المحمدية ومنذ بدأ القرآن يتنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأصلت جذورها خلال الثلاثة والعشرين عاما التي هي فترة اكتمال الرسالة الإسلامية . ففي هذه الفترة تكوّن الأصل الأول والمصدر الرئيسي للفقه الإسلامي وهو القرآن الكريم ، وفي ذات الفترة تكوّن أيضا الأصل الثاني للفقه وهو السنة النبوية .

وقد أرسى هذان المصدران أسس وقواعد الفقه التي تبلورت فيما بعد في شكل علم منفصل قائم بذاته سمي علم أصول الفقه ، كما سنفصل القول في ذلك لاحقاً إن شاء الله .

النظم الســـابقة للإســـلام ليست رافداً من روافـد الأصـــول :

مما هو معلوم أن المجتمعات التي عاشت قبل الإسلام كان لها بعض أعراف وتقاليد ونظم تسير عليها . كانت بعض هذه المجتمعات مكوّنة في جزيرة العرب وبعضها خارج الجزيرة .

ومهما بدا للناظر من عدالة بعض تلك النظم والأعراف فإن مما لا شك فيه أنها كانت ترتكز على ابتداعات البشر المعرضة للانحراف عن العدل فجاء كثير منها واضح الظلم والجور . وسنبين ذلك - إن شاء الله - في الفقرات التالية .

لنأخذ مثلا المجتمعات التى كانت مكونة فى بعض مدن الحجاز ـ مكة والمدينة على وجه الخصوص ـ فمكة مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم والمدينة منطلق دعوته · فقد كانت المجتمعات التى تعيش فى هاتين المدينتين لا تنتظمها دولة حقيقية مع أنها أكثر المدن تحضرا · فكان يسودها ـ كما هو معلوم ـ نظام القبيلة الذى يكون فيه الشيخ هو المصّرف لجميع الأمور · وهو المرجع لأفراد القبيلة فى خصوماتها ومنازعاتها ، وإن كان يشاركه فى بعض الأوقات بعض الرجال من ذوى الرأى من العشائر والبيوت ، فقد نجد بعض الأفراد يلجأون إلى بعض ذوى الرأى لفض بعض الخصومات أو لتلقى المشورة · لكن شيخ القبيلة يظل المرجع الأهم والأعلى فى هذا المضمار ·

ويستند شيخ القبيلة وذوى الرأى ممن يطلب منهم إصدار الأحكام على الأسس التالية :

أولا : العرف والتقاليد الجارية فى القبيلة ·
ثانيا : العقل المجرد وما يستحسنه الحاكم ·

فهم لا يستندون إلى أصول مدونة ولا يرجعون إلى قوانين مكتوبة · وبديهى أن أحكاما كهذه معرضة للأخطاء والحيف · فالعرف يمكن أن يكون عرفا فاسداً فبناء الأحكام عليه يقود إلى الاستمرار فى الفساد والخطأ · والعرف كما هو معلوم ينتج عن الممارسات البشرية التى ربما يبتدعها مزاج فاسد ·

والعقل المجرد واستحسان الحاكم يتأثر بالطبع بميول الحاكم وظروفه وقوَّته وضعفه ، وقوة وضعف الخصوم ومكانتهم عنده ·

ومن هنا ندرك أن هذه الأسس التى كانوا يستندون عليها كانت أسساً واهية ، خاصة وأنها لم تكن مدَّونة ولا خاضعة لمنهج · وبالتالى لم تكن لتلك الأحكام التى تقوم على تلك الأسس الضعيفة احترام أو التزام من جانب كثير من الأفراد · فهم يقبلونها متى ما أرادوا · لا توجد قوة معنوية أو حسية تلزمهم بالإمتثال · ومهما قيل من أن بعض مدن الحجاز كانت قبل الإسلام قد وصلت إلى قدر من التطور فى نظام الحكم فإن ذلك لا يرقى إلى أن يقال إن الأحكام التى كانت تُتَّبع كانت قد ارتقت إلى درجة اعتبارها مستقاة من مصادر عامة وثابتة ، أو أن تلك الأحكام كانت لها أسس وقواعد ترتكز عليها فى استنانها ·

أما النظم والأحكام التى كان يطبقها اليهود الذين نزحوا وأقاموا بالمدينة قبل الإسلام فإنها لم تكن معتمدة على التوراة المنزل على موسى عليه السلام بل كانت من نتاج أفكار أحبارهم بما يتفق مع مطامعهم واغراضهم · وكما هو معلوم فإن تحريفهم وتبديلهم للدين اليهودى ، أصوله وفروعه ، كان واضحاً قبيل الإسلام فقد مسخوا الأحكام التى نزلت على موسى مسخا ومنذ زمان بعيد ·

موقف الإسلام من هذه النظم :

هذه النظم المذكورة آنفا والتى وجدها الإسلام فى مكة والمدينة أبطلها الإسلام ليحل محلها ما جاء به القرآن ووردت به السنة من مبادىء وأسس وأصول وفروع · وأصبحت الحياة الإجتماعية كلها خاضعة لهذه المبادىء الإسلامية الجديدة · وما ظهر من أن الإسلام أبقى بعض الأحكام التى كانت مطبقة فى الجاهلية أو كان يمارسها اليهود فإن ذلك الابقاء كان لما أتفق مع مبادىء الإسلام وليس أخذاً من مصدر آخر سابق للقرآن والسنة ، وما اتفق مع ما كان لدى اليهود ليس أخذا من مصادرهم ولكن اعتمادا على الوحى الذى يتنزل بالصحيح من المبادىء والأحكام التى نزلت على الرسل السابقين ولا عبرة بما لم يتنزل به القرآن فالذى صح من الديانات السماوية السابقة هو ما تنزل به القرآن وبينته السنة (١) نعم إن الله تعالى شرع لنا من الدين ما شرعه على النبيين السابقين (**شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحا والذى اوحينا اليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه**) (الشورى الآية ١٣) ·

ولكن ما شرع للأنبياء السابقين لا يكون شرعا لنا إلاّ إذا جاء به القرآن أو وردت به السنة ·

والقسامة (٢) التى كان معمولا بها فى الجاهلية فعمل بها جمهور الفقهاء فى الإسلام استنادا على حديث متفق عليه مختلف فى الفاظه ولم يعمل به آخرون من العلماء لمخالفتها لمبادىء الشرع الأخرى مثل أن يكون المُقْسِم مقسما على ما علم قطعا ، هذه القسامة حتى قول من أخذ بها من الفقهاء فى الإسلام فليس معنى ذلك أننا استقينا الحكم من أصل جاهلى ولكن استقيناه من أصل السنة النبوية لأن فى العمل بها الاحتياط للدماء ، لأن القاتل يحاول دائما أن يرتكب جرمه بعيدا عن أعين الناس · فكان فيها استثناء من قواعد الشرع لحفظ النفوس الذى هو من مقاصد الشريعة وأهدافها ·

---

(١) انظر الشوكانى ـ ارشاد الفحول ص ٢١٠ ·

(٢) وهى أن يوجد قتيل ولا يُدرى من قتله فيدعى ولاة الدم على شخص ما فيحلف منهم خمسون رجلا خمسين يمينا ·

أما استخدام العقل لاستخراج الأحكام الشرعية عن طريق القياس فى الشريعة فلا يشبه استخدام العقل الذى عمل به فى الجاهلية لنفس الغرض · ففى الجاهلية استخدم العقل من غير ضوابط غير استحسان شيخ القبيلة أو من يوكل اليه أمر الفصل فى نزاع · أما فى الإسلام فالعقل البشرى مقيّد ومضبوط بضوابط الشرع وحدود المصلحة الإسلامية ·

والعرف الذى عمل به الجاهليون فقد ألغاه الإسلام إلّا ما اتفق مع مبادئه ـ وبذلك نصل إلى أن ما سبق الإسلام من نظم لم يكن رافدا من روافد أصول الفقه فى الإسلام · والذى دفعنا إلى الحديث فى هذا الأمر ما يثيره بعض المغرضين من أن التشريع الإسلامى أخذ من بعض النظم السابقة له · وكذلك دفعنا للتعرض لهذا الموضوع ما اثاره الأصوليون أنفسهم من نقاش حول ما إذا كان شرع من قبلنا هو شرع لنا ·

إرســـــاء القرآن لأسس الفقـــه :

لقد أرسى القرآن الكريم أسس الفقه فى الفترتين ما قبل الهجرة وما بعدها · ومع ما يلاحظ من أن فترة ما قبل الهجرة كان القرآن يركز فيها على تأكيد العقيدة وتمكينها بالدعوة إلى الإيمان بالله وحده واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيِّين ، والابتعاد عن الاشراك بالله ، والتذكير بنعيم الآخرة وعذابها ، والدعوة الى مكارم الأخلاق والإبتعاد عن مساوئها (١) مع التركيز على أصول الدين والعقيدة فإن الآيات المكية قد اشتملت على بعض آيات الأحكام الشرعية العملية مثل آيات تشريع الصلاة والزكاة إجمالا ·

أما السور والآيات المدنية والتى ركزت على إرساء التشريع والأحكام الفقهية العملية ، فإننا نجدها تشتمل على الكثير من الآيات التى تثبت العقيدة وأركانها وتنفر من الكفر ومغباته وعواقبه ، وتحكى القصص للاعتبار · فهى لم تقتصر على آيات الأحكام بل فاضتْ بآيات العقيدة وأصول الدين (٢) ·

فالقرآن الكريم وحدة متكاملة وكتاب منزل على نسق واحد وأسلوب واحد ولأجل هدف واحد · فكون للآيات المكية خصائص وللآيات المدنية خصائص لا يعنى أن القرآن منقسم إلى قسمين لكل دوره المستقل الذى يؤديه كما يروج لذلك الدائبون على حرب الإسلام ومحاولة هدمه · فكل ما فى الأمر أن سُنَّة التدرج وتقديم الأهم فى ظرف ما اقتضت تكثيف آيات العقيدة فى مكة وتكثيف آيات التشريع فى المدينة · ولو لم يهاجر الرسول صلى الله

---

(١) تأمل الجزأين التاسع والعشرين والثلاثين من القرآن الكريم ·
(٢) تأمل مثلا سورة البقرة ·

عليه وسلم واقام بمكة جميع حياته لنزل القرآن الكريم كما هو واكتمل الدين كما اكتمل ولتمت النعمة كما اتمها الله ·

ولعلنا استرسلنا فى هذه المسألة التى سيكون لها مبحث فى مكان آخر من هذه الدراسة إن شاء الله عندما نتحدث عن الكتاب الكريم ، وإنما أشرنا اليها هنا لنتمكن من الحديث عن أن القرآن الكريم هو الأصل الأول من أصول الفقه ، وبذلك فهو مبدأ هذا العلم واساسه ومنشؤه · وما درج عليه الأصوليون من أن علم الأصول بدأ بعد بداية علم الفقه ،وأن علم الفقه نفسه بدأ عقب وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم فإن المقصود به بداية تنظيم العلم وكتابته وتسميته بهذا الاسم الاصطلاحى · وهذا لا خلاف عليه · وأما الذى قصدناه هنا فهو أن حقيقة الأصول ونشوءها وارساء قواعدها بدأ تكوينها منذ بدء الرسالة واكتملت مع اكتمال القرآن والسنة ، ثم جاء فصلها فى علم خاص لاحقا ، ولم يسبق تكوين الأصول أو يتأخر مبدؤه عن بدء البعثة المحمدية ·

وفيما يلى سوف نعطى نبذة عن علم الأصول فى مراحله المختلفة ابتداء من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم · وستكون هذه النبذة مائلة إلى الاجمال ، ثم نتعرض بعد ذلك للأصول التى سيرد ذكرها فى هذا العرض بشيىء من التفصيل والمقارنة ، موضحين أوجه الاتفاق والاختلاف بين المراحل المختلفة وبين المدارس الفقهية المتعددة ·

أصـــــول الفقـه في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم :

مما لا يختلف عليه أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان فى حياته المرجع للأحكام الشرعية ـ فعنه صلى الله عليه وسلم تصدر الأحكام التى يوحيها له الله تعالى قرآنا كريما متلواً مرتلا أو يلهمه اياها تعالى فتأتى سنة نبوية شريفة · فمصدر التشريع كان الوحى الالهى الذى يأتى على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم · وبينما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يصدر الأحكام من خلال القرآن والسنة كان يرسى من خلال هذين المصدرين الرئيسيين أصول الفقه الأخرى وقواعد الاجتهاد والبحث عن الحكم الشرعى · فأصول الفقه وقواعده التى تزخر بها كتب الأصول تستمد شرعيتها وصلاحيتها من القرآن والسنة وتسترشد بها إلى غايات وأهداف الشريعة · فهى لا تتعارض مع هذين الأصلين الرئيسيين وإلاّ أسقطت من الحساب واعتبرت من الانحرافات التى لا يجوز الأخذ بها ·

وعندما نقول أصول الفقه غير القرآن والسنة فإننا نقصد الإجماع والقياس وما يلحق به من أصول تستند على العقل والشرع · وكما أشرنا من قبل فإنه فى واقع الأمر لا فصل بين نصوص القرآن والسنة وبين استخدام العقل البشرى فى استخراج الأحكام · فنصوص القرآن والسنة تتطلب استخدام العقل والنظر فى تخصيص العام وتقييد المطلق وترجيح النصوص

والنسخ الخ · والاجتهاد العقلى خارج دائرة النصوص ليس اجتهادا عقليا مطلقاً بل يقوم على تأييد النصوص له فى المبدأ والمسار ·

ويجدر أن نشير هنا إلى الدليل المستقى من الكتاب والسنة على اقرار مبدأ العمل بالأصول الأخرى غير القرآن والسنة من اجماع واجتهاد عقلى ، ثم نترك تفصيل ذلك الاستدلال ومناقشته إلى مكانه من الحديث عن هذه الأصول ·

إرســـاء أصـــل الإجمـــاع في عهد النبوة :

هذا المصطلح يعنى عند الأصوليين اتفاق أهل الحل والعقد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فى عصر من العصور على حكم واقعة من الوقائع (١) ولقد قرر العلماء بأن الإجماع بهذا المعنى قد تقررت حجيته فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الكتاب والسنة · وجاء عمل الصحابة موافقا لهذا التقرير كما اعتقد التابعون حجية الإجماع بناء على نصوص من القرآن والسنة (٢) ·

ومما أورده العلماء من الكتاب الكريم كدليل على حجية الإجماع قوله تعالى : **(ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا)** (النساء الآية ١١٥) فقد استدلوا بهذه الآية على أن إجماع المسلمين المتمثل فى اجماع مجتهديهم حجة يجب اتباعه وتحرم مخالفته كما تحرم مشاقة الرسول صلى الله عليه وسلم ·

ومما أورده العلماء من السنة النبوية كدليل على حجية الإجمـاع قوله صلى الله عليه وسلم : « لا تجتمع أمتى على خطأ » ·

وقوله : « من خالف الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه » · فقد استدل العلماء بهذين الحديثين أيضا على أن إجماع أئمة المسلمين حجة يجب اتباعه واستقاء الأحكام منه ·

بجانب هذه النصوص السالفة فقد أورد العلماء آيات وأحاديث عديدة فى هذا المضمار لكنا نكتفى بهذا فى هذا المقام عازمين على تفصيل القول فى هذه الاستدلالات عند حديثنا عن الإجماع كأصل ثم مواقف المذاهب المختلفة منه ·

وكما اشرنا فقد فهم الصحابة رضوان الله عليهم هذا الدليل وعملوا بمقتضاه ، وكذلك فعل التابعون · فكان موقفهم دليلا آخر على حجية الإجماع يضاف إلى هذه النصوص ·

ومن هنا نستطيع القول أن الإجماع قد تقررت حجيته كأصل من أصول الفقه فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ·

---

(١) انظر الآمدى ـ الأحكام جـ ١ ص ١٨٠ ·

(٢) انظر أبو الحسين البصرى ـ المعتمد جـ ٢ ص ٤٧٢ ·

قــوة الإســـلام .. تكمن في داخله لأنه دين الله

منــذ قرون والغرب يتجاهــل الإســلام ويرى فيه العدو الألــــد ، واليـــوم فإن المــد الإســلامى الذى يشهده العالم ، يثير في الغرب الريبة ، والخوف ، وهذه الأحــاسيس العدائيـــة ، كانت وراء العمليات الاستعماريـــة ، والامبرياليـــة وبررتهـــا طيلــــة أكثر من قرن ، وجعلت الغرب لا يعترف بجرائمه ومسئولياته .

وكيف يمكن أن نسمى حضارة الغرب ، حضــارة .. وفي هـــذا اليـــوم يخصص الغرب سنـــوياً ٤٥٠ مليـــار دولار سنة ١٩٨٠ م للتسلح في حين أن ٥٠ مليـــون من البشر يموتون جـــوعاً .

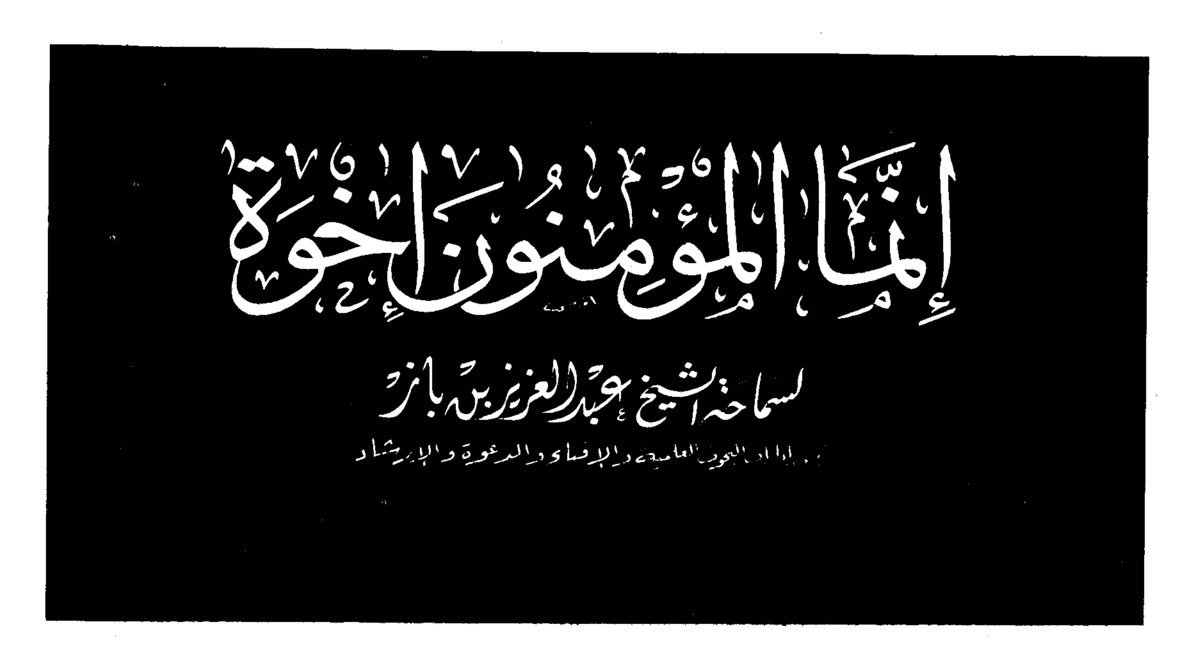
إن الإســلام لم يعــد ذلك « الدين الكافر » كمــا كنــا نطلق عليه في عهــد الصليبيــة والمسلم لم يعــد ذلك (الإرهــابى) في عهــد التحرر الوطنى الجزائرى ولم يعــد الإســلام قــوة عسكريــة زاحفــة مخيفــة ولم يعــد الإســلام مجموعــة قطع تراثيــة شرقيــة محفوظـــة في متــاحفنــا .. الإســلام في كلمــة هــو دين شـّامل كامــل ، لا يتجزأ .. وهــو مجتمع ، وهــو إلى جــانب ذلك اسلــوب في الحيــاة والعقيدة .

الإســـلام لم يظهر لأنه جــاء آخر الأديـــان . بــل ظهر لأن العالم في حــاجة اليـــه ... ظهر بين يـــدى رجــل واحـــد .. في جزيرة صحراويـــة هى العربيـــة السعوديــــة الآن .. كــان في ذلك الوقت جمــاعـــة قليلـــة من النـــاس يعيشـــون في هـــذه الجزيرة ومع ذلك استطـــاع الإســلام أن يؤسس حضـــارة رائعـــة أمتـــد تأثيرهـــا إلى اليـــوم .

عن كتــاب « وعــود الإســلام »

للفيلســـوف الفرنسى روجى غارودى


ثقافة
إسلامية



فيما يلى نصيحة عامة لرؤساء الدول الإسلامية وعامة المسلمين

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آلـه وصحبـه أجمعين أمـا بعـــد :

فقد اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يبتلى عباده بالخير والشر والصحة والمرض والفقر والغنى والقوة والضعف لينظر كيف يعملون وهل يكونون مطيعين له في حال الرخاء والشدة قائمين بحقوقه سبحانه في كل الأوقات والأحوال قال تعالى (**ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون**) وقال سبحانه وتعالى (**الم أحسب الناس أن يُتْرَكُوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون · ولقد فَتَنَّا الذين من قبلهم فَلَيَعْلَمَنَّ الله الذين صدقوا ولَيَعْلَمنَّ الكاذبين**) إذا علم هذا فان الله سبحانه يختبر العباد ويمتحن شكرهم وصبرهم لينالوا الجزاء منه كل حسب حاله وما صدر منه فالواجب على المسلم إذا أنعم الله عليه بنعمة المال أن يتذكر أخاه الفقير فيواسيه من ماله ويعينه على تحمل أعباء الحياة ويؤدى حق الله الواجب في المال وأن يتذكر دائما قوله سبحانه وتعالى (**وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين**) واذا كان المسلم معافى في بدنه قويا في جسمه فينبغى له أن يتذكر إخوانه وجيرانه المرضى والضعفاء العاجزين فيعينهم على قضاء حوائجهم ويبذل ما يستطيع لتخفيف وطأة المرض عليهم · ومثل ذلك إذا كان قويا في علمه فعليه أن ينفع عباد الله المسلمين الذين حرموا نعمة العلم فيرشدهم إلى ما ينفعهم في أمور دينهم ودنياهم

ويعلمهم ما أوجب الله عليهم ، كما أن على المسلم الفقير أو المريض العاجز أن يصبر على ما أصابه ويرجو الفضل من عند الله سبحانه ويجتهد في فعل الأسباب المباحة التى يكشف الله بها ما أصابه وليتذكر الجميع قول الرب سبحانه (**وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد**) وما يقال بالنسبة للأفراد يقال بالنسبة للأمم المسلمة اذ يجب على الأمة القوية في مالها أو رجالها أو سلاحها أو علومها أن تمد الأمة المستضعفة وأن تعينها على الحفاظ على نفسها ودينها وتمنع عنها الذئاب من حولها المتسلطة عليها وأن تؤتيها من مال الله الذى أتاها فهذا هو مقتضى الأخوة الإسلامية التى عقدها الرب سبحانه بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها إذ يقول جل شأنه (**إنما المؤمنون اخوة**) ٠

فيا أيها الزعماء والقادة ويا أيها المسلمون في كل مكان أدعوكم إلى تطبيق مقتضى الآية الكريمة والعمل على إقامة الأخوة الحقيقية بين كل المسلمين على اختلاف أجناسهم وألوانهم وألسنتهم وأن يكون المسلمون يدا على من سواهم واعلموا وفقكم الله أن وسائل الا بتلاء في هذا العصر أكثر منها في العصور الخالية ذلك أن الله سبحانه أفاض أنواعا من النعم على طوائف من المسلمين وابتلى طوائف أخرى بالفقر والجهل وتسلط الأعداء من اليهود والنصارى والشيوعيين وغيرهم ، وابتلى الناس بمخترعات جديدة وآلات حديثة يسرت اطلاع بعضهم على أحوال بعض واتصالهم فيما بينهم وجعلتهم أعظم مسؤولية وأكثر قدرة على النصر ومد يد العون إذا هم أرادوا ذلك ٠ فالمسلمون اليوم يسمعون أو يرون ما يحل بإخوانهم في الفلبين وأفغانستان واريتيريا والحبشة وفلسطين وبلدان أخرى كثيرة ، بل إن هناك أقليات مسلمة في دول شيوعية كافرة والمسلمون قد فرطوا في حقها ولم يقوموا بما يجب من نصرتها وتأييدها واعانتها والرسول صلى الله عليه وسلم يقول (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر) ويقول صلى الله عليه وسلم (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين أصابعه) وقال صلى الله عليه وسلم : (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة وقال أيضا عليه الصلاة والسلام من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه) وهذه الأحاديث الصحيحة المستفيضة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضح ما يجب أن يكون عليه المسلمون من التعاون والشعور بحاجة بعضهم إلى بعض ٠ ولقد قرر العلماء رحمهم الله أنه لو أصيبت امرأة مسلمة في المغرب بضيم لوجب على أهل المشرق من

المسلمين نصرتها فكيف والقتل والتشريد والظلم والعدوان والاعتقالات بغير حق كل ذلك يقع بالمئات من المسلمين فلا يتحرك لهم إخوانهم ولا ينصرونهم إلا ما شاء الله من ذلك فالواجب على الدول الإسلامية والأفراد من ذوى الغنى والثروة أن ينظروا نظرة عطف ورحمة إلى

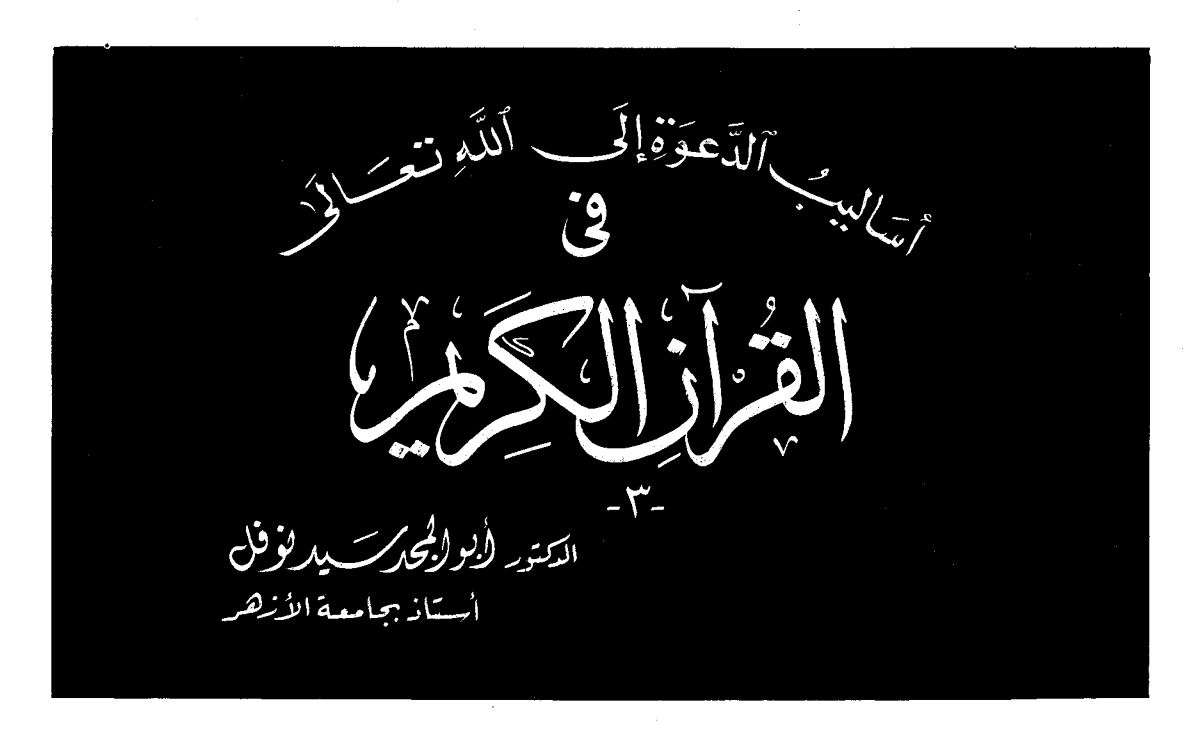
إخوانهم المستضعفين ويعينونهم بواسطة سفراء الدول الإسلامية الموثوق بهم أو بواسطة الوفود التى يجب أن ترسل بين حين وآخر باسم الدول الإسلامية لتفقد أحوال المسلمين في تلك الدول الإسلامية أو الأقليات المسلمة في الدول الأخرى ، واذا كانت الأمم النصرانية واليهودية والشيوعية وغيرها من الأمم الكافرة قد تحفظ حقوق أى فرد ينتسب إليها ولو كان يقيم في دولة أخرى بعيدة عنها وتصدر الإحتجاجات وترسل الوعيد والتهديد أحيانا إذا لحق بواحد منهم ضرر ولو كان مفسدا في الدولة التى يقيم في أراضيها فكيف يسكت المسلمون اليوم على ما يحل باخوانهم كحروب الابادة وضروب العذاب والنكال في أماكن كثيرة من هذا العالم ؟ ولتعلم كل طائفة وأمة لا تخف لنصرة أختها بأنه يوشك أن تصاب هى بمثل ذلك البلاء الذى تسمع به أو تراه يقطع أوصال أولئك المسلمين فلا تجد من ينصرها أو يعمل على رفع الظلم والعذاب عنها فالله سبحانه المستعان وهو المسؤول بأن يوقظ قلوب العباد لطاعته وأن يهدى ولاة أمور المسلمين وعامتهم إلى أن يكونوا يدا واحدة وصرحا متراصا للقيام بأوامر الله والعمل بكتابه وسنة رسوله ونصرة المسلمين ومحاربة الظالمين المعتدين عملا بقول الله سبحانه (**ولينصرن الله من ينصره إنَّ الله لقوى عزيز . الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور**) وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وأتباعه بإحسان . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

التبشير في إندونيسية .. !!

عدد الكنائس البروتوستانتية في إندونيسية يبلغ أكثر من ٩٣١٩ أما القسيسين فعددهم ٢٣٩٧٠ بينما يبلغ عدد المبشرين المتفرغين ٦٥٠٤ .

وللمبشرين سفن وطائرات تنتقل بين ٣٠٠٠ جزيرة تمثل جمهورية إندونيسية .

في منطقة كلمنتان الغربية ١٧ مطاراً للمبشرين . (**النور المغربية**)



٨ ـ العقيـدة في أساليب المحاورة والمحاجـة :

والمحاورة : مصدر · حاور · وأصله : حار ، أى رجع ، ويحاوره يراجعه · وهى أسلوب يقتضى وجود طرفين أو أكثر يدور كلام بينهم في صورة حوار يقصد من ورائه الحكم على أمر ما ايجابا أو سلباً وهى طريقة من طرق توضيح المعنى وتثبيته ، وهى تتميز بجذب انتباه السامع أو القارىء نحو الموضوع الذى تتحدد معانيه ، وتنكشف أبعاده بطريقة تقوم على السؤال والجواب والأخـذ والرد ، والاعتراض والمراجعة ··· ولا يخفى مافي ذلك من عناصر الجذب والمتابعة والتشويق التى تساعد على ادراك الحقيقة العلمية ادراكا واضحا لا خفـاء فيـه ·

والمحاجـة : نوع من المحاورة ، وهى تتميز بوجود عنصر الإلزام والإفحام ، واضحا بارزا بينما يكثر في المحاورة أسلوب العرض والوصف ·· وقال العلماء : إن المحاجة أسلوب قدم الله فيه مخاطباته مع مخلوقاته في أجلى صور ليفهم العامة من جليها ما يقنعهم وتلزمهم الحجة ، ويفهم الخواص من أثنائها ما يرمي على ما أدركه فهم الخطباء وقد اتخذ الأنبياء والمرسلون ، والأئمة الهداة ··· هذه الأساليب كثيرا في دعوتهم الناس إلى العقيدة والإيمان بالله سبحانه تعالى ·

ولقد عرض القرآن الكريم الكثير من هذين اللونين لاشتمالهما على ما ينشط الذهن ويهىء الفكر للوقوف على الحقيقة والإيمان بالحق ·

ومن المحاورة ماورد في القرآن الكريم بين الله تعالى وبين ملائكته وبين آدم ··· وفيه بين الله سبحانه وتعالى هذه الحقائق العقائدية ، فهو سبحانه الرب المالك لكل شيء وهو الذى خلق الملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، وهوسبحانه القادر عل كل شيء ، والعالم بكل شيء والذى يعلم مخلوقاته من علمه سبحانه ، ويمنح منهم من يشاء من فضله وكرمه ، فيجعل خلافته في الأرض في آدم لا في الملائكة ، وأنه سبحانه وتعالى الفاعل المختار ، لامعقب لحكمه ، ولا راد لقضائه · (وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم مالا تعلمون · وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين · قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم · قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) البقرة /٣٠ـ٣٣ ·

ومن مواقف نوح ، وهود ، وصالح ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد ، وجميع الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين الكثير من أساليب الحوار مع أقوالهم لبيان الحق وعرض العقيدة وطلب الإيمان بالله تعالى ·

ومن المحاججة ما ورد في القرآن الكريم بين ابراهيم الخليل صلوات الله عليه وسلامه وبين عدو الله الذى حاج ابراهيم في ربه · فلقد قال ابراهيم له وهو يدعوه الى الإيمان : ان الرب هو الذى يحيى ويميت ، وأنت مخلوق من مخلوقاته يميتك ويحييك · فيقول النمرود أنا رب مثل ربك لأنى أحيى وأميت ، آمر بقتل الناس فيموتون فأنا أميت · وأعفو عنهم فلا يموتون ويحيون · فأنا أحيى · لكن ابراهيم عليه السلام الذى آتاه الله رشده وعلمه من علمه يأتى للعدو بحجة أخرى لا يقوى على دفعها ولو ظاهرا · فيقول له ابراهيم · إن الله يأتى بالشمس من المشرق ، فإن كنت صادقا في ادعائك الألوهية فأت بها من المغرب · وهنا لا مجال إلا الهزيمة لعدو الله (ألم تر إلى الذى حاج ابراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال ابراهيم ربي الذى يحيى ويميت قال أنا أحيى وأميت قال ابراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين) البقرة /٢٥٨ ·

٩ ـ العقيدة في أسلوب القصة

والقصة جمعها قصص بكسر القاف ، وهى من قصص ، والفعل قص ، والمصدر قصص بفتح القاف قال تعالى : (نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن ···)

يوسف /٣ والقصص بفتح القاف إما مصدر بمعنى الاقتصاص أى نحن نقص عليك أحسن الاقتصاص هذا القرآن بإيحائنا إليك والمراد بأحسن الاقتصاص أنه اقتص على أبدع طريقة وأعجب أسلوب ، ألا ترى أن هذا الحديث مقتص من كتب الأولين وفي التواريخ ، ولا ترى اقتصاصه في كتاب منها مقاربا لاقتصاصه في القرآن ٠

أو بمعنى المقصوص أى نحن نقص عليك أحسن ما يقص من الأحاديث ، وإنما كان أحسن لما يتضمنه من العبر والحكم والعجائب (لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب ٠٠) يوسف /١١١ ويشتق القصص من قص أثره إذا اتبعه لأن الذى يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا كما يقال تلا القرآن إذا قرأ ، لأنه يتلو أى يتبع ما حفظ منه آية بعد آية ٠

والقصة : هى أحد أنواع النثر الفنى ، ونمط من أنماط الأساليب الجمالية ، تقوم على عوامل كثيرة ، من التشويق ، والحوار ، والحبكة ، والوحدة الموضوعية ، وحل المشكلات عن طريق تسلسل الأحداث وربط المشاهد بعضها ببعض ٠

والقصة عامة كلون من ألوان الأدب قديما وحديثا تقدم الحقائق المختلفة ، كما تقدم إلى جانب ذلك الخيالات والمبالغات ، والأساطير ، وما إليها ٠

وقد يكون هدفها التعبير ، والنصح ، والتوجيه ،٠٠ كما يكون هدفها مجرد المتعة الذهنية والعاطفية ٠٠٠ وقد تتخذ وسيلة للحق أو للباطل ، وللخير أو للشر ٠٠٠٠

لكن القصة في القرآن الكريم تتميز عن سائر أنواع القصص بأنها منزهة عن أى نقص في شكلها وفي مضمونها ، ومنزهة عن الخيالات والأوهام ، والأساطير ، والأباطيل ٠٠٠

وهى عفيفة الأسلوب ، طاهرة اللفظ والمعنى ، حيية السياق والعرض ، بارعة التركيب ، سامية القصد ، حسنة الهدف ٠٠٠

وهى تضم إلى جانب الإيضاح ، والتعليم ، والنصح ٠٠٠ جوانب الإقناع الذهنى والنفسى والعلمى والأدبى ، وتضم إلى جانب عرض الحقائق الدينية الحقائق التاريخية والاجتماعية والثقافية ٠٠٠

ومن هنا جاءت القصة في القرآن الكريم تحمل لواء الدعوة إلى الإسلام وتعرض مبادئه ، وكانت أسلوبا من أساليب الدعوة إلى الله (لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب ماكان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه ، وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) يوسف /١١١ ٠

والقصص في القرآن الكريم كثيرة ، منها قصة ابراهيم عليه السلام مع الأوثان والنمرود ..... وقصص نوح وهود وصالح مع أقوامهم .. وقصة موسى مع فرعون وبنى اسرائيل ، وقصة مريم وزكريا وعيسى مع اليهود والرومان ....

وكلها تعرض دعوة الحق والتوحيد ، وتقيم الأدلة على صحتها وسلامتها ، وتبين آثارها ونتائج الأخذ بها واعتناقها ..

كما تعرض العقائد الفاسدة من عبادة الأوثان ، والأصنام ، واتخاذ الآلهة مع الله ....وتقيم البراهين على فساد هذه العقائد ، وما حل بالكافرين والمشركين ، والعصاة من عذاب وعقاب ومن هذه القصص القصة التى جمعت سليمان عليه السلام ، والهدهد وملكة بلقيس .

وستظهر لنا من خلال تتبعنا لمشاهد هذه القصة عظمة القصص القرآنى ، وروعة صياغته وعظيم نفعه ، وتصدره قمة القصص الرفيع الذى حوى كل أصول الأدب العالى ، من جودة العرض وجمال الصورة ، وإيضاح الفكرة ، وقوة الحركة ، وتناسب المشاهد ، وحسن العرض . إن هذه القصة إثبات للخالق سبحانه وتعالى ووحدانيته ، ودعوة إلى عقيدة التوحيد ونبذ غيرها من سائر العقائد الفاسدة ..

وهى ذات مشاهد وأحداث ، وأبطال ، وصراعات ، ومفاجآت ... وأعاجيب تفوق الأساطير ، بيد أنها حقائق واقعة بقدرة من لا يعجزه شىء في الأرض ولا في السماء ولا تشاهد في هذه القصة آدميين فحسب ، وإنما تشاهد فيها الجن ، ومن هو فوق الجن قوة وعلما .. كما تشاهد فيها الطيور تتكلم ، والحشرات تنطق ، كل بلغته ، وكل يؤدى دوره في صدق ، وقوة وإخلاص بين يدى سيده سليمان الذى علمه الله منطق الطير وآتاه من كل شىء فضلا منه سبحانه وتعالى عليه .

في القصة تنطق النملة بنصح قومها وإشفاقها عليهم .. ويدعو الهدهد إلى الإيمان بالذى يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما خفى وما علن ..
ويعمل الجن بين يدى الملك ، ومن يزغ منهم عن أمره يذقه من عذاب أليم .

والذى عنده علم من الكتاب يأتى بما هو أقوى من الخيال ، لكنه حقيقة أجراها رب العالمين على يديه ، حيث استطاع هذا العالم أن ينقل عرش الملكة من اليمن إلى الشام وهى مسافة لاتقل عن خمسة آلاف كيلو مترا في أقل من لمحة ، أو قبل أن يرتد إلى سليمان طرفه .

في القصة قوة الأنبياء وحكمتهم ، وعظمة الملوك وحنكتهم ، ومشورة أهل الرأى وإخلاصهم وسهر الحاكم على رعيته الكبير منها والصغير حتى الحيوان والطير ‥ وجرأة المحكوم وحريته في القول ، والتعبير ، والعمل مادام يؤدى دوره بصدق ويقوم بواجبه ‥ وفيها رجوع أهل الفضل إلى الحق بعد ما تبين لهم ....

وكل هذه العناصر من القصة هدفت في الأصل إلى أمرين :

أولهما : بيان العقيدة الصحيحة التى يمثلها سليمان وجنوده ، وهي عقيدة التوحيد وبيان عقيدة الشرك التى تمثلها بلقيس وقومها قبل إسلامهم ٠

وثانيهما : تسخير كل مقومات الأمة ، وتوجيه طاقاتها ‥ إلى الدعوة إلى وجود الله ووحدانيته وصبغ أبناء الأمة بالصبغة الدينية ‥ فهذا الهدهد ينفق جهده ووقته في البحث عما يخدم العقيدة ويعلى أمرها ، ويعزز شأنها ... وتحتوى القصة على مشاهد كثيرة ، كل منها يؤكد ما ذهبنا اليه ويقرره

وأول هذه المشاهد : يبين قوة الملك ، واتساع ملكه ، وعظمة سلطانه ، وكثرة اتباعه .... فسليمان ملك ٠ سخرت له الرياح التى تجري بأمره رخاء حيث أصاب ، والشياطين كل بناء وغواص وجمع له الإنس والجن والطير والحيوانات والحشرات ، وهو عالم بلغات هؤلاء وهؤلاء (يأيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين ٠ وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون) النمل /١٦-١٧ ٠

وثانيها : يبين قوة هذا الملك العلمية والروحية ، فهو قادر على سماع كل ما يدور في مملكته وقادر على سماع حديث النملة ، ومعرفة لغتها ، وهو يبتسم ضاحكا من قولها لبني قومها تنصحهم بدخول مساكنهم حتى لا يحطمهم سليمان وجيشه ‥

ثم هو يرجع الفضل في هذه النعمة وغيرها إلى صاحب الفضل اعترافا منه بعظيم منّه وكرمه سبحانه وتعالى عليه ، وهو يرجوه توفيقه لينال رضاه ٠ (حتى إذا أتوا على وادى النمل قالت نملة يأيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون ٠ فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التي أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلنى برحمتك في عبادك الصالحين) النمل /١٨-١٩ ٠

وثالثها : يبين مدى حب هذا الملك لرعيته ، وحرصه على سعادتها ، وتوفير الحرية والأمن لها ‥ فهو دائب التفقد لشئونها ، وهو الساهر على سلامتها ، وهو السائل عن غائبها والمعين لحاضرها ، وهو الشديد في الحق ، لا تأخذه فيه لومة لائم ، وهو الغاضب لمحارم الله إذا

انتهكت ، والمقيم للعدل بين سائر أفراد رعيته ، الإنس والجن والحيوان والطير إنه لا يرى الهدهد بين الجمع الذى جمع له فيسأل عنه ، ويعلن ذلك على الملأ ..... وفيه ما فيه من إحاطته بجميع أجزاء مملكته وكافة أفراد رعيته ... كما يعلن غضبه من تخلف الهدهد إلا أن يكون عنده عذر أو حجة مقبولة : (وتفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين . لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين) النمل /٢٠-٢١ وكانت المفاجأة عندما يتقدم هذا الغائب من الملك العظيم غير خائف ولا مرتاع وفي قوة واعتداد واعتزاز .. ليقول : ما غبت إلا لأمر هام عرفته أنا ولم تعرفه أنت أيها الملك وأحطت به ولم تحط به أنت . لقد رأيت أثناء طيراني ملكة لاتعبد الذى يخرج الخبء في السموات وفي الأرض ... وإنما تعبد الشمس هى وقومها من دون الله الذى لا إله إلا هو رب العرش العظيم .

(فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين . إنى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شىء ولها عرش عظيم . وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون . ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون . الله لا اله إلا هو رب العرش العظيم) النمل /٢٢-٢٦ .

ورابعها : يبين موقف سليمان من الهدهد ، فهو يأمره بإقامة البينة على دعواه ، ويكلفه بعمل ما يثبت قوله ، ويأمره بنقل خطاب إلى هذه الملكة يدعوها فيه سليمان إلى الإيمان بالله تعالى وتوحيده ، ونبذ عبادة الأوثان والأصنام هى وقومها .

ويطير الهدهد بالكتاب من الشام إلى اليمن ويلقيه بين يدى الملكة ، فتطلب من ذويها الرأى والمشورة فيرجعوا إليها الأمر لأنها العارفة بأمور السياسة والمطلعة على سير الملوك وأحوالهم أما هم فأهل الحرب والقوة ..

ثم تقدم الملكة على عمل تجربة تتبين من ورائها مدى قوة هذا الملك وقصده ، فهل هو كسائر الملوك الذين يسعون إلى جمع المال وقوة السلطة . وهو يسعى إلى هدف نبيل وغاية سامية كما جاء في كتابه فإن كان من الأولين فهو قابل لما ترسله إليه من هدايا مبق على عقيدتها .. فتنقض عليه بعد أن عرفت خباياه .. وإن كان من الآخرين فهو على حق ولا قبل لها به وعليها أن تستسلم إليه : (قال سننظر أصدقتِ أم كنتِ من الكاذبين . اذهب بكتابى هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون . قالت ياأيها الملأ إنى ألقي الي كتاب كريم . إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم . ألا تعلو على وائتوني مسلمين .. قالت

يأيها الملأ أفتوني في أمري ماكنت قاطعة أمرا حتى تشهدون · قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والأمر إليك فانظرى ماذا تأمرين · قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون · وإنى مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون) النمل /٢٧ ـ ٣٥ ·

وخامسها : يعود بالقصة من اليمن إلى الشام ليقدم رسل بلقيس الهدايا إلى سليمان ، فيغضب النبى عليه السلام ويقول لهم (اتمدونن بمال فما آتانى الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون · ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون · قال يأيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين · قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين · قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربى ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربى غني كريم · قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدى أم تكون من الذين لا يهتدون · فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين وصدها ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين · قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال إنها صرح ممرد من قوارير قالت رب إنى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) النمل /٣٦ـ٤٤ ·

وهكذا عرضت هذه القصة العقيدة الصحيحة والعقيدة الفاسدة ، وأقامت الدليل على صدق الأولى (ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون) وعلى فساد الثانية (·· وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون) ·

وما انتهت إليه هذه المشاهد من غلبة الحق وأهله ، وهزيمة الباطل وجنده ، واستسلام الملكة وإذ عانها أخيرا للحق بعد ما تبين لها (رب إنى ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) ·

بقى بيان عقيدة البعث والإيمان بالآخرة وبالقدر · وبيان العقيدة في أساليب المثل والأساليب النفسية ، وأساليب الترغيب والترهيب ، والأساليب البرهانية والوصفية والموضوعية ، وغيرها ·· وهى في مقال تال إن شاء الله · والله الموفق ·

التربية الإسلامية ومراحل النمو

للدكتور عباس محجوب
أستاذ مساعد بكلية الدعوة بالجامعة

قسم علماء التربية ، التربية إلى مستويات تختلف باختلاف مراحل نمو الإنسان باعتبار التربية عملية ملازمة للانسان فى نموه الطبيعى ونمو استعداداته وميوله وقدراته ، ومع الاختلاف البسيط فى هذه التقسيمات إلا أننا يمكن أن نأخذ بالتقسيم التالى :

١ ـ مرحلة ما قبل الولادة .

٢ ـ مرحلة الطفولة .

٣ ـ مرحلة المراهقة .

٤ ـ مرحلة الشباب .

أولا : مرحلة ما قبل الولادة :

حض الإسلام على الزواج باعتباره حاجة فطرية للإنسان فطره الله عليها وهيأه لها ووجهه اليها ليقوم بواجبه فى الحياة من المحافظة على النوع الإنسانى وتكاثر هذا النوع وزيادته وفى ذلك يقول الله سبحانه وتعالى : (**يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء**) (النساء : آية ١) . وقد وضع الإسلام ضوابط لاختيار الزوج حتى يختار كل منهما الشريك الأصلح لأداء هذه المهمة فى الحياة ، فالرجل مطالب باختيار المرأة ذات الدين التى تفهم واجباتها

الشرعية فى البيت والحياة والتى يقوم سلوكها على أساس السلوك الإسلامى والآداب الإسلامية ، وإذا لم يكن الدين بمعناه الواسع هو أساس الاختيار لم يكن البناء قائما على أسس سليمة وفى ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله إلا ذلا ، ومن تزوجها لمالها لم يزده الله إلا فقرا ، ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله الا دناءة ومن تزوج امرأة لم يرد بها الا أن يغض بصره ويحصن فرجه أو يصل رحمه ، بارك الله له فيها وبارك لها فيه) (١) .. كما يقول : (ولا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن ولا تزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن ، ولكن تزوجوهن على الدين ، ولأمة خرماء سوداء ذات دين أفضل) (٢) .. فذات الدين هى التى تقوم بحق الله وحق الزوج وحق الأمة فى تربية الجيل المؤمن بالله السائر على هديه .

كما أن على الزوج أن تختار زوجها ممن يتوفر فيه الشروط المناسبة لها وأهمها الدين والخلق حتى يمكنه أن يقوم بواجبه ، واجب الرعاية والقوامة والتربية (اذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه ، إلاّ تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد عريض) (٣) واشتراط الدين والأخلاق أمر مهم حتى تعيش الأسر فى أجواء شريفة مؤمنة وفى كنف رجال صالحين يتقون الله فى نسائهم وأولادهم وحتى تتحقق السعادة فى ظل البيت المؤمن وتنشأ الأجيال مؤمنة بالله متحملة المسؤوليات ناقلة للصفات الطيبة من الأبوين الطيبين ، ولذلك حذر الرسول صلى الله عليه وسلم من التهاون فى الاختيار وترك الصفات الإسلامية المطلوبة من أصالة وصلاح وشرف فقال : (اياكم وخضراء الدمن ، قالوا وما خضراء الدمن يا رسول الله ؟ قال : المرأة الحسناء فى المنبت السوء) (٤) .. وقد أثبت العلماء أن الصفات الخِلْقيةَ والخُلُقيةَ تنتقل عن طريق الوراثة كما تنتقل الصفات المادية وإلى هذا أشار القرآن الكريم فى استنكار المستنكرين لمريم حيث قالوا (**يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا**) (سورة مريم ٢٨) وقد رأى بعض علماء النفس والتربية أن الإصابة بمرض الزهرى أو وجود أى نوع من العيوب الوراثية العقلية بين الزوجين يؤدى إلى إنجاب أطفال يحملون المرض نفسه كما أن الأطفال الذين يولدون لأبوين يدمنان السكر والمخدرات بأنواعها خاصة فى ساعات التلقيح كثيرا ما يصابون بأمراض عقلية وعصبية قل أن يشفوا منها لأن الأبوين لا يورثان الصفات الجسمية فقط بل الصفات النفسية ولذلك يرى بعض العلماء أن الرجال

---

(١) رواه الطبرانى .

(٢) سنن ابن ماجه ج ١ كتاب النكاح .

(٣) رواه الترمذى .

(٤) رواه الدارقطنى .

المتفائلين ينجبون أولادا متحررين من العادات القبيحة والخوف والأوهام أما الحمقى والموهومون والسكارى فينجبون أولادا عصبى المزاج مصابين بمركب نقص ، يعانون من العقد والإحساس بالضعف وعن ذلك يقول كريس مورسون : (إن الجينات جزء من خلايا الوراثة . غير أن خلايا الوراثة لا تشترك فى التكوين العام للجسم ، ولكنها منعزلة ولا تسهم فى أى وجه من وجوه النشاط الأقل أهمية التى تقوم بها الكائنات الحية ، أن هذه الخلايا تحفظ الشبه الكامل للنوع ، ويبدو أنها لا تتأثر بمسلك الوالدين إلا أن سوء الخلق ، أو المرض ، أو الحوادث ، قد تمدها بمواد جد فقيرة لتشتغل بها . إن الوالدين القويين ، قد ينسلان أطفالا أقوياء ، ولكن ذلك لأنه كان هناك أسلاف أقوياء ، وان الوالدين قد يمنحان طفلهما مبدأ طبيعيا ليعيش فيه ، أو قد يهبانه مباءة لا تصلح مكانا لنفس خالدة) .

إن الابوة والأمومة هما أعظم تبعة تقع على عاتق الإنسان والله سبحانه وتعالى يقول **(وأنكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم)** (النور : آية ٣٢) ، والرسول صلى الله عليه وسلم يطلب اختيار وانتقاء الزوج من النساء فيقول (تخيروا لنطفكم وانكحوا الأكفاء) (١) وقد سئل سيدنا عمر رضى الله عنه عن حق الولد على أبيه فأجاب (ان ينتقى أمه ، ويحسن اسمه ويعلمه القرآن) إن نشأة الأجيال على الطهارة والعفة والاستقامة تعتمد على الصفات التى يتوارثها الأبناء عن الآباء خلقية أو جسمية أو عقلية ، وقد حثت الأحاديث النبوية على تحسين النسل بتفضيل المرأة البعيدة أو التى لا صلة قربى تربطها بالرجل حرصا على انتفاء العيوب الوراثية التى يحملها الزوجان عن الأبناء وقد اثبتت التجارب العلمية فى اختبارات الذكاء صحة هذه النظرية التى تنادى بالتغرب فى الزواج حتى لا يأتى نسل ذوى القرابة ضعفاء الجسم والخلق وغيرها من العيوب الوراثية .

ولأن تربية الأبناء تبدأ قبل الولادة كما قلنا فإن الأمر لا ينتهى باختبار كل من الزوجين الصحيحين لبعضهما بل لا بد من تعهد الجنين فترة الحمل بتعهد الأم نفسها وابعادها عما يسبب لها الضعف والقلق النفسى واحسان معاشرتها ومعاملاتها لأن الحالة الصحية والنفسية للحامل تؤثر كثيرا على الجنين ولذلك يرى الدكتور « الكسيسى كاريل » : أن للحمل قواعد يجب أن تتعلمها النساء فى مدارس خاصة لذلك من حيث السلوك الذى يجب اتباعه أثناء الحمل والنواحى الغذائية التى تهتم بها والمخاطر التى يمكن أن يتعرض لها المولود أثناء الحمل والرضاعة من جراء إسراف النساء فى التدخين وشرب القهوة والمسكرات والمخدرات (٢) .

---

(١) رواه ابن ماجه والدارقطنى .

(٢) تأملات في سلوك الانسان ص ١١٠ .

فالتربية قبل الولادة هى التى يطلبها الإسلام فى زوجة صالحة وامرأة منجبة خالية من الأمراض والعيوب وزوج يتميز بالاستقامة وحسن الرعاية والإنفاق وحسن المعاملة وحسن التربية لأنه مسؤول عنها أمام الله سبحانه وتعالى بنص حديث الرسول صلى الله عليه وسلم (إن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أو ضيع ، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته) (١) .

وقد ثبت مما تقدم أن العامل الوراثى له أثر كبير فى مستقبل الطفل وتربيته فكانت أهمية مراعاة هذه الجوانب فى اختيار كل من الزوجين للآخر كما أن العوامل البيئية لا نستطيع إغفالها أو التقليل من دورها ، وعلى رأس هذه العوامل الناحية الغذائية للأم من حيث كمه وكيفه لأن الأم التى تعانى من نقص غذائى قد تلد طفلا يعانى نقصا جسمانيا أو عقليا أو اضطرابا نفسيا حادا ، كما أن المرض الذى يصيب الأم عامل هام فى التأثير على نمو الجنين هذا بالإضافة لعامل الإفراط فى تناول المكيفات كالتدخين وشرب الخمر والمخدرات وكلها تعوق نمو الجنين فى بطن أمه ثم تؤثر فى مستقبل حياته الصحية والنفسية والعقلية ، ولذلك كله لا بد من الاهتمام بالمرأة الحامل نفسيا واجتماعيا وغذائيا حتى يتهيأ للطفل الذى يراد تربيته الظروف المساعدة لايجاد بيئة صالحة للنمو .

الطفولـة الأولى :

تبدأ هذه المرحلة فى الغالب من فترة الولادة الى ست سنوات أو سبع كما يرى كثير من علماء التربية والنفس وان كانت هناك تقسيمات أخرى .. وقد اهتم الإسلام بالطفل من حيث تربيته على أسس معينة منذ ولادته وتبدأ بالتهنئة والبشارة بالمولود ذكرا كان أو أنثى ، وفى القرآن ما يشير الى ذلك كما فى قصة زكريا (**فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين**) (آل عمران : ٣٩) وقوله (**يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى ، لم نجعل له من قبل سميا**) (مريم : ٧) ، ويمكن أن تكون التهنئة مادية بتقديم الهدايا وغيرها ، كما يستحب له التأذين فى الأذن اليمنى والإقامة فى اليسرى حتى يكون الأذان والإقامة من أول ما يسمع الطفل كما أن فى ذلك رمزاً الى المهمة التى جاء بها فى الوجود وهى عبادة الله وتلبية النداء إلى العبادة وقد فعل ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم للحسن بن على كما يستحب تحنيكه وحلق رأسه يوم سابعه والتصدق بوزنه فضة أو ذهبا على الفقراء وكلها قد فعلها سيد الخلق صلى الله عليه وسلم بل إن الإسلام يحدد نوع الاسم الذى يستحسن

---

(١) رواه البخارى ومسلم فى الامارة والترمذى فى الجهاد .

تسمية المولود به لما للإسم من دلالة على المسمى فإذا كان الإسم جميلا متفائلا ذا دلالة طيبة سر به صاحبه وان كان قبيحا متشائما كان مثار سخرية واستهزاء بصاحبه ، ولهذه الدلالة النفسية للأسماء على أصحابها غير الرسول صلى الله عليه وسلم أسماء كثير من أصحابه أمثال حزن وحرب وغيرهما مسهل وسلم وغيرهما والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : (إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وبأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم) (١) كما دعا الإسلام أن لا يسمى بأسماء الله كالملك والوهاب والصمد وغير ذلك ولا الأسماء الدالة على تعظيم غير الله أو المعبودة غيره كعبد يغوث وعبد العزى وعبد الرسول وعبد النبى وغيرها ويدخل فى هذا ما نراه فى بلاد العرب من يسمون أبناءهم بأسماء لينين وخرشوف وقاقارين وغاندى وأتاتورك أو من يسمون بأسماء النصارى واليهود مثل جوزيف وألين ومارية وغيرها أو التسميات المائعة التى يسمى بها كثير من الأولاد والبنات .

ويحض الإسلام على اختيار أسماء الأنبياء وما يدل على العبادة لله فقد روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله (تسموا بأسماء الأنبياء وأحب الأسماء الى الله : عبد الله وعبد الرحمن وأصدقها حارث وهمام ، وأقبحها حرب ومرة) (٢) .

والرضاعة تمثل جانبا مهما فى حياة الطفل المستقبلية ولذلك جعلها الإسلام من وظيفة المرأة وحدد لها مدة (**والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة**) (البقرة : ٢٣٣) ، وقد اثبتت الدراسات الحديثة أن للرضاعة أثراً كبيراً فى تربية المولود وأخلاقياته ، فالمرأة السيئة الخلق الكثيرة الانفعال تؤثر فى المولود ، وقد اشترط كثير من علماء المسلمين اختيار المرضع للطفل لأن اللبن يعدى كما رأوا ان تكون المرضع صالحة تأكل من الحلال لأن طباع الطفل تتأثر باللبن وقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن إرضاع الحمقاء ، ولأن الرضاع وظيفة خاصة بالمرأة فلا يجب استبدال الرضاع الطبيعى بالصناعى لأن اللبن الصناعى لا يعطى الأطفال القيمة الغذائية الكاملة التى يحتاجون اليها ولأن له تأثيراً على العواطف والطباع .

أما بالنسبة للحضانة وهى التى تستمر إلى السابعة فإن الأم هى التى تقوم بها لأنها مهيأة بعواطفها ورقتها وحنانها ورحمتها للقيام بذلك الدور فالطفل السوى هو الذى ينشأ فى حضن والديه مستمتعا بدفء عواطفهما ورحمتهما بعيدا عن الاضطرابات النفسية والعصبية والنقص فى النمو وغير ذلك من الأمراض التى يمكن أن يصاب بها الطفل الفاقد لوالديه أو

---

(١) رواه أبو داود .

(٢) رواه أبو داود والنسائى .

لأمه فالظروف التى ينشأ فيها الأطفال هى التى تؤثر فى مستقبل حياتهم ونموهم فقد أثبتت الدراسات النفسية أن كثيرا من الانحرافات التى تظهر فى الكبار راجعة إلى مواقف وظروف عاشها الشخص فى طفولته ، ولذلك يرى علماء التربية أن إحساس الطفل بالأمن والاستقرار والمحبة هو الذى يسهل له عملية التكيف والتوافق المطلوبين من كل عضو من أعضاء المجتمع فإذا عاش الطفل فى وسط عائلى يحيطه بالرعاية والحب ويشعره بمكانته فى المنزل ويقدم له الكثير فى سبيل إسعاده أحس بالأمن والطمأنينة ونما نموا طبيعيا خاصة إذا عاش فى عائلة مستقرة متجانسة غنية فى القيم الاجتماعية الإسلامية ثابتة فى أساليب تعاملها مع الطفل لا يحس بالتناقض فى معاملة والديه له ولأن الأسرة تمثل البيئة الاجتماعية الأولى التى ينشأ فيها الطفل اهتم الإسلام بنظام الأسرة وتنظيم العلاقات بين الرجل والمرأة وقيام هذه العلاقة على أساس من الرحمة والمودة والعطف والاحترام المتبادل وأداء كل واحد لما عليه من حقوق نحو الآخر وغض الطرف من الجانبين عن بعض نواحى النقص خاصة من الرجل ولذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى) (١) ٠

إن حضانة الأم لطفلها من أهم العوامل المساعدة على تحقيق النمو الكامل له كما أنه العامل المهم فى احداث التكيف بين الطفل والمجتمع الذى يعيش فيه أما إذا انشغلت المرأة عن حضانة أطفالها بالانشغال بالعمل خارج المنزل أو بالانفصال عن زوْجها أو بالتعالى على الحضانة وترك الأمر للخادمة فى البيت أو الحضانة الصناعية فى المدارس والمؤسسات ـ إذا حدث ذلك نتيجة لهذا الحرمان من الأمومة أدى ذلك إلى التأخر فى نواحى النمو المختلفة وتعرض الأطفال للاضطرابات النفسية فى حياتهم المقبلة ، وقد أجريت بحوث على عدد من الأطفال بلغوا ١٢٣ طفلا أعمارهم بين عام وأربعة أعوام يعيشون فى مؤسسات مختلفة وقارنوا هذا العدد بأطفال مثلهم يعيشون مع أسرهم ولكنهم فى الصباح يذهبون الى دور الحضانة نسبة لانشغال الأمهات بالعمل فكانت النتيجة أن نمو الأطفال فى المؤسسات يختلف عن النمو مع أسرهم لأن حرمان الطفل من أمه يعطل نموه جسميا وذهنيا واجتماعيا وإن القليل من عناية الأم قد تثمر (٢) ، أما إذا عاش الطفل كل وقته تحت حضانة أمه فإن نموه سيكون متكاملا والدليل على ذلك رجوع كثير من الدول التى تعتمد على الحضانة الصناعية الى تشجيع الحياة العائلية وتكريم الأمهات اللائى يتفرغن لتربية أطفالهن ٠

وفى هذه المرحلة يرى علماء التربية من المسلمين أمثال ابن سينا والغزالى أن الطفل

---

(١) رواه ابن ماجه والدارمي في باب النكاح ٠

(٢) د / مصطفى فهمى ـ الصحة النفسية ص ٩٢ ـ ٩٣ ٠

يجب إبعاده عن الرذائل وقرناء السوء ، وأن يبعد عن الكلام الفاحش واللغو واللعن والشتم ومن تعود على ذلك من الأطفال لأن أصل تأديب الصبى حفظه من قرناء السوء (١) ٠

الطفولـة الثانيــة :

تبدأ هذه المرحلة من السابعة إلى الثانية عشرة وهى المرحلة التى يلتحق فيها الطفل بالمدرسة بعد أن تعلم القراءة والكتابة وهى المرحلة التى يمكنه أن يتذكر ما يحدث أمام بصره وسمعه نتيجة لقوة ذاكرته وقدرته على الحفظ وتعلم اللغات فيها ، ولذلك جعل الرسول صلى الله عليه وسلم هذه المرحلة هى مرحلة أمر الطفل بالصلاة حيث يقول (مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم فى المضاجع) (٢) ، وفى هذه المرحلة يعلم الطفل امتثال أوامر الله سبحانه واجتناب نواهيه ويعرف بالحلال والحرام ويوجه الى حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وآل بيته عملا بقوله صلى الله عليه وسلم (أدبوا أولادكم على ثلاث خصال : حب نبيكم ، وحب آل بيته وتلاوة القرآن ، فإن حملة القرآن فى ظل عرش الله يوم لا ظل الا ظله) (٣) كما أنه يلقن آداب الأكل والشرب كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم مع عمر بن أبى سلمة الذى يقول : (كنت غلاما فى حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت يدى تطيش فى الصحفة فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا غلام سم الله تعالى ، وكل بيمينك وكل مما يليك) (٤) ٠

وفى هذه المرحلة يتعرف الطفل على زملائه فى المدرسة ويكون مع بعضهم صداقات وهو ما يسمى فى علم النفس الحديث بشلة الرفاق ولأن الحاجة إلى الأصدقاء والرفقاء من الأمور الطبيعية والمهمة فقد اهتمت التربية الإسلامية بذلك ، ودعت إلى أن يختار الأب لابنه الأصدقاء المؤمنين والجلساء الصالحين ليس بطريقة مباشرة وإنما باختيار أصدقائه هو ممن لهم مثل أبنائه وتوطيد صلته بهم حتى تنشأ العلاقة بين الأطفال بحكم سنهم ، ولذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقى) (٥) ويقول : (مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل حامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يحذيك ، أو تشترى منه ، أو تجد منه ريحا طيبا ، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك أو تجد

---

(١) الغزالى ـ احياء علوم الدين ج ٣ ص ٧٣ ٠

(٢) رواه الحاكم وأبو داود عن عمرو بن العاص ٠

(٣) رواه الطبرانى ٠

(٤) متفق عليه رياض الصالحين ص ٣٣٢ ٠

(٥) سنن ابو داود والترمذى ٠

منه ريحا منتنة) (١) ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم مبينا أن الفرد يقارن بخليله سيئا كان أم حسنا (المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل) (٢) والقرآن يوضح أن أصدقاء الشر أعداء لبعضهم يوم القيامة وأن أصدقاء الخير والتقوى سعداء حتى فى الآخرة (**الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوٌ الا المتقين**) (الزخرف ٦٧) ويقول تعالى موضحا أثر رفقة السوء على الإنسان وندمه على ذلك (**ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا ، يا ويلتى ليتنى لم اتخذ فلانا خليلا لقد أضلنى عن الذكر بعد اذ جاءنى وكان الشيطان للإنسان خذولا**) (الفرقان ٢٧ ـ ٢٩) وقد نبه علماء التربية فى الإسلام أمثال ابن سينا والغزالى وغيرهما إلى أهمية هذه الناحية فى التربية وأثر اختيار الأصدقاء على مستقبل الأطفال وتوجيههم إلى الخير والشر . فابن سينا يرى أن الطفل يتأثر برفيقه ويكتسب منه كثيرا من العادات لما ركب فيه من نزعة التقليد والمحاكاة فيقول : (وينبغى أن يكون مع الصبى صبية من أولاد الحلة حسنة آدابهم مرضية عاداتهم فان الصبى عن الصبية ألقن وهو عنه آخذ وبه آنس) (٣) أما الغزالى فيقول : (وقد قال الله تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا**) ومهما كان الأب يصونه عن نار الدنيا فَأَنْ يصونه عن نار الآخرة أولى . وصيانته بأن يؤدبه ويهذبه ، ويعلمه محاسن الأخلاق ، ويحفظه من قرناء السوء ، ولا يعوده التنعم ولا يحبب إليه الزينة وأسباب الرفاهية ، فيضيع عمره فى طلبها إذا كبر ، فيهلك هلاك الأبد ، بل ينبغى أن يراقبه من أول أمره فلا يستعمل فى حضانته وارضاعه إلا امرأة صالحة متدينة تأكل الحلال) (٤) ويقول : (ويمنع الطفل من لغو الكلام وفحشه ومن اللعن والشتم ومن مخالطة من يجرى على لسانه شىء من ذلك فان ذلك يسرى لا محالة من قرناء السوء ، وأصل تأديب الصبيان الحفظ من قرناء السوء) (٥) .

ومن أهم الحاجات التربوية فى هذه المرحلة غرس الإيمان بالله فى نفس الطفل وتبسيط مبادىء العقيدة وتنشئته على الخوف من الله وإحساسه بأن الله مطلع عليه مراقب لأعماله وأن عليه أن يستعين بالله ويلجأ إليه ويدعوه ويطلب منه الهداية للخير ، وعلى الوالد ألا يدع فرصة إلا واستفاد منها فى ترسيخ المثل العليا واليقين فى الله ولنا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة فقد روى ابن عباس قوله (كنت خلف النبى صلى الله عليه

---

(١) رواه البخارى ومسلم .

(٢) رواه الترمذى .

(٣) نقلا عن الابراشى . التربية الاسلامية .

(٤) الاحياء ج ١ .

(٥) المصدر السابق .

وسلم يوما فقال يا غلام إنى أعلمك كلمات ، احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فأسال الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك الا بشىء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف) (١) ٠

ولا بد أيضا من الاهتمام بالجانب العملى فى العقيدة بتعليم الصبى أمور دينه وحثه على المواظبة على الصلاة واعتياد المساجد وتقوية صلته بابناء حيه ممن يشهدون الصلاة فى المساجد ٠

مرحلـــة البلوغ :

مرحلة البلوغ من المراحل الطبيعية في النمو إذا سارت في مجراها الطبيعى وهى المرحلة التى تسمى في علم النفس بمرحلة المراهقة وهى التى تبدأ في حوالى الثانية عشرة من العمر وتقابل في مراحل التعليم المرحلة المتوسطة والثانوية (والمراهقة لفظ وصفى يطلق على المرحلة التى يقترب فيها الطفل وهو الفرد غير الناضج انفعاليا وجسمانيا وعقليا في عشر السنوات التالية من الحياة غاية النضج الانفعالى والجسمى والعقلى والمراهق هو فرد ، ولد أو بنت في مرحلة بين الطفولة والرجولة أى بين المرحلة التى يكون النضج فيها غير كامل وبين مرحلة النضج الكامل) (٢) وهذه المرحلة تبدأ في الغالب من الثالثة عشرة إلى حوالى الواحدة والعشرين وتختلف من فرد إلى آخر ومن مكان إلى مكان وهى مرحلة نمو طويلة قد تمتد إلى عشر سنوات كما أنها مرحلة من الناحية الاجتماعية مرحلة تكليف وتحمل المسؤوليات والواجبات فلذلك ربط الإسلام بين هذه المرحلة وبين القيام بالتكاليف الشرعية ولم يخرج علماء الشريعة الإسلامية في تحديد سن المراهقة عن الفترة ما بين العاشرة والتاسعة عشرة وهى التى حددوها بالاحتلام عملا بحديث رفع القلم عن ثلاث منهم الصبى حتى يحتلم وترتبط هذه المرحلة بالتفكير في الزواج والحياة الأسرية ، لذلك كان على المجتمع أن يهىء أذهان الشباب للاتجاهات الصحيحة للزواج وللأفكار السليمة عنه لأن الزواج يكمل النمو النفسى للإنسان ولذلك حض الرسول صلى الله عليه وسلم الشباب على الزواج : (يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء) (٣) ومن أهم الظواهر في هذه الفترة ظاهرة النمو العقلى الذى يقتضي التركيز على التربية الخلقية والتى

---

(١) رواه الترمذى عن عبد الله بن عباس وهناك رواية غير رواية الترمذى ٠

(٢) د / أحمد زكى صالح ـ علم النفس التربوى ص ٢١٣ ٠

(٣) رواه البخارى في الصوم والنكاح ـ ومسلم وأبو داود وابن ماجه والدارمى في النكاح ٠

تأتى في قمتها توجيه البالغ إلى الإيمان بالله على أساس من القناعة والحجة لا يتزعزع في مستقبله بما يتعرض له من وسائل التشكيك والتغيير ، وقد علمنا القرآن كيفية التدرج في ذلك من الحسي الى المعنوى في آيات كثيرة تدعو الى التفكير في السماء والنبات والليل والنهار والبحار والنجوم والجبال والأنهار الخ ... والتفكير في خلق الانسان (فلينظر الانسان مم خلق ، خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب إنه على رجعه لقادر يوم تبلى السرائر فما له من قوة ولا ناصر) (الطارق /٤ ـ ١٠) والتفكير في السماء والأرض وما فيها ، وتفكير الإنسان في طعامه كيف نبت وتشكل وتنوع لونا ورائحة ومذاقا وهو يسقى بشىء واحد هو الماء ويخرج من مكان واحد هو الأرض ويتغذى بعناصر طاهرة هى الشمس والهواء وغيرهما . والتفكير بهذا الأسلوب القرآنى يفتح البصائر وينير العقول ويدفع إلى الخشوع والخضوع لعظمة الله ومراقبته في السر والعلانية والاخلاص له والتوجه اليه بكل عمل لأن الله لا يقبل العمل إلا إذا كان خالصا له وا بتغى به وجهه .. ولا بد من التركيز على العوامل المؤدية إلى الشعور الدائم بمراقبة الله عز وجل مثل تجنب الشهوات الباطلة والحسد والبغض إلا في الله والحقد والكذب والنميمة وما إلى ذلك من العوامل التى تبغض اليه الرذيلة وتحببه في الفضيلة .

ولأن المراهق يعيش مرحلة الإحساس بالذات فإنه يشعر بالخجل ويهتم بالبطولات الأمر الذى يتطلب التركيز على دراسة جوانب البطولة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرته ومغازيه وسيرة الصحابة والسلف رضوان الله عليهم وفي ذلك يقول سعد بن أبى وقاص (كنا نعلم أولادنا مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما نعلمهم السورة من القرآن الكريم) .

أما الخجل فظاهرة تحتاج إلى تغيير ليحل محله الحياء لأن الخجل انكماش وسلبية وانطواء والحياء التزام بالفضيلة وتجنب للرذيلة ومظهر من مظاهر الإيمان وسكينة للنفس وضبط للتصرفات وصحوة للضمير وخجل من الله والنفس والناس وتقتضى التربية هنا تعليم النشء الحياء من النظر إلى المحرمات والاستماع اليها والقرب من المنكرات ونزاهة اللسان عن الفحش والبذاءة والخوض في الباطل وفي ذلك يقول الغزالى : (فينبغى أن يحسن مراقبته وأول ذلك ظهورا أوائل الحياء فإنه إن كان يحتشم ويستغنى ويترك بعض الأفعال فليس ذاك الا لاشراق نور العقل عليه حتى يرى بعض الأشياء قبيحا ومخالفا للبعض فصار يستحيى من شىء دون شىء وهذه هدية من الله تعالى وبشارة تدل على اعتدال الأخلاق وصفاء القلب وهو

مبشر بكمال العقل عند البلوغ فالصبى المستحيى لا ينبغى أن يهمل ، بل يستعان على تأديبه بحيائه أو تمييزه) (١) ٠

والتربية في هذه المرحلة تنتقل من مرحلة التقليد والمحاكاة إلى التوعية العقلية بالأسباب والقوانين المتعلقة بالتزام الفضيلة والبعد عن الرذيلة وصيانة اللسان والبطن والفرج من المحرمات خوفا من الله وحياء منه ، وعن ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (استحيوا من الله حق الحياء ، قلنا : انا نستحى من الله يا رسول الله - والحمد لله - قال : ليس ذلك ‥ الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى ، والبطن وما حوى ، وتذكر الموت والبلى ومن أراد الآخرة نزل زينة الحياة ، وآثر الآخرة على الأولى فمن فعل ذلك استحيا من الله حق الحياء) (٢) ٠

إن هذه الفترة تحتاج الى سياسة حكيمة واحترام لمشاعر البالغ ورغبته في الاستقلال والاحساس بنفسه وشخصيته وإقامة علاقة من الثقة والإحترام بينه وبين والده حتى يمكن توجيهه بما يساعده على النمو والنضج والاتزان ٠

التربيـــة الجنسيـــة :

من أهم الظواهر في هذه الفترة قلة اعتماد البالغ أو المراهق على والديه في سبيل تطلعه إلى الاستقلال بنفسه اذ أنه يعتبر نفسه رجلا وليس ذلك الطفل الذى كان يأتمر بأمر والديه في كل صغيرة وكبيرة فهو قد أصبح ناضجا يحتاج إلى تطوير علاقاته مع الأصدقاء والمجتمع والإسلام لم يهمل هذه الناحية من التربية وأول المبادىء التى يرى الإسلام قيام حياة الفرد عليها هى الإستقامة على قوانين الفطرة الطبيعية في الإنسان واتباع هذه القوانين وعدم الخروج عليها ، وقوانين الفطرة تقتضي تربية الناس على حياة الطهارة والشرف والعفة والفضيلة والتقوى وإن الخروج على هذه التربية والانحراف عنها إنما هو خروج على القوانين التى خلق الله عليها الكون والسموات والأرض والكائنات ومنها الإنسان (قال ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى) (طه /٥٠) فإذا تجاوز الإنسان الحدود التى وضعها الله له والقوانين التى أمره بالتزامها في الدنيا فإنه بسلوكه يظلم نفسه ويعرض نفسه لعقوبات تفرضها عليه قوانين الله الطبيعية المودعة فيه لأن من يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ولذلك حرم الإسلام الزنا وكل علاقة غير شرعية وحرم الوسائل والأبواب المؤدية إليها ، ولذلك فإن التربية

---

(١) احياء علوم الدين ج أول ٠

(٢) رواه الترمذى والامام أحمد فى مسنده ٠

الإسلامية القائمة على الإيمان الكامل والعقيدة الثابتة وعلى الطهر والبراءة والخوف من الله ومراقبته في السر والعلانية والعبودية المطلقة لله فإنها تخلق العفة في النفوس وتحبب حياة الشرف والفضيلة والعفة ، وهذه المراقبة الدائمة هى التى تجعل الشاب المسلم في موقف القوى أمام غواية الشيطان ونداء الشهوة والله تعالى يقول : (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون) (الأعراف ٢٠٠ ، ٢٠١) .

ولا يكفى البقاء على حياة العفة ولذلك دعا الإسلام الى الزواج باعتباره الوسيلة الطبيعية لمشكلة الجنس ، وقد ذكرنا حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ودعوته للشباب أن يغض بصره ويحصن فرجه بالزواج وإلا فعليه بالصوم لأن الصوم يقلل من حدة الشهوة ويزيد طاقة الإنسان الروحية ، وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم قوله : (الغلام يعق عنه يوم السابع ويسمى ويحاط عنه الأذى فإذا بلغ ست سنين أدب ، وإذا بلغ تسع سنين عزل عن فراشه ، فإذا بلغ ثلاث عشرة سنة ضرب على الصلاة والصوم ، فإذا بلغ ست عشرة زوجه أبوه ، ثم أخذ بيده وقال : قد أدبتك وعلمتك وأنكحتك ، أعوذ بالله من فتنتك في الدنيا وعذابك في الآخرة) (١) .

فالآباء مسؤولون عن تربية أبنائهم وتعليمهم وتزويجهم حصانة لهم أو مساعدتهم على ذلك فإذا لم يتيسر للشباب الزواج تحصّنَ بالتعالى على الغريزة والاستعفاف والتمسك بالفضائل وتصريف الطاقات في عبادة الله وفي ذلك يقول تعالى (وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله) (النور/٣٣) وليس ذلك الطلب للرجال فقط بل للنساء أيضا وقد خصهن الله بعد تلك الآية العامة بآية خاصة إذ يقول (والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن) (النور/٦٠) .

والمسلم الذى يتمسك بحياة العفة والشرف أمام الإغراء ولا يلين جعله الرسول صلى الله عليه وسلم من الذين يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله وهو شاب دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إنى أخاف الله رب العالمين وفي القرآن مثال لذلك المسلم الشاب في قصة سيدنا يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز التى راودته عن نفسه وهددته وتوعدته بالسجن والاذلال ففضل السجن على معصية الله والتخلى عن العفة واستنجد بالله طالبا منه أن يقف

---

(١) رواه ابن حبان .

معه في محنته ويصرف عنه كيدها فاستجاب الله لدعائه لعلم الله باخلاصه وصدق دعواه وطهارة نفسه (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين) (يوسف /٢٤) ٠

ولم تكتف التربية في الإسلام بذلك إنما سد الأبواب التى يمكن أن تثير الشهوة وتؤدى إلى الفساد ومنها غض البصر للرجال والنساء (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون ، وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن) (النور ٣٠ ، ٣١) وعلى النساء أيضا ألا ينظرن إلى الرجال فقد روت أم سلمة رضى الله عنها قالت (كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده ميمونة ، فأقبل ابن أم مكتوم وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب فقال النبى صلى الله عليه وسلم : (احتجبا منه ، فقلنا : يارسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أفعمياوان أنتما ، ألستما تبصرانه ؟) (١) ٠

ومنها تحريم خلو الرجل بالمرأة الأجنبية لأنه ما اجتمع رجل وامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما ، وقد روى ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : (لا يخلون أحدكم بامرأة الا مع ذى محرم ، ولا تسافر المرأة الا مع ذى محرم فقال له رجل : يارسول الله ان امرأتى خرجت حاجة وانى اكتتبت في غزوة كذا وكذا ؟ قال : « انطلق فحج مع امرأتك » (٢) ومن الاحتياطات التى اتخذها الإسلام لحفظ الرجال والنساء وحماية المجتمع مما يؤدى الى الانحلال الأخلاقى والفوضى في العلاقات الجنسية الأمر بالاحتشام والنهى عن السفور والتبرج واظهار المحاسن من النساء لأن هذه الأشياء هى التى تثير الشباب وتحرك غرائز الرجال وتجعل كلا من الجنسين يبحث عن الآخر لارضاء شهوته المثارة دائما والله سبحانه وتعالى يقول : (ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن) (النور /٣١) ٠

ولا يشك مسلم في حرمة ما نرى من لباس تلبسه النساء تبعا لخطوط (الموده) ونزولا لرغبة بيوت الأزياء العالمية وكثير منها لا يستر شيئا وقد يحدد كل شىء في جسم المرأة ويظهر مفاتنها ثم تلبس مع ذلك (باروكة) تزيدها فتنة وإغراء ولاتتورع عن كشفه ما وجدت لذلك سبيلا وهن اللائى قصدهن الرسول صلى الله عليه وسلم في حديثه الذى رواه أبو

---

(١) رواه الترمذى وأبو داود ٠

(٢) رواه البخارى ومسلم ٠

هريرة حيث يقول : (صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات ، مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ، ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا) (١) ومن تربية الاسلام في تحديد علاقات الرجال بالنساء أمر الله بالسؤال من وراء حجاب طهارة للقلوب (واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن) (الأحزاب /٥٣) كما أمر المرأة ألا يكون في حديثها ما يدعو إلى الفتنة والاغراء والاثارة (فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى في قلبه مرض وقلن قولا معروفا) (الأحزاب /٣٢) كما أمر النساء بالقرار في البيوت الا لحاجة وعدم التبرج والحشمة في اللباس واللسان والمشى (وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) (الأحزاب /٣٣) ·

ومن تربية الاسلام في تنظيم العلاقات وجوب استئذان الأطفال إذا بلغوا الحلم حتى ينشأ الجيل سليما معافى محترما لحرمة الحريات الشخصية للرجال والنساء (يأيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ، واذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم ، كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم) (النور / ٥٨ ـ ٥٩) ·

ومن تربية الإسلام في العلاقات الجنسية تحريم الشذوذ في أنواعه المختلفة حتى لا يتجه الناس إلى تفريغ طاقاتهم الجنسية في أوجه أخرى يظنونها غير محرمة كما حرم المظاهر الشاذة في تشبه الرجال بالنساء واسترجال النساء فقد روى ابن عباس أن الرسول صلى الله عليه وسلم لعن المتخنثين من الرجال والمترجلات من النساء كما لعن المتشبهين من الجنسين بالجنس المغاير لهما سواء أكان هذا التشبه في الأصوات أو الحركات أو فعل شيء هو من خواص جنس دون آخر كلبس بعض الرجال للباروكات واطالة الأظافر والشعور ولبس الكعوب العالية ووضع مساحيق الزينة واستعمال أدوات التجميل ولبس السلاسل الذهبية على المعاصم والنحور وتزجيج الحواجب وأخذ الحقن التى تزيد نسبة هرمونات في الأنوثة في الرجال حتى لا يظهر الشعر في الشارب والذقن وحتى يتكور الصدر ويبرز كالنساء وكلبس الملابس الشفافة المبينة للعورة

---

(١) رواه مسلم ·

وغيرها ، وقد روى أبو هريرة رضى الله عنه قال : (لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يلبس لبس المرأة ، والمرأة تلبس لبسة الرجل) (١) ٠

أما الشذوذ المتمثل في اللواط والسحاق بين النساء فإن الإسلام قد حرم ذلك وأغلظ في العقوبة لما في هذين النوعين من افساد خلقى كبير ودلالة على تحلل الأمة وسوء خلقها وتحكم الشهوات فيها ، وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا « من عمل عمل قوم لوط » كما بين الرسول صلى الله عليه وسلم مدى خوفه على أمته من انتشار تلك الظاهرة فيها والتى استنكرها القرآن الكريم في حكايته لقوم لوط (ولوطا إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين ، أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر فما كان جواب قومه إلا أن قالوا إئتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين) (العنكبوت /٢٩) ويقول (أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون) (الشعراء /١٦٥) ٠

ومن مظاهر الشذوذ مزاولة كثير من الشباب للعادة السرية نتيجة لما يتعرض له الشباب من مثيرات للغرائز في مظاهر الفتنة من النساء في الشوارع والأمكنة العامة وأمام دور العلم والعبادة وما يقدم على أجهزة التلفاز من تمثيليات مثيرة وأغان مائعة ودعايات للبلاد والأزياء كلها تدعوإلى الفحش والرذيلة ، زيادة على ما يعرض في المكتبات من مجلات فاضحة وقصص مثيرة وأفلام جنسية هابطة وأجهزة عرض رخيصة لهذه الأفلام ، زيادة على الكتلوجات الجنسية التى تعرض الجنس ممارسا والصور التى تباع لذلك ـ أمام هذا الاغراء كله يتجه كثير من الشباب والرجال بعامة إلى مزاولة الزنا واللواط والاستمناء عن طريق اليد أو عن طريق آخر مع ما في هذه العادة من تحطيم لشباب الأمة وقواها الجسدية والعقلية والنفسية ومع ما فيها من آثار في مستقبل الشاب الجنسية وعلاقاته الزوجية ومع مافي ذلك من أضرار اقتصادية باهظة واجتماعية مخيفة ولعل هذا هو المقصود مع غيره في قوله تعالى (فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون) (المعارج /٣١) وذلك بعد أن بين القرآن أن من صفات المؤمنين أنهم يحفظون فروجهم إلا على زوجاتهم أو ما ملكت ايمانهم ٠

إن حياة النقاء والطهر لاتكون إلا بتشجيع الآباء والدولة لشبابها بالزواج المبكر فإذا كانت الدولة تنشىء بنوكا عقارية لبناء المنازل من الطين والأسمنت عن طريق السلفيات

---

(١) رواه أبو داود باسناد صحيح ٠

المادية فإن بناء الأسر والبيوت أولى من ذلك لتحصن الدولة أبناءها وتعد جيوشها وتحمى حماها بشباب مؤمن طاهر نقى بدلا من الشباب المخنث المائع المنهوك القوى من الانسياق وراء الشهوات والملذات هذا بالاضافة إلى تشجيع الشباب على الصوم مرتين في الأسبوع ليسمو بروحه على غرائزه وليقوى إيمانه بعبادته وإقامة مجتمع إسلامى نظيف تحكم العلاقة بين الرجال والنساء منهم وشريعته ونظامه من حيث المناهج الدراسية والمواد الإعلامية وتزجية أوقات الفراغ بأنواع الرياضة الممارسة في أجواء صافية حتى يسود الأمن والاستقرار النفسى والجنسى بالتزام أوامر الله والخوف منه ومراقبته ·

إن الاسلام لا يحتقر الطاقة الجنسية ولا يطالب بالابتعاد عنها لأن الرغبة الجنسية في الإنسان هى التى تؤدى إلى تعمير الأرض وكثرة التوالد الذى يؤدى إلى بقاء النوع واستمراره ·· فلذلك اعتبر الرسول صلى الله عليه وسلم في العلاقة الجنسية بين الرجل وزوجته صدقة فقد قال عليه الصلاة والسلام (وفي بضع أحدكم صدقة قالوا يا رسول الله إن أحدنا ليأتى شهوته ثم يكون عليها أجر قال : أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر ؟ قالوا : نعم ، قال : فإذا وضعها في حلال فله عليها أجر) (١) ·

وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم صريحا في معالجة كثير من الأمور المتعلقة بالجنس والذى كان القرآن ينزل بها فقد روى الإمام أحمد أن اليهود إذا حاضت المرأة فيهم لم يواكلوها ولم يجامعوها فسأل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم النبى عن ذلك فأنزل الله تعالى (ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن) ثم قال الرسول صلى الله عليه وسلم اصنعوا كل شيء إلا النكاح ، وقد روى عكرمة عن بعض أزواج النبى صلى الله عليه وسلم أنه إذا أراد من الحائض شيئا ألقى على فرجها ثوبا وروى أن مسروقا ركب الى عائشة فقال : السلام على النبى وعلى أهله فقالت : عائشة مرحبا مرحبا فأذنوا له فدخل فقال : انى أريد أسألك عن شيء وأنا أستحى فقالت : إنما أنا أمك وأنت ابنى فقال : ما للرجل من امرأته وهى حائض فقالت : له كل شيء الا فرجها) (٢) والأحاديث كثيرة في ذلك فليرجع اليها من أحب وقد روى أبو داود عن معاذ بن جبل قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يحل من امرأتى وهى حائض قال : (ما فوق الإزار والتعفف عن ذلك أفضل) ·

---

(١) رواه مسلم في الزكاة والدارمى وأحمد في مسنده ·

(٢) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩ ·

والإسلام يحدد مكان الجماع إبعاداً للمسلم عن ممارسة الشذوذ مع زوجته فيقول الله تعالى (فاذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله) (البقرة /٢٢٢) أى في الفرج وأكد ذلك بقوله (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم) (البقرة) ٢٢٣) ومما ذكر عن سبب نزول هذه الآية ما روته أم سلمة من أن الأنصار كانوا يحبون نساءهم وكانت اليهود تقول : إن من أحب امرأته كان ولده أحول فلما قدم المهاجرون المدينة نكحوا في نساء الأنصار فحبوهن فأبت امرأة أن تطيع زوجها وقالت : لن تفعل ذلك حتى آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت على أم سلمة فذكرت لها ذلك فقالت اجلسى حتى يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجت فسألته أم سلمة فقال : ادعي الانصارية فدعتها فتلا عليها هذه الآية (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم) والحرث هو مكان الولد و ولا يكون الولد إلا في الفرج ، **أما قوله (وقدموا لأنفسكم) فيقصد** به تسمية الله عند الجماع فقد جاء في البخارى عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتى أهله قال : باسم الله الكريم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره الشيطان أبدا) (١) .

وقد رخص الله للمسلمين مجامعة النساء في ليل رمضان إذ كان المحلل في أول الاسلام الأكل والشرب والجماع إلى صلاة العشاء فمن نام أو صلى العشاء حرم عليه ذلك كله فوجد المسلمون مشقة في ذلك وكان البعض يخونون أنفسهم (٢) فنزل قول الله تعالى (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ماكتب الله لكم) (البقرة /١٨٧) .

إن الإسلام يعالج الأمور المتعلقة بالجنس صراحة وطهارة ونقاء وفي تنظيم وضبط وتحديد . لا يترك لها العنان فتكون سببا في تدمير البشر والحضارات .

ولأن الإسلام يدعو الشباب الذى لم يتزوج إلى التسامى والعفة فإن أسلوب الإقناع الفكرى والمنطقى من الأمور التى عالج الرسول صلى الله عليه وسلم بها مشكلة محاولة الانحراف والزنا فقد جاء شاب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وطلب من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يأذن له بالزنا فزجره الصحابة واسكتوه إلا أن الرسول صلى الله عليه وسلم أدناه منه في رفق ودون غضب وسأله أتحبه لأمك ؟ قال : لا والله ، جعلنى الله فداك قال :

---

(١) ابن كثير ص ٢٦١ ج ١ .

(٢) رواه البخارى ومسلم وابو داود والترمذى .

ولا الناس يحبونه لأمهاتهم ، وسأله أتحبه لابنتك واستمر يسأله عن أخته وعمته وخالته ويخبره بأن الناس لا يرضونه لهم كما لا يرضاه هو لأهله ثم وضع الرسول صلى الله عليه وسلم يده على قلب الشاب وسأل الله أن يغفر له ذنبه ويطهر قلبه ويحصن فرجه فلم يلتفت الشاب إلى شيء بعدها ، فهذا نموذج من اسلوبه صلى الله عليه وسلم في علاج مشاكل الشباب خاصة ما يتعلق بالجنس فالشباب يوجه إلى بذل الجهد العقلى أو الروحى أو الجسدى في سبيل التسامى وتوجيه طاقاته إلى العمل النافع والاستغراق في عبادة الله والاهتمام بالرياضة البدنية والقرآن يبين لنا كثيرا من المواقف التى تسمو فيها النفس المتجهة إلى الله على نداء الجسد وسعار الشهوة فسيدنا يوسف عليه السلام كما ذكرنا سابقا مثال للشاب المؤمن الذى نشأ على تقوى الله ومراقبته فصمد أمام اغراء ملكة جميلة وأذل كبريائها وهى تدعوه لنفسها وقد حسبت أن ذلك أمر يعجز كل الرجال عن رفضه واذا بيوسف ثابت شامخ ذاكر نهى الله وجميل العزيز عليه فيقول (معاذ الله إنه ربى أحسن مثواى إنه لا يفلح الظالمون) ولم ينسَ الالتجاء الى الله وطلب العون منه (قال رب السجن أحب إلى مما يدعوننى إليه وإلا تَصْرِف عنى كيدهن أصبُ اليهن وأكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم) (يوسف/٣٣ ، ٣٤) .

والشاب المؤمن الذى يرفض الفاحشة ويعف نفسه خوفا من الله من السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم لاظل إلا ظله .

إن الإسلام لا يكبت الرغبات الجنسية كما يظن من لا يفرقون بين الكبت والضبط - لأن الإسلام يضبط الرغبات ويوجهها لتكون أداة بناء وتعمير لا أداة هدم وتخريب للمجتمع فالطريق السوى لمشكلة الجنس هو الزواج لأن من صفات المؤمنين إنهم يحافظون على فروجهم إلا على زوجاتهم أو ما ملكت أيمانهم لأن الجنس في الإسلام وسيلة متاع وسكن ومودة ورحمة به يحقق الإنسان غاية وجوده وهو انتشار النوع وتعمير الأرض وعبادة الله .

ولم يكن الجنس وحده الذى ضبطه الإسلام بل ضبط الدوافع الفطرية الكامنة في الإنسان كلها حتى يكون المجتمع المسلم مجتمعا وسطا متوازنا في حياته الروحية والجسدية معا .

مرحلـــــة الرشـــــــد

وهى التى تسمى بمرحلة النضوج أو وسط العمر وتقع في الفترة ما بين الاربعين والستين وفيها يكتمل نمو الانسان وينضج عقله وتطمئن نفسه ويبلغ أشده ، وتربية الإسلام في هذه المرحلة أن يجدد التوبة وأن يرجع إلى الله ويعزم على ترك المعاصى وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى (حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىَّ وعلى والدىَّ وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لى في ذريتى إنى تبت اليك وإنى من المسلمين أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذى كانوا يوعدون) (الأحقاف / ١٥ ، ١٦) وفي تفسير الآية يقول ابن كثير مشيرا إلى قوله تعالى (حتى إذا بلغ أشده) أى قوى وشب وارتجل وبلغ أربعين سنة أى تناهى عقله وكمل فهمه وحلمه ويقال : إنه لا يتغير غالبا عما يكون عليه ابن الاربعين) (١) ٠

وفي هذه المرحلة يكون المرء قد نضج أخلاقيا الأمر الذى يقلل احتمال انحرافه بعد هذه السن فهو دائم الدعاء إلى الله أن يثبته ويقويه ويعصمه من الزلل (فقد روى أبو داود في سننه عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم أن يقولوا في التشهد (اللهم ألف بين قلوبنا وأصلح ذات بيننا واهدنا سبل السلام ونجنا من الظلمات إلى النور ، وجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وبارك لنا في أسماعنا وأبصارنا وقلوبنا وأزواجنا وذرياتنا ، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ، واجعلنا شاكرين لنعمتك مثنين بها عليك فاقبلها وأتمها علينا) (٢) ٠

أما مرحلة الشيخوخة والتى تبدأ من الستين فهى مرحلة العطاء لا الأخذ والاستعانة بالله وطلب العون والانقطاع إلى عبادة الله والتضرع اليه وهى المرحلة التى يلجأ إلى أهلها من قبلهم مستفسرين سائلين يطلبون التوجيه والعون لأنهم أهل الذكر يحبهم الله ويغفر لهم ويشفعهم في أهلهم ٠

وهكذا نجد الإسلام قد تعهد الإنسان بالتربية والهداية والتوجيه في جميع مراحل حياته وإلى أن يفارق الدنيا ورسم له الطريق الواضح المستقيم الذى يعصم من الزلل ويقود إلى النجاة ٠ والجنة بعون الله وفضله ٠

---

(١) ابن كثير ج ٤ ص ١٥٧ ٠
(٢) ابن كثير ج ٤ ص ١٥٨ ٠

حقوق الإنسان في الإسلام

-٣-

الشيخ : عبد الفتاح عشماوى
محاضر بكلية الحديث

أما الطلاق في الخارج ، والبعض في البلاد الإسلامية يطالب بتقليدهم ، بل وقد يكونون أجيبوا إلى ذلك من حكامهم بالفعل ، وهو أن يكون أمام القاضى في المحكمة ، فهو الطلاق أخو الفضائح ، عندما يتبارى الزوجان في كشف أسرارهما الزوجية عند عرض القضية ، والمتفرجون الذين تغص بهم المحكمة يسمعون ، والصحافة الساقطة عندهم وعندنا ، والمولعة بنشر صور النساء في أوضاع الفسق ، بما لم يعد يخلو منه بلد إسلامى ، هذه الصحافة أيضا تتسابق في نشر فضائح القضايا الزوجية ، خاصة إذا كان سبب طلب الطلاق هو الزنا ، بما يسمونه أدباً بالخيانة الزوجية ، وهذه هى الجريمة الوحيدة التى لا يحكم بالطلاق في الخارج إلا بوقوعها ، وغالبا ما تكون من الزوجة ، فتخرج من المحكمة أمام الناس ذليلة مفضوحة ، وفي الصباح تعلم عن قصة نفسها وهى في الصحف منشورة ، وقد تزين أيضا بنشر الصورة ·

والطلاق عندنا يتم بتوجيه القرآن مستورا بين حكمين ، وبعد أربع مراحل لا يعلم أحد بها إلا الزوجين ، فأى حقوق للإنسان أفضل ؟ التى أعطاها الله له ؟ أم التى وضعها لنفسه ؟ أفلم تكونوا تعقلون ؟

وعندما نريد تقديم النصوص الشرعية التى خص بها الإسلام المرأة ، ورفع قدرها وصان أنوثتها لتكون كالبيض المكنون ، لامتد الكلام بنا طويلا ، فعشرات الآيات وعديد من الأحاديث ، وضعت المرأة في صورة انفرد بها الإسلام وحده ، ولكن يكفينا التمثيل بالقليل ،

فالقرآن يلزم الرجال بمعاملة النساء أكرم معاملة ، بقوله تعالى : (وعاشروهن بالمعروف ، فإن كرهتموهن ، فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) ، فكلمة (المعروف) هنا والتى تعددت في أكثر من آية خاصة بالمرأة ، جامعة لكل ما يعرف أنه خير لها وتسر به ، وعندما يكرهها الرجل لسبب أو لآخر بعيد عن الفاحشة ، لم تتركه الآية على هواه ، بل كبحت هذا الهوى وزادت أنَّ ما كرهه منها قد يكون فيه الخير الكثير .

فانظر كيف وقف الإسلام بجانب المرأة حتى عندما فعلت ما أوجب كره الرجل ، والحديث الذى رواه مسلم رحمه الله يفسر هذه الكلمات من الآية ، فعنه صلى الله عليه وسلم قوله : لا يفرك مؤمن مؤمنة ، إن كره منها خلقا رضى منها آخر) (لا يفرك) أى لا يبغض .

بل وكلمة المساواة التى دنستها ألسنة الغرض والسوء ، قالها القرآن صادقة صافية ألزم بها الرجل ، بقوله تعالى : (ولهن مثل الذى عليهن) ، وليس لها فقط ماله في جوهر العشرة ، وإنما كذلك في الشكل والمظهر ، فكما يحبُّ مثلا أن يراها أمامه نظيفة وبهندام حسن ، يجب عليه نحوها كذلك ، فقد حدث أن امرأة ذهبت إلى عمر رضى الله عنه تطلب منه أن يطلقها من زوجها ، ودعا بزوجها فرآه رث الهيئة قبيح المنظر ، فأمر به فاغتسل ، وألبس ثوبا نظيفا ، ورُجِّل رأسه ولحيته ، ثم طلب عمر المرأة فقال لها ، أطلقك من الأول وأزوجك بهذا ، فكان أن ضحكت وأدركت أن عمر عرف ما تريد ، وعادا على وفاق بعد أن كانا على طلاق ، ثم تقول الآية (وللرجال عليهن درجة) ، فبعد أن ساواها القرآن بالرجل ، بأن يكون لها مثل الذى عليه ، لم يجعل الزيادة المفضلة له إلا بدرجة واحدة ، فلم يُثَنِّها سبحانه ولم يجمعها حتى لا تضخم عند هواة التسلط على النساء ، فلا ينبغى أن تفسر الدرجة بأنها فرض السيطرة أو التحكم ، وإنما تفسر بأن له عليها الطاعة في غير معصية الله وخدمة بيته وبنيه ، وذلك مقابل مشقة القوامة ، والتى اختص بها الرجل تكليفا من ربه وبصيغة المبالغة (الرجال قوامون على النساء ، بما فضل الله بعضهم على بعض) ، فهو تكليف أكثر من التشريف ، ومع هذا رفضت المرأة (الحديثة) مجرد هذه الدرجة الواحدة ، بل حتى رفضت نفس القوامة ، لما وقفت امرأة بجرأة الفاقدة لحيائها أمام القاضى - وهى محامية في قانون الكفر الفرنسى - لتقول : لقد سقطت قوامة الرجال علينا لما أصبحنا موظفات ، قالت ذلك مع علمها بتفضيل الله الرجل عليها بأمور عديدة ، فهو الذى ذهب لخطبتها ، وهو الذى نقلها إلى مسكنه بعد أن أعده لها ، وهو الذى يسبب لها الإنجاب ، وهو الذى يحميها وأولادها بساعده القوى من العاديات ، وأخيرا هو الضارب في الأرض بحثا عن قوتها وقوت عيالها ، ولو تبجحت الموظفة وقالت إنها أصبحت غير محتاجة لماله عند أول نقاش مع زوجها ، وحصرت القوامة في أنها

بسبب القوت ، وأنكرت المفضلات الرجولية التى في الآية الكريمة ، والتى ذكرنا بعضا منها ·

وحتى لما حصلت المرأة (الحديثة) على الوظيفة ، لم تف وظيفتها بمعظم أمْرِها بقوت نفسها ، بل تنفق هذا المرتب الذى لا بركة فيه على مستلزمات الوظيفة ، من شراء أحدث (الموديلات) في الأزياء ، والتسابق مع الزميلات في وسائل الزينة ، وفي الفيَّاح من العطور ، وما الى ذلك من وسائل التبرج ، فماذا يبقى لها من مرتبها لتأكل منه ؟ ، ويظل الرجل هو المتحمل لهموم العيش ، ليعول ويربى قياما بحق القوامة ، وحتى لا ينوء بهذه الأمانة الصعبة ، أعانته عدالة الله بأن يكون له قدر الانثيين ، لاقدر ثلاث إناث ولا أربع ، لكن الانثى (الحديثة) لم تقبل عدل الله ، وأستغفره سبحانه سلفا إذا قلت : لو لم يعطها شيئا البتة ـ ما دامت ستنعم في كنف القوامة ومشقة مستلزماتها ـ لكان تعالى هو العادل المنزه أيضا ، ولكن زاد سبحانه ومكَّن لها في كيانها لما قال : (وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ، مما قل منه أو كثر ، نصيبا مفروضا) ·

وإذا كانت المرأة (الحديثة) قد جاهرت بهذه العداوة لدينها ، فقد نلتمس لها عذرا باعتبارها ناقصة دين وعقل أصلا ، ولكن ما هو العذر للرجال الذين استغلوا نقصها هذا ، فنقصوا بعقولهم ودينهم عنها ، لما راحوا يدفعونها باصرار إلى هلاكها لتفعل ما يخالف النقل والعقل ، بل ومنهم الحكام الذين دخلوا معها المعركة سافرين ، وقننوا لها القوانين التى تنسخ قانون الله ، فلتهنأ المرأة (الحديثة) إذاً وليهنأ معها أنصارها ألداؤها ، حكاما ومحكومين ·

أما ما نراه من انطلاق المرأة في الشوارع ليل نهار في كل بلاد الإسلام ، وفي صورة جامحة كاسحة لكل خلق ودين وفضيلة ، فالواضح الذى لا يقبل المراء ، هو أن الراعى والرعية اشتركوا في هذه المصيبة على السواء ، لما قتلت فيهم النخوة وغَيْرةُ الإسلام ·

فأين منا اليوم وكثيرات من نسائنا يستقبلن الرجال في البيوت نيابة عن أزواجهن ، ويخرج نساء الدار أمام رب الدار بالقصير الفاضح أو السروال المحدد للعورة أو على عادة هنا برفع العباءة ليظهر الثوب تحتها قشيبا لامعا ليلفت النظر ، أو تشد العباءة على خصرها أو على ثدييها ، لتقلد البلاد (المتحضرة) بقدر ما تستطيع ، ولا يغار القائمون على هؤلاء النسوة هنا أو هناك من زوج أو أب ، لا لدينه ولا لرجولته ، لقد كان من أهم غايات الشيطان كشف هذه السوءات لأنها أقوى المدمرات للقيم كلها وعلى رأسها القيم الدينية ، والمجلبة لسخط الله تعالى ، فقد كانت أول مهمة له في دنيا البشر ، لما فعلها مع آدم وحواء عليهما السلام ، بقوله

تعالى (فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما وري عنهما من سوآتهما .... إلى نهاية الآية في قوله تعالى : إن الشيطان لكما عدو مبين) .

فَلْيُسَرُّ الشيطان الآن غاية سروره ، فقد تحقق له اليوم ما أراده لقد أدت مصيبة إفلات الزمام لامرأة التطور إلى مشكلة من أعقد المشاكل الاجتماعية في عصرنا هذا ، وهى مشكلة إعراض الشباب عن الزواج ، فبالإضافة إلى مخالفة الشرع بارتفاع قيمة المهر بغير المعقول ، أخذ الشاب يتساءل ؟ ماذا بقى لى من فتاتي وقد عرضت نفسها في الطرقات للفرجة بغير ثمن ، فهل كل فرحتى ليلة الزفاف هو قضاء اللُّبانة ، أم أنها جميعها يجب أن تكون لى وحدى ؟ ، وفي الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم : (خير نسائكم الودود الولود ، المواسية المواتية ، إذا اتقين الله ، وشر نسائكم المتبرجات المتخيلات ، وهن المنافقات ، لا يدخل الجنة منهن إلا مثل الغراب الأعصم) ، أى القليلات ، لأن الغراب الأعصم قليل في نوع الغربان ، روى هذا الحديث البيهقي والبغوى وغيرهما ، وصحح في الجامع أما الغلو الذى بلغ حد الخيال في المهر ، وأن يكون الخاطب من ذوى المظاهر ماليا وعصريا ، ولا يخطر التدين والخلق والاستقامة على بال ، فإن أعظم قصة زواج في تاريخ الإسلام لهى صفعة لهؤلاء ، الذين عقَّدوا الزواج وجعلوه صفقة تجارية ، وهى قصة زواج الزهراء ، سيدة البنات بنت سيد الآباء ، صلوات الله وسلامه عليه ، ورضى الله عن ابنته ، فقد اختار الله لها الشاب الفقير عليا رضى الله عنه وكرم وجهه ، من دون الصحابة الأغنياء الذين ألحوا على الرسول كثيرا ليظفروا بمصاهرته والتشرف بابنته .

فقد ذكر الإمام القسطلانى شارح البخارى ما حدث في زواج فاطمة رضى الله عنها من حديث أنس ، : دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه ثم خطبهم قائلا :

(الحمد لله المحمود بنعمته ، المعبود بقدرته ، المطاع بسلطانه ، المرهوب من عذابه وسطوته ، النافذ أمره في سمائه وأرضه ، الذى خلق الخلق بقدرته ، وميزهم بأحكامه ، وأعزهم بدينه ، وأكرمهم بنبيهم محمد صلى الله عليه وسلم ، إن الله تبارك اسمه وتعالت عظمته ، جعل المصاهرة سببا لاحقا وأمرا مفترضا ، أوشج به الأرحام ، وألزم به الأنام ، فقال عز من قائل : (وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا ، وكان ربك قديرا) ، فأمْرُ الله تعالى يجرى إلى قضائه ، وقضاؤه يجرى إلى قدره ، ولكل قضاء قدر ، ولكل قدر أجل ، ولكل أجل كتاب ، يمحو الله ما يشاء ويثبت ، وعنده أم الكتاب ، ثم إن الله عز وجل أمرنى أن أزوج فاطمة من على بن أبى طالب ، فاشهدوا أنى زوجته على أربع مائة مثقال فضة ، إن رضى بذلك على ، ثم دعا صلى الله عليه وسلم بطبق من بُسْر ، ثم قال : انتبهوا ، فانتبهنا ،

ودخل علّى ، فتبسم النبى صلى الله عليه وسلم في وجهه ، ثم قال : إن الله عز وجل أمرنى أن أزوجك فاطمة على أربع مائة مثقال فضة ، أرضيت بذلك ؟ فقال علّى ، قد رضيت بذلك يارسول الله ، فقال صلى الله عليه وسلم : جمع الله شملكما ، وأعز جدكما ، وبارك عليكما ، وأخرج منكما كثيرا طيبا) .

قال أنس : فو الله لقد أخرج منهما الكثير الطيب ، وقد أولم عَلِىّ عَلى فاطمة بشطر من شعير وتمر وحيس ، وكان جهاز فاطمة خميلة ، وقربة ، ووسادة من أدم حشوها ليف ، ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هذا الجهاز وقال : (مرحبا بجهاز المساكين) ، الله أكبر ، سبحان من جعله للناس خير قدوة ، ولكن .... تلك قصة زواج سيدة نساء الجنة ، مهرها لا يزيد عن أقل أسورة من الفضة تلبسها أفقر نساء اليوم ، وجهازها كما سمعتم بما يدمع العين من قول أبيها ، وهو الذى عرضت عليه الجبال ذهبا فأباها (مرحبا بجهاز المساكين) .

أما اليوم فلم يعد للمسلمين صلة بسنة نبيهم ، فعقّدوا الأمر فعقده الله عليهم ، وأحاطت بهم المشاكل من كل جانب .

وليس من الخير في شىء أن ننكر الميل الغريزى في المرأة ، وأنه أشد منه في الرجل ، لولا ما ألقى الله عليها من الحياء ، فإن لم نعمل على أن نُكْفَى بما أحلّ الله فماذا يكون إذاً ؟ لقد سمع عمر رضى الله عنه امرأة تناجى سرير زوجها الغائب بأبيات منها .

فو الله لولا الله لا شىء غيره — لنُقِّض من هذا السرير جوانبه
ولكننى أخشى رقيبا موكلا — بأنفاسنا لا يفتر الدهر كاتبه
مخافة ربى والحياء يصدنى — وإكرام بعلى أن تنال مراكبه

فسأل عن زوجها فقيل إنه في الجهاد مع جيش المسلمين ، فأمر بأن يؤذن للمتزوجين منهم بالتردد على بيوتهم في فترات متقاربة حسما للفتنة .

وعن تعليم المرأة ، نقول إن الإسلام حرص على تعليم أبنائه رجالا ونساء ، لكن على أساس مهمة كل منهما التى عينها لهما الخالق في هذه الدنيا ، فللحياة مكانان ليس سواهما ، داخل الدار وخارجها ، وجعل الدار للأنثى ليكرمها ويصونها في المكان اللائق بها ، ولهذا كان أمره الصريح سبحانه إليهن (وقرن في بيوتكن) ، ولم تكن بهذا الأمر الكريم الحافظ لها تماما سجينة الدار ، فقد سمح لها ولسنين وصلت بها إلى ما قبل سن الاشتهاء ، أن تأخذ قسطا

كبيرا من التعليم ، يمكنها به عندما تُردُّ إلى مقر كرامتها في البيت أن تعرف كيف تعبد ربها وتدير بيتها ، بل ويمكنها أن تقرأ وما أيسر الكتب ، بما يزيدها معرفة وعلما وقت فراغها من عمل البيت ، وهكذا لم يجعلها الإسلام حبيسة لا تفكر … ولا تعبر ، بل أباح لها حتى في وقت الخجل عندما تُخطب ، أن تبدى رأيها في خاطبها ، ثم لما تصبح زوجة لم يجعل الإسلام بيت الزوج سجنا والزوج سجَّان على بابه ، وإنما لو خرجت أمثلة لحاجة المرأة الى الخروج في صلاة الجماعة والعيدين والحرب أباح لها الخروج للتزاور والعلاج وصلة القربى ، فقط حتى لا تهان يكون زوجها أو أحد محارمها أو رفقة من نسوة يصاحبنها في ذلك .

فعن عائشة رضى الله عنها قالت : خرجت (سودة) - رضى الله عنها - زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجتها بعدما ضرب الحجاب ، وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها ، فرآها عمر فقال : ياسودة ، أما والله ما تخفين علينا ، فانظرى كيف تخرجين ؟ قالت عائشة : فانكفأتْ راجعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتى ، وإنه ليتعشى وفي يده عَرْق (اللحم المتصل بالعظم) فدخلتْ فقالت : يارسول الله ، إنى خرجت لبعض حاجتى ، فقال لى عمر كذا وكذا ، قالت عائشة : فأوحى الله إليه ثم رفع عنه ، وإن العرق في يده ما وضعه ، فقال : (إنه قد أُذن لكن أن تخرجن لحاجتكن) ، أخرجه البخارى في صحيحه .

أما عن المعاملة داخل البيت ، فهى العزيزة المصونة بنصوص عديدة قرآنية ونبوية ، فالقرآن زاخر بالزام الزوج بحسن المعاملة ، ذكرنا منها آنفا ما يكفى ، وكذلك السنة مَلآى بنفس الأمر ، فبالاضافة إلى ما سبق منها نورد حديثا عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا ، وخياركم خياركم لنسائكم) ، رواه الترمذى وصححه ، وكذلك ابن حبان في صحيحه ، ومن ناحية التساوى في الأجر جعلها الإسلام كالرجل ذرة بذرة في كتاب الإسلام الأعظم بوفير من الآيات ، ولكن أعجبها في رأيى ، تلك الآية ، التى ساوتها بالرجل حتى في التعبير اللفظى وليس في الأجر فقط ، في عشرة كاملة بالآية الآتية .

(إن المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، والقانتين والقانتات ، والصادقين والصادقات ، والصابرين والصابرات ، والخاشعين والخاشعات ، والمتصدقين والمتصدقات ، والصائمين والصائمات ، والحافظين فروجهم والحافظات ، والذاكرين الله كثيرا والذاكرات ، أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما) ، بل وبشرها الرسول صلى الله عليه وسلم بأنها تعدل الرجل تماما ، في قصة أسماء بنت يزيد الأنصارية رضى الله عنها ، والتى رواها مسلم في

صحيحه ، وكانت فصيحة حتى لقبت بخطيبة النساء ، فقد أتت النبى صلى الله عليه وسلم وهو جالس مع بعض أصحابه وقالت : يارسول الله ، أنا وافدة النساء إليك ، وقد أرسلك الله إلينا رجالا ونساء ، ولكنكم معشر الرجال فضلتم علينا بالجُمع والجماعات ، والحج والجهاد ، ونحن قعيدات بيوتكم ، نغزل ثيابكم ، ونربى أولادكم ، ونصنع طعامكم ، ونحفظ أموالكم ، ونصون عرضكم إذا رغبتم ، أفلا أجر لنا معكم ؟ فاستدار صلى الله عليه وسلم بكل وجهه الى أصحابه وقال : (أسمعتم مقالة امرأة في أمر دينها كهذه ؟) قالوا : لا يارسول الله ، فنظر إليها صلى الله عليه وسلم وقال : (أيتها المرأة ، إعلمى وأعْلِمى من خلفك من النساء ، أن حسن تبعل المرأة لزوجها يعدل ذلك كله) ، فانصرفت وهى تكبر حتى اختفت عن مجلسه صلى الله عليه وسلم .

هذه هى المساواة بين المرأة والرجل ، عرّفها الإسلام على حقيقتها ، وليس على ادعائها وزيفها كما ينادى بذلك جهلة اليوم من النساء والرجال على السواء ، أما التى تركت البيت باسم التعليم والثقافة ، وتعودت أن تخرج في الصباح ولا تعود إلا في المساء لنحو عشرين عاما أو ما يقرب ، من سن السادسة حتى تخرجت من الجامعة ، أيمكن بعد ذلك ردها إلى البيت كما أمرها خالقها ؟ لتكون سيدة بيت ومربية أسرة ؟ لا أظن ، وما كنا نتمنى هذا اليوم من أيام الأمة الإسلامية ، يوم أن أبيح للفتيات دخول الجامعات ، فطال بذلك بعد البنت عن البيت ، فأصبحت لا تراه إلا سجنا مظلما وجوا خانقا لا تطيق المكث فيه ، إلا للأكل أو النوم ، ولتختلط مع الفتى في الجامعة اختلاط النار بالحطب الهش وهما في سن الجموح الجنسى ، باسم التقدمية ورفع الكلفة والزمالة في طلب العلم ، ويا له من علم ، فلسفات ونظريات وانحرافات ، من تعاليم الشرق والغرب في أكثر الكليات ، حتى أصبحوا فتياننا وفتيات لا يعرفون شيئا عن دينهم ، بقدر ما يعرفون عن الذين احتلوا عقولهم ، وقد يقال إن هناك من الكليات ما ليس فيها الذى ذكرت ، حيث التعليم فيها دينى وعربى ، وبعضها ليس فيه اختلاط ، هذا صحيح ، ولكن جوهر المشكل باق ، وهو التعود على هجر المقر الذى أُمِرتْ من الله أن تقر فيه ، وترك حرفتها المنزلية المرموقة والموقوفة عليها ، والتى تصَدِّر بها إلى المجتمع البشري من صنع الأمومة صالح الانتاج من بنين وبنات ، فما جعل الله قلبين في جوف ، فهى ما استأنفت أى نوع من التعليم بعد المرحلة المتوسطة ، إلا وفي النية هجر البيت إلى الأبد ، حيث اتُفِقَ على أن تتوظف بعد التخرج ، وتترك البراعم الصغيرة الغالية في البيت للخادمة ، وكم فعلت الخادمات بمكنونات البيوت ، من إفساد أطفال ، وسرقات ، وتقويض ما بين الزوجين من صلات ، وغير ذلك كثير بما نسمع كل يوم .

فماذا علينا إذا وقفت البنت عند قدر من التعليم معين ، ثم تصان في البيت حتى تأتى إلى وظيفتها الأساسية في بيت الزوجية ، وقد أعدها الله أصلا لهذه الوظيفة الشريفة ، فمهما هربت منها وبلغت من أمر دنياها ما بلغت ، فلن يقتل ذلك فيها غريزة الميل إلى الزواج ، ولن يغنيها المنصب في الإدارات والشركات عن ذلك أبدا ٠

وإنى لأعرف الكثير ممن تمسكوا بتكريم الإسلام لبناتهم ، فإلى مرحلة محددة من التعليم ، وقبل أن تتعود العين غير البيت ، وقبل أن تتفتح الغريزة على ما شرع الله ، يردونها الى صونها في خدرها ، فبسط الله لهم في زواج بناتهم ، حتى لم تكد تينع الثمرة إلا وتمتد يد الحلال لتقطفها ، وهذا يحطم النظرية الخبيثة ، من أن البنت الآن أصبحت لا تتزوج إلا إذا تعلمت ووظفت ، وثبت العكس ، فأكثر العوانس منهن ، فإن غامر زميل لها في العمل كان ، وإلا فقلما يدق باب أهلها خاطب ٠

ولقد نتج عن كثرة الخريجات اللاتى يتحتم توظيفهن بعد التخرج مشكلة ، أصبح خطرها عالميا ، وليس فقط في أمتنا الإسلامية ، فالمكان الذى كان أصلا للرجل شغلته المرأة ، وأصبح على مدى الأيام تزداد البطالة بين الرجال وهم القوامون خطرها ، مما كثر معه الإجرام والسرقات والمظاهرات ، وحوادث الشغب والسطو على بيوت المال ، وأصبحت الدول الأجنبية التى رمتنا بدائها ، يعلو صراخ حكوماتها من تضاعف البطالة وانتشار الإجرام واختلال الأمن بسبب ذلك ، وعلى رأس هذه الدول أمريكا الغنية (سابقا) ، التى لا يطفح غناها إلا على إسرائيل ، والبطالة فيها تفتك بها بما سمعتم من إعلان حكوماتها أخيرا أكثر من مرة ، ونفس الأمر وأشد في زميلتها روسيا ، وهما الدولتان العظيمتان كما يقولون ، وبالتالى صار عالمنا الإسلامى يعانى نفس الخطر بما هو أخطر ، وتصريحات حكوماتنا تقرع أسماعنا ، والعلاج معروف ، والبيت مفتوح لتعود إليه مَنْ هجَرْته ، ولكن من يضع الجلجل - الناقوس - في عنق القط ؟ ٠

على أننا لا نغفل أن هناك من النساء من سلب أكثر حقهن إن لم يكن جميعه ، وهن اللواتى يعشن في القرى والصحراء في أنحاء عالمنا العربى والإسلامى ، فالكثير من الرجال هناك لازال ينظر إلى المرأة نظرة القرون الأولى ، فهى ليست إلا تلك الحقيرة التى تضرب بقسوة لأقل هفوة حتى يمزق جسدها ، ولا حق لها في أن تطلب بنفسها شيئا من غذاء أو كساء أو دواء ، ومحرومة نهائيا من حقها في الميراث ، ولكن سبب البلاء الذى أصاب هذه ، وسبب الوباء الذى أصاب أختها في الحضر ، هو عدم العمل بقانون السماء وتعطيل نصوصه وأحكامه ، فأصبحت المرأة عندنا بين مسلوبة الحق وأخرى سالبة للحق ٠ إن الكلام عن المرأة

شيء ما أظنه ينتهى ، لأنها نصف الإنس ، ولكن مع الأسف نصفه الأعوج ، ومع هذا كرمها الإسلام كتابا وسنة كما سمعنا القليل منه ، وحسبها أن سمى الله أطول سورة بعد البقرة باسمها ، وهى سورة النساء وزخرت هذه السورة وسور غيرها برفع شأنها ٠

ولكنها أذلت نفسها لما اتبعت الذين حرضوها ضد فطرتها وخلقتها من خارج بلادنا وداخلها ، فسلخوها عن دينها وأبعدوها عن ربها ، وألقوا بها في متاهات الحياة لتقاسي شظف العيش ومكاره الأيام ، والتى ناء بها الرجل بله المرأة ، وراحت أيضا تبتذل لتشعل الشهوة وتحرك الفتنة بالرقص والتمثيل والغناء الجنسى ، يجرها إلى ذلك تجار الربح السحت من أهل السينما والمسرح والمرقص والحانة ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ٠

ونحن الرجال ازاء هذا الأمر أنواع ثلاثة ، نوع قد عوفي من هذا البلاء ، ونوع غلب على أمره أمام هذا الإعصار العالى من التحرر ، حتى إنه ليشعر بالغربة داخل بيته ، لما قيل له من أهله (سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين) ، وهذا النوع المغلوب على أمره من أهله ، قريب من الأول بشرط ألا يكف عن النصح ما استطاع ولو لم يصغ إليه ، مداومة في الإعذار إلى الله تعالى ، وهذا أضعف الإيمان بالنسبة للأب والزوج وكل من له ولاية على المرأة ، فلا أحد يطلب من هؤلاء جميعا أن يضربوا أو يحطموا أو يطلقوا ، عسى أن تُجْنَى ثمرة النصح يوما ، إن لم يكن في الدنيا ففى الآخرة ، ونوع ثالث من الرجال راض بهذا السوء غير منكر له ولا بقلبه ، بل قد يدفع ويشجع ، فهذا لا يعذر أبدا لامن الله ولا من الناس ، لأنه (الديوث) الوارد في الحديث الصحيح ، ولأنه فقد حتى صفة الحيوان الذى هو معروف بغيْرته على أنثاه ٠

ونختم هذا الباب بما تعودناه في الأبواب السابقة بمجموعة من النصوص للمستفيد ، فعن الآيات القرآنية فقد أخذنا منها الكثير وبنينا بحثنا السابق الطويل عن المرأة من هذه الآيات ٠

وإليكم بعضا من الأحاديث الصحيحة ٠

١ ــ عن أبى أمامة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول : (ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرا من زوجة صالحة ، إن رآها أمرها أطاعته ، وإن نظر إليها سرته ، وإن أقسم عليها أبرته ، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله) رواه البخارى ٠

٢ ــ وعنه صلى الله عليه وسلم قوله : (ثلاثة لاترى أعينهم النار ، عين حرست في سبيل الله ، وعين بكت من خشية الله ، وعين كُفَّتْ عن محارم الله) الطبرانى ٠

٣ ـ وعنه صلى الله عليه وسلم قوله : (لا يخلوَنَّ أحدكم بامرأة إلا مع ذى محرم) البخارى ٠

٤ ـ وعنه صلى الله عليه وسلم قوله : (لأنْ يطعن في رأس أحدكم بِمخْيط من حديد ، خير له من أن يمس امرأة لا تحل له) رواه البيهقى ٠

٥ ـ قال صلى الله عليه وسلم : (لا تنكح الأيم حتى تستأمر ، ولا البكر حتى تستأذن) قالوا : يارسول الله ، كيف إذنها ؟ قال : (أن تسكت) أبو داود ٠

٦ ـ وعن خنساء بنت خدام ، أن أباها زوجها وهى ثيب دون أن تستأمر فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم تشكو ، فرد نكاحها) رواه ابن ماجه ٠

٧ ـ وعن ابن عباس رضى الله عنه ، أن جارية بكرا أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكرت له أن أباها زوجها وهى كارهة ، فخيرها النبى صلى الله عليه وسلم ، ـ أى بين أن تأبى أو تقبل ٠

وحسبنا هذا القدر من الأحاديث الصحيحة ، ونقدم أقوالا ممن شهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كاذبين لما غرروا بالمرأة وأخرجوها من خدرها ليزجوا بها إلى هلاكها ٠

٨ ـ في مؤتمر (كلفرينا) الذى انعقد لهذا الأمر ، قدم بحث اعتبره أحسن البحوث التى قدمت إليه ، وهو من الدكتورة (إليانور ماكوبى) ، ونكتفى بأن تأخذ منه ما يلى : ـ

إن الاختلافات بين الرجال والنساء أقوى مما نظن حتى في الناحية العضوية ، ففى خلال الأربعين سنة الأخيرة ، وهى الفترة التى فتحت الجامعات والمعاهد العليا أبوابها للفتيات ، دلت على ضعف الإنتاج النسوى والابتكار المفيد أمام ما يفعله الرجال ، حتى في المجالات الأدبية ، وبرز تخلف المرأة بعد دراسة حالة أربع مائة ممن حصلوا على (الدكتوراه) من النوعين ، فاتضح أن عددا قليلا من هؤلاء المتعلمات حاولن الاندماج في المشكلات العلمية لابتكار نظريات جديدة ، والباقيات وقفن حيث هن ، ولم تكن عقبتهن الزواج ولا الأولاد ، لأن الانتاج العلمى لمن تزوجن تساوى مع من بقين بغير زواج ، وحتى في بداية الدخول للجامعات كانت نتيجة التحليلات أن الذكاء الذى يؤهل للدراسات الجامعية كان متفوقا عند الفتيان أكثر منه عند الفتيات ، وأن السبب هو النقص في الصفات التحليلية للعقل عند النوعين ، انتهى كلام الدكتورة (إليانور ماكوبى) ٠

٩ ـ وقالت الباحثة (ماريامان) : ـ

إن النساء مصابات باضطراب عقلى ـ ألم نسبق نحن بقول نبينا : (ناقصات عقل ودين) ؟ ـ يجعل الأنوثة مثلا أعلى لديهن يضمن لهن السعادة ، فهن يَحْرِصْنَ على إظهار ما يلفت أنظار الرجال إليهن بالطبيعة أو بالصنعة عند خروجهن إلى وظائفهن ، ولو رضين بأصل تكوينهن إكتفاء بالزواج ، والتَّفَنن في طهو الطعام وتربية الأولاد ومعاونة الزوج لكان ذلك أفضل لهن ، فإذا خالفت إحداهن ذلك فقد خرجت على التقاليد ـ ونحن قلنا : خرجت على تعاليم الإسلام ـ وهذا سر تخلفها العلمى لما دخلت قاعات الجامعات ، ولهذا فإن قلة من النساء يحصلن على التفكير التحليلى . ـ انتهى كلام الباحثة (ماريا) وهى واحدة منهن كان المفروض أن تتعصب لبنات جنسها .

١٠ ـ وقف (المارشال ، بيتان) رئيس فرنسا أثناء هزيمتها المنكرة أمام جيوش الألمان في الحرب العالمية الثانية ليقول : ـ

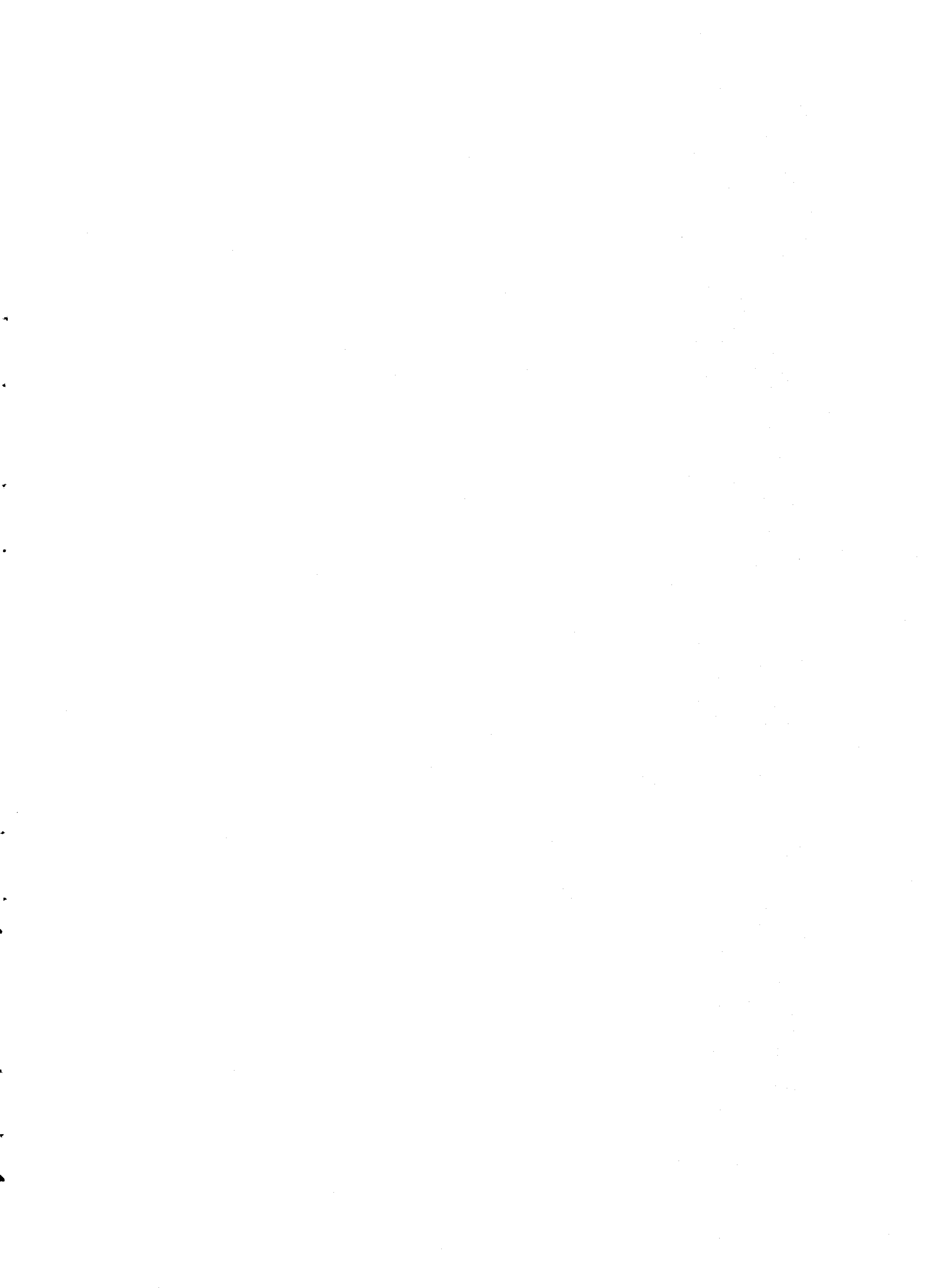
أيها الفرنسيون ، إن سبب الهزيمة هو انغماسكم في الملذات مع الجيش المحيط بكم من السيدات ، فانشغلتم بذلك بدل جيش الألمان ، زنوا خطاياكم فإنها ثقيلة الميزان ، إنكم نبذتم الفضيلة وكل المبادىء الروحية ، ولم تريدوا أطفالا فهجرتم حياة الأسرة ، وانطلقتم وراء الشهوات تطلبونها في كل مكان ، فانظروا الى أى مصير قادتكم الشهوات .

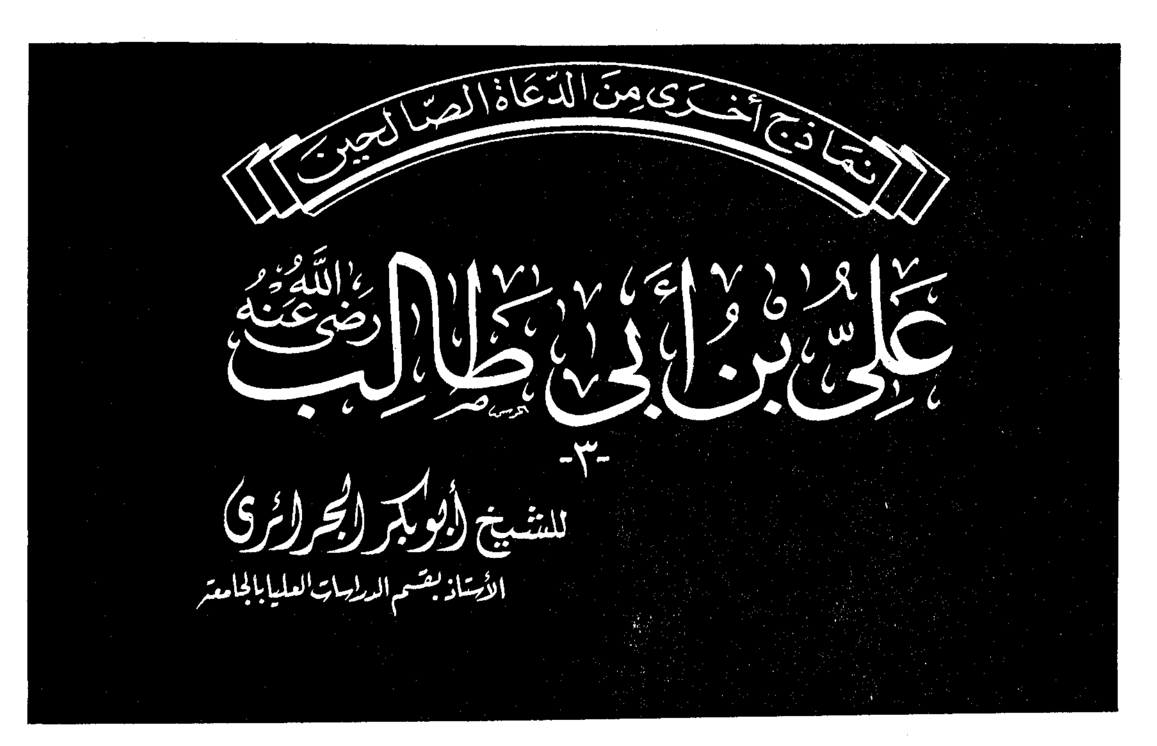
وهكذا ينطقون بديننا ولو لم يؤمنوا به (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم) صدق الله العظيم ، ثم راحوا يصنعون لنا حقوقا للإنسان ، فيا عجبا ! فأيهما أنفع ؟ ما وضعه خالق الإنسان ، أم الذى وضعه الإنسان لنفسه ؟ * .

*** تعليق التحريـــر :**

قد كان من المناسب أن يعقد الكاتب مقارنة يضمنها نبذة عن حال المرأة المهين قبل الإسلام عند كل من الرومان ، واليهود ، والنصارى ، والهنود ، ثم يخلص إلى تكريم الإسلام لها بما قرر لها من حقوق لم ـ ولن يقررها أى نظام بشرى ، ثم ينتهى إلى محاولات ذوى الأهواء ـ الذين طمس الله على قلوبهم ـ إعادتها إلى ما كانت فيه من مهانة بدعوى تكريمها ، ومحاولة نيل حقوقها السليبة ، ومساواتها بالرجـــل .


سيرة
و
تاريخ





هذا هو الأنموذج الرابع والحلقة الأخيرة من السلسلة الثانية لنماذج من الدعاة الصالحين ألا وهو أبو الحسن على بن أبى طالب رضى الله عنه وأرضاه ، وجعل الجنة مأواه .

نسبـــــــــه :

إن نسب على بن أبى طالب هو النسب الشريف لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ هما أبناء العم فمحمد رسول الله هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، وعلى هو ابن أبى طالب بن عبد المطلب ، ومن هنا وبهذا ونحيل على النسب الشريف الى عدنان المنحدر من إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام .

وكنيته رضى الله عنه أبو الحسن أو أبو السبطين : الحسن والحسين ابنى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد أن له كنية أخرى هى من أحب الكنى إليه ألا وهى أبو تراب ولهذه الكنية سبب هو أنه خرج يوما مغاضبا لفاطمة رضى الله عنهما فأتى المسجد ونام فيه ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلبه فقالت له فاطمة لقد خرج مغاضبا فطلبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده في المسجد نائما والتراب قد علا بعض جسمه ، فجعل صلى الله عليه وسلم ينفض التراب عنه ويقول قم أبا تراب ، فكانت تلك كنيته المفضلة لديه .

علمـــــــــه

إن من أهم جوانب حياة الداعية الإسلامى الجانب العلمى إذ العلم ضرورى للداعية المسلم وفي مثل هذا الجانب تكون الأسوة ، وعلى بن أبى طالب كان على جانب كبير من العلم والفقه في دين الله تعالى وحسبه شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم له بقوله : أنا مدينة العلم وعلى بابها أخرجه الترمذى والحاكم وهو حسن الاسناد ، وليس كما قيل موضوعا ولا صحيحا لذا قال السيوطى في تاريخه ومن شعب العلم التى برز فيها على رضى الله عنه : القضاء فقد كان أقضى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد شهد له بذلك عبد الله ابن مسعود حيث قال ، أفرض أهل المدينة وأقضاهم على بن أبى طالب . اخرجه ابن عساكر .

كما أخرج الحاكم قول ابن مسعود رضى الله عنه : كنا نتحدث أن أقضى أهل المدينة على .

وأخرج ابن سعد في طبقاته عن ابن عباس قوله : كنا إذا حدثنا ثقة عن على بفتيا لا نعدوها . وكما أخرج عن عمر رضى الله عنه أنه كان يتعوذ من معضلة ليس فيها ابو الحسن ومن الأقوال المأثورة مشكلة ولا أبا حسن لها . بل هو قول عمر رضى الله عنه .

ولا عجب أن يطول باع ابن أبى طالب في العلم حتى لا يدانى أو يجارى وهو الصاحب الذى عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه من يوم نبى إلى أن قبض عليه الصلاة والسلام .

أخرجه الحاكم وصححه عنه رضى الله عنه قوله بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن فقلت يارسول الله بعثتنى وأنا شاب أقضى بينهم ولا أدرى ما القضاء ؟ فضرب صدرى بيده ، ثم قال : اللهم اهد قلبه وثبت لسانه فو الذى خلق الحبة ما شككت في قضاء بين اثنين .

وهذه الرواية تكشف عن سر علم علي وفقهه في دين الله تعالى .
وكعلمه الواسع في القضاء علمه بالتفسير والأدب والحكمة .

فعن الأول نستشهد بما أخرج ابن سعد عنه رضى الله عنه إذ قال والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم نزلت وأين نزلت وعلى من نزلت ، إن ربى وهب لى قلبا عقولا ولسانا

صادقا ناطقا · كما أخرج أيضا عن أبى الطفيل قال ، قال على : سلونى عن كتاب الله فإنه ليس من آية إلا وقد علمت بليل نزلت أم بنهار ، وفي سهل أم في جبل ·

ويشهد لهذين القولين : قوله رضى الله عنه في الصحيح : ما خصنا رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن آل البيت بشيء إلا مافي هذه الصحيفة أو فهما يؤتاه الرجل في كتاب الله ·

وعن الثانى والثالث نستشهد بالروايات التالية : أخرج أبو نعيم في حليته عنه وقال قال على رضى الله عنه : الحزم سوء الظن · والقريب من قربته المودة وإن بعد نسبه والبعيد من باعدته العداوة وإن قرب نسبه ولا شيء أقرب من اليد إلى الجسد وإن اليد إذا فسدت قطعت ، وإذا قطعت حسمت ·

وأخرج سعيد بن منصور في سننه عنه رضى الله عنه أنه قال : خمس خذوهن عنى : ألا يخافن أحد منكم إلا ذنبه ، ولا يرجون إلا ربه ، ولا يستحى من لا يعلم أن يتعلم ، وإن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، إذا ذهب الصبر ذهب الإيمان ، وإذا ذهب الرأس ذهب الجسد وقال الفقيه كل الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله ، ولم يرخص لهم في معاصى الله ، ولم يؤمنهم من عذاب الله ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره · ألا لا خير في عبادة لاعلم فيها ، ولا علم لافهم معه ، ولا قراءة لا تدبر فيها ·

سرعة بداهته وقوة حجتــه

مما تميز به على بن أبى طالب بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سرعة البداهة فقد كان يسأل عن المعضلات فيجيب بما هو شفاء فيها على البداهة بدون ترو ولا تفكر وكان ذا حجة قوية إذا قال أو خطب ، أو خاصم وتذكر لسرعة بداهته الحادثة التالية : ذكر ابن عبد البر في الاستيعاب في الجزء الثالث عند الكلام على على رضى الله عنه قال روى عن زر بن حبيش أن رجلين جلسا يتغديان مع أحدهما خمسة أرغفة ومع الآخر ثلاثة أرغفة ، فلما وضع الغذاء بين أيديهما مر بهما رجل فسلم ، فقالا اجلس للغذاء فجلس وأكل معهما واستوفوا في أكلهم الأرغفة الثمانية ، فقام الرجل وطرح اليهما ثمانية دراهم وقال : خذا هذا عوضا عما أكلت لكما ونلته من طعامكما فتنازع الرجلان في قسمة الدراهم الثمانية بينهما ، وقال صاحب الخمسة الأرغفة لى خمسة دراهم ، وقال لصاحب الثلاثة لك ثلاثة دراهم · فأبى صاحب الثلاثة الأرغفة إلا أن تكون الدراهم بينهما نصفين ، فارتفعا إلى أمير المؤمنين على بن

أبى طالب رضى الله عنه وقصا عليه قصتهما ، فقال لصاحب الثلاثة الأرغفة : قد عرض عليك صاحبك ما عرض ، وخبزه أكثر من خبزك فارض بالثلاثة فقال لا والله ، لا رضيت منه إلا بغير الحق · فقال على رضى الله عنه ليس لك في مر الحق إلا درهم واحد ، وله سبعة · فقال الرجل سبحان الله يا أمير المؤمنين · وهو يعرض على ثلاثة فلم أرض ، وأشرت على بأخذها فلم أرض ، وتقول لى الآن أنه لا يجب في مر الحق إلا درهم واحد فقال له على : عرض عليك صاحبك الثلاثة صلحا فقلت لم أرض الا بمر الحق ولا يجب لك بمر الحق الا واحد · فقال الرجل : فعرفنى بالوجه في مر الحق حتى أقبله فقال على رضى الله عنه : أليس للثمانية الأرغفة أربعة وعشرون ثلثا ، أكلتموها وأنتم ثلاثة أنفس ولا يعلم الأكثر منكم أكلا ولا الأقل ، فتجعلون في أكلكم على السواء ؟ قال بلى ، قال فأكلت أنت ثمانية أثلاث ، وإنما لك تسعة أثلاث ، وأكل صاحبك ثمانية أثلاث وله خمسة عشر ثلثا ، أكل منها ثمانية ، ويبقى له سبعة ، وأكل لك واحد من تسعة ، فلك واحد ـ أى درهم ـ بواحدك ، وله سبعة بسبعته · فقال الرجل رضيت الآن !!!

فهذه الحادثة تدل دلالة واضحة على ماكان يتمتع به على ويمتاز به من سرعة البداهة وذلك لفرط ذكائه وصفاء نفسه · ونظير هذه الحادثة قضاؤه في التى ولدت لستة أشهر بأن الولد للزوج بعد أن حكم عليهما عثمان رضى الله عنه بالرجم لكونها أتت بولد زنى · نظر على في قول الله تعالى وحمله وفصاله ثلاثون شهرا فقال : الحولان للرضاع ، والستة أشهر للحمل ، فمن ولدت لستة أشهر فما فوق فالولد للزوج ، ومن ولدت لأقل فالولد لغير الزوج ·

أما عن قوة حجته فكتاب الشريف الرضى المعروف بنهج البلاغة قد حوى الكثير من خطب على ورسائله ، وحجاجه ومناظراته وهى تفيض بالبلاغة والحكمة وفصل الخطاب ، فليرجع إلى ذلك الكتاب من شاء ليقف على كمال على في بيانه وبلاغته وقوة حجته ، وهى حاجة الداعى الناجح في دعوته ، ولنذكر هنا وصفا له رضى الله عنه وصفه به ضرار الصدائى بأمر من معاوية ، إذ روى ابن عبد البر في الاستيعاب أن معاوية رضى الله عنه قال يوما لضرار الصدائى ياضرار صف لى عليا فقال أعفنى يا أمير المؤمنين · قال لتصفنه ، قال أما إذ لا بد من وصفه · فكان والله بعيد المدى ـ شديد القوى ، يقول فضلا ، ويحكم عدلا ، يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه ، ويستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل ووحشته وكان غزير الغيرة طويل الفكرة ، يعجبه من اللباس ما قصر ، ومن الطعام ماحسن ، وكان فينا كأحدنا ، يجيبنا اذا سألناه ، وينبئنا اذا استنبأناه ، ونحن والله مع تقريبه إيانا وقربه منا لانكاد نكلمه هيبة له ، يعظم أهل الدين ويقرب المساكين ، ولا يطمع القوى

في باطله ، ولا ييأس الضعيف من عدله ، وأشهد أنه لقد رأيته في بعض مواقفه ، وقد أرخى سدوله ، وغارت نجومه قابضا على لحيته يتململ تململ السليم ويبكى بكاء الحزين ويقول يادنيا غرى غيرى ، إلى تعرضت أم إلى تشوقت ! هيهات هيهات !! قد باينتك ثلاثا لا رجعة فيها ٠ فعمرك قصير ٠ وخطرك قليل ٠ آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق !!!

فبكى معاوية وقال رحم الله أبا الحسن ، كان والله كذلك ٠ فكيف حزنك عليه ياضرار ؟ قال : حزن من ذبح ولدها وهو في حجرها .... أو قال واحدها في حجرها ....

فمن هذا الوصف الصادق تتجلى كمالات على رضى الله عنه النفسية التى هى موضع الاقتداء ، ومحط الائتساء ٠ إنها علم وحلم وإيمان وتقوى وكياسة ، وحسن سياسة ، شجاعة قلب ، ورجاحة عقل ، زهد في الدنيا شديد ورغبة في الآخرة وحب فيها أكيد ٠

وفي مثل هذه الخلال الجميلة ، والخصال الحميدة ، يكون الاقتداء ويطلب الائتساء ٠

شجاعته وبطولتـــه :

إن شجاعة على وبطولته سارا بين الناس مسار الأمثال فما ذكرت الشجاعة ولا البطولة إلا وذكر على بن أبى طالب معهما ٠ إن أول فدائى في الإسلام كان على بن أبى طالب وذلك أنه لما عزم الرسول صلى الله عليه وسلم على الهجرة بعد قرار قريش القاضى بقتله صلى الله عليه وسلم على أيدى جماعة من شباب القبائل القريشية ليتوزع دمه بين القبائل فلا يقدر بنو هاشم على طلبه ٠ تركه على فراشه وخرج صلى الله عليه وسلم وظل المشركون بباب المنزل ينتظرون خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا بالذى يخرج على بن أبى طالب فسقط في أيديهم ، ونجا رسول الله صلى الله عليه وسلم من بينهم ٠ وضرب بذلك على أعلى مثل في الفدائية والتضحية ٠

والشواهد على شجاعة على وبطولته كثيرة فلنكتف منها بذكر ما يلى :

١ ـ اضطلاعه رضى الله عنه يوم بدر بحمل لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومبارزته الوليد بن عتبة وقتله اياه على الفور فلم يمهله ، وعلى يومئذ ابن عشرين سنة ٠

٢ ـ تقليد رسول الله صلى الله عليه وسلم له الراية يوم خيبر ، وما أظهر رضى الله عنه من بطولات خارقة في غزوة خيبر ، وحسبه أن كان فتح خيبر على يديه رضى الله عنه ٠

٣ ــ ثباته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، ويوم حنين وبلاؤه البلاء الحسن في هاتين الوقعتين العظيمتين ٠

٤ ــ شهوده كل غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث لم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم قط اللهم إلا ما كان من غزوة تبوك حيث خلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة على أهله ٠ ولما قال على رضى الله عنه تخلفنى يارسول الله مع النساء والصبيان ؟ قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبى بعدى ...

٥ ــ عدم تخلفه عن الجهاد مع الراشدين قبله أبى بكر وعمر وعثمان ، ومواقفه الشهيرة في كل الحروب التى خاضها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن توفى رضى الله عنه وأرضاه ٠

وموجز القول أن عليا رضى الله عنه كان مثالا عاليا في الشجاعة والبطولة وأنه أسوة صالحة في هذا الباب لمن أراد الائتساء به رضى الله عنه في شجاعته وبطولاته ٠

عدلــه وسياستـــه :

إن خلافة على رضى الله عنه كانت أربع سنوات وتسعة أشهر فقط ، ومع ما صاحبها من فتن داخل الجماعة الإسلامية وأشهرها وقعة الجمل ، وصفين ، وقتال الخوارج بالنهروان ، فإنها كانت خلافة راشدة أتم الله بها العصر الذهبى في تاريخ أمة الإسلام ، وقد روى في ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدى ثلاثون سنة ، ثم تكون ملكا عضوضا ٠

لقد ساس علىٌّ الأمة الإسلامية بالعدل والرحمة ، وأخذها بالعلم ، والحكمة ، ومن مظاهر عدله في الأمة أنه كان لا يحبس مالا في بيت المال بل يوزعه كله حتى أنه كان يكنس بيت المال بيده ويصلى فيه ، رجاء أن يشهد له أنه لم يحبس فيه المال عن المسلمين ٠

ذكر الطبرى في تاريخه ج ٦ ص ٩٠ عن أبى رافع خازن بيت المال في عهد على قال دخل على يوما وقد زينت ابنته فرأى عليها لؤلؤة من بيت المال كان قد عرفها ٠ فقال : من أين لها هذه ؟ لله على أن أقطع يدها ، فلما رأيت جده في ذلك قلت أنا يا أمير المؤمنين زينت بها ابنة اخى ، ومن أين كانت تقدر عليها لو لم أعطها ؟ فسكت ٠

ومن ذلك أنه فقد يوما درعه فوجدها بيد يهودى فقاضاه إلى قاضيه شريح ، وتقدم فجلس إلى جنب القاضى وقال لولا أن خصمى يهودى لاستويت معه في المجلس ، ولكنى سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : اصغروهم ممن حيث أصغرهم الله · فقال القاضى قل يا أمير المؤمنين فقال : نعم هذه الدرع التى في يد هذا اليهودى درعى لم ابع ولم أهب ، فقال شريح ايش تقول يا يهودى ، قال درعى وفي يدى ، فقال شريح ألك بينة ، يا أمير المؤمنين ؟ قال نعم ، قنبر والحسن يشهدان أن الدرع درعى · فقال شريح شهادة الابن لا تجوز للأب · فقال على رجل من أهل الجنة لا تجوز شهادته ؟ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة !! فقال اليهودى أمير المؤمنين قدمنى إلى قاضيه وقاضيه قضى عليه · أشهد أن هذا هو الحق ، وأشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ، وأن الدرع درعك وحسب على شهادة على عدله ورحمته وحكمته أن يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : على مع القرآن ، والقرآن مع على لا يفترقان حتى يردا على الحوض رواه الطبرانى في الأوسط والصغير عن أم سلمة رضى الله عنها ·

ومن هنا كانت سياسة على قرآنية تعتمد على الصدق والوفاء والعدل والرحمة والحكمة بعيدة عن الخداع والمكر والدهاء وهى عناصر تقوم عليها سياسة أبناء الدنيا في كل زمان ومكان ، وأما ابن أبى طالب رضى الله عنه فما أبعده عن هذه الأجواء والمناخات الوبيئة الخانقة التى لا تصلح لحياة الربانيين مثل على رضى الله عنه ·

ونختم هذا الفصل في الحديث عن عدل على وسياسته بكلمة قالها فيه أحد الغربيين : قال : كان على يعوزه حزم الحاكم ودهاؤه · برغم ما كان يمتاز به من الفضائل الكثيرة ، فقد كان نشيطا ذكيا بعيد النظر بطلا في الحرب ، مشيرا ، حكيما ، وفيا شريف الخصومة ، نبغ في الشعر والبلاغة واشتهرت خطبه وأشعاره في الشرق الإسلامي ·

وكانت تنقصه الحنكة السياسية ، وعدم التردد في اختيار الوسائل ايا كانت لتثبيت مركزه ، ومن ثم تغلب عليه منافسوه الذين عرفوا أول الأمر أن الحرب خدعة ، والذين كانوا لا يتورعون عن ارتكاب أى جرم يبلغ بهم الغاية ويكفل لهم النصر ·

أثبتنا هذه المقالة لهذا الغربى لاتفاقها مع ما قرناه من بعد حكم على وسياسته عن المكر والدهاء والخداع والتضليل التى هى سدى ولحمة الساسة والسياسة اليوم وقبل اليوم من غير الربانيين كالخلفاء الراشدين رضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين ·

وفاتـه رضى الله عنـــه :

إن وفاة على رضى الله عنه كانت بالكوفة ليلة الأحد التاسع عشر من رمضان سنة أربعين هجرية وذلك أنه لما انتهت معركة الجمل وعاد على رضى الله عنه إلى الكوفة ، خرج معاوية بن أبى سفيان ومن معه من أهل الشام خرجوا عنه رضى الله عنه ، فبلغ ذلك عليا فسار اليهم فالتقوا بصفين في شهر صفر سنة سبع وثلاثين ، واقتتلوا ودام القتال أياما ، فرفع أهل الشام المصاحف يدعون إلى ما فيها ، وكان ذلك مكيدة منهم د برها عمرو بن العاص ، فكره الناس الحرب ، وتداعوا إلى الصلح ، وحكموا الحكمين · فحكّم على أبا موسى الأشعرى وحكّم معاوية عمرو بن العاص ، وكتبوا بينهم كتاباً على أن يوافوا رأس الحول بأذرح (١) ، فينظروا في أمر الأمة ، فافترق الناس ، ورجع على إلى الكوفة ومعاوية إلى الشام ، فخرج على على رجال من أصحابه وقالوا لا حكم إلا لله ، وعسكروا بحروراء (٢) فسموا بذلك الخوارج ، فبعث اليهم على رضى الله عنه ابن عباس فخاصمهم وحاجهم فرجع منهم أناس كثير إلى طاعة على رضى الله عنه ، وثبت على الباطل منهم أناس كثير وساروا إلى النهروان وعرضوا للسبيل فسار إليهم على فقتلهم بالنهروان وذلك سنة ثمان وثلاثين · واجتمع الناس بأذرح في شعبان من هذه السنة ، وحضرها سعد بن أبى وقاص وعبد الله بن عمر وغيرهما من الصحابة · فقدم عمرو بن العاص أبا موسى الأشعرى مكيدة منه فتكلم وخلع عليا ، لأن أصلْ التحكيم كان على أساس أن يُخلع كل من معاوية وعلى ، وتختار الأمة بعد ذلك برضاها من شاءت ، غير أن عمرو استعمل دهاءه فقدم أبا موسى ليتكلم ويخلع صاحبه ففعل ، ولما تكلم عمرو لم يخلع صاحبه - معاوية - بل أقره ، وبايع له · فتفرق الناس على هذا ، وصار على على خلاف من أصحابه ، حتى كان يعض على أصبعه ويقول : اعصى ويطاع · وهنا انتدب ثلاثة من الخوارج أنفسهم لقتل على ومعاوية وعمرو بن العاص بحجة أنهم هم الذين فرقوا كلمة المسلمين وشتتوا أمرهم ، وكان الخوارج الثلاثة عبد الرحمن ملجم المرادى ، والبرك بن عبد الله التميمى ، وعمرو بن بكير التميمى وقد اجتمعوا بمكة وتعاهدوا على أن يقتل عليا ابن ملجم ، ويقتل معاوية البرك ، ويقتل عمرو عمرو بن بكير · على أن يتم ذلك في ليلة واحدة وهى ليلة السابع عشر من رمضان · فأما قاتل معاوية فإنه لم يتمكن منه ، وأما قاتل عمرو فإنه لم يقتل عمرو ، وإنما قتل خارجة ، لأنه تربص بعمرو عند باب المسجد فلم يخرج عمرو تلك الليلة لأنه كان مريضا فانتدب قاضيه خارجة بن حذافة ليصلى بالناس فضربه ظنا منه أنه عمرو

---

(١) قرية من قرى الشام ·

(٢) حاروراء : موقع بالكوفة ·

ابن العاص فقتله ، ولما تبين له أنه لم يقتل عمراً قال أردت عمراً وأراد الله خارجة فكانت مثلا سائدا بين الناس . وأما قاتل على فقد تمكن منه عند خروجه من منزله وهو ذاهب إلى المسجد لصلاة الصبح وبموت على رضى الله عنه انتهت الخلافة الراشدة ، وانتقلت إلى الملك العضوض كما ورد بذلك الخبر .

واستشهد على وعمره ثلاث وستون سنة فرضى الله عنه وأرضاه ، ومن كراماته أنه قال لابنه الحسن : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة وقلت له يارسول الله ماذا لقيت من الأمة من الأود واللدد (١) ؟ فقال لى ادع الله عليهم فقلت اللهم أبدلنى بهم خيرا منهم ، وأبدلهم بى شرا لهم منى وما أن فرغ من قص رؤياه على الحسن حتى ناداه مناديه للصلاة فخرج من الباب ينادى أيها الناس الصلاة الصلاة فاعترضه ابن ملجم فضربه بالسيف فأصاب جبهته إلى قرنه وكان ذلك صبيحة الجمعة فأقام الجمعة والسبت وقبض ليلة الأحد فرضوان الله عليه في المؤمنين ، وسلامه عليه في المسلمين .

لاتشيرنّ على....

أوصى ابن هبيرة ولده فقال :

لاتكن أول مشير ، وإياك والهوى والرأى الفَطير ، ولاتشيرنَّ على مستبد ، ولا على وغد ، ولا على متلون ولا لجُوج .

وخف الله فى موافقة هوى المستشير ، فإن التماس موافقته لؤم ، وسوء الاستماع منه خيانة .

---

(١) الاود : الكد والتعب . اللدد : الخصومة الشديدة .

قوة العقيدة

سبيل النصر في غزوة بدر الكبرى

-٣-

د. محمد عبد المقصود جاب الله
مدرس في كلية الدعوة بالجامعة

وانطلق سواد مكة وهو يغلي يمتطي الصعب والذلول فكانوا تسعمائة وخمسين مقاتلاً معهم مائتا فرس يقودونها ، وسبعمائة بعير ومعهم القيان يضربن بالدفوف ويغنين بشعر فيه ذم للمسلمين ٠

وزين الشيطان للمشركين أعمالهم ، وأوحى إليهم بأحلام النصر ، وماذا على الشيطان لو انهزموا سوى أن يتركهم وخزيهم ٠ « وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لاغالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه ، وقال إني بريء منكم إني أرى مالا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب » (الأنفال آية ٤٨) ٠

ولكن أبا سفيان استطاع أن ينجو من الخطر المحدق به بتعديل سيره عن طريق ساحل البحر تاركاً بدراً إلى يساره ، ورأى أبو سفيان أنه أحرز القافلة فأرسل إلى قريش يقول : إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورحالكم وأموالكم وقد نجاها الله ، فارجعوا ٠

فقال أبو جهل : « والله لا نرجع حتى نرد بدراً فنقيم فيها ثلاثا ننحر الجزور ، ونطعم الطعام ، ونسقي الخمر ، وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبداً (١) ٠

---

(١) أبو الفداء عن ابن اسحاق ٢٦٦/٣ . ابن هشام ٦١٨/١ ـ ٦١٩ ٠

وهذا الذى عالن به أبو جهل هو ما كان يحاذره الرسول صلى الله عليه وسلم فإن دعم مكانة قريش ، وامتداد سطوتها في هذه البقاع بعد أن فعلت بالمسلمين ما فعلت يعتبر خطراً على الإسلام ووقفا لنفوذه ؛ لذلك لم يلتفت الرسول صلى الله عليه وسلم لفرار القافلة التفاته لضرورة التجوال المسلح في هذه الأنحاء إعلاءً لكلمة الله ، وتوهيناً لكلمة الشرك ، واظهاراً لعبدة الأصنام بمظهر الذى لا يملك نفعا ولا ضراً ·

ومضت قريش في سيرها مستجيبة لرأى أبى جهل حتى نزلت بالعدوة القصوى من وادى بدر ·

وكان المسلمون قد انتهوا من رحيلهم المضنى إلى العدوة الدنيا بعد أن قطعوا في مسيرهم مسافة تربو على مائةٍ وستين كيلومتراً « ١٦٠ » وهكذا اقترب كلا الفريقين من الآخر وهو لا يدرى ماوراء هذا اللقاء الرهيب ·

وهبط الليل فأرسل النبى صلى الله عليه وسلم عليا ، والزبير ، وسعداً يتحسسون الأحوال ويلتمسون الأخبار ، فأصابوا غلامين لقريش كانا يَمُدَّانِهم بالماء · فأتوا بهما وسألوهما ـ ورسول الله قائم يصلى ـ فقالا نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم الماء ، فكره القوم هذا الخبر ، ورَجوْا أن يكونا لأبى سفيان ـ لا تزال في نفوسهم بقايا أمل للاستيلاء على القافلة ـ فضربوهما ضربا موجعاً حتى اضطر الغلامان أن يقولا نحن لأبى سفيان فتركوهما ، ولما فرغ الرسول عليه الصلاة والسلام من صلاته قال :

إذا صدقاكم ضربتموهما وإذا كذباكم تركتموهما (١) صدقا والله إنهما لقريش » وناقشهما الرسول عليه الصلاة والسلام حتى استنتج عدد القوم وهو ما بين التسعمائة والألف ، وعرف مكانهم ، وعرف أن أشراف قريش قد خرجوا جميعا ·

فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس فقال : « هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها (٢) وانكشف وجه الجد في الأمر · إن اللقاء المرتقب سوف يكون مُرَّ المذاق · لقد أقبلت قريش تخب في خيلائها تريد أن تعمل العمل الذى يرويه القصيد ، وتذرع المطايا به البطاح ، وتحسم به صراع خمسة عشر عاما مع الإسلام ؛ لتنفرد بعدها الوثنية بالحكم النافذ ·

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ١٢/ ١٢٥ ، مسند أحمد رقم ٩٤٨ ، ابن هشام ١/ ٦١٧ ، أبو الفداء ٣/ ٢٦٥ ·
(٢) ابن هشام ١/ ٦١٧ ، أبو الفداء ٣/ ٢٦٥ ·

ونظر الرسول صلى الله عليه وسلم حوله ، فوجد أولئك المؤمنين بين مهاجر باع في سبيل الله نفسه وماله ، وأنصارى ربط مصيره ، وحاضره بهذا الدين الذى افتداه وآوى أصحا به ٠

فأحب أن يشعر القوم بحقيقة الموقف ، حتى يبصروا على ضوئه ما يفعلون ٠ والمسلمون الذين خرجوا لأمر يسير ما لبثوا أن ألفوا أنفسهم أمام امتحان شاق ، تيقظت له مشاعرهم ، فشرعوا يقلبون الأمر على عجل ، تكاليفه ونتائجه ، وثار منطق اليقين القديم فأهاج القوم إلى الخطة الفذة التى لا محيص عنها لمؤمن ٠

استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحا به فقام أبو بكر رضى الله عنه فقال وأحسن ، ثم قام عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال وأحسن ، ثم قام المقداد بن عمرو رضى الله عنه فقال : يارسول الله امض لما أمرك الله فنحن معك ٠ والله لانقول لك ما قال بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون مادامت عين تطرف ـ فوالذى بعثك بالحق ـ لو سرت بنا إلى برك الغماد (مدينة بالحبشة) لجالدنا معك من دونه حتى نبلغه فقال له الرسول : خيراً ودعا له ٠

وروى أن الرسول صلى الله عليه وسلم ضحك وأشرق وجهه عندما سمع مقالة المقداد وبايعه الناس جميعاً فقال الرسول صلى الله عليه وسلم « أشيروا علَّى أيها الناس ؟ « فقال عمر رضى الله عنه : « يارسول الله إنها قريش وعزُّها والله ماذلت منذ عزت ، ولا آمنت منذ كفرت والله لتقاتلنك فتأهبْ لذلك أهبته ، وأعد لذلك عدته » ٠

وأعاد الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن فرغ عمر من قوله سؤاله قائلًا : « أشيروا على أيها الناس » ؟ ففهم الأنصار أن الرسول عليه الصلاة والسلام يقصدهم ، فهم كانوا قد بايعوه يوم العقبة على أن يمنعوه مما يمنعون منه أبناءهم ونساءهم ، ولم يبايعوه على اعتداء يقع خارج مدينتهم ، فلما أحسوا أنه يريدهم قام سعد بن معاذ سيد الأوس وقال : « لعلك تريدنا معاشر الأنصار يارسول الله ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : « أجل » قال سعد رضى الله عنه : قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، ولعلك يارسول الله تخشى أن تكون الأنصار ترى عليها أن لا ينصروك إلا في ديارهم ، وإنى أقول عن الأنصار وأجيب عنهم ، فاطعن حيث شئت ، وصل حبل من شئت ، واقطع حبل من شئت ، وسالم من شئت ، وعادِ من شئت ، وخذ من أموالنا ما شئت ، وما أخذت منَّا كان أحب إلينا مما تركت ، وما أمرت فينا من أمر فامرنا نتَّبع

أمرك . فامض يارسول الله لما أردت فنحن معك والذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا ، وإنا لصُبُرٌ في الحرب صُدُقٌ عند اللقاء ، لعلَّ الله يريك منَّا ماتقر به عينك فسر بنا على بركة الله تعالى فنحن عن يمينك وشمالك وبين يديك ومن خلفك » .

فسُرَّ الرسول صلى الله عليه وسلم بقول سعد ونشطه ، ثم قال : سيروا وأبشروا فإن الله تعالى قد وعدنى إحدى الطائفتين فو الله لكأنى أنظر إلى مصارع القوم » (١) .

ولكن هذا الذى قاله المقداد والذى قاله سعد ـ رضى الله عنهما ـ لم يكن هو مقالة جميع الذين خرجوا من المدينة مع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم .

فلقد كره بعضهم القتال ، وعارض فيه ، لأنهم لم يستعدوا لقتال ، إنَّما خرجوا لمقابلة الفئة الضعيفة التى تحرس البعير ، فلما علموا أن قريشا قد نفرت بخيلها ورجلها وشجعانها ، وفرسانها وركبانها . كرهوا لقاءها كراهية شديدة حتى قال أحد الحاضرين : أ إلى مذبحة تقودنا يامحمد .

روى عن أبى أيوب الأنصارى ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ ونحن بالمدينة ـ : « إنى أخبرت عن عير أبى سفيان أنها مقبلة فهل لكم أن نخرج قبل هذه العير لعل الله أن يغنمناها ؟ » فقلنا نعم . فخرج وخرجنا ، فلما سرنا يوما أو يومين قال لنا : « ماترون في قتال القوم ؟ إنهم أخبروا بخروجكم . فقلنا : لا والله مالنا طاقة بقتال العدو ، ولكنا أردنا العير . ثم قال : « ما ترون في قتال القوم ؟ فقلنا : مثل ذلك . فقال المقداد بن عمرو : إذن لا نقول لك يارسول الله كما قال قوم موسى لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون » .

قال : فتمنينا معشر الأنصار أن لو قلنا كما قال المقداد أحب إلينا من أن يكون لنا مال عظيم .

قال : فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون » (٢) (الأنفال آية ٥) .

فهذا ما حاك في نفوس فريق من المؤمنين يومئذ وماكرهوا من أجله القتال حتى ليقول عنهم القرآن الكريم : « كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون » (الأنفال آية ٦) .

---

(١) ابن هشام ٦١٤/١ ـ ٦١٥ . أبو الفداء ٢٦٤/٣ . فتح البارى ٢٨٧/٧ .
(٢) فتح البارى ٢٨٧/٧ ـ ٢٨٨ .

وذلك بعد ما تبين الحق وعلموا أن الله وعدهم إحدى الطائفتين وأنه لم يبق لهم خيار ، وأن عليهم أن يلقوا الطائفة التى قدر الله لهم لقاءها كائنة ما كانت . كانت العير أو كانت النفير . كانت الضعيفة التى لاشوكة لها . أم كانت القوية ذات الشوكة والمنعة .

ولقد بقى المسلمون يودون أن لو كانت غير ذات الشوكة هى التى كتب الله عليهم لقاءها : « وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم ، وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم » (الأنفال آية ٧) (١) .

هذا ما أراده المسلمون لأنفسهم يومذاك . أما ما أراده الله لهم فكان أمرا آخر « ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ، ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون » (الأنفال آية ٧ ، ٨) .

أراد الله أن تكون ملحمة لا غنيمة وأن تكون موقعة بين الحق والباطل ، ليحق الحق ويثبته ، ويبطل الباطل ويزهقه . نعم أراد الله للفئة المؤمنة أن تصبح أمة وأن تصبح دولة ، وأن يصبح لها سلطان وقوة ، وأراد لها أن تقيس قوتها الحقيقية إلى قوة أعدائها فترجح ببعض قوتها على قوة أعدائها ، وأن تعلم أن النصر ليس بالعدد ، وليس بالمال والخيل والزاد ، وليس بالعدة ، وإنما هو بمقدار اتصالها بالقوة الكبرى التى لاتقف لها في الأرض قوة ، وأن يكون هذا عن تجربة واقعية لا كلاماً واعتقادا ، لتزود الفئة المؤمنة من هذه التجربة لواقعها كله .

بعد أن استشار النبى صلى الله عليه وسلم ـ أصحابه وعرف مقدار استعدادهم للقاء عدوهم . وجد أنه يجب على المسلمين ـ مهما كان الثمن ـ أن يسبقوا إلى آبار بدر فأخذوا في السير حتى وصلوا إلى أعلى الوادى ، وكان الوادى من الجدب بحيث لم يجدوا فيه قطرة ماء ـ ونَفِدَ ما كان مع المسلمين من الماء ، فلما كان الغد بلغ بهم الظمأ حدًا أليماً من العذاب ، وانتهز الشيطان هذه الفرصة فوسوس إليهم « انظروا إلى ما قادكم إليه ذلكم الذى يزعم أنه رسول الله القادر .

هاهم أولاء الأعداء لا يحصيهم العَدُّ يحيطون بكم ، ولا ينتظرون إلا أن تخور قواكم من شدة الظمأ ، فليلتهموكم التهام الفريسة السهلة التى لا تجد من يحميها ، وأخذت وسوسة الشيطان تدور برءوسهم ، ومن حسن الحظ أن تعودهم على الظمأ في صيام شهر رمضان قوّى من صبرهم ، وفي الوقت الذى بلغت فيه الحرارة أشُدَّها ، وأرسلت الشمس شعاعها كشواظ من

---

(١) أبو الفداء ٣/٢٦٤ .

نار وكاد ينفد الصبر ، أرسل الله سبحانه وتعالى إليهم السحب تتوج القمم والآكام ، وتفجرت عن الغيث المنعش ، حتى سال الوادى ، فشرب المؤمنون وملأوا الأسقية ، وسقوا الركاب ، واغتسلوا من الجنابة فجعل الله في ذلك طهوراً وثبت به الأقدام ، وذلك أنه كانت بينهم وبين القوم رملة ، فبعث الله المطر فضربها حتى اشتدت ، وثبتت عليها الأقدام ، ولم تمنعهم من السير « وينزل عليكم من السماء ماءً ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان ، وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام » (الأنفال آية ١١) ٠

وعلى العكس كانت هذه العاصفة ضرراً على المشركين فقد أصابهم منها ما أعجزهم (١) عن التحول فقد كانوا في أرض سبخة ، وكانت إبلهم تنزلق ، وتخر على الأرض وأرجلها الطويلة ممدودة وراءها في صورة تبعث على الضحك ، وكانت قوائم الخيل تغوص في الأرض ، وتَعْجِزُ عن إخراجها ، ويحاول الفارس تخليصها من الأرض فترتمى عليه الفرس ٠ وساد الاضطراب وعمت الفوضى ، وعرقل كل ذلك من سيرهم (١) ٠

والمدد على هذا النحو مدد مزدوج مادى وروحى فالماء في الصحراء مادة الحياة فضلاً عن أن يكون أداة النصر ، والجيش الذى يفقد الماء في الصحراء يفقد أعصابه قبل أن يفقد حياته ، والتحرج من أداء الصلاة على غير طهور بالماء لعدم وجود الماء ، ولم يكن قد رخص لهم بعد في التيمم ، ويدخل الشيطان من باب الإيمان ، ليزيد حرج النفوس ووجل القلوب ، والنفوس التى تدخل المعركة في مثل هذا الحرج وفي مثل هذا القلق تدخلها مزعزعة مهزومة من داخلها ٠

وهنا يجىء المدد والنجدة « وينزل عليكم من السماء ماءً ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام » (الأنفال آية ١١) ٠

ذلك أن فوق ما أوحى الله سبحانه وتعالى إلى الملائكة ؛ ليثبتوا الذين آمنوا فوق وعدهم بالقاء الرعب فى قلوب الكفار ٠

وكان النوم قد جافى عيون المؤمنين من شدة الخوف حينما بلغهم أنهم سيقاتلون جيشاً يزيد على عددهم ثلاثة أضعاف سيحاربهم غداً وهو أشد منهم قوة وأعظم عدة ، فكان من مقتضى العادة أن يناموا على بساط الأرق والسهاد ويضربون أخماسا في أسداس ، ويفكرون فيما سيلاقونه في غدهم من الشدة والبأس ، ولكن الله رحمهم بما أنزل عليهم من النعاس ،

---

(١) الروض الأنف ٩٧/٥ . فقه السيرة ص ٢٣٦ . أبو الفداء ٢٦٦/٣ .

غشيهم فناموا واثقين بالله تعالى مطمئنين لوعده ، وأصبحوا على همة ونشاط في لقاء عدوهم وعدوه · ولكن محمداً صلى الله عليه وسلم بقى متيقظاً مستغرقاً في الصلاة « إذ يغشيكم النعاس أمنةً منه ...... » (الأنفال آية ١١) ·

وجاءت الساعة التى سيتقرر فيها مصير الإسلام ، وكان ذلك يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان ، وكان الحباب بن المنذر مشهوراً بجودة الرأى وإخلاص النصيحة ، فخاطب الرسول عليه الصلاة والسلام قائلًا يارسول الله أرأيت هذا المنزل أمنزلاً أنزلكه الله أم هو الرأى والحرب والمكيدة » · فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بل هو الرأى والحرب والمكيدة ، فقال : يارسول الله ، فإن هذا ليس بمنزل · امض بالناس حتى تأتى أدنى ماء من القوم فننزله ، ثم نغوّر (نطمس ونردم) ما وراءه من القلب (الآبار) ثم نبنى عليه حوضا فنملؤه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أشرت بالرأى ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفذ النصيحة خطوة فخطوة ، فلم يجىء نصف الليل (١) حتى تحولوا كما رأى الحباب وامتلكوا مواقع الماء ......

وتحدد بذلك مكان الموقعة ، فسيضطَّرُ المشركون بلا شك إلى الحضور ، لينازعوا المسلمين على الماء فليس في الوادى غيره ·

وبنى المسلمون عريشا للنبى صلى الله عليه وسلم ؛ ليجلس فيه بناءً على اقتراح سعد ابن معاذ ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتفقد الرجال ، وينظم الصفوف ، ويُسْدِى النصائح ، ويذكر بالله والدار الآخرة ، ثم يعود إلى العريش الذى هيء له ، فيستغرق فى الدعاء الخاشع ، ويستغيث بأمداد الرحمن ......

ووقف أبو بكر بجوار الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يكثر الابتهال والتضرع بعد أن شاهد قوة المشركين وكثرة عددهم ، وينشد الله ما وعده به ، وأخذ يردد « اللهم هذه قريش قد أتت بخيلائها تحاول أن تكذب رسولك · اللهم فنصرك الذى وعدتنى · اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لاتعبد بعدها في الأرض » ·

وما زال يدعو ربه حتى سقط رداؤه · وجاء أبو بكر يردَّ الرداء على منكبيه ويقول له : « يا نبى الله بعض مناشدتك ربك ، فإن الله منجز لك ما وعدك » (٢) ·

---

(١) ابن هشام ٦٢٠/١ . أبو الفداء ٢٦٧/٣ عن ابن اسحاق ·

(٢) أبو الفداء ٢٧٢/٣ ، ٢٧٥ . فتح البارى ٢٨٧/٧ . الروض الأنف ٩٨/٥ ـ ١٣٠ ·

والتقى الجمعان ، وبدأ الهجوم من قبل المشركين إذ برز الأسود المخزومى وكان معجبا بقوته ، وصرخ بحيث يسمعه المسلمون والمشركون قائلًا : وحق اللات والعزى لأشربن من حوضهم أو لأهْدِمَنَّه ، أو لأموتن دونه · وخرج له من صفوف المسلمين حمزة بن عبد المطلب فلما التقيا ضربه حمزة ضربةً أطاحت بنصف ساقه ، ووقع على ظهره والدم يسيل من رجله ، ثم حبا إلى الحوض فى مهارة مدهشة ، وأسرع نحوه يريد أن يشرب منه ، ولكن حمزة أدركه فقضى عليه ·

وخرج عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة وابنه الوليد فدعا للمبارزة فخرج له ثلاثة إخوة من الأنصار هم : معوذ ومعاذ وعوف · فقال لهم عتبة : « من أنتم » ؟ فقالوا : رهط من الأنصار » فقال لهم : « مالنا بكم حاجة نريد قومنا ، يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا ·

وقيل : إن الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه هو الذى استرجع أولئك الأنصار رغبةً منه أن تكون عشيرته أول من يواجه العدو في مثل هذا الموقف ·

فقال : قم ياعبيدة بن الحارث ، وقم ياحمزة بن عبد المطلب ، وقم ياعلى بن أبى طالب « قوموا يابنى هاشم فقاتلوا بحقكم الذى بعث به نبيكم إذ جاءوا ببطلانهم ؛ ليطفئوا نور الله » ......

فبارز عبيدة عتبة ، وحمزة شيبة وعلى الوليد · فأما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله ، وكذلك فعل على مع خصمه ، وأما عبيدة وعتبة فقد جرح كلاهما الآخر فكرَّ حمزة وعلٌى على عتبة فأجهزا عليه ، واحتملا صاحبهما فجاءوا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأفرشه الرسول عليه الصلاة والسلام قدمه ، فوضع خده على قدمه الشريفة ، وقال يارسول الله : لو رآنى أبو طالب لعلم أنى أحق بقوله :

ونسلمه حتى نصرع دونه ونذهل عن أبنائنـــا والحلائل

فقال له الرسول عليه الصلاة والسلام : أشهد أنك شهيد » ثم أسلم الروح (١) ·

بعد هذه المبارزة الفردية التى أثارت العواطف الحربية بين جوانح المحاربين لا يمكن أن يطول انتظار الغزاة ، وأخذ الرسول صلى الله عليه وسلم يعدل جيشه كتفا بكتف في صفوف متلاصقة كالبنيان المرصوص ، وأخذ يكبح شكيمة هؤلاء المتعجلين الذين يريدون أن يتقدموا الجميع إلى القتال فيلاقوا مصرعهم دون فائدة تعود على المسلمين ، ومن هؤلاء سواد بن غزيَّة ، فقد برز من صفه فضربه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدح (سهم) كان في يده

---

(١) أبو الفداء ٢٧٤/٣ ، الروض الأنف ١٠٣/٥ ، فقه السيرة ص ٢٣٧ ·

وقال : استو ياسواد · فقال : يارسول الله أوجعتنى وقد بعثك الله بالحق والعدل فَأَقِدْني » ·

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اقتصَّ منى » فقال سواد كيف وقد ضربتنى على بطنى العريان » ·

ـ وهنا يتجلى حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على إقامة العدل بين أمته ، ليبين أنه لافرق بين حاكم ومحكوم ولا بين الرسول صلى الله عليه وسلم وواحد من قومه في ميزان العدل لنأخذ منه عليه الصلاة والسلام الأسوة الحسنة :

فيكشف له الرسول صلى الله عليه وسلم عن بطنه ويقول : « استقد ياسواد » فاعتنقه سواد فقبَّل بطنه · فقال صلى الله عليه وسلم : ما حملك على هذا ياسواد » ؟ فقال : يارسول الله حضر ماترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدى جلدك » فدعا له رسول الله بخير (١) ·

واستشاط الكفار غضبا للبداية السيئة التى صادفتهم فأمطروا المسلمين وابلًا من سهامهم ثم حمى الوطيس ، وتهاوت السيوف وتصايح المسلمون أحدٌ أحدٌ · وأمرهم الرسول صلى الله عليه وسلم أن يكسروا هجمات المشركين وهم يرابطون في مواقعهم وقال : إن اكتنفكم القوم فانضحوهم عنكم بالنَّبل ولا تحملوا عليهم حتى تؤذنوا · فلما اتسع نطاق المعركة واقتربت من قمتها كان المسلمون قد استنفدوا جهد أعدائهم وألحقوا بهم خسائر جسيمة · والنبى صلى الله عليه وسلم في عريشه يدعو الله سبحانه وتعالى ، ويرقب بطولة رجاله وجلدهم قال ابن اسحاق : « خفق النبى خفقة في العريش ثم انتبه فقال : « أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله ، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثنايا النقع » (٢) ·

لقد انعقد الغبار فوق رءوس المقاتلين وهم بين كرٍّ وفرٍّ ، جند الحق يستبسلون لنصرة الرحمن ، وجند الباطل قد ملكهم الغرور ، فأغراهم أن يغالبوا القدر ·

فلا عجب إذا نزلت ملائكة الخير تنفث في قلوب المسلمين روحَ اليقين وتحضهم على الثبات والإقدام ·

---

(١) أبو الفداء ٢٧١/٣ . الروض الانف ١٠٤/٥ .

(٢) أبو الفداء ٢٧٦/٣ . فقه السيرة ص ٢٣٨ . الروض الانف ١٠٥/٥ .

ونزل قول الله تعالى : « إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان » (الأنفال آية ١٢) .

وخرج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من مكانه إلى الناس فحرضهم قائلًا : « والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً إلا أدخله الله الجنة » . وأخذ الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ حفنة من حصباء فرمى بها في وجوه القوم وقال : شاهت الوجـوه .

ثم قال لأصحابه شدُّوا (١) فشدُّوا فنزل قول الله تعالى : « فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » (الأنفال آية ١٧) .

ولما دنا المشركون قال الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض » والتأميل في الآخرة هو بضاعة الأنبياء . وهل لأصحاب العقائد ، وفداة الحق من راحة إلا هناك ، وعمل هذا التحريض عمله في القلوب المؤمنة .

فقال عمير بن الحمام الأنصارى : « يارسول الله جنة عرضها السموات والأرض : قال : نعم . قال : بخ بخ . قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ما يحملك على « قول » بخ بخ ، قال : لا والله يارسول الله إلاَّ رجاء أن أكون من أهلها ؟ . فقال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « فإنك من أهلها »

فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن . ثم قال : لئن أنا حييت حتى آكل تمراتى هذه إنها حياة طويلة ، فرمى ما كان معه من التمر ثم قاتلهم وهو يقول رضى الله عنه :

ركضـا الى الله بغير زاد إلا التقى وعمل المعاد
والصبر في الله على الجهاد وكل زاد عرضة النفاد
غير التقى والبر والرشاد (٢)

فما زال حتى قتل رحمه الله (٣) .

واشتد القتال ، وقتل سادات قريش ، لأن المسلمين كان هَمُّهمْ الأكبر هو استئصال سادات قريش ، فقد عذبوهم بمكة ، وصدوهم عن المسجد الحرام . وقُتِل من قُتِل ، وفرّ من

(١) أبو الفداء ٢٨٤/٣ .
(٢) أبو الفداء ٢٧٧/٣ . الروض الانف ١٠٥/٥ ـ ١٠٦ . فقه السيرة ص ٢٣٩ .
(٣) أبو الفداء ٢٧٧/٣ .

فرَّ . وانتصر جيش المسلمين وكانت معركة بدر في صالح محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ورجاله وولى أهل مكة الأدبار كاسفا بالهم ، خاشعة من الذل أبصارهم لا يكاد أحدهم يلتقى بنظر صاحبه حتى يوارى وجهه خجلاً من سوء ماحل بهم جميعا .

ثالثــــــا :

تسجيل لمواقف الخزى والعار بالنسبة لقريش ورجالها

قال الله سبحانه وتعالى : « إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ، وإن تنتهوا فهو خير لكم وإن تعودوا نعد ، ولن تغنى عنكم فئتكم شيئاً ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين » (الأنفال آية ١٩) .

حينما خرج المشركون من مكة إلى بدر ـ أخذوا بأستار الكعبة فاستنصروا الله قائلين : « اللهم انصر أعلى الجندين ، وأكرم الفئتين وخير القبيلتين » .

وروى أن أبا جهل قال يوم بدر « اللهم أينا كان أقطع للرحم وآتانا بما لانعرف فاحنه الغداة » .

وأنه قال عندما التقى الجمعان في ذلك اليوم : « اللهم ربَّ ديننا القديم ودين محمد الحديث فأىَّ الدينين كان أحب إليك وأرضى عندك فانصر أهله اليوم » (١) .

وتحقق طلب قريش وأبى جهل ، فجعل الله الدائرة عليهم تصديقاً لاستفتاحهم ؛ لأنهم طلبوا من الله أن يفتح عليهم وأن يهلك الضالين : وهذه حقيقة فقد دارت الدائرة على الفريق الضال الصاد عن سبيل الله وهزموا هزيمة منكرة .

وهذا نموذج للإجابة لا يسر ولا يشجع على إعادة الاستفتاح من جديد .

ولقد كان أبو جهل أشد المشركين عداوة للإسلام ولما وجد سيل الهزيمة النازل بقومه من المشركين ـ أقبل يصرخ فيهم ، وغشاوة الغرور لاتزال ضاربةً على عينيه « واللات والعزى لانرجع حتى نُفرِّقهم في الجبال ... خذوهم أخذاً » (٢) .

ولقد كان أبو جهل تمثالاً للطيش والعناد إلى آخر رمق ، وكان يقاتل في شراسة وغضب وهو يقول :

ما تنقم الحرب الشموس منى بازل عامين حديث سنى
لمثل هذا ولدتنى أمى

---

(١) أبو الفداء ٢٨٢/٣ ـ ٢٨٣ .

(٢) أبو الفداء ٢٨٣/٣ .

وكان المسلمون يعلمون أن أبا جهل هو المحرك لكل المؤامرات التى تحاك ضد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأخذوا يبحثون عنه ، وتمكن معاذُ بن عمرو من الوصول إليه وضربه ضربةً أطارت قدمه بنصف ساقه ، وأسرع عكرمة بن أبى جهل لانقاذ أبيه ، فضرب معاذاً على عاتقه فطوحت يده ....

ثم مر بأبى جهل فتيان من الأنصار وهما ولدا عفراء وهو على فرسه فطعناه حتى هوى عن فرسه واهتم الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالبحث عن مصير أبى جهل وأمر أن يلتمس في القتلى فذهب عبد الله بن مسعود للبحث عنه فوجده بآخر رمق ، فوضع رجله على عنقه كما يضع الإنسان رجله على أفعى يريد أن يقضى عليه ، وتحرك أبو جهل يسأل عن الدائرة اليوم ؟ . قال : « لله ورسوله » ثم استتلى عبد الله قائلا له : « هل أخزاك الله ياعدو الله ؟ قال : « وبماذا أخزانى هل أعمد من رجل قتله قومه ؟ وتفرس في عبد الله ثم قال له : لقد ارتقيت مرتقى صعبا يارويعى الغنم ، فجعل عبد الله يهوى عليه بسيفه حتى خمد . وجزَّ رأسه وجاء بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحينما رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وجه عدوه الدامى قال : الله الذى لا إله غيره » ثم قال : هذا فرعون هذه الامة (١) .

ولقى مثل هذا المصير المفجع أمية بن خلف وغيره من صناديد قريش حتى بلغوا سبعين صنديداً من رؤوس الكفر بمكة دارت عليهم الدائرة ، وتجرعوا كؤوس الردى صاغرين . وسقط في الأسر سبعون كذلك . وفر بقية التسعمائة والخمسين يرددون لمن خلفهم أن الظلم مرتعه وخيم ، وأن البطر يجر في أعقابه الخزى والعار ، وهذا جزاؤهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار ويقال لهم : « ذلكم فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار » (الأنفال آية ١٤) .

وانتصرت القلة المؤمنة على الكثرة الكافرة ، والقلة الضعيفة على الكثرة القوية المستعدة .

وسيحدث ذلك في كل معركة بين الحق والباطل ، بين الكفر والإيمان ، لأن الله مع المؤمنين بمعونته وولايته وتوفيقه فمن ذا الذى ينتصر على من كان الله معينه وناصره ؟ من يهزم جمعا معه الله .

الجواب على هذا لا أحد إن شاء الله « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » (محمد آية ٧) .

---

(١) أبو الفداء ٢٨٧/٣ - ٢٩٠ ورواه أبو داود والنسائى بإسنادهما والبخارى ومسلم عن أنس بن مالك . الروض الآنف ١١٣/٥ - ١١٥ . ١٤٣ - ١٤٤ .

جيش العسرة

يحمي المدينة... ويؤمن حدود الجزيرة

للدكتور عبد العظيم حامد خطاب
أستاذ مساعد بكلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة

ألقت الهجرة على المدينة المنورة عبء الدفاع عن الإسلام والتكلم باسمه، إذ أصبحت مقر الحكومة الإسلامية . وملاذ المهاجرين بدينهم، والقلعة الأولى من قلاع التوحيد .. منها تخرج السرايا والجيوش لحماية الإسلام . ولبثِ الرهبة في قلوب أعدائه . لكى يأخذ الإسلام مساره الى كافة الأرجاء دون معارضة أو صدود ..

ألا يكفى أن الإسلام خرج مهاجرا من مكة إلى المدينة ؟ هل يسكت حتى يخرج من المدينة أيضا ؟ .. لم يكن بوسع الرسول صلى الله عليه وسلم القائد النابه أن يسكت على الضيم، أو يدعْ رسولا من رسله يقتل، أو مبشراً بدعوة الإسلام يُغتال أو قافلة من قوافل المسلمين تصادر . أو عهداً من عهوده ينقض . بلا عقاب رادع، وجزاء فورى، يرد للمسلمين هيبتهم، وللمدينة كلمتها العزيزة المنيعة .

بل لابد للمهاجرين - المُصادَرةُ أملاكهم في مكة . المطرودين من ديارهم فرارا بدينهم - أن يستردوا حقهم .. أو يثأروا للظلم الذى وقع عليهم .. ولابد للدولة الناشئة الفتية الجديدة أن تثبت وجودها، في وسط هذا البحر الهائج بوحشية الكفر وبربرية الوثنية الباقية على الأرض العربية .

واذا كانت الغلبة في مثل هذا الجو للقوة المسلحة وقلوب الرجال وسواعدهم، فلابد من أن يتخذ الإسلام جانب القوة حتى يتغلب على الكفر والبربرية . ليمكن أن ينشر بين الناس

فيح تعاليمه العبقة وينشر ازاهيره النضرة ، ويضيف إلى المجتمع أسمى تعاليم ، لبناء الحياة خضوعا لله ذى القوة والجبروت · فالإسلام هنا اتخذ أهبته الحربية بالإضافة إلى سمو تعاليمه وقوة رجاله وفدائيتهم · وأخذ باسباب النصر ·· ومن هنا كان دفاع الرسول صلى الله عليه وسلم عن المدينة ··

يمكن القول بأن أول الغزوات التى استهدفت حماية المدينة من ناحية الشمال والمحافظة على تجارتها القادمة من الشام ·· تلك الحملة التى خرج فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم في أواخر شهر ربيع الأول من السنة الرابعة من الهجرة النبوية إلى منطقة عرفت « بدومة الجندل » (١) وبينها وبين دمشق خمس ليال ·· وكان بهذه البلدة عصابة تعرضت لتجارة المدينة ، وأضرت بها ضررا بليغا ·· بل بلغ من فسادها أن فكرت في الاغارة على المدينة ذاتها ·

أما عن أخبار هذه الغزوة المباركة فقد ذكر مؤرخو السيرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم خرج في ألف من المسلمين · كانوا يسيرون ليلا ويكمنون نهارا · حتى وصلت بعد خمس عشرة ليلة إلى « دومة الجندل » وفاجأ الرسول أهل هذه البلدة الظالمة فاستاق النَعم والشاء وهرب أهل البلدة ورجال حربها وتفرقوا · فأقام صلى الله عليه وسلم أياما وبث السرايا في أنحاء المناطق المجاورة · ثم رجع الرسول بعد أن أقام أياما بما غنم · وقد خلع القلوب رهبة من فدائية رجاله ·· وهيبة جلاله ·· ولعل هذا الامتداد إلى الشمال هو الذى دفع الأحزاب أن تتماسك وتتعاهد على محاربة الرسول في المدينة مرة أخرى بعد غزوة أحـد ·

وكان لمشروع مهاجمة المدينة والقضاء على دولة التوحيد أنصار ودعاة · فأول الدعاة لهدم هذه المدينة المناضلة هم اليهود · ومن الغريب العجيب في غزوة الاحزاب أن اليهود وهم أهل كتاب منّزل تحالفوا مع قريش الوثنية على محاربة الرسول والقضاء على دعوته مع أنهم يعرفون صدقها ويجدون ذلك في كتابهم ولكنه الغل والحسد والتكبر · ويروى أن قريشا قالت : « يا معشر يهود إنكم أهل الكتاب الأول والعلم ·· أخبرونا عما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ··· أديننا خير أم دين محمد ؟ · فنحن نعمر البيت ونحر الابل ضيافة ونسقى الحجيج ونعبد الأصنام » فماذا كان رد اليهود ؟ قالوا : « اللهم أنتم أولى بالحق منه » فأنزل

---

(١) بضم الدال وفتحها من أعمال المدينة · سميت بدوم بن اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام وهى بلدة وحصن بين الشام والمدينة انظر : ياقوت : معجم البلدان ، العباسى ، أحمد بن عبد الحميد : عمدة الاخبار في مدينة المختار ص ٢١٠ ·

الله تعالى قوله . « **ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت · ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا** » (١) ·

وتحصن المسلمون بالخندق الذى أشار بحفره سلمان الفارسى · رغم ما في مشروعه من الجهد والمشقة · وسلمت المدينة من الحصار ؛ حصار الاحزاب للمدينة المنورة · « **وردَّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا** » وتفرقت الأحزاب · وانهار آخر أمل للكفار في القضاء على المدينة وسيادتها وزعامتها · بل إزدادت قوة ··· ففى شعبان من السنة السادسة خرج الصحابى الجليل عبد الرحمن بن عوف إلى « دومة الجندل » أميراً على سبعمائة رجل ، ويقال إن الرسول صلى الله عليه وسلم نقض عمامته (٢) بيده الكريمة ، وعممه بعمامة سوداء وأرخى له ذؤابة « عذبة » بين كتفيه منها ثم قال له : « هكذا فاعتم يا ابن عوف » وزوده بنصيحة ، أو إن شئت بأمر فقال له : « أغزُ باسم الله ، وفي سبيل الله ، فقاتل من كفر بالله ، ولا تغُل ولا تغدر ، ولا تقتل وليداً ، فهذا عهد الله وسيرة نبيه فيكم » ·

وخرج ابن عوف مقلدا بعمامة الرسول مزودا بأمره متوكلا على ربه فلما بلغ الجيش « دومة الجندل » مكث عبد الرحمن بها يدعوهم إلى الإسلام ثلاثة أيام · فأسلم ملكهم « الاصبغ بن عمرو بن ثعلبة » فتزوج عبد الرحمن بابنته تماضر ، تنفيذاً لوصية الرسول له حين وجهه اليه · واسلم باسلام الاصبغ ناس كثيرون من قومه · واقام من اقام على اعطاء الجزية التى كانت أقل من ضرائب الروم وإتاواتهم ·

الفرس والروم

كانت القوى المسيطرة على شمال الجزيرة العربية في العراق والشام تتمثل في الامبراطورية الفارسية والامبراطورية الرومانية الشرقية (البيزنطية) وكان بينهما نزاع طويل حول السيطرة على الشام ومصر · وكان الفرس قد استولوا في الفترة بين (٦١٥ ـ ٦٢٦ م) على بيت المقدس ومصر جميعا · مع ما لبيت المقدس من مركز مرموق في الدولة البيزنطية المسيحية ، فكان إستلاب الأماكن المقدسة المسيحية ضربة قاسية أثارت الروم ، فأرسلوا عدة حملات استهدفت إعادة الأرض المقدسة ومصر إلى أقاليم وسيطرة الدولة · وبالفعل تمكن الامبراطور هرقل الاول امبراطور الروم (٦١٠ ـ ٦٤١ م) من إعادة مصر والشام إلى الحكم البيزنطى ·

---

(١) انظر : ابن هشام : السيرة النبوية جـ ٢ ص ٢١٤ ، ٢١٥ ·

(٢) يذكر ابن هشام أنه كان قد اعتم بعمامة من كرابيس (من قطن) سوداء : انظر السيرة النبوية جـ ٢ ص ٦٣٢ ·

وفي الوقت الذى إرتقبت فيه الدولتان فترة هدوء حقيقى تستردان فيها قوتهما ، وتعيدان تعمير بلادهما بعد الصلح الذى تم بينهما في (٧ هـ / ٦٢٨ م) وصل إلى كليهما رسول نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يدعوهما إلى الإسلام ، ونبذ ما يعبدان من دون الله ٠

لم يكن العرب من قبل خطرا يهدد الدولتين وبخاصة أن احلافا قد عقدت بين هاتين الدولتين والقبائل العربية المنتشرة في الشمال الشرقى والغربى للجزيرة العربية ٠ ولم يكن يدور بخَلَد أى من الدولتين أن قبائل العرب المشتتة المتفرقة قد تتحد يوما ، فضلا عن أن تصبح خطرا جديدا يعمل له حساب ....

في هذا الوقت كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد عمل على توحيد شبه الجزيرة العربية بعد فتح مكة ونزل قول الله تعالى « **إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا** » ٠ ودانت أغلب قبائل الجزيرة العربية بالإسلام ٠

كان المسلمون يتحرقون شوقا إلى حمل رسالة السماء إلى أنحاء الأرض ولم يكن المنفذ الطبيعى للدعوة والمكان المرتقب للامتداد البشرى للجزيرة العربية ، إلا أرض هاتين الدولتين الفرس والروم في بلاد العراق والشام ٠ وكان على هؤلاء المسلمين أن يقوموا في وجه أكبر قوتين حربيتين في العالم في ذلك الوقت ، مع ما توافر لكل منهما من الخبرة الحربية والعدة والأموال الضخمة والبراعة العسكرية ٠

اتجهت حملات الرسول صلى الله عليه وسلم صوب القبائل العربية المتعاقدة مع الفرس والروم بهدف إخضاع تلك القبائل وعرض الإسلام عليها ، لعلها تحمل رسالة الإسلام إلى ما وراءها من هذا العالم ٠ فقد وجه الرسول قبل فتح مكة عدة غزوات في هذا الاتجاه ، منها الحملة العسكرية ضد دومة الجندل التى أشرنا إليها ٠ ثم غزوة مؤته (١) التى لاقت جموعا كبيرة من الروم ٠ وتحرف خالد بن الوليد فاستنقذ المسلمين من عدوهم وعاد بهم ظافرين ٠ وغزوة ذات السلاسل (٢) التى استنفر فيها الرسول أصحابه نحو الشام لحرب قضاعه بأرض جذام ، وجعل أمير جيش المسلمين عمرو بن العاص السهمى ، وأمده بجيش جعل أميره أبا عبيدة بن الجراح ومعه كبار المهاجرين كأبى بكر وعمر وكبار الأنصار ٠

---

(١) مؤتة قرية من قرى البلقاء من أرض الشام ٠ وكانت الغزوة في جمادى الأولى سنة ثمان ؛ ابن هشام ؛ السيرة النبوية ٢ / ٣٧٣ ٠

(٢) ماء بأرض جذام وراء وادى القرى على عشرة أيام من المدينة ٠ وهى أرض بنى عذرة ؛ انظر العباسى ، أحمد بن عبد الحميد ؛ عمدة الاخبار ص ٢٢٤ . ابن هشام ؛ السيرة النبوية جـ ٢ ص ٦٢٣ ٠

وقد حققت تلك الغزوات أهدافها من حيث إظهار القوة الإسلامية ، وتمزيق الاحلاف مع غير الإسلام · كما أذاعت الإسلام على حدود دولتي الفرس والروم ، وأجبرت القبائل التى بقيت على المسيحية على التعاقد مع الإسلام والخضوع لقوته ·

جيش العسرة :

علم الرسول صلى الله عليه وسلم أن الروم قد جمعوا جيوشهم مرة أخرى على الحدود المتاخمة للجزيرة العربية · وقد اجتهد هرقل امبراطور الروم المنتصر على الفرس بالأمس القريب ، أن يجمع جيشا أراد به أن يتوج حياته بنصر كبير يحفظ للامبراطورية البيزنطية هيبتها ·

لم يكن أمام المسلمين اختيار بين السلم والحرب ، وإنما فرضت الحرب نفسها عليهم وعزم الرسول صلى الله عليه وسلم على مواجهة جيوش الدولة البيزنطية والاصطدام معها · بل والانتصار لمعركة مؤته والأخذ بثأر جعفر بن أبى طالب وشهداء الإسلام ·

ولكن ·· في أى ظروف إختار الرسول وقت المعركة ·· لم ينتظر عليه السلام ، خشية أن تهاجم جيوش الروم أرض الإسلام · فأسرع فأمر بتجهيز الجيش وأمر بالجهاد يقول ابن اسحق كانت غزوة في زمن عسرة من الناس وجدب من البلاد ·· والناس في شدة (١) · وحين أمر بالجهاد · كانت الثمار قد طابت · فالناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ، ويكرهون الشخوص لأن السفر طويل ومرهق ، والعدو قوى وله ماض في الحروب طويل ·

المبادرة لأمر الرســـول :

كان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا أراد الخروج لغزوة ورىَّ (٢) بغيرها ، إلا في هذه المرة فإنه ذكر أنه يعتزم إخضاع الروم ومنازلتهم · وما فعل ذلك إلا لقوة العدو ، وبُعد الطريق ، وبذل غاية القوة · فحضَّ عليه السلام على الجهاد ورغب فيه وبعث إلى قبائل الجزيرة وإلى مكة يستنفر أهلها على عدوهم ، فوفد المسلمون يتسابقون إلى مرضاته وطاعته · وأمر بالصدقة لتجهيز الجيش · فحملت الصدقات الكثيرة إليه صلى الله عليه وسلم ·

---

(١) ابن هشام : السيرة النبوية جـ ٢ ص ٥١٦ ؛ أبو الحسن الندوى : السيرة النبوية ص ٤١٢ ـ ٤١٦ ·
(٢) اظهر انه يريد غير الوجه الذى يتجه اليه ·

فأول من حمل صدقته أبو بكر الصديق جاء بماله كله : أربعة آلاف درهم وما أبقى لأهله شيئا وجاء عمر بن الخطاب بنصف ماله وبلغ عمر ما جاء به أبو بكر رضى الله عنه فقال ما استبقنا إلى خير إلا سبقنى اليه (١) · وحمل العباس بن عبد المطلب تسعين ألف درهم · وعبد الرحمن بن عوف مائتى أوقية من الذهب · وجهز عثمان بن عفان ثلث الجيش · ثم جاء بألف دينار ففرغها في حجر النبى صلى الله عليه وسلم فجعل يقلبها ويقول : « ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم » · وتبادر المسلمون في النفقة ، حتى كان الرجل يأتى بالنفقة فيعطيها بعض من يخرج ، ويأتى أحدهم بالبعير إلى الرجل والرجلين فيقول : « هذا بينكما تعتقبانه » (٢) · وتبرعت النساء بكل ما قدرن عليه فكن يلقين في ثوب مبسوط بالمعاضد والخلاخل والخدمات والاقرطة والخواتيم (٣) ·

وأنفق صلى الله عليه وسلم كل ذلك على الجيش حتى فرغت النفقة ، وجاءه رجال يطلبون منه أن يجهزهم للحرب ، فاعتذر عن ذلك · والمشهور من بينهم سبعة رجال وهم من يقال لهم : « البكاؤون » جاءوا يستحملون رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا أهل حاجة فقال لهم : « لا أجد ما أحملكم عليه » فتولوا يبكون قائلين « ليس عندنا ما نتقوى به على الخروج ونحن نكره أن تفوتنا غزوة في سبيل الله » ·

ولقد حقق الله أملهم فحمل العباس رضى الله عنه رجلين ، وحمل يامين بن عمرو ابن كعب رجلين منهم ، فاعطاهما بعيرا يرتحلانه ، وزود كل منهما صاعين من تمر · وحمل عثمان بن عفان منهم ثلاثة رجال (٤) ·

وفي الوقت الذى يتبادر فيه المسلمون إلى تنفيذ أمر الرسول صلى الله عليه وسلم جاء بعض الأعراب يعتذرون ، فلم يأذن لهم الرسول · وجاء المنافقون يستأذنون من غير علة فأذن لهم · وكان عبد الله بن أُبّى بن سلول قد عسكر وحده عند جبل ذباب (٥) ، أسفل معسكر المسلمين عند ثَنِّية الوداع (٦) فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلف عنه فى طائفة

---

(١) المقريزى : امتاع الاسماع بما للرسول من الانباء والاموال والحفدة والمتاع تحقيق محمود محمد شاكر جـ ١ ص ٤٤٦ ·

(٢) يعتقبانه أو يعتقبان عليه أى يتناوبانه وفي الحديث : فكان الناضح يعتقبه منا الخمسة أى يتداولون في الركوب عليه (لسان العرب) ·

(٣) انظر : المقريزى : امتاع الاسماع بما للرسول من الانباء والاموال والحفدة والمتاع تحقيق محمود محمد شاكر جـ ١ ص ٤٤٦ ·

(٤) انظر : المرجع السابق جـ ١ ص ٤٤٩ ·

(٥) جبل بالمدينة وهو الذى عليه مسجد الراية : انظر : العباسى : عمدة الاخبار في مدينة المختار ٢١٢ ·

(٦) تقع شمال المدينة خلف سوقها القديم بين مسجد الراية على جبل ذباب ومشهد النفس الزكية قرب سلع : المرجع السابق ص ١٨٦ ·

من المنافقين وأهل الرِّيَب (١) · وأراد أن يوهن قلوب المؤمنين فرجع قائلا : « يغزو محمد بنى الاصفر مع جهد الحال والحر والبلد البعيد ، أيحسب محمد أن قتال بنى الاصفر اللعب ؟ وقال : والله لكأنى أنظر إلى أصحابه غدا مقرنين في الحبال » (٢) ·

خرج الرسول في رجب من السنة التاسعة للهجرة على طريق التصميم والجهاد وحوله المسلمون : ثلاثون ألف جندى وعشرة آلاف فرس وإثنا عشر ألف بعير · وقيل عدد الجيش سبعون ألفا (٣) · وأمر الرسول بأن لا يخرج رجل إلا ومعه دابة قوية ذلول · وحدث أن خرج رجل على بعير صعب القياد فعدا به فصرعه في الطريق ، فقال الناس : « الشهيد ·· الشهيد » فبعث الرسول مناديا ينادى « لا يدخل الجنة إلا مؤمن أو إلا نفس مؤمنة ، ولا يدخل الجنة عاص » (٤) فمخالفة أمر الرسول عصيان ويُحبط العمل · وفي الطريق إلى تبوك جهد المسلمون جهدا شديدا ، ولكنهم رأوا ما يثّبت قلوبهم على الحق ، من علامات النبوة ورعاية الله سبحانه وتعالى لرسوله وللمجاهدين في سبيله ، فقد تقَوَّل المنافقون على الرسول ، فاظهره الله على مقالتهم وأعلمه ما يقولون ·· وجمع الرسول بين الظهر والعصر · فكان يؤخر الظهر ويعجل العصر ثم يجمع بينهما حتى رجع من تبوك (٥) ·

وعارضه في مسيره حية عظيمة ، فاقبلت حتى رافقت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على راحلته طويلا ، والناس ينظرون اليها ·· ثم التوت حتى اعتزلت الطريق ·· فأقبل الناس حتى لحقوا رسول الله ، فقال لهم : « هل تدرون من هذه ·· ؟ » قالوا : « الله ورسوله أعلم » ، قال : « هذا أحد الرهط الثمانية من الجن الذين وفدوا إلىّ يستمعون القرآن (٦) ، فرأى عليه من الحق حين ألم رسول الله ببلده أن يسلم عليه ، وهاهو ذا يقرئكم السلام ، فسلموا عليه » فقال الناس جميعا : « وعليه السلام ورحمة الله » (٧) ·

---

(١) انظر : ابن هشام : السيرة النبوية جـ ٢ ص ٥١٩ : ابن سيد الناس : عيون الأثر جـ ٢ ص ٢١٦ ·
(٢) انظر : المقريزى : امتاع الاسماع جـ ١ ص ٤٥٠ : ابن هشام : السيرة النبوية ٢ ص ٥٢٥ ·
(٣) انظر : المقريزى : المرجع السابق جـ ١ ص ٤٥٠ ·
(٤) المرجع السابق ص ٤٤٩ ·
(٥) انظر : ابن كثير ، ابو الفدا ، اسماعيل : السيرة النبوية تحقيق مصطفى عبد الواحد جـ ٤ ص ٢٢ ·
(٦) استشهد ابن اسحاق على ذلك بقوله تعالى « واذ صرفنا اليك نفراً من الجن يستمعون القرآن » وان ذلك كان بوادى نخلة على ليلة من مكة منصرف النبى من الطائف وذكر انهم كانوا سبعة نفر من جن نصيبين قاعدة ديار ربيعة : انظر : ابن هشام السيرة النبوية جـ ١ ص ٤٣٢ ·
(٧) المقريزى : إمتاع الاسماع بما للرسول من الانباء والأموال والحفدة والمتاع تحقيق محمود محمد شاكر جـ ١ ص ٤٥٩ ·

التمرات السبع : كما ظهرت معجزات للرسول كثيرة منها : البركة في الطعام القليل .. والمثل لذلك ما ذكر من أن العرباض بن سارية (١) كان يلزم باب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحضر والسفر . فترك الباب قليلا ليقضى حاجة له ، ثم عاد وقد تعشى الرسول ومن معه من أضيافه ، وهو يريد أن يدخل قبته على أم سلمة أم المؤمنين . فلما رأى العرباض سأله عن غيبته فاخبره . ثم جاء جعال بن سراقة ، وعبد الله بن مغفل المزنى وثلاثتهم جياع ، فطلب عليه الصلاة والسلام في بيته شيئا ليأكلوه فلم يجد . فنادى بلالا : « هل من عشاء لهؤلاء النفر ؟ » فقال لا .. والذى بعثك بالحق لقد نفضنا جُرُبَنا وحُمُتَنا (٢) قال : « انظر عسى أن تجد شيئا » . ورغم أن بلالا يعلم تماما أنه ليس بالجرب شيء من التمر . ولكن امتثالا لأمر الرسول أخذ الجرب ينفضها جرابا جرابا .. فتقع من بعض الجرب التمرة والتمرتان حتى إجتمع له سبع تمرات . فوضعها عليه السلام في صحفة وسمى الله تعالى ثم قال : « كلوا باسم الله » فأكلوا ... وأحصى العرباض أربعا وخمسين تمرة أكلها ، يعدها بيده . وأكل كل واحد من الآخرين خمسين تمرة . ورفعوا أيديهم فاذا التمرات السبع كما هى .. فقال الرسول : يا بلال ، ارفعها في جرابك فانه لا يأكل منه أحد إلا نهل شبعاً » .

وبات الثلاثة حول قبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام يتهجد على عادته . فلما صلى بالناس الصبح جلس بفناء قبته ، وحوله عشرة من الفقراء فقال : « هل لكم في الغداء ؟ » فقال عرباض في نفسه : أىُّ غَذَاء ؟ فدعا بلالا بالتمر فوضع يده عليه في الصحفة ثم قال : « كلوا باسم الله » فاكلوا حتى شبعوا ، وإذا التمرات كما هى فقال عليه الصلاة والسلام : « لولا أنى أستحى من ربى ، لأكلنا من هذه التمرات حتى نرد المدينة عن آخرنا » . فلما رجع إلى المدينة طلع غليم من أهل المدينة فدفعهن الى ذلك الغلام فانطلق يلوكهن (٣) .

واستطرادا لمعجزات الرسول صلى الله عليه وسلم التى ظهرت في هذه الغزوة . نذكر أنه حدث في عودتهم من تبوك أن فرغ الزاد فاستأذن المسلمون في نحر ركائبهم من الابل ، فاذن لهم رسول الله ، وعلم عمر بن الخطاب بذلك فطلب الى الناس أن يمسكوا ولا يفعلوا حتى يراجع رسول الله . ودخل عمر فقال للرسول : « أذنت للناس في حمولتهم يأكلونها ؟ » فقال : « أذنت لهم أن تنحر الرفقة البعير والبعيرين ويتعاقبون فيما فضل من ظهر . وهم قافلون إلى

---

(١) ذكر حديث العرباض أيضا ابن كثير : شمائل الرسول ودلائل نبوته وفضائله وخصائصه ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

(٢) الجرب واحده جراب وهو الوعاء لحفظ الزاد . والحمت جمع حميت وهو وعاء من جلد لا شعر عليه يحفظ فيه السمن .المعجم الوسيط ج١ ص١١٤ ، ١٩٥

(٣) انظر : المقريزى : امتاع الاسماع جـ ١ ص ٤٧٢ : ابن كثير : شمائل الرسول ودلائل نبوته ص ٢٢٤ .

أهليهم » فقال : « يا رسول الله ، لا تفعل فإن يَكُ في الناس فضل من ظهر يكن خيراً ، ولكن ادع بفضل أزوادهم ، ثم اجمعها فادع الله فيها بالبركة كما فعلت في منصرفنا من الحديبية فإن الله سيستجيب لك ... » فنادى مناديه : « من كان عنده فضل زاد فليأت به » ، وأمر الأنطاع (١) فبسطت ، فجعل الرجل يأتى بالمد من الدقيق والسويق أو التمر ، أو القبضة من الدقيق أو الكسر ، فيوضع كل صنف على حدة ، وكل ذلك قليل ... ثم توضأ صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين ودعا الله تعالى ثم نادى مناديه : « هلموا إلى الطعام خذوا منه حاجتكم » . فأقبل الناس ، فجعل كل من جاء بوعاء ملأه . فقال بعضهم لقد طرحت يومئذ كسرة من خبز وقبضة من تمر . ثم رأيت الانطاع تفيض ، فجئت بجرابين فملأت أحدهما سويقا والآخر تمراً ، وأخذت في ثوبى دقيقا كفانا إلى المدينة . فجعل الناس يتزودون حتى اكتفوا عن آخرهم ، والرسول صلى الله عليه وسلم واقف يقول : « أشهد أن لا اله إلا الله وأنى عبده ورسوله . وأشهد أنه لا يقولها أحد من حقيقة قلبه إلا وقاه الله حر النار » (٢) .

نبع المـاء من بين أصـابع الرسـول :

وحديث آخر يثير الدهشة والعجب في هذه الغزوة ، ومع جيش العسرة التى كانت آخر غزواته صلى الله عليه وسلم ، إذ افتقد المسلمون الماء فاغاثهم الله بفضل وضوئه صلى الله عليه وسلم ، فقد كان مع ابى قتادة أداوة ماء توضأ منها رسول الله وفضلت فضلة . فقال الرسول : يا أبا قتادة ، احتفظ بما في الاداوة والركوة . فإن لهما شأنا ثم صلى الفجر بعد طلوع الشمس (٣) فقرأ بالمائدة ، فلما انصرفنا بعد الصلاة قال : « أما أنهم لو اطاعوا ابا بكر وعمر رشدوا » . وكان الجيش قد سبق سائرا نحو المدينة فأراد كل من ابى بكر وعمر أن ينزل الجيش في موضع الماء فابوا عليهما . ولكنهم فقدوا الماء بعد ذلك فنزلوا على غير ماء بفلاة من الأرض .

ركب رسول الله فلحق بالجيش عند زوال الشمس ، فوجد الجيش قد لحقه عطش شديد ، حتى كادت تنقطع اعناق الرجال والخيل عطشا . فلما أبصر الرسول حالهم وماهم عليه من الشدة ، دعا بالركوة من ابى قتادة فافرغ مافي الاداوة فيها . ثم وضع أصابعه عليها

---

(١) الانطاع جمع نطع وهو البساط من الجلد .المعجم الوسيط ج٢ ص٩٣٨

(٢) راجع : المقريزى : امتاع الاسماع جـ ١ ص ٤٧٤ ؛ راجع أيضا ابن كثير : السيرة النبوية جـ ٤ ص ١٨ ولكنه يذكر أن الرسول قال « أشهد أن لا اله إلا الله وأنى رسول الله لا يلقى الله بها عبد غير شاك فيحجب عن الجنة » .

(٣) كان الرسول قد عرس ومعه ابو قتادة وثلاثة من المسلمين فلم يوقظهم إلا حر الشمس : انظر المقريزى : إمتاع الاسماع جـ ١ ص ٤٧٥ .

فنبع الماء من بين أصابعه ، وأقبل الناس فاستقوا وفاض الماء حتى ترووا وأرووا خيلهم وركابهم وان كان في العسكر اثنا عشر ألف بعير ، والخيل عشرة آلاف ، والناس ثلاثون ألفا . فظهر سر قول رسول الله لابى قتادة « احتفظ بما فيهما فان لهما شأنا » (١) .

وقد دعا صلى الله عليه وسلم لراوية ماء اشتراها أسيد بن حضير من امرأة من « بَلِّى » (٢) . في الطريق فأتى بها إلى الرسول فقال للناس : « هلموا أسقيتكم » .. فلم يبق معهم سقاء إلا ملأوه . ثم دعا بركائبهم وخيولهم فسقوها حتى نهلت وانبسط الماء حتى يصف عليه المئة والمئتان (٣) . وهكذا تحول العسر يسرا ، وكأن الله سبحانه أراد أن يُثَبِّتَ المؤمنين ويلزم المنافقين الحجة ، ويؤيد رسوله في آخر غزواته بما لا يسع أحداً إنكاره .

على مشارف الشـــــام :

فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوك جمع الناس فخطب فقال : « أيها الناس .. أما بعد .. فان أصدق الحديث كتاب الله ، وأوثق العرى كلمة التقوى ، وخير الملل ملة إبراهيم ، وخير السنن سنة محمد ، وأشرف الحديث ذكر الله ، وأحسن القصص هذا القرآن ، وخير الأمور عواقبها ، وشر الأمور محدثاتها ، وأحسن الهدى هدى الأنبياء ، وأشرف الموت قتل الشهداء ، وأعمى العمى الضلالة بعد الهدى ، وخير الأعمال ما نفع ،وخير الهدى ما اتبع ، وشر العمى عمى القلب ، واليد العليا خير من اليد السفلى ، وما قل وكفى خير مما كثر وألهى » . وختم بقوله : « ومن يصبر يضاعف الله له ، ومن يعص الله يعذبه الله ، اللهم اغفر لى ولأمتى ، اللهم اغفر لى ولأمتى ، اللهم اغفر لى ولأمتى » (قالها ثلاثا) ثم قال : « أستغفر الله لى ولكم » (٤) .

علم الروم بأمر هذا الجيش الذى خرج لمواجهتهم بقيادة الرسول الكريم وعلموا قوته وعدده وحماسته فآثروا الانسحاب إلى حمص ، ورجعت قوة الحدود لتتحصن داخل بلاد الشام وحصونها .. وعرف الرسول بأمر الانسحاب ، ونمى اليه ما أصابهم من خوف .. فلم ير محلا لتتبعهم داخل الشام .

وقد يكون الروم قد قصدوا أن لا يسيروا إلى المسلمين لقتالهم ، لأن تبوك في الجنوب الأقصى من بلاد الشام . أو لأن هرقل امبراطورهم اعتقد بأن النبى محمد رسول من الله

---

(١) المقريزى : امتاع الاسماع جـ ١ ص ٤٧٦ .
(٢) بَلِّى بطن من قضاعة .
(٣) المقريزى : امتاع الاسماع جـ ١ ص ٤٧٧ .
(٤) ابن كثير السيرة النبوية جـ ٤ ص ٢٤ ، ٢٥ : المقريزى : امتاع الاسماع جـ ١ ص ٤٦٠ .

حقا . وتُورد بعض المصادر الإسلامية أن هرقل أرسل رجلا من غسان لينظر في صفة النبى وعلامته (١) ، فجاء الرجل إلى النبى وهو في تبوك فوعى أشياء ذكرها لهرقل . ولذا لم يتحرك من موضعه لمقابلة جيش المسلمين الواصل إلى تبوك بقيادة الرسول نفسه .

أقام جيش العسرة المتعطش لمدافعة الأخطار الخارجية في تبوك : وهى مدينة على الطريق بين المدينة ودمشق على مسيرة اثنى عشر يوما من المدينة . (الطرق الحديثة الحالية تبلغ ٦٨٦ كيلو مترا) وتقع على الحدود الشمالية للجزيرة العربية ، وعلى حدود الامبراطورية البيزنطية .

ويذكر المؤرخون أن سكان تبوك من الروم وعاملة وجذام هربوا عندما بلغهم وصوله صلى الله عليه وسلم . وذلك راجع إلى ما ظهر عند أول احتكاك فعلى بين الروم والمسلمين العرب في غزوة مؤتة . فقد حدث بعد مقتل أمرائها الثلاثة أن أخذ الراية خالد بن الوليد . وكان الله قد جَلّى لنبيه ميدان المعركة فقال : « ثم أخذ الراية خالد بن الوليد ، اللهم إنه سيف من سيوفك أنت تنصره » . ثم قال : « الآن حمى الوطيس » . فقتل المسلمون من الروم وحلفائهم من العرب مقتلة لم يقتلها قوم ، وهزم الله العدو وأظهر المسلمين (٢) .

فقد شهد الروم أن المسلم يريد أن يموت في سبيل الله ولا يعنيه كيف مات ما دام قد قتل عددا قبل استشهاده . ولأن المسلم كان في ذروة حماسته لدينه على حين كان الرومى ولو أنه محارب مدرب ، إلا أنه لم يكن متحمسا دينيا وذلك للنزاع بين المذاهب المسيحية ، فضلا عن أن الحرب مع الفرس كانت قد قضت على خيرة المحاربين الرومان ، بالاضافة إلى أنهم لا يقاتلون إلا في قرى محصنة أو من وراء جُدُرْ .

أقام الرسول صلى الله عليه وسلم وجيش العسرة على حدود الامبراطورية البيزنطية (٣) ، عشرين يوما على أرجح الأقوال ، يتحدى من يشاء أن ينازله أو يقاومه ، وقصد من بقائه هذه المدة الطويلة أن يعمل على كفالة وضمان حدود الجزيرة العربية في الشمال ، حتى لا يتخطاها من بعد ذلك أحد (٤) .

---

(١) أورد ابن كثير خبر رسول قيصر الروم ورسالته التى حملها الى النبى صلى الله عليه وسلم وأن من حمل الرسالة رجل من تنوخ وهى احدى القبائل الغسانية المتحالفة مع الروم : انظر البداية والنهاية جـ ٥ ص ١٥ ، ١٦ .

(٢) وقد ذكر ابن اسحاق من أن خالد إنما حاش بالقوم حتى تخلصوا من الروم (ابن هشام : السيرة جـ ٢ ص ٣٨٠) أما موسى بن عقبة والواقدى فصرحا بأنه هزم جمع الروم والعرب الذين معهم وهو ظاهر حديث أنس مرفوعا ورواه البخارى : « ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله ففتح الله على يديه » (ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٤ ص ٢٤٨) .

(٣) تسمى الامبراطورية الرومانية الشرقية كما أسلفنا أو دولة الروم أيضا .

(٤) انظر : المقريزى : أمتاع الأسماع جـ ١ ص ٤٧٣ .

وكان يوحنا بن رؤبة صاحب أيله « العقبة » أحد الحكام الموالين للروم على حدود الجزيرة العربية ، فانذره الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يذعن أو يغزوه ، فأقبل يوحنا ، وعلى صدره صليب من ذهب · وقَدِمَ والهدايا معه ، وتقدم بالطاعة ، فصالح الرسول وأعطاه الجزية (١) · كما صالح الرسول أهل جرباء وأذرح ومقنا فقدموا الجزية رمزا للخضوع والاذعان وكتب لهم الرسول كتبا بالامان (٢) ·

أسر أكيدر ومصالحتـــــه :

لم يكن بعد انسحاب الروم خوف من هجومهم المباشر · ولكن خشى الرسول انتقاض أكيدر بن عبد الملك الكندى النصرانى أمير دومة الجندل ، ومعاونة جيوش الروم إذا جاءت من ناحيته · وتأتى أهمية دومة الجندل ، أن حولها جموع القبائل الكثيرة العدد والمسلحة بأسلحة الرومان · فكان لا بد من اخضاعه لتأمين منطقته ·

لذا بعث الرسول صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد من تبوك ومعه أربعمائة وعشرون فارسا الى اكيدر وأمره بأن يعتقله ولا يقتله ويأتى به أسيرا · ومن أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم أن خالدا قال : يا رسول الله كيف لى به وهو وسط بلاد كلب ، وإنما أنا في عدد يسير فقال له : « انك ستجده يصيد البقر فتأخذه فلا تقتله وائت به إلى » (٣) وما يظن أحد إلا أن الصيد يكون بعيداً عن الحصون والعمران · ولكن خيل السرية المسلمة الممتثلة لأمر رسول الله ، المجاهدة في سبيل اعلاء كلمة الله ، سارت بقيادة خالد نحو الحصن · إذ أين يبحث عنه في مسارح الصيد ومضاربه ووهاد الصحراء ؟ ·

قَدِم خالد حتى اذا كان من حصن دومة بمنظر العين ، ربض ينتظر غِرّة فيهجم ، وكان من عادته أن لا يبيت إلا على تعبئة · وأعطاه الله بصيرة بالحرب نافذة · لَبِث حتى مضى جزء من الليل ، فإذا بقول رسول الله يتحقق ! ···

كانت ليلة مقمرة مضيئة ، وكان اكيدر على سطح قصره وحصنه ومعه امرأته ، فأقبلت البقر الوحشية الى قصر اكيدر جماعة تحك بقرونها باب الحصن تستنزل صاحبه ··· فقالت له

---

(١) انظر : المرجع السابق جـ ١ ص ٤٦٨ ·

(٢) كتب الامان يمكن الرجوع اليها في مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة لمحمد حميد الله الحيدر أبادى وانظر أيضا : ابن هشام : السيرة النبوية جـ ٢ ص ٥٢٥ ، ٥٢٦ ؛ ابن كثير : السيرة النبوية جـ ٤ ص ٢٩ ، ٣٠ ؛ المقريزى امتاع الاسماع جـ ١ ص ٤٦٦ ـ ٤٦٩ ·

(٣) انظر : المقريزى : امتاع الاسماع بما للرسول من الانباء والاموال والحفدة والمتاع جـ ١ ص ٤٦٣ ·

امرأته : « هل رأيت مثل هذا قط ؟ » قال : « لا والله » . قالت : « فمن يترك هذه ؟ » قال : « لا أحـــد » .

فنزل فأمر بفرسه فاسرج له ، وركب معه نفر من أهل بيته ، منهم أخ له يقال له حسان ، فركب وخرجوا معه ، ففرت البقر أمامهم فطاردوها . وبينما هم كذلك ، تلقتهم خيل رسول الله بقيادة خالد . فاسرت اكيدر وقتلت أخاه . فلما صار في أيدى المسلمين صالح خالد ، ودخل به الحصن فافتتحه ومن معه من الفرسان . وكان صلحه على الفى بعير وثلاثمائة رأس من الرقيق ، وأربعمائة درع ، واربعمائة رمح . وتوجه خالد ومعه اكيدر يطلبان الرسول ، الذى كان قد انصرف عن تبوك عائدا إلى المدينة . فقدم اليها خالد ومعه أسيره ، وما صالح عليه أهل الحصن فاقرّ الرسول ما أمضى خالد (١) .

وعجب الناس لهذه الحادثة وقول رسول الله « ستجده يصيد البقر » فقال رجل من طيء « وما صنعت البقر تلك الليلة حتى استخرجته ، لتصديق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذُكر أن أكيدر قال عن البقر : والله ما رأيتها قط جاءتنا إلا البارحة . وقد كنت اضمر لها اليومين والثلاثة ، ولكن قَدَّر الله . فقال صاحب طيء :

تبارك سائق البقران إنى رأيت الله يهدى كل هاد (٢)

وأطلق رسول الله أكيدر وكتب له أمانا كما كتب لغيره (٣) . ولعل اصدار هذه الكتب من الرسول يدل على سيادة المسلمين على هذه المناطق . أى السيطرة على حدود الجزيرة العربية في الشمال .

وبهذا حقق الرسول هدفه من تأمين حدود شبه الجزيرة ، واقام من هذه البلاد والحصون معاقل متقدمة بينه وبين الامبراطورية البيزنطية ، حتى يأتى دور إخضاعها نهائيا .

---

(١) راجع : ابن هشام : السيرة النبوية جـ ٢ ص ٥٢٦ : امتاع الاسماع جـ ١ ص ٤٦٤ ـ ٤٦٥ .
(٢) راجع : ابن هشام : السيرة النبوية جـ ٢ ص ٥٢٦ / ٥٢٧ .
(٣) انظر : ابن سيد الناس : عيون الاثر في فنون المغازى والشمائل والسير جـ ٢ ص ٢٢١ : المقريزى : امتاع الاسماع جـ ١ ص ٤٦٦ .

اشرت فيما مضى أن قطاعا من المنافقين رجع من ثنية الوداع (١) · ولكن صحب المجاهدين أفراد من المنافقين · فكانوا قوة هدامة ، اشتد عداؤها للرسول رغم ما ظهر أمامهم من آيات واضحة لكل ذى قلب أو القى السمع · ولكن النفاق غلف قلوبهم ، وعشى أبصارهم فلا وَعْىُ ولا بصيرة · بل حدث في هذه الغزوة جريمة كبيرة ، حين تآمروا على قتل الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه ، ولكن لم يشأ صلى الله عليه وسلم وهو يعرفهم أن يقتلهم عندما كشف مؤامرتهم ·

كان المنافقون قد تآمروا على أن يطرحوا الرسول عندما يبلغ احدى العقبات على الطريق فلما بلغ صلى الله عليه وسلم تلك العقبة أراد المنافقون أن يسلكوها معه · فاعلم الله نبيه نبأ هذه المؤامرة · فأمر الناس أن يسلكوا بطن الوادى ، وسلك صلى الله عليه وسلم العقبة فكان مناديه حين أنذرهم بأمره قد قال لهم : « إن رسول الله آخذ بالعقبة فلا يأخذها أحد » (٢) ·· وأمر عمار بن ياسر بأن يأخذ زمام الناقة · وأمر حذيفة بن اليمان أن يسوق خلفه ·

وبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في العقبة إذ سمع حِسَّ القوم قد غَشْوه فغضب وأمر حذيفة بأن يردهم ، فرجع اليهم فجعل يضرب وجوه رواحلهم ، فانحطوا مسرعين من العقبة حتى خالطوا الناس · وأتى حذيفة فساق به · فلما خرج من العقبة سأله الرسول : « هل عرفت أحداً من الركب الذين رددتهم ؟ » قال : « يا رسول الله ···· عرفت راحلة فلان وفلان وكان القوم ملثمين فلم أعرفهم من أجل ظلمة الليل » (٣) ·

قال ابن اسحق إن النبى صلى الله عليه وسلم أعلم باسمائهم حذيفة بن اليمان · وذكر الحافظ البيهقى انهم كانوا أربعة عشر رجلا أو خمسة عشر ، وأشهد بالله ان اثنى عشر منهم حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد · وعَذَر ثلاثة منهم أنهم قالوا ما سمعنا المنادى ، ولا علمنا ما أراد القوم (٤) ·

---

(١) انظر : ابن هشام : السيرة النبوية جـ ٢ ص ٥١٩ ؛ ابن سيد الناس : عيون الأثر في فنون المغازى والشمائل والسير جـ ٢ ص ٢١٦ ·

(٢) راجع : ابن كثير : السيرة النبوية جـ ٤ ص ٣٧ ·

(٣) المقريزى : امتاع الاسماع بما للرسول من الانباء والاموال والحفدة والمتاع جـ ١ ص ٤٧٧ ، ٤٨٨ ·

(٤) ابن كثير : السيرة النبوية جـ ٤ ص ٣٥ ـ ٣٧ ، المقريزى : امتاع الاسماع جـ ١ ص ٤٧٩ ·

وكانوا قد أسرعوا برسول الله فسقط بعض متاع رحله ... يقول حمزة بن عمرو الأسلمى : « فنور لى في أصابعى الخمس ، فاضاءت حتى كنا نجمع ما سقط .... السوط ... والحبل وأشباهها ، حتى ما بقى من المتاع شيء إلا جمعناه » (١) ٠

هذا موقف عدائى للرسول اطلعه الله عليه ٠ ومع ذلك لم يأذن له بأن يقتلهم ٠ فلما أصبح الرسول قال أسيد بن حضير : ما منعك يارسول الله من سلوك الوادى فقد كان أسهل ؟ فقال : « يا أبا يحيى ، أتدرى ما أراد البارحة المنافقون ، وما هموا به ؟ ، قالوا نتبعه في العقبة فإذا أظلم الليل قطعوا أنساع راحلتى ونخسوها ، حتى يطرحونى عن راحلتى » ٠ قال أسيد بن حضير الأوسى الأشهلى وهو أحد النقباء يارسول الله : قد اجتمع الناس ونزلوا فمر كل بطن أن تقتل الرجل عشيرتُه ... وإن أحببت فنبئنى بهم ، فوالذى بعثك بالحق لا تبرح حتى آتيك برؤوسهم ، فإن مثل هؤلاء لا يتركون ... يارسول الله ، حتى متى نداهنهم وقد صاروا اليوم في القلة والذلة ، وقد ضرب الاسلام بجرانه ، فما نستبقى هؤلاء » فقال صلى الله عليه وسلم « يا أُسيد إنى أكره أن يقول الناس إن محمداً لما انقضت الحرب بينه وبين المشركين وضع يده في قتل أصحابه » ... قال يارسول الله ليسوا بأصحاب ... قال « أليس يظهرون شهادة أن لا اله إلا الله ... » قال : « بلى ولا شهادة لهم » ٠ قال : « أو ليس يظهرون أنى رسول الله » ، قال : بلى ، ولا شهادة لهم .... قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « وقد نهيت عن قتل أولئك » (٢) ٠

والملاحظ أن الرسول اشتد بعد ذلك في معاملته للمنافقين ٠ وقد بدأ بأن أمر باحراق مسجد الضرار ، وتقويض أركانه وفضح بُناته ورواده ٠ ذلك لأنه بنى ضرارا لمسجد رسول الله بالمدينة أو لمسجد قباء ، بنى كفراً بالله وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله ؛ وهو أبو عامر الفاسق ٠ وكان المنافقون مجتمعين فيه بين المغرب والعشاء فاحرقه رسولا النبى صلى الله عليه وسلم وهدماه حتى وضعاه في الأرض (٣) ٠

وقد ارتعدت فرائص المنافقين بعد هذا الحادث ، وأدركوا أنه قد انكشف أمر نفاقهم وأن الرسول يعرفهم تماما ، من تخلفهم ومن رجوعهم ومن مؤامراتهم ٠ وفقد المنافقون بعد

---

(١) انظر : المقريزى : امتاع الاسماع بما للرسول من الانباء والأموال والحفدة والمتاع جـ ١ ص ٤٧٨ ٠

(٢) انظر : المقريزى : المصدر السابق جـ ١ ص ٤٧٩ ٠

(٣) في عودة الرسول الى المدينة عندما اقترب منها أعلمه الله بأمر مسجد الضرار فأمر مالك بن الدخشم السالمى وعاصم بن عدى العجلانى فانطلق مالك فخرج بنار من عند أهله فحرقاه وهدماه (راجع : ابن هشام : السيرة النبوية جـ ٢ ص ٥٣٠ . المقريزى : امتاع الاسماع جـ ١ ص ٤٨٠ / ٤٨١ ٠

العودة من تبوك شيخهم عبد الله بن ابى بن سلول ، فمات بعد شهرين من عودة الرسول من تبوك ، وبوفاته انهار ركن المنافقين · ونزل قول الله تعالى : « **ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ، ولا تقم على قبره ، انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون** » (١) · ويبدو أن من بقى آثر السلامة ، بعد أن اعتبر بما سلف منهم والله أعلم بالسرائر ·

المتخلفون عن جيش العسرة

كان قد تخلف عن رسول الله نفر من المسلمين أخطأت بهم النية من غير شك أو ارتياب كما تخلف رهط من المنافقين · وبعد عودة الرسول إلى المدينة جاء المخلفون اليه يعتذرون ، فقبل منهم علانيتهم وإيمانهم ، وحلَفوا فصدقهم ، واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله تعالى ·

وكان ممن تخلف ثلاثة نفر هم : كعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع ، وهلال بن أمية · فأما كعب فقد قدم على رسول الله وهو جالس في المسجد فسأله : « ما خلفك ؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك ؟ (٢) » · قال : « بلى يارسول الله ، والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أنى سأخرج من سخطه بعذر ·· ولقد أعطيت جدلا · ولكن والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديثا كاذبا لترضى عنى ، ليوشكنَّ الله أن يسخط علَّى · ولئن حدثتك اليوم حديثا صادقا ، تَجِدُ علّى فيه · إنى لارجو عقبى الله فيه ·· والله ما كان لى عذر · والله ما كنت أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنك » · فقال عليه السلام : « أما أنت فقد صدقت · فقم حتى يقضى الله فيك » (٣) ·

وقام اليه رجال من قومه يقولون له : « أما كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله لك » · وظلوا به حتى كاد أن يرجع فيكذب نفسه · فلقيه معاذ بن جبل وأبو قتادة فقالا له : « لا تطع أصحابك ، وأقم على الصدق فان الله سيجعل لك فرجا ومخرجا إن شاء الله » ·

---

(١) انظر : ابن هشام : السيرة النبوية جـ ٢ ص ٥٥٢ ، ابن كثير ، البداية والنهاية جـ ٥ ص ٣٤ ·

(٢) اى اشتريت ما تركبه للسفر معنا ، والخروج مع الجيش ·

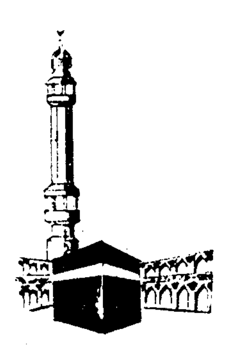
(٣) انظر : ابن هشام : السيرة النبوية جـ ٢ ص ٥٣٣ ؛ المقريزى : امتاع الاسماع جـ ١ ص ٤٨٥ ·

فقال لهما : « هل أتى هذا أحد غيرى ؟ » ، قالا له : « نعم ، مرارة بن الربيع وهلال بن أمية » (١) يقول : فذكرا لى رجلين صالحين قد شهدا بدراً ولى فيهما اسوة » ٠ ومضى حتى يقضى الله فيه ٠

ونهى رسول الله عن كلام الثلاثة فاجتنبهم الناس ، وتغيروا لهم ، حتى تنكرت لهم أنفسهم ، فلبثوا على ذلك أربعين ليلة ٠ ثم بعث رسول الله بأن يعتزلوا نساءهم ٠ فلما انقضت خمسون ليلة ٠ انزل الله توبته عليهم التى فرح بها المجتمع الإسلامى كله وهو قوله : **« لقد تاب الله على النبىّ والمهاجرين والأنْصار الذين اتَّبعوهُ في ساعة العُسْرَة... الخ » الآيـــة ٠**

وهكذا ٠٠ كان من نتائج هذه الغزوة تأمين الجزيرة العربية ضد القوى المسيحية والوثنية في الشمال ، وكشف العناصر المخادعة من المنافقين في الداخل ، والضرب على أيديهم ، وتنقية المجتمع الإسلامى من الشوائب الضارة ٠

ولاريب أن هذه الغزوة إلى الحدود الشمالية تشير إلى الاتجاه الذى أراده الرسول للفتوحات الإسلامية من بعده ٠ وضرورة إخضاع دولتى الفرس والروم وإزالة سيطرتهما عن العراق والشام ، حتى ينطلق الإسلام إلى ماوراءهما ٠ بل كان آخر عمل للرسول صلى الله عليه وسلم ، اعداده جيش اسامة بن زيد لقتال الروم ٠ ووصيته للصحابة بأن لا يتخلفوا عنه ٠ والتى ساهم فيها كبار الصحابة وكان لها آثار طيبة على مستقبل الإسلام ٠



---

(١) راجع : المقريزى : امتاع الاسماع جـ ١ ص ٤٨٥ / ٤٨٦ ٠

من أعلام الدعوة الإسلامية في الهند

الشيخ زين العابدين بن علي المعبري المليباري

للدكتور محيى الدين الألوائى
أستاذ مساعد بالجامعة

كان الشيخ زين الدين بن على من جلة العلماء الهنود في القرن التاسع الهجرى (القرن الخامس عشر الميلادى) وصاحب مؤلفات عديدة باللغة العربية في العلوم الإسلامية والدعوة والإرشاد والفقه والتاريخ والنحو والصرف والعروض وغيرها . ولعائلة الشيخ زين الدين يد طولى في نشر العلوم الإسلامية واللغة العربية وآدابها في الهند . ولا تزال عائلته معروفة في بلدة « بونانى » في « مليبار » بولاية « كيرالا » الهندية ، عائلة علم وأدب ودعوة ، ويطلق عليها أهالى مليبار « عائلة المخدومين » ويدعى كل فرد منها بلقب « مخدوم » .

موطنـــه ومولـــده :

ولد زين الدين بن على عام ٨٧٣ هـ - ١٤٦٨ م في منطقة « معبر » الواقعة في الجنوب الشرقى لساحل مليبار بشبه القارة الهندية . ومنطقة « كورا مندال » في أقصى جنوب الهند كان يسميها العرب المؤرخون « معبر » لأن الموانىء المنتشرة في هذه المنطقة الممتدة بين مدينة « كويلون » في جنوب كيرالا وبين مدينة « نلّور » بمقاطعة مدراس ، وكانت مركزا لارتياد السفن التجارية للعرب في السواحل الهندية ، كما كانت بمثابة معبر رئيسى للسفن القادمة من سواحل جزيرة العرب والخليج العربى في طريقها إلى سيلان والصين وجاوا وغيرها من بلاد الشرق الأقصى . وكذلك استوطنت في شواطئها جاليات عربية منذ عصور قديمة .

معبر ـ « مفتـــاح الهنـــــد »

ونظرا لمركز « معبر » الجغرافى والاقتصادى ، عرف ملكها باسم « د يور » أى الغنى ، وكانت لها علاقات تجارية وثقافية مع جهات الهند والبلدان المجاورة ، حتى اشتهرت معبر بين التجار العرب وغيرهم باسم « مفتاح الهند » ٠ وكان ملكها « سوندرا باند يا » يحب التجار العرب كثيرا لما لهم من دور كبير في تنمية اقتصاد البلاد ورخائها ، فقد اختار الملك ، مسلما عربيا وهو « تقي الدين بن عبد الرحمن بن محمد الطيب » المولود في المدينة المنورة ليكون مستشارا له في الشئون التجارية والاقتصادية ، ثم عيّنه واليا على مقاطعة ـ كايل باتنام ـ احدى الموانىء الرئيسية في « معبر » ٠

ارتحاله إلى مليبـــــار :

وفي بداية القرن العاشر الهجرى ارتحل الشيخ زين الدين بن على وأسرته من مسقط رأسه بمعبر إلى مليبار (كيرالا) التى نزلت في مدينة « كوتشين » ، ثم انتقلت إلى مدينة « بونانى » إحدى المراكز الأولى للمستوطنين العرب في شواطىء جنوب غربى الهند على بحر العرب ٠ ثم بنى الشيخ مسجدا جامعا كبيرا في بونانى ليكون مركزا لنشر الدعوة الإسلامية واللغة العربية بين أهالى مليبار ٠

مركز « بونانى » العلمى :

وبعد وصول الشيخ زين الدين بن على إلى بونانى وبناء مسجده المدرسي فيها ، أصبحت هذه المدينة منار النور والعرفان ومحط رجال العلم والأدب القادمين من أرجاء الهند ومن مصر وسوريا ، فكان من بين المدرسين في هذا الجامع الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمى (المتوفى سنة ٩٠٩ هـ) ٠ ووضع الشيخ تصميم هذا المسجد الجامع ، بحيث يصلح لأن تعقد فيه حلقات الدروس ، ويقيم في زواياه وأروقته طلبة العلم الذين يفدون إليه من خارج المدينة ٠ وقام بالتدريس فيه كبار أساتذة العلوم الإسلامية والعربية مثل الشيخ « ابن حجر الهيتمى المذكور ٠ وتخرج من هذا المركز العلمى عدد كثير من العلماء الأعلام في علوم الإسلام واللغة العربية ، منهم نجل الشيخ زين الدين وحفيده ، الشيخان عبد العزيز بن زين الدين ، وزين الدين بن عبد العزيز المعروف بزين الدين الثانى ، فكانوا من جلّة العلماء الهنود في الفقه والتوحيد والتاريخ الإسلامى في الهند ، وأصحاب مؤلفات عديدة باللغة العربية في هذه المواضيع ٠

وكان من العلماء الدعاة الذين درسوا العلوم الإسلامية في هذا الجامع المدرسيّ الشهير والدى المرحوم الشيخ مقار المولوى - المتوفى سنة ١٩٦٩ م - الذى قضى سنوات عمره كله في الدعوة إلى الله بالوعظ والإرشاد · وبتوجيه من والدى ، قضيت فترة من الزمن ، في الثلاثينات من هذا القرن ، في مدينة « بونانى » أتلقى العلوم الإسلامية والعربية في جامع الشيخ زين الدين ، حسب النظام القديم المتبع فيه جيلا بعد جيـــل ·

مؤلّفـــاته العربيـــــة :

من مؤلفات الشيخ زين الدين بن على في اللغة العربية ، « مرشد الطلاب » في الوعظ والإرشاد ، و « تحفة الأحباء » في السيرة النبوية ، و « إرشاد القاصدين » وهو مختصر لكتاب « منهاج العابدين » للإمام الغزالى ، و « شعب الإيمان » وهو ترجمة عربية لكتاب فارسى بهذا الاسم للسيد « نور الدين أيجى » و « كفاية الفرائض » في علم الميراث ، وكتب أيضا هى شروحٌ قيمة باللغة العربية لبعض كتب العروض والنحو ، ومنها كتاب « القافية » لا بن حاجب ، و « الالفية » لا بن مالك ، و « تحفة » لا بن الوردى ، و « الإرشاد » لا بن المقرى ·

مؤلّفـــاته المنظومة

وصنف الشيخ زين الدين بن على بعض الكتب منظومة باللغة العربية منها « أرجوزة » بالعربية باسم : « تحريض أهل الإيمان على جهاد عبدة الصلبان » ، وهو في بيان قصة احتلال البرتغاليين لسواحل مليبار ومظالمهم للمسلمين ، وفيها يحث الهنود على الجهاد لطرد المستعمرين ·

وفيما يلى مقتطفات من شعره :

الحـــمـــد لله المــوفــق لــلــعــلا   حمــدا يــوافي برّه المتكـــاملا
تقـــوى الإلّـه مدار كل سعادة   وتبـــاع أهـوا رأس شرّ حـــائلا

وقال مشجعا الناس على التمسك بالورع والعزيمة للوصول الى السعادة الأبدية :

من رام دراً لـلســـــفينة يركب   ويغـوص بحـرا ثم درا حصـــلا

ثم يقول في التوبة :

أطلب متابا بالندامة مقلعا ... وبعزم ترك الذنب فيما استقبلا
وبراءة من كل حق الآدمى ... ولهذه الأركان فَارْعَ وكملا
وأقم دواما بالمحاسبة التى ... تنهاك تقصيرا جرى وتساهلا
وبحفظ عين واللسان وسائر الأ ... عضا جميعا فأجهدن ولا تكسلا

ويقول في التوكل :

أما المعيل فلا يجوز قعوده ... عن مكسب لعياله متوكلا
لا تبذلن للناس عرضك طامعا ... في ما لهم أو جاههم متذللا

وفي الإخلاص :

أخلص وذا أن لا تريد بطاعة ... الاّ التقرّب من آلهك ذى العلا
لا تقصدن معه إلى غرض الدنا ... كثنائهم أو نحو ذاك توصلا
عمل لأجل الناس شرك تركه ... للناس ذاك هو الرياء سبهللا

وفاته :

انتقل الشيخ زين الدين بن على إلى رحمة الله بمدينة « بونانى » في السابع عشر من شعبان المعظم سنة ٩٢٨ هـ ـ ١٥٢١ م ٠

عبد العزيز بن زين الدين :

وكان ابنه عبد العزيز عالما جليلا ومؤلفا قديرا باللغة العربية ، وكتب الشيخ عبد العزيز شرحا مختصرا باللغة العربية لقصيدة والده « هداية الأذكياء » وسماه « ارشاد الالباء » ثم اتبعه بشرح مطول لنفس القصيدة باسم : مسلك الأذكياء » ٠ ويقال إن الشرح الذى كتبه الشيخ زين الدين بن على ، لألفية ابن مالك لم يكتمل في حياته ، فأكمله ابنه عبد العزيز ٠

وتوفي الشيخ عبد العزيز في سنة ٩٩٣ هـ ودفن بجوار والده رحمهما الله · ولو لم يترك عبد العزيز تراثا كثيرا من المصنفات والأعمال العلمية والأدبية الأخرى ، فإنه خلّف لعالَم العلم والأدب ابنا يعد من فطاحل العلماء الذين ساهموا مساهمة كبيرة في خدمة العلم والدين في الهند ، ونشر اللغة العربية في أنحائها ·

الشيخ زين الـدين الثـانى :

ويعتبر زين الدين بن عبد العزيز ، حفيد الشيخ زين الدين بن على من جلة علماء عائلة زين الدين · وهو تلميذ العلامة ابن حجر الهيتمى الذى قدم إلى « بونانى » ليدرس العلوم الإسلامية والعربية في الجامع المدرسى الذى شيده فيها جده ، زين الدين الأول · وقد تتلمذ على ابن حجر وغيره من العلماء العرب وتخرج أكثر تمكنا في اللغة العربية وأبدع أسلوبا فيها من بين المؤلفين الهنود في اللغة العربية ·

مؤلفـاته العربيـة :

من أشهر تصانيف الشيخ زين الدين الثانى باللغة العربية « قرة العين » في الفقه الشافعى ثم وضع لنفس الكتاب شرحا وافيا باسم : « فتح المعين » وهو من الكتب المتداولة بين علماء البلاد العربية وبلاد الشرق الأقصى والمقررة في معاهدها العلمية في مادة الفقه الشافعى · وكتب له بعض المتقدمين والمتأخرين من فقهاء العرب شروحاً ، كما صدرت له عدة طبعات في الهند وجاوا والملايو والمدينة المنورة وبمصر · وطبع بمطبعة محمد على صبيح بمصر في سنة ١٣٤٦ هـ مع تقريرات لبعض أفاضل العلماء في هامشه · ومن كتبه الطريفة « الأجوبة العجيبة » شرح فيه المسائل الفقهية في صورة الأسئلة والأجوبة ، ويعتبر أول مؤلف من هذا القبيل باللغة العربية ·

تحفـة المجاهدين :

يعد كتاب « تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين » للشيخ زين الدين بن عبد العزيز المليبارى ، من أوثق المصادر الأصلية باللغة العربية لتاريخ مليبار (كيرالا) القديمة وبالأخص لتاريخ بداية عهد الإسلام فيها وبالتالى في شبه القارة الهندية كلها · وشرح المؤلف في مقدمته معتقدات وعادات وتقاليد الهندوس في مليبار في تلك العصور ثم ذكر تاريخ البرتغاليين إلى مليبار ومحاولتهم للاستيلاء على المراكز التجارية فيها · ويعتبر علماء التاريخ ،

هذا الكتاب ـ تحفة المجاهدين للشيخ زين الدين ـ مصدرا أصليا في تاريخ القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) ويعدون مؤلفه حجة في علم التاريخ موضوعا ومنهجا ·

وفي القسم الخاص عن بدء ظهور الإسلام في مليبار ، أورد المؤلف قصة الملك الذى اعتنق الإسلام وسافر إلى جزيرة العرب لمقابلة النبى العربىّ ، كما بيّن فيه تاريخ بداية اليهودية والمسيحية في الهند وأثبت فيه أن منطقة مليبار أول موطن في الهند وصلت إليه الأديان السماوية وملتقاها ·

في اللغات الأجنبيـــــة :

وتظهر مكانة « تحفة المجاهدين » بين الوثائق التاريخية من التراجم العديدة التى صدرت له في مختلف اللغات العالمية فقد نقل من العربية إلى الإنجليزية والأوردية في عام ١٨٣٣ م ثم نقل إلى البرتغالية عام ١٨٩٨ م وطبعت ترجمته البرتغالية مع النص العربى بمطبعة « لسبو » سنة ١٨٩٨ م وتوجد نسخة من هذا الطبع في دار الكتب المصرية تحت رقم ج / ٧٧٢٨ ـ ونسخة محفوظة في معظم المكتبات العالمية التاريخية مثل مكتبة لندن ومكتبة المجمع الآسيوى بكلكتا وغيرهما · وكتب المؤلف في مقدمته أهداءه إلى سلطان « بيجابور » (١٥٥٧ ـ ١٥٨٠ م) · وعلق بعض علماء العصر الحديث على منهج « تحفة المجاهدين » فقالوا : إنه يفوق ، في دقة البيان وعدم التحيز في سرد الوقائع ، المنهج العلمى الحديث في علم التاريخ ·

مولـــده ومدفنـــه :

ومن المؤسف جدا أننى لم أعثر بعد ، على وثائق تدل على تاريخ ميلاده أو وفاته ، كما لم يسجل في أى من مؤلفاته المطبوعة أو المخطوطة ، ولكن حسب القول الشائع بين العلماء في مليبار أنه ولد في مدينة « بونانى » وتتلمذ على الشيخ ابن حجر الهيتمى ثم طاف أرجاء مليبار ينشر العلوم ويرشد الناس حتى توفي في مدينة « ماهى » بشمالى مليبار ودفن فيها · وكتب الشيخ زين الدين بن عبد العزيز في ختام كتابه « فتح المعين » تاريخ الفراغ من تأليفه وهو الرابع والعشرون من شهر رمضان المعظم سنة ٩٨٢ هـ ·····



وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ
ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذۡ قَالَ لَهُۥ
رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ
إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ
ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ سورة البقرة

لماذا أسلم هؤلاء..؟

عرفت الإسلام بالمراسلة ثم هربت إلى بلد إسلامى لتعلن إسلامها

مازال بعض المغرضين الكارهين للدين الاسلامى يحاولون بكل جهودهم أن يلصقوا بالإسلام تهمة الانتشار بحد السيف .

والإسلام من هذا الإتهام برىء تماما .

والدليل على ذلك ، أننا في القرن الخامس عشر الهجرى ، لانجد إلا ازدياد الداخلين بالأفواج في دين الله .

ولا سبيل لحصر الجنسيات التى تجد نفسها وملاذها الحقيقى ، في اعتناق الدين الحنيف ، والعمل بتعاليمه ، وشريعته التى لاتقهر .

والداخلون في دين الله ، يوميا ، يعدون بعشرات المئات ، في مشارق الأرض ومغاربها وهنا تقع على الكارهين الكوارث حيث أن كل داخل الى الدين بلا سيف أو عصا يشكل أمامهم قوة حقيقية في أن الإسلام قوى وأن الإسلام باق رغم كراهيتهم العمياء له .

وتجىء الردود على كارهى الإسلام ، من ذويهم الذين يعملون على قمعه والتشهير به ، منذ أوحاه الله تعالى على محمد بن عبد الله صلوات الله عليه وسلامه . وقد قدمنا في عدد ماض قصة اثنين اعتنقا الاسلام وكان أحدهما من النمسا والآخر من المانيا .

ونزف في هذا العدد هذه الصورة المشرقة لفتاة عرفت الاسلام وآمنت به ، بعد دراسة عميقة متأنية ، بعدها لم تستطع أن تخفى إسلامها ، فأشهرته ، وأعلنته رغم كراهية أبويها اللذين يعملان في بعثات تبشيرية تحرض على الإسلام وتعمل بكل قوتها على استكراه الناس فيه ، واعتناقهم الدين الذى يدعون إليه ، ويبشرون به ·

ومن هنا نستطيع أن نؤكد أن الإسلام قوى في حجته وبراهينه فهو بلا وسيط إلى الخالق يدعو ، وبلا وساوس يؤكد وجود الإنسان الذى هو امتداد حقيقى لكرامة الإنسان حرا في هذا العالم رغم التيارات المناوئه التى قتلت في الإنسان حياته ·

والفتاة التى نعرض لها قصة تعرفها على الإسلام هى جاكلين هيربرت ماكينزى التى نشأت بين أسرة متدينة تواظب على الذهاب إلى الكنيسة وبصفة مستمرة فأبوها له قراءات دينية ويعمل علاوة على ذلك مدرسا للتربية الدينية والأم واحدة من الاخصائيات الاجتماعيات التى تأثرت بتدين زوجها في عملها فارخت لتعليماته كل السبل لتنجح في عملها ·

الأسرة أمريكية تعيش في ولاية ميتشيجان ·

وترى الفتاة أبويها يؤديان يومهما بروتينية بعثت في نفسها الضجر ، الذى انفجر بتساؤلات السن الخطيرة ـ السادسة عشر ـ التى كانت تجد لها دائما الاجابة عند أمها وأبيها ·

الفتاة غير مقتنعة بكل الإجابات التى تأتيها على أسئلتها من أمها وأبيها وهى تحب القراءة وميالة للانفراد بنفسها ، وتأمل الحياة من حولها ·

تقـــول جاكلين : ـ

حاول أبواى أن يدفعانى إلى الصداقات التى يعترف بها المجتمع الأمريكى لكنى كنت استبعد كل خواطر هذه الصداقات من عقلى وقلبى ولم يستطع أبى رغم تدينه أن يجعلنى امتدادا له ·

لم آبه بكل تصرفاته التى كان يتعمد أن يفعلها أمامى لاستقى منها شيئا ربما يجذبنى إلى حظيرته الدينية التى كنت انظر اليه فيها بشىء من عدم الاستقرار الذى كنت أعتقد أنه يعانيه تمثيلا أمامى ·

ولم تستطع أمى رغم ذكائها الشديد أن تأخذنى إليها ، فكانت ترضخ لتأملاتى وانفرادى بنفسى كثيرا لكنى سمعتهما في حديث هامس عنى ذات يوم أن هذه الانفرادية التى أقوم بها متأملة الكون من حولى ماهى إلا الطريق إلى تدين عميق ويجب أن نتركها بعض الشيء حتى تعود إلينا فنعرف كل شيء ولم أضع لحديثهما أى اعتبار في حياتى فأنا ابنة السادسة عشر لم أمارس أى شيء يمكن لرفيقات عمرى ممارسته في جو عادى يكفل ذلك لكل البشر فيه ·

وتقـــول جاكلين : -

وكنت أدرس في احدى المدارس العادية ، حتى وقعت في يدى احدى المجلات التى تهتم بالمراسلة وأخذت المجلة من زميلتى اتصفحها في هدوء ، ووقع اختيارى على هذا الاسم لفتاة في مثل سنى هى : خديجة محمد عمر الشويحى ، من المملكة المغربية ، وأخذت أنقل عنوان الفتاة التى وقع اختيارى عليها لأكتب لها ·

وبالفعل كتبت لها رسالة اطلب فيها معلومات عن المغرب ، وجاءنى رد صديقتى هادئا ·

وتوالت مراسلتى مع صديقتى المغربية وتعرفت من خلالها على تاريخ المغرب والآثار الإسلامية فيه ·

وسألت صديقتى عن الإسلام ، فراحت تكتب لى بحب شديد عن الإسلام ، وكأنه عاشق استهواه قلبها ، وجلست أقرأ ما كتبته لى عن الإسلام بأسلوبها السهل البسيط ، فوجدت أنها تكتب لى من قلبها عن دين يحمل في تعاليمه الخير للبشرية جميعا ، ويحمل للإنسان الروح الخالية من التعصب والتعقيد ، ولما سألتها عن المعجزات التى قدمها محمد صلى الله عليه وسلم باعتباره نبى الإسلام قالت أكثر من مرة في رسالتها أنه القرآن الكريم ·

ووقفت أمام رسالة صديقتى المغربية متسائلة عن المعجزة (القرآن الكريم) وسألت أبى ، باعتباره رجل دين ، يجب أن يكون ملما وعارفا ببقية مانزل من أديان ، لكنه استشاط غضبا حينما وجدنى أسأله عن القرآن الكريم ، معجزة الإسلام ·

وأصبحت معاملة أبى لى جافة بعيدة عن الأبوة وقلدته أمى تماما حتى أيقنت أنى لست ابنتهما ، وإنما وجدانى في الطريق ولامتنى أمى برفق ذات مرة لمراسلتى خديجة

المغربية التى قلبت أحوالى وغيرت كل شىء في حياتى حتى انى رحت أقلدها في ارتدائها الزى المغربى الذى أرسلته لى ذات مرة بعد اعجابى بصورتها وهى ترتدى هذا الزى الجميل ·

وازاء ارتدائى الزى المغربى في اجازتى الاسبوعية ، راح أبى في عصبية يمزق رسائل صديقتى المغربية خديجة ، وحزنت حزنا شديدا على ذلك وفي اليوم التالى أمسك أبى بالزى المغربى وأحرقه أمامى وكأنه يريد أن يقطع صلتى بالصديقة التى أحببتها دون أن أراها ·

وأمام هذا الاصرار على عدم موافقتى لميولهم طردانى من المنزل ذات ليل قارس البرد ، وجلست مع نفسى في مكان قريب من منزلنا ، وعدت إليه في الصباح ، واستقبلنى أبى بصرامة شديدة وكذلك أمى ولما سمعا أنى عدت إلى حظيرتهما سعدا سعادة لا حدود لها · وجلست هذا اليوم معهما ولم يذهبا إلى عملهما ، ولم أذهب إلى مدرستى ، احتفالا بعودتى إليهما وإلى الدين الذى أرادانى أن أعرفه عنهم ، وأنا غير مقتنعة بما يفعلان ·

وتقــول جاكلين : -

ورحت أراسل صديقتى المغربية في سرية تامة ، حتى كانت إجازة الدراسة وكنت قد جمعت مبلغا من المال هو ثمن تذكرة ذهابى إلى الرباط حيث تعيش صديقتى المغربية خديجة ·

وحملت حقيبتى الصغيرة وذهبت إلى المغرب تاركة رسالة لأبى وأمى أقول لهما فيها : -

« أنا ذاهبة إلى صديقتى التى كرهتموها لأنها حدثتنى عن القرآن الكريم معجزة الإسلام ، لأعرف منها حقيقة هذه المعجزة التى سببت لكما هذا الازعاج ، أرجو ألا تغضبا منى » ·

واستقبلتنى صديقتى خديجة المغربية كأنها تعرفنى من سنوات طويلة وأحسست براحة شديدة في لقائى بها وجلست مع أسرتها المغربية المسلمة التى رحبت بى تماما ووجدت في نفسى الاستعداد الفطرى للإسلام ، حيث رحت أسأل وأجد الاجابات الهادئة مليئة بالحب والتقدير للإسلام ونبى الإسلام والقرآن الكريم ·

ولم أتردد لحظة واحدة في اعتناقى الدين الإسلامى ، فقد وجدت نفسى من بداية خلقى ، مسلمة ، ولهذا تفهمت التعاليم الإسلامية في سرعة شديدة وأصبحت مسلمة مؤمنة بالله وبرسوله ، وبمعجزة الإسلام ، القرآن الكريم التى عرفت فيه حياة الإنسان الصحيحة التى لو

سار عليها لعاش حياة آمنة سعيدة مطمئنة دون رياء ودون خجل من شيء فالقرآن أتى بكل شيء وفصله تفصيلا .

وكان لا بد لى أن أختار اسما إسلاميا فوجدت أن اسم خديجة صديقتى المغربية خير اسم يمكن أن اسمى نفسى به واشتهرت في المغرب باسم : خديجة الأمريكية وواصلت دراستى هناك وعشت حياتى بعيدا عن رياء التدين غير الطبيعى الذى حاول أبى أن يزج بى اليه ولم يستطع .

الإسلام .. حقيقة أعطت للوجود طعما ، فرضته تلك التعاليم البسيطة السهلة التى جاء بها إلى العالم .

ولم يفرض الإسلام تعاليمه العظيمة بحد السيف ، كما يدعى الكارهون والمغرضون ، لكنه بالحب والسلام ، والتعاليم التى لم تخل من كل ما يكرم الانسان ، استطاع أن يفرض نفسه .

ومع افتراء الكثيرين على طريقة انتشار الإسلام ، نجد أن الداخلين إليه يوميا ، يؤكدون أنه الحق الذى لا يجارى وأنه الحب الحقيقى ، والسلام القائم على التكامل الاجتماعى ، دون مازيف لكل مايحاولون تقديمه في أطر خالية من أى جوانب إنسانية .

.. وأسـرة أخـرى فرنسـية :

وهذه أسرة فرنسية ، لها مع الإسلام قصة لا يمكن إلا أن تكون شهادة جديدة ، تضيف لسوء القلوب ، ان الإسلام ، مافرض تعاليمه ، إلا بالخلق الكريم الذى بعث الله به نبى الإسلام .

ونترك الدكتور جورج بالو ، ليقدم لنا قصة إسلام أسرته ، منذ البداية : -

يقول دكتور جورج : ولدت لأب فرنسى وأم ألمانية عشنا في باريس غالبية حياتنا ، تتكون أسرتى من أخ وأخت كان والدنا يعمل يومه كى يوفر لنا حياة هانئة هادئة فقد كان حبه لنا لا يجارى وكانت أمى تحرص دائما على توفير جو السعادة لأسرتنا وقد سمعت أبى ذات يوم يتحدث لأمى بصوت عال ، وبطريقة لم أعهدها في أحاديثهما ، وخرجت أمى بعدها متجهمة الوجه عابسة ، فحزنت وأنا الطفل الصغير الذى مازال يدرس في مراحل التعليم الأولى .

ويقــول د · جورج : ـ

حاولت أن أسألها عن سبب غضب أبى وعبوسها بعد ذلك ، فصمتت بعد سؤالى ، وكررت على صمتها الحزين السؤال مرة ومرات ، خاصة بعد أن تكررت حادثة غضب أبى منها بعد ذلك مرات كثيرة ·

وتحت الحاحى المستمر ، لمعرفة سبب ثوراته الدائمة عليها ، قالت هادئة النبرات ، دامعة العينين : إنه لا يريدنى أن أقرأ هذا الكتاب وكان الكتاب « الشرق كما يراه الغرب » لمؤلفه (الينزيه دينيه) ، ونظرت إليها في تساؤل ، فقالت إن هذا الكتاب يتحدث عن الدين الإسلامى ، وأخلاق نبى الإسلام ، ورؤية الغرب السطحية لهذا النبى ، وهو لا يريدنى أن أتعرف على الشرق والدين الإسلامى ، ونبى الإسلام ، رغم ما يحمل هذا الكتاب من افتراءات أحسستها في لهجة مؤلفه ·

ويضيف دكتور جورج : ـ

وحقيقة الأمر ، اذهلنى حبها الشديد لنبى الإسلام ولما قلت لها ذلك قالت : إنه نبى أرسله الله سبحانه وتعالى ، برسالة هى الدين الإسلامى ·

وكان لوقع كلمة ـ الله ـ على عقلى وقلبى وقعا كبيرا ، وتساؤلات راحت أمى تشرحها لى شرحا وافيا ، وعرفت أن الله واحد ، لاشريك له ، ولا يجب أن يعبد سواه ، هو الذى رفع السماء ، وبسط الأرض ، وهو الذى اختار كل الأنبياء والرسل ، وختمهم بمحمد ، الذى أدبه فأحسن تأديبه حتى أنزل عليه القرآن الكريم الذى لو اتبعه البشر ، لساد الحب الحقيقى العالم ·

ولنبى الإسلام صفات عظيمة ، في خلقه وأخلاقه ومن أجل هذا أحببته ، وأحببت دينه وتعاليمه البسيطة ، وخلقه الكريم ·

ويستطرد قائلا : حاولت أن أنهى أمى عن قراءة هذا الكتاب حتى لا يشب شجار بينها وبين أبى في كل وقت وحين ، لكنها بلطف نهرتنى واحسست وراء تمسكها بالكتاب وغيره من الكتب الإسلامية التى أخفتها عن أبى قوة خفية تجذبها إلى هذه القراءات ·

وذات يوم ·· ذهبت أمى إلى مكان كتبها ، فلم تجد أى كتاب منها ، وثارت وهاجت وعرفت من سخرية أبى أنه أخذ الكتب وتصرف فيها وعلا صوتها ، واقسمت بالله الواحد ، أن تشترى غيرها بأى طريقة ·

وجلست مع أبى أتحدث معه عن ترك أمى تقرأ ماتشاء ، لكنه أصر على أن الذى تفعله مضيعة للوقت وأن عليها أن تنصرف لقراءة أى كتب أخرى ، وصرح لى أبى أنه أحرق الكتب . وغضبت في نفسى ، وأحسست أنه أحرق أمى بحرق كتبها العزيزة على نفسها ، والتى حدثتنى عنها في حب شديد ورحت ألوم أبى على فعلته ، وأحدثه عن نبى الإسلام حديث الحب الذى روته لى أمى بطريقة هادئة ، فثار أبى ووعد أن يحرق أى كتاب في هذا البيت يتحدث عن الإسلام وتعاليمه .

وأحسست أن الإسلام في ذاته يشكل خطورة على أبى ، ولهذا جلست أعطى أخى وأختى ماطلبا معرفته عن الإسلام الذى قهر أبى دون أن يتعرف عليه .. ووجدت أنهما يريدان معرفة المزيد ، فطلبت من أمى أن تقص علينا ماعرفته وتعرفه عن الإسلام ، وابتسمت أمى في سعادة اطمأن لها قلبى وقلب أخوتى .

وكثيرا ما جلسنا معها تقول لنا ولاشىء غير السعادة والحب يملآن قلبها وهى تحكى لنا ، وذات يوم دخل علينا والدنا ، فوجدها تتحدث معنا عن الإسلام فثار وكاد أن يفتك بها أمامنا ، وهاج .. يبحث عن كتب جديدة عن الإسلام أتت بها أمى دون أن يراها فوجد كتبا أخرى غير التى أحرقها ، فثار وهاج ، وراح يمزقها في عصبية شديدة ، وتحدثنا إليه أن يستمع معنا إليها وهى تحدثنا عن الإسلام وتعاليمه ، وعن نبى الإسلام وأخلاقه الكريمة .

وغضب لأننا أصبحنا نسمع منها وأننا تأثرنا بها ، واقسم أن يخرج من البيت وألا يعود اليه مرة أخرى .

ويقول دكتور جورج : -

وبالفعل خرج أبى ، وانتظرنا عودته كثيرا ، لكنه لم يعد ، واضطرت أمى أن تعمل ، وعملت أنا الآخر بجانب دراستى وازدادت مع الأيام والسنين ثقافتنا الإسلامية وقررنا أن نقف على أحوال المسلمين في باريس فذهبنا إلى احدى الجمعيات الإسلامية المنتشرة هناك وتعرفنا كثيرا على الإسلام وترددنا على الجمعية الإسلامية التى رحب العاملون فيها بالأسرة الفرنسية التى خرج عائلها ولم يعد .

وتدرجت - **الحديث للدكتور جورج** - في تعليمى حتى أصبحت في سنوات الجامعة النهائية ، وكنا قد تشبعنا بالإسلام دينا ، وقررت مع أمى أن أعلن إسلامى ، وذهبت إلى الشيخ مع أسرتى ، وأعلنت الأسرة جميعا إسلامها وأصبح اسمى محمد عبد الله ، وأمى أصبحت

فاطمة ، وأخى أصبح أحمد ، وأختى أصبحت خديجة ، وأصبحنا نؤدى شعائر دينا الإسلامى الحنيف ، علانية دون خوف من أحد ٠

ورحت أدعو إلى الإسلام وأنا مازلت طالبا بالجامعة والتف حولى كثيرون من زملائى ، كنت أحدثهم عن الإسلام إلا أنى كنت اسرح وأنا معهم في أبى الذى تركنا صغاراً نواجه الحياة ٠

ويقول دكتور جورج ـ أقصد دكتور عبد الله ـ وكذلك كان حال أمى واخوتى إذا ما ران الصمت علينا في أى وقت ٠

وكانت أمى تقول لنا إنه سيعود ، وسيكون مسلما إن شاء الله مهما مرت السنون ، ومهما طال غيابه ٠

ويقول الفرنسى المسلم محمد عبد الله : ـ

وكثيرا مادعونا الله في صلاتنا أن يعيد الينا والدنا الذى خرج غاضبا ثائرا ، ليرى تلك الأسرة التى تركها ، وقد أصبحت دكتورا وتخرج أخوتى من الجامعة ورحنا نمارس حياتنا مسلمين بلغة القرآن الكريم التى تعلمناها في مركز باريس الإسلامى اثناء دراستنا وكانت أمى هذه السيده العظيمة هى صاحبة الفضل في كل ذلك ٠

ويقول : ومرت الأيام ، ودخل علينا ذات يوم والدنا الذى انتظرناه طويلا ، فاستقبلناه بحفاوة بالغة ، وكان الشيب قد خط في شعره كثيرا ولحفاوتنا به ولقائه بنا ، أغرورقت عيناه بالدموع ، فأمسك بيدى أمى ، وراح يعتذر لها ، ويعتذر لنا ٠٠

وجلس والدنا بيننا نملأ عيوننا وقلوبنا به ، فقد غاب عنا سنوات طوال ٠

وحدثتنا أمنا بالعربية أن نقوم إلى الصلاة لنشكر الله على عودة أبينا إلينا ، ونظرنا إليه في حب عظيم ، وراح أبى يبتسم في هدوء وفاجأنا بأنه يتحدث العربية إذ قال : سأصلى معكم صلاة الشكر على أننى رأيتكم جميعا مسلمين ، فأنا الآن مسلم واسمى عبد الله ، دعونى أصلى معكم ٠

(جـــريدة المـــدينة)


لغة وأدب



صديقى مرض السكر :

ومن عجب أن أنادِيك صديقا وأنت الداء الذى أعيا على الدواء ، والمرض الذى عزّ فيه الشفاء ، ففى كل يوم تقنص آلاف الفرائس من بنى آدم ، وفي كل عام تقتنات مئات الآلاف من الناس .

لا أذكر ذلك اليوم الذى زرتنى فيه على غير موعد ، ولا أدرى في أي يوم من أيام حياتى نزلت علّى ضيفا دائم الإقامة ، ربما كان ذلك منذ ثلاثين عاما ، غير أنى لم أتبين صورتك واضحة إلا منذ عشرين .

لم أحفل بك بادىء الأمر وماكرثنى قدومك ، غير أنك استطعت فيما بعد أن تشد وثاقي وأن تسلك بى الطريق الذى تريد .

لم أوجه إليك أيّ دعوة ، لم أدعك بلساني ، ومادعوتك بقلمي ، ولم تك لتخطر لى على بال ، غير أن الأطباء يقولون إنك لا تزور الناس تطفلا ، ولا تنزل بساحتهم دونما استئذان .

لقد عدت إلى ما غبر من حياتى أستعيده وأستذكره ، وأحاول أن أرى ـ على بعد الشقة وطول الزمن ـ ما اصطبغت به تلك الحياة من ألوان العيش ، وما أصابها في هذه الدنيا من مصائب ، أحاول ذلك لعلى أبلغ الأسباب أسباب قدومك إلّى بلا رحيل وصحبتك إياي بلا فراق .

عشت أول حياتى التعليمية في منزل داخلى لإحدى المدارس الثانوية أقوم مع جماعة من زملائى المدرسين على تدبير شؤون الطلاب الداخلية بعد انتهاء دوامهم المدرسي ، وكان المنزل يقدم إلينا ـ معشر المدرسين الموكلين بالإشراف على أولئك الطلاب ـ طعاما فيه سخاء وفيه تنوع وفيه طيب مذاق ، ولقد عشت من قبل سنينا تسعا عجافا في تقشف وكفاف أطلب العلم بعيدا عن أهلى والوطن ، فكان أن أقبلت على هذا الطعام الجديد إقبالا لا يخلو من إسراف ونهم ، ناسيا قوله تعالى : (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا) ، وغافلا عن قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ماملأ ا بن آدم وعاء شرا من بطنه » ٠

وفي خلال عامين دراسيين ارتفع وزن جسمى من اثنين وسبعين (كيلو) ـ وهو الوزن الصحيّ لمن كان في مثل طولى ـ إلى خمسة وتسعين ٠

كان العقاب سريعا على مافرطت في نهى الله وفي نصح رسول الله ، فصرت بليد الذهن كثير النسيان ، لا أستطيع القراءة الواعية أكثر من ساعة أو ساعتين في اليوم ، وإذا ما ارتقيت درجا عاليا أو سرت على درب صاعد سقطت من الإعياء ٠ صرت آكل ولا أشبع ، وأشرب ولا أرتوى ، وأنام ولا أجد الراحة ٠

مضى على ذلك حين من الدهر وأنا لا أدري أني مصاب بك يامرض السكر ، حتى إذا تمكنت من جسمي وأقمت فيه (القواعد) وأصبحت ذا أمر ونهي وسلطان وجهت إليّ إنذارا غليظ القول شديد النبر : إما الموت وإما الحمية والحرمان ، في بضعة أشهر وعلى منهج « حسب ا بن آدم لقيمات يُقِمن صلبه » استطعت أن أسقط عن جسمي ما اكتسبه من طعام ذلك المنزل ، وعدت إنسانا آخر : نشاط جسم ، ونشاط عقل ، وقدرة على العيش طويلا بين الكتب ٠

لكنك لم ترحل يا مرض السكر !!
لِمَ تؤثرُ أن تبقى ضيفا ،
ضيف ضِرارٍ وخصامٍ لا ضيف وِداد ومحبة ؟!
لِمَ تؤثر أن تبقى مستترا ،
تنتظر الغفلة مني والعثرة ،
لتكشّرَ عن نابٍ ولترميَني بحرابٍ ولتسقيَني مرّ عذاب ؟!
من أجلك هُجرتْ أطعمة شتى !

من أجلك هُجرتْ أطعمة حلوة !
من أجلك كان طعاميَ قُلًّا كان شرابيَ ماءً !
علامَ تقيمُ وفيمَ تقيمُ وأيان تكون الرحلة ؟!
ما أكثر ما ثارت نفسي يا سكر !!
ثارت لتحطِّم أغلالك ولتكسر قيدَك ،
لكني عدت كسيرا وحسيرا ،
أسمع نصحك لى ووعيدك :
أسمع نصحك لى يا مرض السكر :

إنك في أمن وسلام ما دمت قليل طعام ،
إن عدتم عدنا والبادىءُ أظلم .
وصرتُ قليل طعام يامرضي ،
أحيا معك حياة وئام .
لكنك لم ترحل يا مرض السكر !
ما زلت تقيم خفيّا مستترا ،
مستترا من خلف حجاب ،
تنتظر الغفلة مني والعثرة ،

لتكشر عن ناب ولترمينى بحراب ولتسقيني مرّ عذاب !!
قال الطبّ المهزوم أمام حِرابك :
ما أكثر ما تعتاد الجسم لأسباب أخرى غير السمنة :
فهناك القلق الدائم والأزمات النفسية ،
وهناك الإحساس المكبوت على أرض الحرية ،
وهناك الخوف المجنون ،
وهناك السجن الدائم في غير سجون .
وعدت أفتش أيامي ،

أيام حياتى ومقامي في أرض الله المدحوّة ،
وتذكرتُ ولا أنسى أنى كنت أخاف (الحاكم) .
أخاف الحاكم أن يطردنى من عملى فأعيش فقيرا .

ما كان الرؤساء ذوى د ين ،
ما كان الزملاء جميعا يَخشَوْنَ الله ،
ما كان العدل له ظل يغشى الناس ٠

فأنا في قلق دائم ٠
كنت أرى المنكر مختالا يتحداني ،
يتبختر يصرخ ملء العين وآذاني ،
فأهِمّ بتغيير المنكر بيدى ،
لكني لا أفعل فأنا خائف ،
وأهم بتغيير المنكر بلساني ،
لكنى لا أقدر فأنا خائف ،
لا أملك إلا الحسرة مكبوتة ،

لا أملك إلا الغضبة مخنوقة ،
لا أملك إلا قلبا يتميز من غيظ مسعور ٠
ما أكثر ما اشتاقت نفسي أن تبدي رأيا ،
حين ترى الأصحاب تخلّوا عن واجب ،
حادوا عن درب لاحب ،
لكنى لا أجرؤ أن أبديَ شيئا ،
فأنا أخشى غضبتهم ،
آسى لضياع مودتهم ،

قد يَزْوَرُّون وينتقمون ،
فالعيش بدونهمُ غربة ،
وأنا من بعدهمُ مسجون ٠
ألهذا القلق الدائم أنت تقيم ؟!
ألهذا الخوف الجاثم أنت جثوم ؟!
ألإحساساتى المخنوقة لا ترحل ؟!
ماذا تطلب منى ياسكر ؟!
هل تطلب جسما خِفّا ؟!

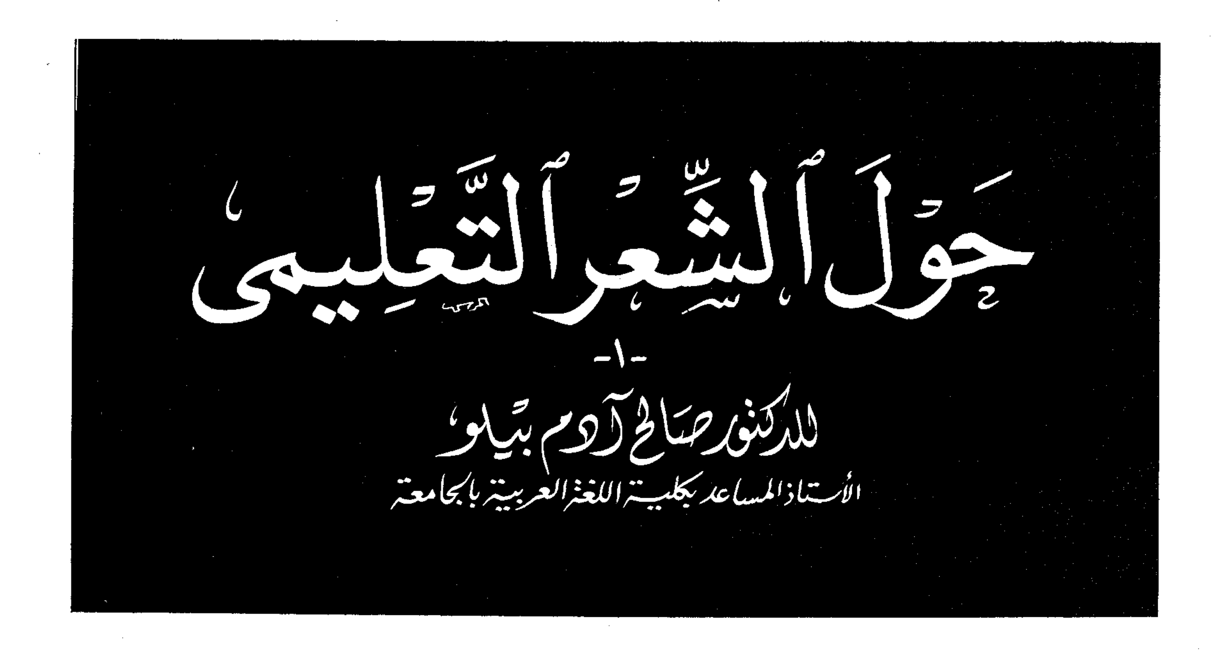
ها هو ذا جسمى قد ذاب وأصبح مثل سراب !
هل تطلب من نفسيَ أمناً وطمأنينة ؟
أن يحيا قلبى بسلام وأمان وسكينة ؟!
أن يتبلّد إحساسي فأعيش دفينا ؟!
في معظم بلدان الإسلام عذاب وحراب ودماء مطلولة !!

في معظم بلدان الإسلام يتامى عُدم وأرامل مهزولة !!
في معظم بلدان الإسلام عداوات تغلى وضغائن مغلولة !!
فكيف أعيش سلاما وأمانا وطمأنينة ؟!!
ستظل رفيق حياة وهموم ياسكر !
لن ترحل عن داري في ذى الدنيا حتى أرحل !
لكنى أشكر ربى أن كنت وما كان بلاءٌ أكبر !

الأمــــل الأخـــير

إليكَ يا مولاي أشكـو علتي ... ولـيـس إلا عـنــــدك الدواءُ
فارحمْ عُبَيداً يَعصِفُ الخوف به ... منك وقد ضاق به الفضاء
يذكرُ ما أسـلـفَ مِـن آثامــهِ ... فـيـعـتريـهِ الـيأس والـحـياءُ
ويُرسـل الإيـمانَ مـن إشـعاعـهِ ... في قـلـبـهِ فـيورقُ الرجاء
فلا تُـخَـيّـبْ يا إلــهـي مأملاً ... لم يَبقَ لى في غيره شفاء

(المجــذوب)



تعريفـــــه :

هو هذا اللون من الشعر الذى يهـدف بـه الشعراء إلى تعليم النـاس شئون دنيـاهم وأخـراهم ، وتزويـدهم بالحقـائق والمعلومات المتعلقـة بحيـاة الفـرد والجمـاعة ، وأسرار الطبيعـة وما وراء الطبيعـة ..

١ ـ فهو يعالج الأخلاق والعقيدة والعبادة ، ويتناول الخير والشر ، والفضيلة والرذيلة ، وما ينبغى للإنسان أن يكون عليه ، وما يجب أن يتحاشاه ويتباعد عنه … يسلك الشاعر في ذلك أساليب الترهيب والترغيب والنصح والعظة ..

٢ ـ ويتناول التاريخ والسير : فيقرر ويبيّن الأنساب والأصول والفروع ، وتسلسل الحوادث وترتيبها ، ويبحث العلل والأسباب ، ويربط النتائج بمقدماتها …

٣ ـ ويعرض للعلوم والفنون والصناعات ، فيقرر الحقائق المتعلقة بشأنها ، ويضع لها القواعد ويستنبط لها القوانين .

يقوم الشاعر بكل أولئك ليقدمها لقمة سائغة لمن يريد تعليمه ، فتعيها ذاكرته ، وتسجلها حافظته ، فيسهل عليه استدعاؤها واستحضارها في الوقت المناسب .

وبهذا ترى أن الميادين التى يعمل فيها هذا اللون من الأدب ، أو الشعر الذى نسميه « تعليمياً » ثلاثة ميادين :

(١) أصول الأخلاق والعقائد ٠
(٢) السير والتاريخ ٠
(٣) الحقائق والمعارف المتعلقة بالعلوم والفنون والصناعات ٠

عنـــد اليونـــان :

عرفت اليونان هذا اللون من الأدب عند جماعة من شعرائها القدامى ، ومن أشهرهم « هزيود » في القرن الثامن قبل الميلاد ، وكان من أهم الأعمال المنسوبة إليه قصيدتان : أولاهما التى تتناول موضوعى الأخلاق والعقائد ، والمعارف والحقائق المتعلقة بالفنون والصناعات ؛ فهى تتحدث عن الجانب الخلقى وتوجه مجموعة نصائح وعظات بصدد العدالة ، والظلم والقناعة والجشع ، وعناصر كلٍّ منها ، وأصوله ونتائجه بضرب الأمثال والحقائق التاريخية والسماوية والأرضية ... كما تعرض أعمال الحقل وما يتصل بها ، فيبين فصول السنة وما يلائمها من ضروب الزراعة ، وما تحتاج إليه من أداة وفن ...

والقصيدة الثانية هى : « التيوجونيا » .. أو أنساب الآلهة ، وتعرض للآلهة ، فتبين نشأتهم وأنسابهم وأصولهم وشعبهم ، وتترجم لكل منهم ، فتفصل وظائفه وأعماله وتاريخ حياته (١) ٠

وعنـــد الهنـــود :

وعرف الهنود أيضا هذا الضرب من الشعر ، فراحوا ينظمون به جملة من المعارف والعلوم التطبيقية ، مما دفع « بالبيرونى » إلى الشكوى من أنهم كانوا يعمدون إلى نظم قواعد الرياضيات والفلك ، لأن ذلك يخرجهم أحياناً عن ضبط القواعد وما يستلزمه من دقة في التعبير لاتتسنى في النظم (٢) ٠

لـــدى العرب :

أما بالنسبة للأدب العربى ؛ فيذهب الذاهبون إلى أن العرب لم يعرفوا هذا اللوّن من الأدب إلاّ في وقت متأخر نتيجة اتصالهم بالفكر الوافد .. فهناك من يرى أن هذا التأثير ناشئ عن الثقافة الهندية التى اتصل بها العرب في العصر العباسى ، ومن هؤلاء الأستاذ أحمد

---

(١) الأدب اليونانى القديم للدكتور على عبد الواحد وافى ـ دار المعارف ص٩٩ ٠
(٢) تحقيق ما للهند من مقولة ص٧١ وضحى الاسلام جـ٢٤٦/٨ ٠

أمين (١) وشكرى فيصل (٢) ، ويرى آخرون أن ذلك من مكتسبات الثقافة اليونانية (٣) ٠

على أن الدكتور طه حسين يرى أن أبان بن عبد الحميد اللاحقى هو مبتكر هذا الفن في الأدب العربى ، إذ يقول : « ... يظهر أن أبان هو أول من عنى بهذا الفن (٤) ... » ٠ ويقول عنه في موضع آخر « ... فهو إمام طائفة عظيمة من الناظمين ، نعنى أنه ابتكر في الأدب العربى فنّاً لم يتعاطه أحد من قبله ، وهو فن الشعر التعليمى » (٥) ٠

ويذهب شوقى ضيف إلى رأيين متناقضين كلّ التناقض ، متعارضين التعارض كلّه ، ولا ندرى على أيهما استقر رأيه النهائى بإزاء المسألة !.. ففى كتابه : العصر العباسى الأول ، يرى أنه « فن استحدثه الشعراء العباسيون ، ولم تكن له أصول قديمة ، ونقصد فن الشعر التعليمى الذى دفع إليه رقى الحياة العقلية في العصر ، فإذا نفر من الشعراء ينظمون بعض المعارف أو بعض السير والأخبار (٦) ... بينما يذهب الدكتور شوقى ضيف في كتابه الآخر « التطور والتجديد في الشعر الأموى » مذهباً آخر يوشك ـ في رأينا ـ أن يكون صائباً ، ولكنه لم يسر فيه إلى آخر الشوط ، كما سنرى بعد ...

فهو يذهب ههنا إلى أن الشعر التعليمى ذو نشأة عربية خالصة في آخر القرن الأول الهجرى وأول الثانى ، أو قل في أواخر دولة الأمويين .. إذ أن أراجيز الرُّجاز وبخاصة رؤبة والعجاج قد كانت متوناً لغوية ، وبالتالى فهى النواة والبذرة التى انبنى عليها الشعر التعليمى في جانب الكلام المنظوم ، وتطور في جانب النثر فكانت المقامات » ... ويقول الكاتب : « ونحن نؤمن بأن هؤلاء الرّجاز ـ وفي مقدمتهم رؤبة ـ هم الذين أعدوا شعراء العصر العباسى لا للشعر التعليمى فحسب ، بل لاقتباسهم للغريب في أشعارهم ، فالغريب أصبح جزءاً هاماً في مادة الشعر عند الشعراء المتازين من أمثال بشار وأبى نواس وأبى تمام (٧) ... » ٠

ويقول عن رؤبة وعن أبيه العجاج : « والإنسان لا يلم بديوانيهما حتى يقطع بأنهما كانا يؤلفان أراجيزهما قبل كل شيء من أجل الرواة ، ومن أجل أن يمداهم بكل غريب ، وكل أسلوب شاذ ، ومن هنا كنا نسمي هذه الأراجيز متوناً لغوية ، وقد بلغت هذه المتون صورتها المثالية عند رؤبة ، فهو النمو الأخير لهذا العمل التعليمى الذى أرادته المدرسة اللغوية

---

(١) ضحى الاسلام جـ٢٤٦/٨ ٠
(٢) مناهج الدراسة الأدبية ط دار العلم للملايين ص ١٠٨ وانظر اتجاهات الشعر في القرن الثانى للدكتور هدارة ص٣٥٥ ٠
(٣) الشعر في بغداد في القرن الثالث الهجرى للدكتور أحمد عبد الستار الجوارى ـ دار الكشاف ببيروت ص٢٥٠ ٠
(٤) من حديث الشعر والنثر ص٢٨٦ ٠
(٥) حديث الأربعاء جـ٢٢٠/٢ ٠
(٦) العصر العباسى الأول ص١٩٠ ٠
(٧) التطور والتجديد في الشعر الأموى ص٣٥٢ ٠

من جهة ، والذى استجاب له الرجّاز من جهة أخرى . ولعلّ هذا ما جعل اللغويين يوقرونه أعظم التوقير ، فأبو الفرج يقدمه في ترجمته بقوله : « أخذ عنه وجوه أهل اللغة : وكانوا يقتدون به ويحتجون بشعره ويجعلونه إماماً (١) .. » ويقول الدكتور ضيف : « والأرجوزة الأموية من هذه الناحية تعد أول شعر تعليمى ظهر في اللغة العربية ... (٢) ويقول : « ... ومهما يكن فقد ألهمت الأرجوزة الأموية الشعراء في العصر العباسى أن يقوموا بنظم شعرهم التعليمى ، كما ألهمت أصحاب النثر وضع المقامة » (٣) .

وهذا الذى ذهب إليه الكاتب يوشك أن يكون صواباً لولا أنه قصر به قليلا ... ذلك أننا نرى أن هذا اللون من الأدب لم تكن بذرته قد بذرت في هذه المرحلة من العصر الأموى ، ولكن البذرة قد نبتت واستوت على سوقها منذ زمن بعيد بعيد !! .

من أين أتت الخدعـــة ؟

ونحن نرجح تخطئة الذين ذهبوا إلى أن الشعر التعليمى إنما عرفه الأدب العربى مع ما عرفه من الثقافة الدخيلة ، والفكر الوافد ـ شرقيّة وغربيّةً ، هنديّة ويونانيّة ـ أو ابتكر في هذا العصر العباسي ابتكاراً بسبب امتزاج الأفكار والثقافات وتوالدها ، أو أن الأرجوزة الأموية هى التى وجهت إليه الشعراء العباسيين ! ..

إن الخطأ قد أتى هؤلاء الكاتبين من جهة « التطبيق » .. فهم يُعَرِّفون الشعر التعليمى تعريفاً نظرياً جيداً ، واضح الحدود والمعالم ، بيّن القسمات والسمات ، وحين تأتى مرحلة التطبيق العملى يجانبهم التوفيق ، ولا يجدون إلاّ بعض الجزئيات أو الأقسام في فترة معينة من الزمان تنطبق عليها هذه النظريات ، ومن هنا ينطلقون إلى القول بأن هذا الفن كان عَدَماً فيما مضى ثم أصبح له وجود منذ هذه الفترة التى اسُموها بالعصر العباسى ، أو على أحسن الفروض العصر الأموى !..

إن هؤلاء الكتّاب يعرفون الشعر التعليمى بمثل ذلك التعريف الذى صدّرنا به هذا الحديث ، ثم يقسمونه ثلاثة أقسام كما رأينا .

كل ذلك في أسلوب يخلو في الغالب من المقومات الفنية كالخيال والأسلوب الطلى الجميل بقصد تسهيل الحفظ والتذكر (٤) ...

---

(١) المرجع نفسه ص٣٤٥ .

(٢) المرجع نفسه ص٣٤٨ .

(٣) المرجع نفسه ص٣٥٣ .

(٤) انظر حديث الأربعاء جـ٢/٢٢٠ ومن حديث الشعر والنثر ص٣٨٥ والعصر العباسى الأول ص٢٩٠ واتجاهات الشعر لهداره ص٣٥٥ والأدب اليونانى القديم ص٨٨ والشعر في بغداد ص١٨٢ .

ثم هم حين يأتون إلى مرحلة النظر في الأدب العربى منذ جاهليته ، وهل حوى نماذج من الشعر التعليمى ، يذهبون تلك المذاهب التى أشرنا إليها فيما تقدم !..

رأينـــــا :

ومع أن ما في الشعر التعليمى - في عمومه - من مآخذ وعيوب أكثر مما فيه من حسنات وفضائل ، وأن ما فيه من مثالب ونقائص لا يدعو إلى الدفاع عنه ، والتحمس للقول بأن العرب قد عرفوه في أدبهم ، نقرر أن الأدب العربى منذ جاهليته قد شارك في هذا اللون من الفن بكل أقسامه التى قدمناها :

(١) فبالنسبة للتاريخ وذكر القرون الخالية والأمم البائدة ، قد امتلأ الأدب العربى بشعر الشعراء في ذلك ، وقد كان ذلك أحد المنطلقات التى انطلق منها جماعة من الشعراء خصوصاً أولئك الذين كانوا على شيء من الثقافة الدينية والعلمية كأمية بن أبى الصلت ، وعدى بن زيد ... (١) الخ من ذلك قصيدة عدى في منشأ الخلق وقصته خلق آدم وحواء وهبوطهما من الجنة التى يقول فيها :

اسـمـع حديـثاً كـما يوماً تُـحدثـه	عن ظهر غيب إذا ما سائل سألا
أن كيف أبدى إله الخلق نعمته	فـيـنا ، وعرّفـنا آياتـه الأُولا
كانـت رياح وماءٌ ذو عرانـيـة	وظلمة لم تدع فتقاً ولا خللا
فأمر الـظـلـمة الـسوداء فانـكـشـفـت	وعزل الماء عما كان قد سفلا
وبـسـط الأرض بـسـطاً ثـمّ قدّرها	تحت السماء سواء مثل ما فعلا
وجعل الشمس مصراً لاخفاء به	بين النهار وبين الليل قد فصلا
قـضى لـسـتة أيام خـلـيـقـتـه	وكان أخرها أن صوّر الرجلا
وعاه آدم صوتاً فاسـتـجاب لـه	بنفحة الروح في الجسم الذى جبلا

ثم استمر الشاعر يتحدث عن خلق حواء وإسكانها مع زوجها الجنة ، ونهيهما عن أكل الشجرة ، إلى أن أخذ يتحدث عن العقاب الذى أنزل بالحية جزاء ما أغوت آدم وزوجه ، فيقول :

فلاطـها الله إذ أغوت خـلـيـفـتـه	طول الليالى ولم يجعل لها أجلا
تمشى على بطنها في الدهر ماعمرت	والترب تأكله حزناً وان سهلا (٢)

(١) انظر عدى بن زيد للدكتور محمد على الهاشمى ص١٣٣ - ١٧٧ .

(٢) الحيوان للجاحظ بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون جـ٤ ص١٩٧ - ١٩٩ .

وينظم عدى قصة الزّباء وجذيمة وقصير، تلك القصة التاريخية المشهورة : (١)

ألا ياأيها المشترى المرجّى ألم تسمع بخطب الأولينا
دعا بالبقّةِ الأمراء يوماً جذيمةُ حين ينجوهم ثبينا
فطاوع أمرهم وعصى قصيراً وكان يقول - لو تبع - اليقينا
ودست في صحيفته إليه ليملك بضعها ولأن تدينا
فأردته ورغب النفس يرد ويبدى للفتى الحَيْن المبينا
وخبّرت العصا الأنباء عنه ولم أر مثل فارسها هجينا
وقدمت الأديم لراهشيه وألفى قولها كذباً ومينا
ومن خدر الملاوم والمخازى وهن المنديات لمن منينا
أطَفَّ لأنفه الموسى قصير ليجدعه، وكان به ضنينا
فأهواه لمارنه فاضحى طلاب الوتر مجدوعاً مشينا
وصادفت امرءاً لم تخش منه غوائله وما أمنت أمينا (٢)

وهكذا تسير القصيدة في تصوير الحادثة وقصها ... الخ .

(٢) فإذا انتقلنا إلى لون آخر من الشعر التعليمى في الجاهلية، وهو ذلك الذى أسموه « حقائق الفنون والعلوم والصناعات » وجدنا له مثالاً صارخاً للشاعر الجاهلى « الأخنس بن شهاب » ... وهذه القصيدة يذكر فيها سكنى قبائل نجد قبيلة قبيلة، فهى من هذه الناحية تدخل في علم تقويم البلدان - أو ما يسمى بالجغرافية - فمما جاء في هذه القصيدة : -

فمن يكُ أمسى في بلاد مقامه يسائل أطلالاً بها لا تجاوب
فلا بنة حطّان بن قيس منازل كما نَمّق العنوان في الرّق كاتب

لكل أناس من معدٍ عمارة عروض إليها يلجؤون وجانب
لكيز لها البحران والسِّيف دونه وإن يأتهم ناسٌ من الهند هارب
تطاير من أعجاز حوش كأنها جهامُ أراق ماءه فهو آيب
وبكر لها برُّ العراق وإن تخف يحل دونها من اليمامة حاجب
وصارت تميم بين قُفٍ ورملة لها من جبال منتأى ومذاهب
وكلب لها خبّ، فرملة عالج إلى الحرة الرجلاء حيث تحارب

---

(١) انظر القصة في تاريخ الطبرى جـ٢/٣١ - ٣٦ ومروج الذهب للمسعودى طبعة دار التحرير جـ٢/٩٠ ومجمع الأمثال للميدانى. ودائرة المعارف الإسلامية مادة « تدمر » .

(٢) انظر بقية القصيدة في الشعر والشعراء لابن قتيبة بتحقيق الشيخ أحمد شاكر ص٢٢٧ .

وغسّان حتّى عزّهم في سواهم ... يجالد عنهم حسّر وكتائب
وبهراء حتّى قد علمنا مكانهم ... لهم شرك حول الرصافة لاحب
وغارت إياد في السّواد ودونها ... برازيق عجم تبتغى من تحارب
ونحن أناس لا حجاز بأرضنا ... مع الغيث ما نلقى ومن هو غالب
ترى رائدات الخيل حول بيوتنا ... كمعزى الحجاز أعوزتها الزّرائب (١)

فالقصيدة - كما ترى - من الشعر التعليمى دون ريب ؛ ذلك لأن المقصود منها هو بيان مساكن هذه القبائل في جزيرة العرب والعراق وما إليهما ·

(٣) أما القسم الثالث من الشعر التعليمى ، وهو الذى يتناول العقائد والأخلاق ؛ فهو في الشعر الجاهلى أكثر من أن يحصى عدداً ، خصوصاً عند هؤلاء الشعراء من أمثال أمية بن أبى الصلت وعدى ، وزهير ··· فإذا جئنا إلى العصر الأموى ، وجدنا هذا الضرب من الشعر قد تمثل بوضوح في عدة موضوعات ، أولها : أنه نظمت به الكيمياء - أو الصنعة كما كانوا يسمونها - ·· فلقد روى المسعودى أن حكيم آل مروان - خالد بن يزيد بن معاوية الذى اشتهر باهتمامه بالكيمياء قد وضع منظومة في هذه الصناعة ، ذكر فيها طريقة تحويل المعدن الخسيس إلى جوهر نفيس ، يقول فيها :

خذ الطّلق مع الأشْق ... وما يوجد في الطرق
وشيئاً يشبه البرقا ... فدبِّره بلا حرق
فان أحببت مولاكا ... فقد سوّدْتَ في الخلق (٢)

كما استخدم هذا الشعر في تعليم غريب اللغة - كما قدمنا في صدر هذا الحديث عند الكلام عن الأرجوزة الأموية ، التى أسهمت في إبراز صورة الشعر التعليمى العباسى ، وفي المقامة في جانب النثر فيما بعد ·· ولقد وقعت محاولة لاستخدام هذا اللون في شرح فروع الدين - في رأى عبد الملك بن مروان - من أحد شعراء العصر ، فوقف عبد الملك في سبيله ·· وذلك فيما يروى من أن الشاعر الأموى « الراعى النميرى » قد أنشد عبد الملك بن مروان قصيدته التى يشكو فيها السعاة وهم يأخذون الزكاة ، حتى إذا بلغ قوله :

أخليفة الرحمن إنّا معشر ... حنفاء نسجد بكرة وأصيلا

---

(١) المفضليات للضبى بتحقيق الشيخ أحمد شاكر والأستاذ عبد السلام هارون ص٢٠٣ وحماسة ابى تمام طبع سعيد الرافعى جـ٢٩٩/٨ ببعض اختلاف ·

(٢) مروج الذهب للمسعودى طبع دار التحرير بالقاهرة جـ٥١٤/٢ ·

عرب نرى لله في أموالـــــــنا	حـــق الزكاة مـــنزلا تـــنزيلا

قال عبد الملك : ليس هذا شعراً ، هذا شرح إسلام وقراءة آية (١) !..

وهكذا استمر الأمر ، نرى شيئا من الشعر التعليمى في هذا الموضع أو ذاك ، حتى إذا جاء العصر العباسى ، رأينا الشعراء ينظمون به في جملة موضوعات ومسائل علمية وتاريخية وقصصية إظهاراً للبراعة ، ودلالة على قدرتهم على التجديد والابتكار ، وتدليلاً على أنهم قد ألموا بمعارف العصر ، وثقافات الأمم الأخرى التى نقلت إلى العربية .. وأنهم قد صاروا على شىء من هضم هذا الذى ترجم ، فهم يسهمون بدورهم في نقله وإيصاله إلى الآخرين عن طريق هذا اللون من الشعر !... ومن أوائل هؤلاء الشعراء الذين أخذوا من هذا الفن بطرف السيد الحميرى « ١٠٥ ـ ١٧٣ هـ » الذى كان مفتوناً مغرماً بنظم القصص والمناقب والأخبار التى تروى عن على وأبنائه . من ذلك ما يروى من أنه سمع محدثاً يذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم كان ساجداً ، فركب الحسن والحسين على ظهره ، فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « نعم المطىّ مطيكما ! .. » فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « ولنعم الراكبان هما » !.. فانصرف السيد الحميرى من فوره ، فقال في ذلك :

أتى حـــسن والحـــسين النبى	وقد جـلـسا حـجره يـلـعـبان
فـغدّاهـما ، ثـم حـيّاهـما	وكانا لديـــه بذاك المـــكان
فراحا وتـحـتـهـما عاتـقاه	فـنـعـم المـطـية والراكـبان
ولـــيدان أمّـــهـما بَرَّةٌ	حَـصان مـطـهّرة لـلـحـصان
وشـيـخـهـما ابـن أبى طالـب	فـنـعـم الولـيدان والوالدان (٢)

ومن ذلك ما يروى من أن علياً كرم الله وجهه ، عزم على الركوب ، فلبس ثيابه وأراد لبس خفيه فلبس أحدهما ، ثم أهوى إلى الآخر ليأخذه ، فانقض عقاب من السماء فأخذ الخف وحلّق به ثم ألقاه ، فسقط منه أسود ـ ثعبان ـ وانساب فدخل جحراً ، فلبس الخف ، وحين سمع السيد ذلك قال في سرعة :

ألا ياقوم لـلـعـجـب الـعـجاب	لخف أبى الحسين وللحباب
أتى خـفاً لـه وانـساب فـيـه	لـيـنـهـش رجلـه منـه بـنـاب
فـخرّ مـن الـسـماء لـه عـقاب	مـن الـعـقبان أو شـبـه الـعـقاب

---

(١) الموشح للمرزبانى بتحقيق الأستاذ البجاوى ـ لجنة البيان العربى ص٢٤٩ وانظر خزانة الأدب للبغدادى الطبعة السلفية بالقاهرة جـ٢/١٣٤ وجمهرة أشعار العرب ص١٧٢ .

(٢) الأغانى « دار الكتب » جـ٧/٢٥٩ .

فطار به ، فحلق ثم اهوى به للأرض من دون السحاب
إلى جحر له فانساب فيه بعيد القعر لم يرتج بباب
كريه الوجه أسود ذو بصيص حديد النّاب أزرق ذو لعاب
ودفع عن أبى حسن على نقيع سمامه بعد السياب (١)

وسيد هذا الميدان غير مدافع هو أبان بن الحميد اللاحقى المتوفى سنة ٢٠٠ هـ الذى برع فيه حتى ذهب كثير من الكاتبين إلى أنه مبتدع هذا الفن ومبتكره في الأدب العربى على غير مثال سابق ، فنظم في السير والتاريخ الفارسى ، إذ نظم سيرة أردشير وسيرة أنو شروان (٢) وكتاب بلوهر ، وكتاب حكم الهند (٣) ، كما نظم القصيدة المسماة « ذات الحلل » في نشأة الخلق وأمر الدنيا وضمنها شيئاً من المنطق . ومن الناس من ينسبها إلى أبى العتاهية ، والصحيح أنها لأبان (٤) . وليس بين أيدى الناس من كلّ أولئك الآن شىء - ونظم كذلك في فرائض الصوم والزكاة أرجوزة مزدوجة ، ونظم كليلة ودمنة في خمسة آلاف بيت (٥) ، أو في أربعة عشر ألف بيت (٦) ... لم يبق منها إلّا جزء يسير أورده الصولى في الأوراق ، كما أثبت شيئاً من مزدوجة الفرائض .

يقول أبان في مزدوجة الفرائض شارحاً أحكام الصوم والزكاة :

هذا كتاب الصوم وهو جامع لكل ما قامت به الشرائع
من ذلك المنزل في القرآن فضلًا على من كان ذا بيان
ومنه ما جاء عن النبىّ من عهده المتبع المرضىّ
صلى الإله وعليه سلّما كما هدى الله به وعلّما
وبعضه على اختلاف الناس من أثر ماضٍ ومن قياس
والجامع الذى إليه صاروا رأى أبى يوسف مما اختاروا
قال أبو يوسف : أمّا المفترض فرمضان صومه إذا عرض
والصوم في كفّارة الأيمان من حنث ما يجرى على اللسان

---

(١) الأغانى جـ٧/٢٥٧ .
(٢) انظر ترجمته في الأوراق للصولى ، قسم أخبار الشعراء ، والأغانى طبعة الساسى . جـ٢٠/٧٠ وطبقات ابن المعتز ص٢٤٠ والوزراء والكتاب للجهشيارى ص٢١١ .
(٣) الفهرست لابن النديم ص١١٩ .
(٤) الأغانى - الساسى جـ٢٠/٧٣ .
(٥) طبقات ابن المعتز ص٢٤١ .
(٦) الوزراء والكتاب للجهشيارى ص٢١١ .

ومـعـه الـحـج وفي الـظـهار الـصوم لا يدفـع بالإنـكار
وخـطأ الـقـتـل وحـلـق المحرم لرأسه فـيـه الـصيام فافـهـم
فرمـضان شـهره مـعروف وصومه مـفـترض موصوف
والصوم في الظهار إن لم يقدر مـظاهر يوماً على مـحرر
والقتل إن لم يك عمداً قتله فإن ذاك في الـصـيام مـثـلـه
شـهران في الـعدة كاملان مـتـصلان لا مـفرّقان
والـحـنـث في رواية مقبولـة ثلاثـه أيامـها موصولـة
ومـثـلـهـا في عدة الأيام لـلـمـحرم الـحالـق في الإحرام
ثلاثة يـصومـها إن طـلـقا لا بأس إن تابعها أو فرّقا (١)

وهذا أنموذج من نظمه لكليلة ودمنة ، يقول في المقدمة :

هذا كـتـاب أدب ومـحـنـه وهو الذى يدعى كليلَ دمنه
فـيـه دلالات وفـيـه رشد وهو كـتـاب وضـعـتـه الـهـند
فوصـفوا آداب كـل عالـم حـكاية عـن ألـسُـن الـبـهائم
فالـحـكـماء يـعرفون فـضـلـه والـسـخـفاء يـشـتـهون هزلـه
وهو على ذاك يـسـير الـحـفـظ لَذٌّ على الـلـسان عـند الـلـفـظ
يانـفـس لا تـشاركى الـجـهّالا في حب مذموم كأنْ قد زالا
يانـفـس لا تَـشْـقَىْ ولا تُـعَـنىِّ في طـلـب الدنـيا ولا تـمـنىِّ
مالـم يـنـلـه أحد إلاّ نَدِمْ إذا تولّى ذاك عـنـه وسدم
دنـياك بالأحـبـاب والإخوان كـثـيرة الآلام والأحزان
وهى وإن نـيـل بـهـا الـسرور آفاتـها وغـمُّـها كـثـير

ويقول في باب الأسـد والثور :

وإنّ مـن كان دنىءَ الـنّـفـس يرضى مـن الأرفـع بالأخـس
كمـثـل الـكلـب الشقى البائس يـفرح بالـعظـم العـتيـق اليابس
وإن أهل الفضل لا يرضيهم شىء إذا ما كان لا يغنيهم
كالأسد الذى يـصـيد الأرنـبا ثـم يرى الـعَـيْر المـجد هربا

---

(١) الأوراق للصولى ـ قسم أخبار الشعراء ص٥١ .

فـيرسـل الأرنـب مـن أظـفاره ويـتـبـع الـعير على أدباره
والـكـلـب مـن رقـتـه ترضيـه بـلـقـمـةٍ تـقذفـها في فـيـه

ويقول في البـــاب ذاتـــه :

وباذل النّصح لمن لا يشكره كـطارح في سـبـخ ما يـبذره
لاخير للعاقل في ذى المنظر إن هو لم يحمده عند المخبر
وليس في الصديق ذيِ الصفاء خـير إذا لـم يـك ذا وفاء
الرجل العاقل من لا يسكره كأس سـمو واقـتدار يـبـطره
فالـجـبـل الـثابـت في أصولـه لاتـقدر الريـح على تـحويـلـه
والناقص العقل الذى لا رأى له يطغى إذا ما نال أدنى منزله
مثل الحشيش أيّما ريح جرت مالـت بـه فاقـبلـت وأدبرت (١)

وبنظم أبان لهذا الكتاب ، ولقيانه المكافأة الجزيلة من البرامكة ، وبإقبال الناس عليه ، أقبل غيره من الشعراء على نظم هذا الكتاب كذلك ، والنَّسج على منواله .

ومن هنا تدافع الشعراء ينظمون الشعر التعليمى في عدة أبواب من المعارف والعلوم والفنون ، فاستخدموه في الصراع العقدى والمذهبى ، وفي الحكمة والموعظة ، وفي الفلك والنجوم ، والسيرة والتاريخ ، وفي اللهو والمجون والحب وأصوله وقوانينه !..

ففى ميدان الصراع العقدى والمذهبى :

كان بشر بن المعتمر يفيد من هذا اللون الشعرى في الصراع المذهبى ، وتأييد وجهة نظر الاعتزال ، وتابعه جماعة من الشعراء الذين أثارهم بشار بن برد بما ذهب إليه من تفضيل النار على الأرض ، وإبليس على آدم في أبياته التى يقول فيها :

إبليس أفضل من أبيكم آدم فتبينوا يا معشر الأشرار (٢)

فتصدوا له يردون عليه مبينين أن للأرض الفضل على النار ، ذلك لأنها أصل النار ، وأنّ النار موجودة فيها « بالقوة » ، وأنّ في الأرض أعاجيب لا تحصى ولا تعد من المعادن والنبات والعناصر الأخرى ...

---

(١) الأوراق ص٤٦ وما بعدها .

(٢) رسالة الغفران بتحقيق بنت الشاطىء ص٣١٠ .

فلبشر قصيدتان طويلتان رواهما الجاحظ في الحيوان ، أولاهما في ذمّ فرق الإباضية والرافضة والحشوية ، وذكر فيها أصنافاً من الحيوان ، وتحدث عن أعاجيبها وطبائعها ، وما تقتات به ، مستدلاً بذلك على قدرة الخالق ، وقد بدأها بالحكمة ، فقال :

الناس دأباً في طلاب الغنى ... وكلهم من شأنه الختر
كأذؤب تنهشها أذؤب ... لها عواء ولها زفر
تراهم فوضى وأيدى سبا ... كل له في نفسه سحر
تبارك الله وسبحانه ... بين يديه النفع والضر
من خلقه في رزقه كلهم ... الذيخ والتيتل والعفر

ويعدد أصناف الحيوان ، وكيف تعيش وتقتات ، حتى ينتهى من ذلك إلى قوله :

إنى وإن كنت ضعيف القوى ... فالله يقضى وله الأجر
لست إباضياً غبيّاً ولا ... كرافضى غرّه الجفر
كما يغرّ الآل في سبسب ... سَفْراً ، فأودى عنده السَّفْر
كلاهما وسّع في جهل ما ... فعاله عندهما كفر
لسْنا من الحشو الجفاة الألى ... عابوا الذى عابوا ولم يدروا (١)

والقصيدة الثانية تتحدث عن العالم وما فيه من المخلوقات المختلفة الأجناس ، ويعدد الشاعر الحيوان وأوضاعه مستدلاً بذلك على حكمة الله ، مستخلصاً من ذلك أن العقل وحده هو الذى ينبغى أن يهتدى به الناس ، وألّا يتخذوا غيره رائداً مرشداً كما يفعل من ضلوا واحتكموا إلى التقليد :

أما ترى العالم ذا حشوة ... يقصر عنها عدد القطر
أوابد الوحش وأجناسها ... وكل سبع وافر الظفر

وبعد أن يعدد أجناساً من الحيوان ، يقول :

فكم ترى في الخلق من آية ... خفية الحسبان في قعر
أبرزها الفكر على فكرة ... يحار فيها واضح الفجر
لله در العقل من رائد ... وصاحب في العسر واليسر
وحاكم يقضى على غائب ... قضية الشاهد للأمر

---

(١) الحيوان للجاحظ جـ٦/٨٤-٩١ .

ثم يعود الشاعر فيعدد الحيوان ويذكر طبائعه ، وأنه في طلب رزقه يقلد بعضه بعضاً ، وعلى مثالهم في هذا أبناء آدم ، إلاّ أنهم مختلفون في الدين ، ومتفاوتون في الرأى والقدر ، وقد تحكمت فيهم واستولت عادة الاتباع والتقليد :

وكل جنس فله قالب ... وعنصر أعراقه تسرى
وتصنع السرفة فيهم على ... مثل صنيع الأرض والبذر
والأضعف الأصغر أحرى بأن ... يحتال للأكبر بالفكر
متى يرى عدوه قاهراً ... أحوجه ذاك إلى المكر
كما ترى الذئب إذا لم يطق ... صاح فجاءت رسلًا تجرى
وكل شيء فعلى قدره ... يحجم أو يقدم أو يجرى
والخلد كالذئب على خبثه ... والفيل كالأعلم كالوبر
والعبد كالحرّ وإن ساءه ... والأبغث الأعشر كالوبر
لكنهم في الدين أيدى سبا ... تفاوتوا في الرأى والقدر
قد غمر التقليد أحلامهم ... فناصبوا القيَّاس ذا السَّبْر
فافهم كلامى واصطبر ساعة ... فإنما النجح مع الصّبر
وانظر إلى الدنيا بعين امرىء ... يكره أن يجرى ولا يدرى (١)

وحين أنشأ بشار قصيدته المتقدم ذكرها في تفضيل النار وإبليس على الأرض وآدم ، أنشأ صفوان الأنصارى قصيدته المضادة في تفضيل الأرض وآدم ، فقال :

زعمت بأنّ النار أكرم عنصراً ... وفي الأرض تحيا بالحجارة والزند
وتخلق في أرحامها وأرومها ... أعاجيب لاتحصى بخط ولا عقد
وفي القعر من لج البحار منافع ... من اللؤلؤ المكنون والعنبر الورد
وفي قلل الأجبال خلف مقطم ... زبرجد أملاك الورى ساعة الحشد
وفي الحرّة الرجلاء تلقى معادن ... لهن مغارات تبجس بالنقد
من الذهب الإبريز والفضة التى ... تروق وتصبى ذا القناعة والزهد
وكلّ فلزٍ من نحاس وآنك ... ومن زئبق حى ونوشادر يسدى
وكلّ يواقيت الأنام وحليها ... من الأرض والأحجار فاخرة المجد
وفيها مقام الحل والركن والصفا ... ومستلم الحجاج من جنة الخلد (٢)

---

(١) الحيوان جـ٦/٢٩١ ـ ٢٩٧ .

(٢) البيان والتبيين جـ٨/٢٧ .

كما شارك في الرد على بشار أيضاً سليمان الأعمى ـ أخو مسلم بن الوليد قائلًا :

لا بدّ للأرض إن طابت وإن خبثت ... من أن تحيل إليها كلّ مغروس
وتربة الأرض إن جيدت وإن قحطت ... فحملها أبداً في إثر منغوس
وبطنها بفلزّ الأرض ذو خبر ... لكل جوهرة في الأرض مرموس
وكلّ آنية عمت مرافقها ... وكل منتقد فيها وملبوس
وكل ما عونها كالملح مرفقة ... وكلها مضحك من قول إبليس (١)

في ميدان الموعظة والحكمة :

ومن أبرز الشعراء الذين استخدموا الشعر التعليمى في الموعظة والحكمة أبو العتاهية الذى كانت له عدة قصائد تعليمية أسهم بها في ميدان نقل العلم والمعرفة للآخرين ، و « … أخذت مكانها في تربية الذوق الإسلامى وتهذيب الناشئين … » (٢) … ومن أبرز قصائده هذه أرجوزته المعروفة بذات الأمثال التى يقف فيها موقف المعلم من تلاميذه ، أو الحكيم الواعظ الذى يوجه الناس ويريهم سبيل الرشاد من منبره … وهى أرجوزة مزدوجة ينفرد كل بيت فيها بقافية يشترك فيها شطران ، ويذكر أبو الفرج أنها طويلة جداً (٣) ، وفيها أربعة آلاف مثل (٤) ولكنه لم يثبت منها في أغانيه إلّا ثلاثه وعشرين بيتاً (٥) إلّا أن جامع ديوانه قد أورد منها ما يقرب من الخمسين بيتاً (٦) .

وأبو العتاهية في ذات الأمثال هذه يأتينا بحكم أخلاقية وأمثال سائرة سجّل فيها خلاصة تجاربه وآرائه في الحياة مصوغة صياغة مضغوطة مركزة في أخصر عبارة بحيث تبدو في صورة الأمثال السائرة ـ كما هو واضح من اسمها ـ فتخف على الألسنة ، وتعلق بالذاكرة ، فيسهل تداولها ، ويسرع في الذهن استدعاؤها واستحضارها ، ومن هنا يحتسبها من يحتسبها في الشعر التعليمى (٧) ، ويضعها من يضعها في أدب الحكمة !..

والقصيدة لا تعرض لموضوع واحد ، أو لفكرة واحدة ، ولكنها تعرض لعدة موضوعات ، ولأفكار شتى ، فكلّ بيت يعرض فكرة مستقلة ، وقد تشترك عدة أبيات في عرض فكرة ،

---

(١) المرجع السابق جـ٤١/٨ ـ ٤٣ .

(٢) دراسات في الأدب الإسلامى للأستاذ محمد خلف الله أحمد ص١٠٩ مع ملاحظة أننا نتحفظ تجاه سلبيته وانعزاليته المبالغ في الدعوة إليهما .

(٣) الأغانى طبعة دار الشعب ص١٢٥١ .

(٤) المرجع السابق ص١٢٥٠ .

(٥) المرجع نفسه ص١٢٥٠ ـ ١٢٥١ .

(٦) ديوانه نشر لويس شيخو ص٤٩٣ ـ ٤٩٦ .

(٧) دراسات في الأدب الإسلامى لمحمد خلف الله أحمد ص١٠٩ .

ولكن يظل كل بيت وحدة قائمة بذاتها ، تعرض جانبا مستقلا من جوانب الفكرة العامة (١) . يقول أبو العتاهية :

حسبك ما تبتغيه القوت ... ما أكثر القوت لمن يموت
الفقر فيما جاوز الكفافا ... من اتّقى الله رجا وخافا
إن كان لا يغنيك ما يكفيكا ... فكل ما في الأرض لا يغنيكا
إن القليل بالقليل يكثر ... إن الصفاء بالقذى يكدّر

ومنها :

لكل شيء معدن وجوهر ... وأوسط وأصغر وأكبر
وكل شيء لاحق بجوهره ... أصغره متصل بأكبره
مازالت الدنيا لنا دار أذى ... ممزوجة الصفو بألوان القذى
الخير والشر بها أزواج ... لذا نتاج ، ولذا نتاج
من لك بالمحصن وليس محصن ... يخبث بعض ويطيب بعض
لكل إنسان طبيعتان ... خير وشر وهما ضدان
والخير والشر إذا ماعدّا ... بينهما بوْن بعيد جدا

وهكذا تمضى الأرجوزة التى يتضح فيها تعدد الموضوعات وتشتت الأفكار الذى ربّما كان السبب فيه أنها لم تنظم في وقت واحد ، وإنما نظمت في أوقات متباينة متباعدة ، كلما خطر للشاعر خاطر ، وعنت له فكرة جديرة بالتسجيل أسرع إلى تسجيلها رجزاً وألحقها بدفتره (٢) .

ومن شعره هذا مذكراً بالموت وسكراته ، لائماً على نسيانه والسهو عنه :

حتى متى تصبو ورأسك أشمط ... أحسبت أن الموت في اسمك يغلط
أو لست تحسبه عليك مسلّطا ... ويلى ، وربك إنه لمسّلط
ولقد رأيت الموت يفرس تارةً ... جثث الملوك وتارة يتخبط

---

(١) حياة الشعر في الكوفة للدكتور يوسف خليف ص٥٦٩ .
(٢) المرجع السابق ص٥٦١ .

فتألف الخلان مفتقداً لهم   ستشط عمن تألفن وتشمط
وكأنني بك بينهم واهى القوى   نضواً تقلص بينهم وتبسط
وكأنني بك بينهم خفق الحشا   بالموت في غمراته يتشحط
وكأنني بك في قميص مدرجاً   في ريطتين ملفف ومخيط
لاريطتين كريطتي متنسم   روح الحياة ولا القميص مخيط (١)

ويمكن النظر في هذه النصوص التى أوردناها من قبل لبشر بن المعتمر، وصفوان الأنصارى، وسليمان الأعمى - باعتبارها نماذج للحكمة والموعظة، بل هى من صميم ذلك دون ريب، كما يمكن اعتبار آداب وأشعار الوعاظ والزهاد من الأدب التعليمى في الصميم !..

الاستعمار.. ودوره في تخريب التعليم في البلاد الاسلامية

يقول المستشرق الانكليزى (هاملتون جب) :

« لقد استطاع نشاطنا التعليمى والثقافى عن طريق المدرسة العصرية والصحافة أن يترك في المسلمين - ولو من غير وعي منهم - أثرا يجعلهم في مظهرهم العام « لادينيين » الى حد بعيد، ولا ريب أن ذلك هو اللب المثمر في كل ما تركت محاولات الغرب لحمل العالم الاسلامي على حضارته من آثار ».

ويقول الدكتور عبد الحليم محمود - شيخ الجامع الأزهر السابق رحمه الله :

« ان الأمر قد وصل بالاستعمار أن صاغ خريجى كليات الحقوق، بحيث لا يفهمون بعد (الليسانس) كتابا عربيا في المواد التشريعية، وليس الأمر بغريب، ان جدول التدريس في كليات الحقوق يخصص عشرين محاضرة في الاسبوع للقوانين الأوروبية، ومحاضرتين فقط للشريعة الاسلامية ».

---

(١) ديوان أبى العتاهية ص٢٤٤.

الرَّاغِبُ الأَصْفَهَانِى وَجُهُودُهُ فِى اللُّغَةِ

للدكتور عمر عبد الرحمن الساريسى
كلية اللغة العربية بالجامعة

مقدمـــــــة

إن من يبحث في حياة أبي القاسم ، الحسين بن مفضل ، المعروف بالراغب الاصفهانى (١) ، وفي جهوده المختلفة في اللغة والأدب وغيرها يجد عنتاً شديداً . فبينا هو يرى أن كتابه « محاضرات الأدباء » لا يجهله أديب ، ويلحظ أن معجمه في « مفردات ألفاظ القرآن » لم يستغن عنه مفسرِ أو معجمى جاء بعده ، وبينا هو يطالع قول الإمام فخر الدين الرازي (٦٥٦) ، من أن أبا حامد الغزالى (٥٠٥) كان يعجب بكتابه « الذريعة إلى مكارم الشريعة » ويستحسنه لنفاسته (٢) ؛ إذا هو لا يكاد يجد له ترجمة في كتب الطبقات والتراجم (٣) !!! .

وربما نتج عن هذا أن الرجل لم ينل حظه من الدراسة والبحث في الا بحاث المعاصرة أيضاً ، فلم تفرد له دراسة مستقلة بل لم تعن به الدراسات التي تناولت أد باء العصر العباسى وفنونهم النثرية (٤) .

أما المشكلة الثانية التى تجا به المتصدى للكشف عن آثار هذا الرجل وأثره فهى تحديد

---

(١) راجع بروكلمان ١ / ٢٦٩ والأعلام ٢ / ٢٧٩ ومعجم المؤلفين ٤ /٥٩ .
(٢) راجع بغية الوعاة ٣٩٦ وكشف الظنون ١ / ٥٣٠ .
(٣) فلم يترجم له معجم الأد باء ووفيات الأعيان وسير أعلام النبلاء وتاريخ بغداد مثلاً .
(٤) مثل أ بحاث أحمد أمين وزكي مبارك وآدم متيز وكتب تاريخ الأدب العربى .

عصره وذكر تاريخ وفاته وشيء عن نشأته · فكل ما قيل عنه لا يعدو ذكر ميلاده في اصفهان واختلافه إلى بغداد وانه إمام في اللغة والأدب والتفسير ، وأنه قد توفى عام ٥٠٢ ·

ولقد كان الفارق الكبير بين مايحق له من شهرة علمية مناسبة وبين هذا التنكر والتجاهل حافزاً قوياً على العكوف على دراسته وتقصى أخباره مهما بعدت مظان أخباره وآثاره ·

وكان مما انتهى اليه الباحث ، في هذا البحث ، أن خيل إليه أنه قد جَمَّع مايمكن أن يكوّن صورة أولية عن حياة الراغب وعصره وعن جهوده الفكرية واللغوية ·

أما في الأولى فأهم ما يزعم أنه قد توصل إليه أن صاحبه لم يتوف عام ٥٠٢ ، كما زعم أكثر الذين ذكروه ، بل إنه ، على المرجح أن يكون ، قد توفى قبل هذا التاريخ بقرن كامل من الزمان !! وهو فرق ليس باليسير في معرفة رجال التراث ·

وأما في الثانية فقد وقف على جهود للراغب في كل من اللغة والأدب والتفسير والفرق الإسلامية والتربية والأخلاق مما يستحق أن يفرد له مقالة برأسها ، وها نحن هنا نحاول أن نَرصد جهوده اللغوية ، والله من وراء القصد ·

جهوده في اللغـــة

آثــاره اللغويـــة :

وفي بداية تعرفنا على جهود الراغب الاصفهانى في الأدب واللغة نحاول أن نتعرف أولاً على آثاره الأدبية واللغوية ، ولعلها تنحصر في « محاضرات الأدباء » وفي « مجمع البلاغة » وفي « المفردات في ألفاظ القرآن » ، ولم تخل سائر آثاره من الخبرة العميقة باللغة ومن استخدامها في الوصول إلى الحقائق المبتغاة ·

أمـا « **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء** » فلعله أشهر مصنفات الراغب على وجه الاجمال ، « فهو خزانة أدب وشعر وحكم وأمثال » كما يذكر أحد الباحثين (١) « وخير ممثل لثقافة العصر الذى عاشه الراغب » كما يقول باحث آخر (٢) · يقع في خمسة وعشرين باباً ، يسمى كل باب حداً ، ويتضمن كل باب موضوعات تتفرع عن العنوان الأساسى للباب ·

---

(١) جورجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، دار الهلال جـ ٣ ·

(٢) د · عمر فروخ ، تاريخ الأدب العربى ٣/٢١٤ ·

ففي الباب الأول وعنوانه « العقل والعلم والجهل وما يتعلق بهما » يبحث في الموضوعات التالية العقل والحمق وذم اتباع الهوى ، ما يحد به العقل وبنوه والحمق وذووه ، الحزم والعزم والظن والشك ..... » (١) ٠

يقول في المقدمة « وقد ضمنت ذلك طرفاً من الأبيات الرائقة والأخبار الشائقة ... » (٢) ، وكان يحرص أن يجمع هذه الأخبار وهذه الأبيات من جيد المنثور والمنظوم مما سبق من عهود التراث ، في موضوعات متنوعة من الثقافة والأدب والاجتماع ، جرياً على عادة الكتاب في القرن الثالث والرابع الهجريين من « أن الأدب هو الأخذ من كل علم بطرف » ٠ ويبدو أنه كان يرمي إلى أن يجعل من كتابه مادة تعليمية ينهل منها الشادون في الأدب والمتعلمون ٠

وكان فيه إلى جانب الجد والأخبار لون من الهزل والغزل والمجون » ، فمن شاء وجد منه ناسكاً يعظه ويبكيه ومن شاء صادف منه فاتكاً يضحكه ويلهيه (٣) ، كما يقول ٠

وطريقته في التأليف فيه هي أن يجمع تحت الموضوع الذي عقده ما يناسبه من آيات قرآنية وأحاديث نبوية وحكم مأثورة وأشعار مروية وأخبار سائرة وأمثال نادرة ٠

ويبدو أن كلمة « محاضرات » الأدباء كانت تعنى مجالسهم وما يطرح فيها من أدب وأخبار ٠

وقد لقى هذا الكتاب عناية كبيرة فقد ترجم إلى اللغات الأوربية (٤) وهذب وشذب (٥) ونشر عدة مرات في القاهرة وفي بيروت (٦) ٠

أما « **مجمع البلاغة** » فهى المخطوطة التى قمت بتحقيقها من أعمال الراغب ، وقد وجدت من التحقيق أنها ، في أغلبها ، مأخوذة من كتاب المحاضرات ٠ لذلك فهي تأخذ منهاجه ومادته إلى حد ما ٠ ولكنها تتميز عنه بغزارة المادة اللغوية في صيغ الأفعال وصيغ الأسماء والتراكيب الأدبية ، وما بين متشابهاتها من فروق دقيقة ٠

---

(١) طبعة دار مكتبة الحياة ، ١٩٦٠ ، في مجلدين ٠

(٢) ترجمة فلوجل ـ دائرة المعارف الاسلامية المجلد ٩ عدد ١ ص ٤٠٧ ٠

(٣) طبعة دار مكتبة الحياة ١٩٦٠ فى مجلدين ٠

(٤) نشره ابراهيم زيدان عام ١٩٠٢ مختصراً ، ونشره أنور الجندي عام ١٩٦٠ مختصراً ، وزارة الثقافة المصرية ٠ ٠

(٥) طبع عام ١٢٨٤ بمطبعة بولاق وعام ١٢٨٧ بالمطبعة العثمانية و ١٣٠٥ بمطبعة جمعية المعارف ، ١٣١٠ بالمطبعة الشرفية ، ١٣٢٢ مطبعة السعادة ، ١٣٢٦ المطبعة العامرة ٠

(٦) طبعة دار مكتبة الحياة ١٩٦٠ فى مجلدين

وقد وقعت المخطوطة في نحو من مائتي ورقة تنتظم خمسة عشر فصلاً . ذكرها السيوطى فيما وقف عليه من آثار الراغب باسم « افانين البلاغة » . وذكرها غيره من بين مخطوطاته . ويبدو أن مصنفها أراد من كلمة « البلاغة » المعنى الأدبي الذي يعنى ببليغ القول وفصيحه من شعر ومن نثر ، ولم يرد إلى المعنى الاصطلاحي منها . أما كلمة « مجمع » فإنه يريد منها أنها تجمع فيها كل أركان الفصاحة والكلام البليغ .

أما كتاب « **مفردات ألفاظ القرآن** » فسيأتي الحديث عنه في تبيين أثر الراغب اللغوى ، إن شاء الله .

خطـــــة بحث :

فإذا ما حاولنا ، بعد ذلك ، التعرف على جهوده في ميدان اللغة فإننا سنجدها مبثوثة في مصنفاته الأدبية أو في مفردات ألفاظ القرآن بوجه خاص أو في سائر مصنفاته . وقد برزت له ، معها ، جهود لغوية أخرى يمكن أن نجمعها في شكل قضايا لغوية متفرقة ، سنعرض لها ، إن شاء الله ، بعد أن نقف على ما حوت مصنفاته ، أولاً ، من هذه الجهود .

أما في مصنفاته الأدبية فقد عنى باللغة عناية خاصة تمثلت في تجميع مفرداتها المتلاقية المعانى المختلفة الأشكال في أسر لغوية ، تجد ذلك في الأفعال وفي الأسماء وفي التراكيب التى يقترب بعضها من بعض في الدلالة وتختلف عنها في الصياغة .

ففى معنى « الكبر والضعف » يقول : احقوقف ودنف وتأطّر وانحنى ، وخانته القوى ، وخذلته الأركان ، وتقوس من الكبر ، وبلِي كما يبلى الشجر ، غيض بصره واجلاده ، ولان اجياده ، صار كعظم الرمة البالى » (١) فالأفعال الأربعة الأولى أفادت المعنى بنفسها ، أما سائر أفعال هذا المعنى فلم تتضح الا باكمال التركيب الذي ترد فيه .

وفي جميع المفردات الاسمية التي تنتظم تحت معنى واحد وفي توضيحها ننظر إلى المثال التالِي : « القَرْم اكل الصبي والخَضْد للعقل والخَضْم للرطب والقَضْم لليابس ، والقطم باطراف الاسنان كالرمان ، والكَشْم والكَشْذ كنحو القثاء ، والمَسْغ والمسع كالبطيخ والكَشْب للحم ، والعَلْك لكل معقود والكشّ لذوات الحافر » (٢) .

---

(١) مجمع البلاغة ص ٢٤١ .

(٢) مجمع البلاغة ٣٨٥ ولعله يريد بالكش صوت ذوات الحافر وهي تأكل .

أليس يذكرنا الراغب في مثل هذه المجموعات ، وما أكثرها في مجمع البلاغة بوجه خاص وفى المحاضرات ، بما عرف في فقه اللغة بالفروق والذى ظهر بشكل واضح في كتاب أبى منصور الثعالبى « فقه اللغة وسر العربية » ؟ .

إن الباحث ، حينما يتعمق في هذه المجموعات اللغوية أو الأسر اللغوية في أعمال الراغب ، يجد أنه لا يبعد كثيراً عن المراحل المتتالية التي قطعتها معاجم المعانى حتى ارتقت في كتاب الثعالبى في الشرق وفي مخصص ابن سيده في الغرب (١) .

ففي « القِرى » يقول الراغب : « المأدُبة والوليمة والعُرْس والخُرْس والإعذار والنقيعة والوكيرة والعقيقة والوضيمة للدعوات » (٢) ولدى البحث نجد لهذه الأسرة اللغوية أصلًا في كتاب « تهذيب الألفاظ » لابن السكيت (٣) ، حيث يقول « ...... والوليمة طعام العرس ... والوكرة والوكيرة الطعام الذى يصنعه الرجل عند فراغه من بناء داره فيدعو عليه ، والاعذار والعذره طعام الختان .... والنقيعة طعام الاملاك .... ويقال لطعام الولادة الخُرْسُ والذى تطعمه النفساء الخُرْسة .... » (٤) .

إن مقابلة هذه المجموعة اللغوية في الكتابين تدل على أن الراغب قد اطلع على ما في تهذيب الألفاظ ولم ينهج منهاجه في التفصيل فيما بين المفردات المتشابهة من فروق . ولنتأمل المجموعة اللغوية التالية في آثار الراغب :

« تقول في اصلاح الفاسد : اصلح فاسدَه وحصد معانده وقَوَّم مائده ولَمَّ شَعْثَه ورَمَّ رَثَّه ومنتكثه وآسى كَلْمَه ، حسم الأدواء بكيّه وانضاجه وادمل الجروح بطبه وعلاجه ، رتق الفتوق بعد تفاقمها واستفحالها ... نهض إلى فَتْق فرتَقَه وخَرْق فرقعه وشَعْثٍ فلّمه ونشرٍ فضّمه .... تألّف النافر ، سد مختلّه واصلح معتلّه ... » (٥) .

ولنتأمل معها المجموعة اللغوية الأخرى من الألفاظ الكتابية للهمذانى (٣٢٠ هـ) :

في باب معنى اصلح الفاسدّ تقول : لم فلان الشعث وضم النشر ورَمَّ الرث وسد الثغر ورقع الخرق ورتق الفتق واصلح الفاسد واصلح الخلل وجمع الشتات وجبر الوهن » (٦) .

---

(١) راجع لذلك المعجم العربي ، نشأته وتطوره ، د . حسين نصار . وحركة التأليف عند العرب د . أمجد الطرابلسى .

(٢) مجمع البلاغة ٣٩٢ .

(٣) يعقوب بن اسحق (٢٤٤ هـ) حققه وفهرس له لويس شيخو بيروت ١٨٩٥ .

(٤) المصدر السابق ص ٦١٤ .

(٥) مجمع البلاغة ص ١٧٥ .

(٦) من فصل من فصول الباب الأول من الألفاظ الكتابية لعبد الرحمن بن عيسى الهمذاني ، حققه ونشره لويس شيخو بيروت

الوضيمة : طعام المأتم . النقيعة : ما يذبح للضيافة أو طعام الرجل ليلة عرسه .

إننا نجد أن لا بد من وجود علاقةَ تَأَثُّرٍ بين المجموعتين ، أو المجموعة الواحدة في الكتابين ، على الأصح · فكما أن الراغب أفاد من ترتيب سابقه كذلك شقق التعابير ووسّع فيها ، في اطار المعنى العام الواحد لمختلف التعابير ·

وقد صنَّف في مثل هذه المجموعات اللفظية قدامة بن جعفر ، أيضاً ، كتاباً في « جواهر الألفاظ » (١) وكان الفصل الأول فيه باب اصلاح الفاسد · وقدامة من كتاب القرن الرابع الذى أظل الراغب ، فيما نرجح ، وأظل أبا منصور الثعالبي · ويبدو أنهم لم يكتفوا بمرحلة السمع والتأنقات اللفظية بل تخطوها إلى التأليف في الألفاظ ، كما يلاحظ باحث حديث (٢) ، وهو يعنى أنهم جعلوا ينظرون إلى الألفاظ نظرة تفوق ما بينها من محسنات إلى مستوى تجميعها في اسر ومجموعات ·

وقد نجد أن الراغب كان يغتنم فرصة التعبير الغامض فيبادر إلى شرحه من خبرته اللغوية ، شرحاً معجمياً ، دقيقاً ، مثل قوله « اللَّفَفُ أن يدخل بعض حروف في بعض ، والعُقْله أن يعتقل لسانه ، واللُّكنَه اذا دخل حروف العجم منه والحُكْلة نقص في آلة الكلام » (٣) · وكثيراً ما يرد الكلمات الى معانيها اللغوية الأولى التى اشتقت منها ، كقوله : « كَعَمه الخوف من الكِعام الذى يوضع على انف البعير » (٤) وقوله « المخضرم الذي لحق الجاهلية والاسلام (وقيل مخضرم الدولتين لمن لحق بنى امية وبنى العباس) » واصله من لحم مخضرم أو من المخضرمة وهى القطعة التي تقطع من اذن الناقة » (٥) ·

أما ما في **المفردات في ألفاظ القرآن** من جهود لغوية فإننا نحاول أن نتعرف عليها ، الآن ، بعد ما حاولنا من الإشارة إلى ما في هذا المصنف الكبير من أثر في التفسير القرآنى · ولنتعرف على منهجه في هذا المصنف وعلى غايته من تصنيفه من مقدمته ، يقول فيها : « وقد استخرت الله في إملاء كتاب مستوفى فيه مفردات ألفاظ القرآن على حروف التهجى ، فتقدم ما أوله الألف ثم الباء على ترتيب حروف المعجم ، معتبراً فيه حروفه الأصلية دون الزائدة ، والإشارة فيه إلى المناسبات التى بين الألفاظ المستعارات منها والمشتقات حسبما يحتمل التوسع في هذا الكتاب » (٦) ·

---

(١) تحقيق محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة ، ١٩٣٤ ·
(٢) د · زكى مبارك ، النثر الفنى في القرن الرابع ، ٨٦/١ ·
(٣) مجمع البلاغة ص ٥٧ ·
(٤) مجمع البلاغة ص ١٩٣ ·
(٥) مجمع البلاغة ص ٥٣ ·
(٦) طبع بعناية محمد سيد كيلاني ·

إنه ، **أولاً** ، يريد أن يقيم مؤلفه على ألفاظ القرآن لا على معانيها وبذلك يقترب من عمل المعاجم التى تعنى بشروح الألفاظ ·

وهو ، **ثانياً** ، ينوى أن يرتب هذه الألفاظ باعتبار أوائلها وفقاً لترتيب حروف الهجاء : الألف مع الباء والألف · ثم الألف مع الباء والباء ، ثم الألف مع الباء والتاء ثم الألف مع الباء إلى ···· الياء ، وهكذا يفعل بسائر الحروف ·

وهو ، **ثالثا** ، يبدأ بالحروف المجردة للكلمة قبل أن يأخذ في مزيداتها ، وهي طريقة المعاجم ·

وهو ، **رابعا** ، يشرح تحت المادة المجردة كل ما اشتق منها وناسبها ، أي اقترب من لفظها ، من الألفاظ القرآنية ·

ولنختر مادة من مواد هذا المصنف ، لنرى إلى أي مدى حقق الراغب عملياً هذا المنهاج ، ولنبحث عما يميز كتابه هذا عن أعمال سائر اللغويين ، ولتكن مادة حَسُنَ :

حَسُنَ :

الحُسْن عبارة عن كل مبهج مرغوب فيه · وذلك ثلاثة أضرب : مستحسن من جهة العقل ، ومستحِسن من جهة الهوى ومستحسن من جهة الحسّ ·

والحَسَنة يعبر بها عن كل ما يسر من نعمة تنال الإنسان في نفسه وبدنه وأحواله ·

والسيئة تضادها ، وهما من الألفاظ المشتركة ، كالحيوان الواقع على أنواع مختلفة ، كالفرس والإنسان وغيرهما · فقوله تعالى « **وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله** » أي خصب وسعة وظفر ، وإن تصبهم سيئة أي جدب وضيق وخيبة · وقال تعالى « **فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه** » · وقوله تعالى « **ما أصابك من حسنة فمن الله** » ، أي من ثواب ، « **وما أصابك من سيئة** » أي من عقاب ·

والفرق بين الحُسْن والحَسَنة والحُسْنى أن الحسن يقال في الأعيان والأحداث ، وكذلك الحسنة إذا كانت وصفاً ، وإذا كانت اسماً فمتعارف في الأحداث ، والحسنى لا يقال إلا في أحداث دون الأعيان ، والحسن أكثر ما يقال في تعارف العامة في المستحسن بالبصر · يقال رجل حسن وحُسّان وامرأة حسناء وحسانه · وأكثر ما جاء في القرآن من الحسن فللمستحسن من جهة البصيرة · وقوله تعالى : « **الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه** » أي الأ بعد

عن الشبهة ، كما قال صلى الله عليه وسلم : إذا شككت في شيء ، فدع » ، وقولوا للناس حسناً » أي كلمة حسنة وقال تعالى : « **ووصينا الإنسان بوالديه حسناً** » .

وقال عز وجل « **قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين** » .

وقوله : « **ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقِنون** » . إن قيل : حكُمه حَسَنٌ لمن يوقن ولمن لا يوقن فلم خص ؟ قيل : المقصد إلى ظهور حسنه والاطلاع عليه وذلك يظهر لمن تزكى واطلع إلى حكمة الله تعالى دون الجهلة . والإحسان ، يقال ، على وجهين : أحدهما الإنعام على الغير ، يقال : أحسن إلى فلان ، والثاني إحسان في فعله ، وذلك إذا علم علماً حسناً أو عَمل عملاً حسناً . وعلى هذا قول أمير المؤمنين ، رضى الله عنه ، « الناس أبناء ما يحسنون » أي منسوبون إلى ما يعملون .

وما يعملون من الأفعال الحسنة قوله تعالى : « **الذي أحسن كل شيء خلقه** » .

والإحسان أعم من الإنعام . قال تعالى : « **إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم** » وقوله تعالى : « **إن الله يأمر بالعدل والإحسان** » فالإحسان فوق العدل ، وذلك أن العدل هو أن يعطى ما عليه ويأخذ ما له ، والإحسان أن يعطى أكثر مما عليه ويأخذ أقل مما له ، فالإحسان زائد عن العدل . فتحري العدل واجب ، وتحري الاحسان ندب وتطوع . وعلى هذا قوله تعالَى « **ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن** » . وقوله عز وجل « **وأداء اليه بإحسان** » . ولذلك عظم الله ثواب المحسنين فقال تعالى « **إن الله يحب المحسنين** » وقال تعالى « **ما على المحسنين من سبيل** » « **للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة** » .

ولدى التأمل في هذا النص قد نلاحظ الملاحظات التالية :

أولاً - إن كتاب المفردات معجم خاص . وقد توفر على الشرطين الأساسيين اللذين توفرت عليهما سائر المعاجم اللغوية وهما الترتيب والشمول (١) . فها هو ذا قد رتب مفردات القرآن الكريم جميعها ، تقريباً (٢) ، حسب حروف الهجاء باعتبار أوائلها ، فمادة « حَسب » تسبق « حسد » وهما تسبقان مادة خرج وهلم جراً .

---

(١) راجع لذلك حركة التأليف عند العرب وأمجد الطرا بلسى ، والمعجم العربى ، نشأته وتطوره د . حسين نصار .

(٢) أقول تقريباً لانني اطلعت على استدراك مخطوط عليه عدد مواد قرآنية لم يتعرض لها ، رقم ١٤٤٨ مكتبة راغب باشا باستانبول .

ونقول هو معجم خاص لأنه يختص بما ورد في القرآن الكريم فقط من مواد لغوية . وبهذا قد يكون تفرد من بين أصحاب المعاجم الذين سبقوه . ولعل المعاجم الخاصة لم تظهر إلا متأخرة في اللغات الأجنبية وفي لغتنا العربية (١) .

ثانياً - ترتيب معجم المفردات على أساس حروف الهجاء مع مراعاة أوائل الأصول .

لقد وردت مادة حسن في هذا المعجم في نهاية قائمة الحاء والسين وما يثلثهما : حَسَّ حسب ، حَسد ، حسر ، حسم ، حسن . ثم وردت بعد مادتها حشر وما يشتق منها . وهكذا يكون قد نظر إلى حرف الحاء - مثلاً - في الترتيب ، وهو بذلك يخالف ما عرف قبله من معاجم ترتب المواد حسب مخارج الأصوات أو اعتبار الحرف الأخير من المادة ، كما عرف في معجم العين للخليل (١٧٠ هـ) وتاج اللغة العربية وصحاح العربية للجوهرى (٣٩٣) ويوافق ، في طريقته ، طريقة ابن دريد الأزدي (٣٢١ هـ) في الجمهرة في اللغة وابن فارس (٣٩٥) الذى نرجح أن الراغب كان معاصراً له ، في معجميه « المجمل » ومقاييس اللغة .

ثالثاً - ثنائية اللغة - ويبدو أن الراغب قد تأثر بابن دريد أكثر من غيره . وذلك أننا لو نظرنا إلى قائمة الحاء والسين وما يثلثهما لوجدناه يبدأ فيها بالفعل حَسَّ ثم يأتي بعده الحاء والسين والباء . وكذلك في مادة حَضَّ ومادة مَرَّ . أليس يدل هذا على أن الراغب كان يرى ثنائية اللغة وأنها أولاً ذات أصول ثنائية ؟ وقد كان ابن دريد يقسم اللغة إلى ثنائى وثلاثى ورباعى . وقد لاحظ هذا في الراغب العالم اللغوى الأب انستاس الكرملى وقال إنه تشبث بالثنائية (٢) ، وذكر باحث آخر ذلك باعجاب قائلاً إن الثنائية سمة اللغات السامية » (٣) .

ومما قد يساعد على هذا أن الراغب قد افرد للمواد الرباعية أبواباً خاصة ولم يلحقها بالثلاثى مثل : عبقر ، وعسعس ، وشرذم ، وسرمد ، وما ذاك إلا أنه يوافق رأيه في القول مع القائلين إنما الرباعى ثنائي مضعف ، فزلزل مثلاً من زَلّ وعسعس من عَسَّ .

رابعاً - الخبرة اللغوية - يبدو أن الراغب يدل بثقافة لغوية عريضة ، يناقش فيها ما يورد اللغويون قبله بثقة اللغوى واقتدار المفكر ، ففى مادة بعض نراه يقول :

« بعض الشيء جزء منه ...... ويقال ذلك بمراعاة كل ، ولذلك يقابل به كل فيقال

---

(١) لم تعرف في لغتنا إلا حديثا معجم المصطلحات الزراعية ، والمعاجم الطبيعية والفلسفية والاجتماعية مثلاً .

(٢) راجع لذلك دراسات في فقه اللغة د. صبحى الصالح ص ١٦٢ . وهذا يوافق رأى الكرملى .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٦٤ .

بعضه وكله ..... قال أبو عبيدة : « ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه » أي كل الذي تختلفون فيه كقول الشاعر :

أو يعتبط بعض النفـــوس حمامهـــا

وفي قوله هذا قصور منه ، وذلك أن الأشياء على أربعة أضرب : ضرب في بيانه مفسدة فلا يجوز لصاحب الشريعة أن يبينه كوقت القيامة ووقت الموت ، وضرب معقول يمكن للناس إدراكه من غير نبي كمعرفة الله ومعرفته في خلق السموات والأرض ، فلا يلزم صاحب الشرع أن يبينه · ألا تَرى أنه كيف أحال معرفته على القول في نحو قوله : قل انظروا مافي السموات والأرض » وقوله « **وتتفكروا** » وغير ذلك من الآيات ، وضرب يجب عليه بيانه كأصول الشرعيات المختصة بشرعه ، وضرب يمكن الوقوف عليه بما يبينه صاحب الشرع كفروع الأحكام · وإذا اختلف الناس في أمر غير الذي يختص بالنبي بيانه فهو مخير بين أن يبين وبين أن لا يبين حسب ما يقتضى اجتهاده وحكمته · فإذاً قوله تعالى « **لأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه** » لم يرد به « كل ذلك » وهذا ظاهر لمن ألقى العصبية عن نفسه · وأما قول الشاعر :

أو يعتبط بعض النفـــوس حمامهـــا

فإنه يعنى به نفسه ، والمعنى الا أن يتداركني الموت ، لكن عَرّض ولم يصرح حسبما بنيت عليه جملة الإنسان في الا بتعاد من ذكر موته » ·

بهذه القدرة اللغوية في فهم النصوص القرآنية والأشعار يناقش الراغب أبا عبيدة معمر ابن المثنى أحد شيوخ اللغة والنحو في بداية القرن الثالث الهجرى ، ويظهر خطأه في أن معنى كلمة « بعض » في الآية « **ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه** » هو « كل » وذلك بفقه شرعى متميز يوضح ما يجوز لصاحب الشرع أو للنبى عليه السلام أن يبينه ومالا يجوز له أن يبينه ، وبالتحاكم إلى فهم سليم لنصوص الشعر ، في شطر بيت الشعر المنسوب إلى لبيد ، حيث يعنى نفسه ولم يعن كل الناس ، وننظر إلى قوله « وهذا ظاهر لمن ألقى العصبية عن نفسه » ، إنه يريد أن يقول هذا ظاهر في كل نظر متجرد عن الهوى وبالنظر الموضوعى ، كما نقول في هذه الأيام · ولننظر الى قوله « حسبما بنيت عليه جملة الانسان في الا بتعاد من ذكر موته » أليست نظرة واقعية إلى طبائع الناس في استبعاد ذكر موتهم ، فى هذه الحيـاة ؟

خامساً ـ تطور اللغة ـ ويبدو أن أبا القاسم الراغب لا يتوفر على خبرة لغوية واسعة وعلى فهم دقيق لأسرار هذه اللغة وحسب ؛ بل إن خبرته اللغوية قد مكنته من إدراك التطور الذي أصاب اللغة العربية منذ مرحلة النشأة الأولى التي تبدو في مفرداتها المطلقة على الأمور

المادية المحسوسة إلى مرحلة التطور والتقدم الذي أخذت فيه هذه المفردات دلالات اصطلاحية ومعنوية جديدة · ولننظر ، لذلك ، فيما قال في كلمة « الفارض » :

« والفارض » المسنّ من البقر ، قال : **« لا فارض ولا بكر »** ، وقيل ، إنما سمي فارضاً لكونه فارضاً للأرض أي قاطعاً ، أو فارضاً لما يعمل من الأعمال الشاقة ، وقيل : بل لأن فريضة البقر اثنان : تبيع ومسنة ، فالتبيع يجوز في حال دون حال ، والمسنّة يصح بذلها في كل حال · فسميت المسنّة فارضة لذلك · فعلى هذا يكون الفارض اسماً اسلامياً » ·

يريد أن كلمة « فارض » بمعنى المسنة من البقر معنى ظهر ، في اللغة ، بمجيء الإسلام ، فهي لم تعرف هذا المعنى من قبل ، وقد عرفت بدلالتها المادية في فرض الأرض أي قطعها وتشقيقها في الحراثة أو بما يماثله من الأعمال الزراعية الشاقة ·

وبهذا يدل الراغب على تنبهه لمعانى المفردات في المعنى المادى وفي المعنى الاصطلاحى المعنوي الذي يواكب التطور الحضاري · وهو سبق أرَى أنه يدل على عقلية متفتحة وسبر للغة العربية نادرَين ، فكثيراً ما شغل الباحثون في عصورنا الحاضرة عن الألفاظ الإسلامية التي أضفاها الإسلام على العربية (١) ·

سادساً ـ الراغب والمعاجم اللغوية ـ رأينا أن مفردات الراغب في ألفاظ القرآن معجم خاص بكل مافي المعاجم من شمول وترتيب وخبرة لغوية دقيقة · ولذا فإننا لا نستغرب إذا وجدنا أنه ما من مفسر لكتاب الله العزيز أو متفرغ لمعاجم اللغة يأتي بعد عصر الراغب ، الذي رجحنا أنه عاش إلى أوائل المائة الخامسة للهجرة ، إلا يحتاج من هذا المعجم الفريد ، بصريح الإشارة إلى المصنف أو صاحبه أو دونما إشارة ·

أما القول بأن معجم « أساس البلاغة » الذى صنعه جار الله بن محمود الزمخشرى (٥٣٨) ، في اللغة ، وإنه مقتفٍ لأثر الراغب في ترتيب مواده اللغوية فهو قول قد يصح ويجوز ، وقد يدفعه رأي آخر بأنه تطور طبيعى بدأه ا بن دريد الأزدى وسار الآخرون على سنته ·

أما في سائر مصنفاته فإننا نجد الخبرة اللغوية أيضاً تتضح في تناول الراغب كثيراً من مفردات اللغة بالشرح والتوضيح بين المعاني المتقاربة للألفاظ المتباعدة ·

---

(١) ولنلاحظ استخدامه لكلمة الفريضة في قوله « فريضة البقر اثنان » وهو تركيز على المعنى اللغوى لها . جاء في القاموس المحيط « ان الفريضة ما فرض في السائمة من الصدقة » · ولاننسى المعنى الاصطلاحى لها فيما فرض الله على الناس من أحكام ·

فلننظر في تناوله لكلمة الإبداع في أحد هذه المصنفات (١) : « فالإبداع هو إيجاد الشيء دفعة لا عن موجود ولا ترتيب ولا عن نقص إلى كمال ، وليس ذلك إلا للباري تعالى ، وإن كانت العرب تستعمل الإبداع فيمن يحفر بئراً في مكان لم يحفر فيه قبل »

إنه يعيد المادة إلى معناها اللغوى المادي . وفي مصنف آخر (٢) يقفنا على مراحل الكلام بدقة الخبير :

« اعلم أن المعنى إذا كان في النفس فعلْم ، وإذا انتهى إلى الفكر فروية ، وإذا جرى به اللسان فكلام ، وإذا كتب باليد فكتابة ، فهو بالذات شيء ، وتختلف عليه الأسامي بحسب اختلاف الأحوال به ، وذلك كما أن القطن مادام بحالته قطن ، فإذا غزل فهو غزل ، فإذا نسج فثوب ، فإذا خيط فقميص أو جُبّة »

إنه يبين لنا « حدود » هذه الكلمات التى عندما تنتهى تبدأ حدود كلمة أخرى . وقد سوغ هذا التقسيم بأن الأسماء تختلف باختلاف الأحوال ، ووضحه بمثال القطن الذى يشبه حالات المادة الواحدة الثلاث بين الصلابة والسيولة والغازية .

وفي أثر ثالث للراغب نجد الكثير مما يدل على تسخير اللغة لفهمَ المتشابه من آى القرآن الكريم وما بينها من الفروق الدقيقة التى تغمض لدى الكثيرين ، ونعني مخطوطة « درة التأويل في متشابه التنزيل » التي يتحدث عنها في جهود الراغب في التفسير .

قضـــايـــا لغويـــة :

ويمكن للباحث أن يستخرج رأى الراغب في مجموعة من القضايا اللغوية التى تهم الباحثين اليوم .

الترادف :

لقد أكثر الراغب من حشد أسر الألفاظ اللغوية من أفعال وأسماء وتراكيب ، كما رأينا في محاضرات الأدباء ومجمع البلاغة ، بدوافع تعليمية كانت تحفزه إلى جمعها بعضها إلى جانب بعض ليفيد منها المتعلمون من أبناء عصره . وكان يجمع في الأسرة الواحدة المفردات التي تتقارب معانيها وتتباين موادها اللغوية . وهذا يحملنا على التساؤل عن موقف هذا اللغوى من الترادف في اللغة هل كان ممن يراه ويثبته أم من الذين يرون فيه رأياً آخر ؟

---

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة ، ص ٢١٩ .

(٢) مخطوطة تحقيق البيان ، الورقة رقم ٩ .

للإجابة عن هذا السؤال نستذكر المثال الذي ساقه لنا قبل قليل عن مراحل الكلام ، حيث قال ، إذا كان المعنى في النفس فهو علم ، فإذا خرج إلى الفكر فهو روية ، وإذا جرى به اللسان فهو كلام ، وإن كتب باليد فكتابة ٠ فإن بين العلم والروية وبين الكلام والكتابة ماقد وضحه من فرق وحدده ، وهو فرق في الدرجة أو الحالة ، كما بين القطن في حالاته المختلفة من فروق ٠ ولنتأمل قوله : « تختلف عليه الأسامى بحسب اختلاف الأحوال به » أي ان بينها من الفرق الدقيق الذي لا يوجده إلا اختلاف الحالات ٠

كذلك نستذكر سخريته ممن يظنون أنهم إذا فسروا قوله تعالى بالحمد لله بالشكر لله فقد فسروا القرآن ، حيث قال في المكان نفسه إنه يريد أن يبين أن قوله تعالى « **لقوم يؤمنون** » وقوله « **لقوم يتفكرون** » وقوله « **أفلا تعقلون** » مختلف بعضه عن بعض اختلاف ما بين أولى الأبصار وأولى الألباب وأولى النهى (١) ٠

أليس يدل هذا على أنه يصر على أن فروقاً لا بد قائمة بين هذه المفردات التى يحسب المتسرع أنها واحدة في معانيها ؟ ومع ذلك فإننا نبحث عن أمثلة مما طرحه من المجموعات اللغوية ٠

إنه مثلًا يفرق بين مقامات الكلام على النحو التالى ، فيقول « منابر الخطباء ، ومقامات الشعراء ، ومجالس الفقهاء ومقرأة القرآن ومدرسة العلماء ومجمع الأشهار ومجامع القصاص وحلق أهل الذكر ومهبط الوحى ومعدن التلاوة » (٢) ، إنه هنا وضح لنا الفرق في هذه المقامات العلمية عن طريق إضافتها لما هي مشهورة به ، ولولا هذا التوضيح بهذه الإضافة لانبهم علينا الفرق بين المجالس والمدارس والمجامع ٠

ويقول في مثال ثان عن « الدَرْس » : القراءة للتحفظ ، ونحوه التلقين والمطارحة ، والإلقاء للتعليم ، والتقطيع للعروض ، والتلاوة للقرآن ، والإنشاد للاشعار وكذلك الرواية ، والرواية للحديث ، وكذلك السرد ، والهذّ إجادة القراءة ، والإملاء فيما يكتب ، والتفسير والتأويل للغريب ، والتعبير للرؤيا ، والحل للمشكل » (٣) ٠

إنه يقفنا بدقة الخبير اللغوى على مدى ما بين هذه المفردات المتقاربة المعانى المتباينة المبانى من فروق دلالية لئلا يظن الظانون أن الواحدة منها تجوز في مكان الأخرى ٠ إنه

---

(١) مقدمة مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب ٠

(٢) مجمع البلاغة ص ٧١ ٠

(٣) مجمع البلاغة ص ٧٧ ٠

يلتقى في ذلك ، مع قول القائلين بنفي الترادف « لأن في كل واحدة من الألفاظ المتجانسة معنى ليس في الأخرى » (١) ٠

وإذا قلبنا في مصنفاته الأدبية صفحات أكثر وجدنا أنه يسرد بعض مفردات الأسرة الواحدة دون إضافة كقوله « ودّه ، وصافاه ، وخالصه ، وخادنه ، وقارنه ، وعاشره، وسامره ، وألفه ، وحالفه ، وصاحبه ، وواكبه .... وهي أفعال في المحبة ومعانى المعاشرة » (٢) ولكنه في مجموعات أخرى يوضح الأصل والفرع كقوله « الإثم والفجور ، كنايات عن الكذب » (٣) وقوله « فى أسرع » أسرع وألهب وأهذب ، أما هب وعصف ومطر وطار وانقض واضطرم والتهب وترامى فكنايات عن العدو » (٤) ٠ وليس عبثاً قوله « تقول في وصف سيف : ماض وحسام وصمصام ومهند ومخذم .... » (٥) ، فإنه يذكرنا بالحكاية التالية التي يسوقها من لا يقبل بالترادف « قال أبو على الفارسي : كنت بمجلس سيف الدولة بحلب وبالحضرة جماعة من أهل اللغة ومنهم ابن خالويه فقال ابن خالويه : احفظ للسيف خمسين اسماً ، فتبسم أبو على وقال : ما أحفظ له إلا اسماً واحداً هو السيف ، قال ابن خالويه : فأين المهند والصارم وكذا وكذا ؟ فقال أبو على : هذه صفات » (٦) ٠

دفاع عن القوالب الأدبيـــة :

لقد كثر في محاضرات الراغب ومجمع بلاغته التراكيب الأدبية التي جمعها من مأثور المنثور من تراث الأدب العربي حتى عصره ، وذلك كقوله في الكنايات عن الموت : قَرَضَ رباطه ، ولعق إصبعه ، استوفى أكله أى استوفى رزقه كناية عن الموت ، جَرِضَ بريقه واصفرت أنامله ، واستأثر الله به ، ونقله إلى جواره ، وتوفاه ، خصه الدهر ، ونقبت عنه المنية ، ولاقى الذي يشعب الفتيان فانشعبا ، اخترمته المخارم ، وَجَبَتْ نفسه ، ونضب عمره ، اعلق أسباب المنية ، ودع الدنيا ، خلّى مكانه ، وتهدم عرشه ، وسالت مقامته ، وشرق بدم الوتين أخنى عليه الذي أخنى على لبد ، قامت عليه النوائح ، هوت أمه ، ضمت عليه المقابر .... طارت عقاب المنايا في سقائفه .... الخ (٧) ٠

---

(١) دراسات في فقه اللغة د٠ صبحي الصالح : ٣٤٣ ٠
(٢) مجمع البلاغة ص ٣٠٧ ٠
(٣) مجمع البلاغة ص ٨٢ ٠
(٤) مجمع البلاغة ٠
(٥) مجمع البلاغة ٣٠٠ ٠
(٦) المزهر للسيوطي ٤٠٢/٣ دراسات في فقه اللغة د٠ صبحى الصالح ٣٤٦ ، ٣٤٧ ٠
(٧) مجمع البلاغة ص ٤٩٩ ٠

وفي العصر الحديث برز على ألسنة بعض نقاد الأدب ما يقف من هذه القوالب الأدبية ، في الكتابة الفنية ، موقفاً مغايراً . فهى عندهم دلائل صنعة لفظية ظلت تخنق الإبداع في النثر قروناً من الزمان ، بما فيها من أشكال أدبية تشبه « الكليشهات » القديمة التي تفرض نفسها على الأسلوب الحديث . فإن بعض هذه التراكيب قد أصبحت مبتذلة لكثرة ترديد الأجيال لها . حتى صارت تفقد معناها من كثرة الاستعمال ، فهل يعرف الناس المعنى الحقيقى لقولهم « رفع عقيرته » وقولهم « نسج على منواله » وقولهم « الشمس في كبد السماء كدرهم » ؟ (١) .

وقد لاحظ أحد الباحثين أن بعض هذه التعبيرات قد أصبح مبتذلاً إما لكثرة الاستعمال كقولهم « شط المزار » مثلاً ، وإما لتغير العصور كوصف العاشق لفتاته بأنها واضحة الأنياب وإما لعدم الوقوف على المناسبات الأولى لإطلاقها كقولهم « رفع عقيرته » (٢) . ولاحظ أيضاً أن ثمة تعبيرات لا يمكن الاستغناء عنها وعن ترديدها من مثل الكلمات الواضحة الدلالة التي اكتسبت عراقة الدوام مثل اسر الصبا وصروف الدهر ومثل الصفات الغالبة الباقية العقاب الكاسر ، والبرج الشاهق ومن مثل تشبيهات الشعراء المتصلة بالعواطف الإنسانية الباقية مع الإنسان (٣) .

إن الباحث حينما ينظر في هذه الدعاوى يجد أن الدافع إلى هجر هذه التراكيب هو سيطرة الصنعة اللفظية على الكتابة منذ عهود القاضى الفاضل والحريرى ، بما فيها من إيثار للشكل وغرام بتزويق الألفاظ دونما احتفال بما تحتها من معانٍ . ولكن ما يمكن أن يكون متبعاً للقديم ، في عصر من عصور ، لا ينبغي أن يكون سبباً في الإزراء بكل ما خلفته جميع العصور من هذا اللون الأدبي . فليست عصور النثر الفنى متصفة بأسرها بهذه الصفة . فلنبحث عن نثر فني ظهر في جيل وكان كبير التأثير في الناس ، في عصره ولم يزل ذا تأثير مماثل إلى أيامنا هذه . وأول ما يخطر في البال في هذا الصدد الأسلوب القرآني المعجز الذي تكفل الله ، جل وعلا ، بحفظه مادامت السموات والأرض . ثم أتت من بعد ذلك عهود على النثر الفنى كان رفيع القدر عالى التأثير في آثار كتاب العصر العباسى الأول الكثيرين . أفهل كان نثر الجاحظ والتوحيدي وابن العميد مطلقاً من القوالب اللفظية ؟ ولماذا جهد ابن السكيت والهمذاني وقدامة بن جعفر في التأليف في هذه القوالب وتدوينها وجمعها في أسر

---

(١) على النجدي ناصف في كتاب له عن اللغة والأدب . وزكي مبارك . النثر الفنى ١٨٠/٨ .

(٢) د . زكى مبارك . النثر الفني في القرن الرابع . دار الجيل . ١٨٠/٨ أيضاً .

(٣) المرجع السابق ١٨١/٨ .

ومجموعات ؟ ألم يقدم هؤلاء للغة والأمة والتراث خدمات جليلة فيما كانوا يرمون اليه من أهداف تعليمية يتمنون أن ينشأ عليها شداة الأدب في عصر تشعبت فيه آثار الشعوبية وفشا فيه أثر اللحن · ثم إن كان هذا يصدق في العصر العباسى الأول أفلا يصدق على أبناء العربية اليوم ؟ في زمن أصبحت اللغة العربية تزاحمها اللهجات المحلية والعامية والركاكة والأساليب المستهجنة ؟

إن الحفاظ على اللغة بما فيها من تراكيب ودلالات يقع على عاتق أبنائها · فهى من مسئوليتهم القومية والدينية والحضارية قبل أن تكون تراكيب وقوالب ، فإذا شاءوا أن يقفوا وراء هذه اللغة أبقوا فيها الحياة · أليس المعوّل عليه في هذه التعابير هو أن تعيش في أنفس قائليها كما قال أحد الباحثين ؟ (١) ·

الاشتقـــــاق :

عندما أراد الراغب أن يشرح في « مفردات ألفاظ القرآن » ، مادة حسن ومشتقاتها عرّف الحسن بالبهجة المرغوبة · وبعد هذا التعريف العام « للحسن » شرع فى توضيح المعنى الخاص لكل المواد المشتقة من الحسن مثل الحسنة والحَسَن والحسنى وأحسن والحسنيين والإحسان ·

وبهذا ترى أن الراغب قد تأثر بابن دريد في « جمهرة اللغة » في الأخذ بنظرية الاشتقاق ، وحينما توقف عند المعنى العام لأصل المشتقات ، حيث تلتقى جميعها · وبعد أن شرح المعنى العام مضى يوضح ما تختص سائر مفرداته ·

يقول ابن جنى في تعريف هذا اللون من الاشتقاق ، ويسميه الاشتقاق الصغير : « فالصغير ما في أيدي الناس وكتبهم ، كأن تأخذ أصلًا من الأصول فتقرأه فتجمع بين معانيه وإن اختلفت صيغه ومبانيه ، وذلك كتركيب « سَلِمَ » فإنك تأخذ من معنى السلامة في تعريفه نحو سلم ويسلم ويسالم وسلمان وسلمى والسلامة والسليم : اللديغ أطلق عليه تفاؤلًا بالسلامة » (٢) ·

ومثله قد انطلق الراغب من معنى « الحسن » الذي هو الابتهاج والرغبة · ليحدد ، بعد هذا المعنى العام ، المعانى الخاصة في الحسنة والحَسَن والحسنى ...... الخ تبعاً لما تضيفه أوزانها الصرفية على المعنى الأساسى ·

---

(١) د · زكى مبارك ، النثر الفنى في القرن الرابع الجزء الأول ص ١١٠ ·
(٢) عن كتاب « فقه اللغة » د · طه عبد الحميد طه ، مطبعة دار التأليف ، مصر ، ١٩٧٠ ، ٢/١٥٢ ·

ويبدو أن أبا القاسم الراغب قد عرف أيضاً لوناً آخر من ألوان الاشتقاق :
ولتوضيح ما نقول نوضح أولاً هذه الألوان المختلفة في الاشتقاق ·

فالاشتقاق « هو أخذ كلمة من كلمة أو أكثر مع تناسب بينهما في اللفظ والمعنى » (١) ، وأشمل تقسيم لأنواع الاشتقاق ما قسمه أحد الباحثين وهو :

١ ـ **الاشتقاق الصغير** ، ومنه المشتقات السبع المشهورة : كاسم الفاعل ، اسم المفعول ، واسم المرة ، والهيئة ، والزمان ، والمكان ، واسم التفضيل ·

٢ ـ **الاشتقاق الكبير** ، وهو انتزاع كلمة من أخرى بتغيير في بعض أحرفها مع تشابه بينهما في المعنى ، واتفاق الأحرف الثابتة وفي مخارج الحروف المتغيرة ، وذلك نحو جثا وحذا ، وبعثر وبحثر ·

٣ ـ **الاشتقاق الكُبار** ، وهو ما أسماه ابن جنى الكبير أو الأكبر مثل ملك وتقلباتها ·

٤ ـ **الاشتقاق الكبّار** ، بتشديد الباء ، وهو المعروف عند اللغويين بالنحت كالدَمْعَزة من دام عزّك (٢) ·

وعن الاشتقاق الكُبار يقول ابن جني :

وأما الاشتقاق الأكبر : فهو أن تأخذ أصلًا من الأصول الثلاثية فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً ، تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه ، وإن تباعد شيء من ذلك عنه رد بلطف الصنعة والتأويل إليه ، كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد (مثل أصل كلم الذي يؤخذ منه كمل وملك وكلم ولمك » (٣) ·

* ويمثل هذا اللغوى الكبير على ما يقول بمادة جَبَر التى تعنى أصلًا القوة والشدة وما يظل قريباً من معناها هذا من تقاليبها الستة : الجبر والبرج والجراب والمجرّب ·

وهذا اللون من الاشتقاق الذي شهر به ابن جنى واستاذه أبو على الفارسي ، والذي يقول أحد الباحثين إنه يدل على تطور لغوى جيد ، هو الذي قلنا أن الراغب قد عرفه ·

ففى مادة « فكر » في المفردات يقول :

---

(١) المرجع السابق والصفحة ·
(٢) المرجع السابق والصفحة وهو يعنى « بأحد الباحثين » الدكتور عبد الله أمين ·
(٣) المرجع السابق ·

رجل فكِّير كثير الفكرة : قال بعض الأدباء : « الفكر مقلوب عن الفرك لكن يستعمل الفكر في المعانى ، وهو ترك الأمور وبحثها طلباً للوصول إلى حقيقتها » ·

وفي مادة « وجه » يقول الراغب : وقال بعضهم : « الجاه مقلوب عن الوجه » ·

وفي مادة فسر يقول الراغب :

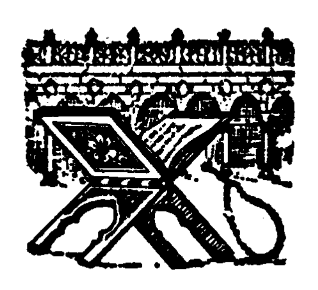
« الفَسْر والسَفْر يتقارب معناهما كتقارب لفظيهما ، لكن جعل الفسر لإظهار المعنى المعقول ومنه قيل لما ينبىء عن البول تفسره وسمى بها قارورة الماء ، وجعل السفر لإبراز الأعيان للأبصار · فقيل سفرت المرأة عن وجهها وأسفر الصبح » ·

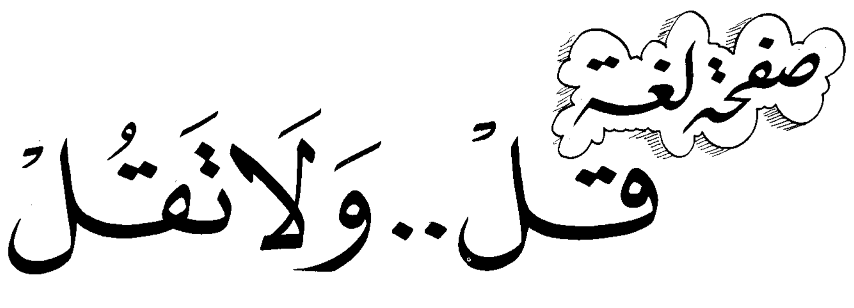
نلاحظ في هذا النص قوله عن « الفسر والسفر يتقارب معناهما لتقارب لفظيهما » وهو ما يريده الاشتقاقيون بالاشتقاق الكبير ·

وننظر في مثال آخر وهو يعرض لأنواع الأكل ، وقد عرضنا له من قبل أيضاً ، يقول « القرم أكل الصبى ، والخضد للبقل ، والخضم للرطب ، والقضم لليابس ، والقطم بأطراف الأسنان كالرمان ، والكشم والكشذ لنحو القثاء ، والمسغ والمسع كالبطيخ » ·

ألا نلاحظ علاقة لفظية ومعنوية بين الخضد والخضم ، وبين الخضم والقضم والقطم ، وبين الكشذ والكشم ، وبين المسغ والمسع ؟ اننى أحسب أن الراغب لم يرتب هذه الأزواج اللفظية وهذه المفردات المتقاربة الألفاظ والمبانى عبثاً ، وما أحسبه حينما قال « أحد الأدباء » ألا يعنى في العلاقة بين فكر وفرك ، إلا أحد اثنين هما ابن جنى وأبى على الفارسي ·

ولا حاجة بنا إلى أن نمثل على أثر الاشتقاق في تنمية ألفاظ اللغة على مر العصور ، وعلى أثر الراغب الأصفهاني في هذه التنمية ·





١ ـ تَلْعَة ـ تِلْعة

التَلْعة : بوزن القَلْعة : ما ارتفع وانخفض من الأرض فهو من الأضداد جمع تِلاع . قال طرفة :

ولستُ بحلّال التلاع مخافةً ولكن متى يسترفد القوم أرفد

وهناك من يجمعها على (متالع) وهو خطأ .
ونزلتُ بتَلْعة كذا . وأعشبت التِلاع .

٢ ـ سَنَام ـ سِنَام

السَنام : بالفتح أعلى الجمل واحد أسنمة الإبل ومنه سَنام الإسلام ، وفي الحديث « وذِروة سَنامه الجهاد » وهو سَنَام قومه ، ورجل سَنِمٌ : عالى القدر .
وجمل سَنم وناقة سَنمة : عظيمة السَنام .

٣ ـ نَضْرة ـ نُضْرة

النَضْرة : بالفتح بوزن البَصْرة : الحسن والرونق وقد نضُر وجهه ينضُر بالضم

(نَضْرةً) بالفتح أي حَسُنَ ، ونضُر نَضْرةً ونضَارةً وفي التنزيل (نَضْرة النعيم) أي بريقه ورونْقه ·

٤ ـ رَعبَه ـ أرعبـه

الرُعب : الخوف · رَعبَه يرعبُه كقطعه يقطعه
رُعبا بالضم : أفزعه · ولاتقل : أرعبه ·

٥ ـ معـدِن ـ معـدَن

بكسر الدال بوزن مجلِس ·

تقـول : فلان في معدِن الخير والكرم ، وهو من مراكز الخير ومعادِنه · ومركز كلّ شيء معدِنه ·

ويقال للمعادن كالحديد وغيره وللأصل معدِن أيضاً وكلّه بكسر الدال · يا أهلَ طيبةَ حيّا الله معدِنكم ··

٦ ـ خلَق ـ خلِق أو خلْق

ثوب خلَق : بفتح اللام أي بالٍ ·
وخلَق : بالفتح يستوى فيه المذكر والمؤنث فتقول : ثوب خلَق وملاءة خلَق ·
قـال الشـاعر :
اتّقِ الأحمقَ أن تصحَبه انما الأحمق كالثوب الخلَق

٧ ـ الهناءة ـ الهَنـاء

الهناءة بالتاء : المسرّة · والهناء : القطران ·

٨ ـ رُخـاء : بالضم ـ رَخـاء

ريح رُخاء : لينة الهبوب ، جاء في المختـار
ورُخـاء بضم الراء الريح اللينة ·
وفي التنزيل (رُخاءً حيث أصـاب) ·

٩ ـ قلْ : الحَيْرة : بفتح وسكون ـ ولاتقلْ : حِيرة : بالكسر

تقول : أنا في حَيْرة من أمري ٠
حار الرجل في أمره فهو حائر وحَيْران ٠ وامرأة حَيْرى ٠
وهم وهنّ حَيارى ٠ والحِيرة : بالكسر مدينة في العراق بقرب الكوفة ٠

١٠ ـ مَيْدان ـ مِيدان

بفتح الميم ٠
قال الشـــاعر :
رُحبُ الفلاة مع الأعداء ضيّقة سَمُّ الخياطِ مع الأحباب مَيْدان

١١ ـ نَضْج ـ نضوج

نضج نَضجاً ونُضجاً : بضم النون وفتحها ٠
وكثير من الكتّاب يخطئون فيها فيقولون : نضوج فكري ...... والصواب نُضْج فكري ، نُضْج اجتماعي ....

١٢ ـ حماســة ـ حمـــاس

الحماسة : بالفتح الشجاعة ، وهم أهل السماحة والحماســة ومنه ديوان الحماسة لأبي تمام ، وشعر الحماسة ، وحماسة البحتري ٠
والحماس : ضرب من الشجر ٠

١٣ ـ حدَب ـ حدْب

بفتح الدال ٠
الحدَب : ما ارتفع من الأرض و (الحدَبة) بفتح الدال أيضاً التي في الظهر ٠
تقول : جاء القوم من كلّ حدَبٍ وصوْب ٠
ولاتقلْ : حدْب : بسكون الدال ٠
قال تعالى : (وهم من كلِ حدَب ينسلون) أي من كل أكمة ومن كل موضع مرتفع ٠

١٤ ـ أجبْ عن ـ أجبْ على

تقول : أجابه عن سؤاله . وأجبْ عن الأسئلة .... واستعمال بعض الأساتذة في الامتحان (أجب على الأسئلة) لحن .

١٥ ـ حلْقة ـ حلَقة

بسكون اللام .
تقول : حلْقة الباب ، وحلْقة القوم ، وهم كالحلْقة المفرغة .
قال طرفة :

فإن تبغني في حلْقة القوم تلقني   وإن تلتمسني في الحوانيت تصطد

قال أبو عمرو الشيباني : ليس في الكلام حلَقة بالتحريك إلاّ الذين يحلقون الشعر .

١٦ ـ هُرِع : بالضم ـ هَرع

الإهراع : الإسراع ، ويقال : أقبل الشيخ يُهرَع .
وفي التنزيل (وجاءه قومه يُهرعون إليه) .
وفلان يُهرع من الغضب والبرد والحمى .

كلمات لها معنى

قال عمر بن عبد العزيز :

« اذا أتاك الخصم وقد فقئت عينه فلا تحكم له حتى يأتى خصمه فلعله قد فقئت عيناه معاً » .

لله في الـــــــــكون آياتٌ وبرهان	مَنْ أخطَأُوا سِرَّها في حكمهم مانوا !
انظر ذَوَاتِ الجهنى والشِّرْبُ مستمدٌ	عـــن الـــطـــعوم .. بـــها راوٍ وغَـــصَّانُ
حلوٌ ومرٌّ .. وفي الأزهار مختلفٌ	ريـــحاً ولوناً .. فـــنـــسريـــنٌ وريـــحانُ
وانـــظر إناثا مـــن الأشـــجار حانـــيةً	لها من الجنس في البستان ذكرانُ
لواقح الريح رُسْلُ الوصل بينهما	إن لم تَلَاقه لبعد الدار أغصانُ
لله في كونـــه المـــنـــظور برهانُ	لـــه مـــن الـــخـــلـــق بالإتـــقان إذعان
فاسأَلْ بِهِ النهْرَ عذْبَ الماء يُمْتعُنا	واسأَلْ بِهِ البحْرَ في جنبيه ركبانُ
ملحاً أجَاجاً .. يلاقى النهر .. بينهما	ـ لُطْفاً بنا ـ برْزخٌ يعْدوه عدوان
لا يـــبـــغـــيان .. وكـــلٌّ في وظـــيـــفـــتـــه	مـــسَّـــخرٌ .. بـــصـــنوف الـــخـــير ملآن
فاعجبْ له تحْملُ الأثقالَ صفحتُهُ	ما مسَّهُ الوهنُ منها وهى أطنانُ
في جوفـــه عالـــمٌ حيٌّ كـــعالـــمـــنـــا	فيه العجائب منها العقلُ حيران !

يـــموتُ مـــنا غريـــقُ الماء مـــخـــتـــنـــقا	فكيف تحيا بقاع الماء حيتان ؟
فإنْ عدَتـــهُ إلى أرجائـــنا اخـــتـــنـــقَـــتْ	من الحياة لها بالأرض حِرْمانُ !
وكـــيـــف تـــحْـــمى بأصدافٍ لآلـــئُـــهُ	وكيف يولد بين الرمل مَرْجَانُ ؟
وكيف مرَّتْ دهورٌ وهْو ممتلىء	ما غاض في الرمل أو أعياه نقصان ؟

والمدُّ والجزْرُ ينتابان شاطئه … بالعدل ما منهما بالخلف عصيان!
وكم أقيمتْ على أبعاده مُدُنٌ … وكم تولَّتْ حضاراتٌ وعمران!
واسألْ به السُّحبَ مَنْ في الجو أنشأها … وكيف عنه اعتلَتْ فلأفق ملآن
مثل الحوامل فوق الأرض جارية … يسوقها قادِرٌ .. بالخلق رحمان!
ليَفْصِلَ الحمْلُ في أرضٍ لنا جرُزٍ … ناءتْ بجَدْبٍ عراها فهى كشبانُ
تهتز أضلاعها من مُزْنه طرَباً … إذْ جاس في العمق منها وهو هتان
فتصبح الأرضُ أبهى صورةٍ خلبتْ … ما مسَّها غير كفِّ الغيث فنان!

... ...

لله في كونه المنظور برهانُ … وحكمةٌ لو صغَتْ للكون آذان!
فاسألْ به الأرضَ واسمعْ ما تُرَنِّمُهُ … فما لها عنك إن أخلصْتَ كتمان
هذى جبالٌ على الأرجاء شامخةٌ … للأرض منها على الأرجاء صوّانُ
تُرْسِ الجوانبَ أنْ تهتزّ مائدةٌ … فتأخذَ الكونَ ويلاتٌ وأحزانُ
فيها عجيبٌ من الألوان .. ذى جُدَدٌ … بيضٌ .. وحُمْرٌ .. وتلك السود غربان
وكم بها نحت الجبارُ منزله … كأنه خالِدٌ والموتُ غفلانُ!
وكم بها استعصمَتْ بين الذرى أممٌ … منها وحوشٌ .. وفُتّاكٌ .. وغزلانُ
لم تَعْدم الرزقَ .. تلتذُّ الحياةَ كما … يلتذُّها في الرياض الزهرُ نشوانُ!
وفي السهول فيافٍ غيْرُ منبته … فيها من الهول أسدانٌ وغيلان
وفي السهول مراعٍ ملؤُها نغَمٌ … حلوٌ تردده للسمع قطعان
وفي السهول طيورٌ كلُّها عجبٌ … شتى المشارب أعداءٌ وأحزان
منها مُغَنٍّ بديعُ الوشى يفْتننا … نجواه للإلف أسجاعٌ وألحان
وكاسِرٌ خاطفٌ تُخْشَى بوادرُه … وصائدٌ ماهرٌ للصيد يقظان

هذا ذبابٌ بعدْوَى الداء يزعجنا … عادٍ علينا بصوت الرعب طنانُ
وتلك نحْلٌ لنا من بطنها عسلٌ … من الرحيق المصَفَّى وهى ذِبان!
تَسْعى لكسب الجهنى في سُبْلها ذللا … لها العروس العُلَى دورٌ وأكنان
لو لم تُسخَّرْ بوحى الله مبدعها … لهالَنْا كائدٌ للشر نهمان!
سبحان من جنَّس الأجناسَ مقتدراً … في كل جنس بها للقلب إيقان

... ...

لله في كونـــــهِ المـــــنـــــظور برهانُ لو ناله مِنْ ذوى الألْباب إمعان
هذى عـــيونٌ بـــعذب الماء دافـــقةٌ وذى عـــيونٌ بـــها نورٌ ونـــيرانُ
كم فجْرتْ ضربةٌ في الأرْض مِنْ ذهبٍ مثل الجنين له في الخلق إبَّانُ
هاجتْ به حسداً بين الورى أممٌ فـيـها لمـن نالـه حـقْدٌ وأضـغان
هذا يفيضُ على الأرجاء في كرم يرْقى بـــه شاكرٌ لله نَـــعْـــمانُ
وذا يفيض سخىَّ البذل في نقم يـــشـــقى بـــها كافرٌ بالرزق خوان
لم يدْر ذاك ولا هذا مصادرهُ وكيف خُصَّتْ به في الأرض أوطان
وكـم يـعـيـش مـن الأعوام مـنـطـلـقا أم سوف يبقى له في البذل إدمان
وباطنُ الأرض يَطْوى كلَّ من سبقوا كأنهم بعد طول العمر ما كانوا
وباطنُ الأرض يحويِ ألفَ معجبةٍ كأنـــه عالـــم غـــشاه نـــســـيان
من العقاقير والأفلاذ قد حُجبَتْ كـــما بـــه لـــطـــغاةِ الـــكـــفر بركان
فالله يـملى فإن حـقـت مـشـيـئـتـهُ لا يدفـــع الـــقَدَرَ الـــغلابَ طـــغـــيانُ

... ...

لله في كونـــــه المـــــنـــــظور برهانُ آياتُهُ فيه عن ما غَابَ إعلانُ
هذا الفضاءُ الذى بالعين نشهدُهُ مِـــنْ حولـــنا هو للأسرار مـــيدان
فلا فـضاءَ كـما تَـقْـضِى سذاجـتُـنا بـل عالَـمٌ سـفَّ تـسـتـجلـيـه أذهانُ
فيه البلايينُ مِنْ صوتٍ ومن صورٍ ومِـــنْ خلايا لـــها روحٌ وجـــثـــمان
تدورُ أسْرَعَ مـــــما قَدْ يـــــصورُهُ لـــك الـــخـــيالُ لـــهـــما زخـــمٌ وإرنان
قد جـسَّـمـتْـها لـنا بالـعـلـم أجـهزةٌ ما كان قبْلُ لها في العقل إمكان

والـــعـــلْـــمُ آيةُ علام الـــغـــيوب لَـــهُ حدَّانِ كالـــســـيـــف : إيـــمانٌ وكـــفران
شالـــتْ بـــه لـــلـــنجوم الـغرِّ أجـنـحـةٌ لها من الإنس في الآفاق عُقبان
أرْسَتْ على البدْرِ والمريخ تذرعهُ عَـــلَّ الـــحـــياة بـــه تُزْهَى وتزدانُ
أمـنـيَّةٌ كان قـبـل الـيوم يـسألـها فرعونُ ما اسطاعها بالأمس هامان
وربُّ موسى عن الأبصار محتجب فينشْدَهُ الصرح مِنْ فرعون بهتان
الـــيوم بالـــعـــلـــم للآفاق قد صـــعدوا لكنهم عن صراط الحق عميانُ !

... ...

لله في كونـــــه المـــــنـــــظور برهانُ وأنت فوق سطور الكون عنوان
فانـظر حـيـاتَـكَ (مِـكروباً) تَـعَـلَّـقَـهُ ماءٌ مَهينٌ .. يراعى منه خجلانُ
كيف استقرَّ سجيناً في المضيق على زادٍ يُـــقافُ وهذا الـــســـجْـــنُ دَجْـــيان

يسعى به الغيبُ من ماء إلى عَلَقٍ ... فمضغةٍ وجهُها بالسحب عيمان
تغدو عظاما .. فتُكسَى اللحمَ .. تخرجها ... يَدُ المهيمن مخلوقا له شان
يشاهد النورَ إنساناً بطلعته ... للقلب حبٌّ وإيثارٌ وتحنانُ !
مركباً بدقيق السرِّ .. ركَّبَهُ ... من العناصر ذات الدفع مَنَّانُ
دون الحرارة .. فوْق البرد .. مُحْتَمَلٌ ... على الفصول .. وقد ضمتْك أحضانُ
حتى انتعشْتَ به عامين في حَدَبٍ ... وقد بَدَا لك في الفكين أسنانُ
لتتْرُكَ الثدْىَ لِلَّذاتِ في أُكُلٍ ... منها عن الثدْى للعينين سلوان
فانقلْ خُطاكَ معى نسْعَى على عجلٍ ... تُطْوَى به من كتاب العمر أزمانُ
كم فاجأ المرْءَ بين الأهل مِنْ مرضٍ ... مضى به الطيُّ يُهذِى وهو أسيان
لم يُجْدِهِ العلمُ محتالاً ليشْفيهُ ... وقد أُعِدَّتْ ليفْشَ الصَّبْرَ اكفانُ
هذا بجرعة ماءٍ زال قاتِلُهُ ... وعاد في الأرض يجرِى وهو عجلان

وفارهُ الجسم عاق الموتُ خطوتَهُ ... فراح .. ما ردَّهُ أهلٌ وخلان !
تقول : قد كان مِنْ توِّى يحدثنى ! ... قد كان ! قد كان ! والمفجوعُ ولهان !
تلك المنايا التى تخشى نوازلها ... بَدْءُ الحياة وإن نالتك اشجان !
مَنْ مات قامَتْ وما نَدْرِى قيامَتُهُ ... فالْقبْرُ في جوْفِهِ نارٌ وبستان
يطُلُّ فيه على مثواك نافذةٌ ... مِنْ دونها مالكٌ يرْنُو ورضوان
فاعملْ لمثواك في ظل التقى ورعاً ... يُسعِدْكَ في ظله رَوْحٌ وريحان
وامْشِ الهوني بفكر للورى يقظٍ ... فكلُّ ما في الورى للفكر بَيْان
وإصْبَعُ منك فيها ألْفُ واعظةٍ ... إذا انْجلى بالهدى عن قلبك الرانُ !
واهتفْ إذا راعك الإعجازُ من عجبٍ ... سبحانَ مَنْ صُنْعُهُ في الخلق فرقان !
واسألْهُ للملتقى مِنْ عصمةٍ قبسًا ... فالنفسُ أمارةٌ والشر فتانُ !

... ...

شهدْتُ أنك يا ألله ديانُ ... والعجْزُ عنْ كُنْهِ ما أبْدَعْتَ برهان !

كم بين صومهمو والصبرِ من رحم ... فما يبالون من ضيق ونقصان

فشأنه الصبر: معناه وغايته ... الصبر بالله لا صبر بحسبان

صبر احتساب وتسليم لقدرته ... قد أيقنوا بمصير حق إيقان

الله مالكهم لله مرجعهم ... والحكم في كل حال حكم رحمن

فما يَضيرُهمو مما يُصيبهمو ... أو ما يقوتهمو من باطل فان

نعم الصيام زكاة النفس جُنَّتها ... من الإساءة في سر وإعلان

يخفف الصوم أوزارا تنوء بها ... فالصوم والذكر في التطهير خِدْنان

الذكر يوقظها من غفلة حجبت ... والصوم سد منيع دون شيطان

فيه صفاء وإطفاء لسورتها ... فيه تجدد غرم بعد إيهان

هو الجهاد جهاد النفس يعصمها ... فلا تذل لإغراء وطغيان

تصوم عن شهوات البطن طائعة ... حتى تصوم به عن كل سلطان

تصوم لله عن مال وعن ولد ... وعن ديار وعن أهل وخلان

تَجَرُّدُ العبد للرحمن يرفعه ... يعده لجليل القدر والشان

يأبى على نفسه والقيظ يلهبها ... بردَ الشراب وكم فيه لظمآن

يأبى عليها لحق الله ما رغبت ... من متعة العين أو من حظ أبدان

ولا رقيب له من دون خالقه ... ودون سرٍّ ثوى في طيِّ وِجدان

تَـعَـفُّـفٌ وحـيـاء صان طـهُرهـما | سرَّ الصيام فلم يعلَق بأدران
الـجوع والوجد والإغراء أسـلـحة | مـغـلولة تـتـهاوى دون صَوَّان
من عَفَّ عن سَوْرَةِ الحاجات تحسبه | عـن الدنا يا عـفـيـفا غـير خَوَّان
من استحى لا يراه غير خالقه | أحق أن يستحى من كلِ عدوان
نعم الصيام فطام النفس يصرفها | عـن الـتـعـلـق بالُمسْـتَرْجَـعِ الـفانى
إن الـتـعـلـق بالرحـمـن غايـتـها | والعيُن ما استمرأتْ يغرى بنسيان
هذا الـتـكاثر يـلـهيها ويـطـمـعـها | حـتى تـبوء بـطـغواها لـخـسران

من يصدق الله يصدقه مثوبته | للصائم الحق عند الله عيدان
قد نال ما نال من قرب وتزكية | وحصل الخير من آت ومن دان
ولا يزال بـــه يرقى مراقـــية | بالبذل والسعى في صدق وإتقان
حتى يجوز التى يرنو الجميع لها | في ليلة التِّمِّ في فضل وفي شان
في ليلة جمعت في الخير ما جمعت، | مالا يـــنال بأعـــمار وأزمان
(من فازفيها) من بَشَّرَنْ فقد صَحَّت | بشارتهُ فيها المؤمل من خط ورضوان
إن الكريم له من فيض رحمته | مواسـمٌ لـعـظـيـم الـفـضـل هـتان
فمن سعى لمزيد فهى فرصته | ولـلـمـقـصـر دهرا جـبر نـقـصان
مـهـما يـضاعـف فـمازالـت خزائـنـه | يُقيضُ مالم يَطُلْهُ وهم إنسان
من يأته بخطى ساع يؤمله | يأتـيـه هرولة مـنـه بـغـفران

خير المنازل عند الله تطلبها | تلك المنازل لا تُزْرِى بسكان
ولا يـحول بـها حال ولا دول | ولا تـحد بـعـمر أو بـعـمران
نَهْبٌ لكم إن قصدتم وجه خالقكم | فـعدتـمو بِـقِراب مـنـه ملآن
فلا تزاحـم لاسـتـئـثار يـمـنـعـها | وكـل ساع وما أبلى بـمـيزان
مراتـب ومـقامات مـطـهرة | لمـن تـطـهر مـن رجـس وأوثان
ما ضر من نالها ألا يكون له | في هذه الأرض عند الناس من شان

أنا الكنز والمجد

لشاعر العربية في أندونيسيا الشيخ عبد الله نوح

لَقَدْ طَالَ لَيْلِي وَالْفِرَاقُ شَكَاتِي	وَمَالى سِوَى الزُّهْرِ النُّجُومِ أُسَاتِي
يَقولُونَ مَاتَتْ، قُلْتُ مَهْلًا فَإنَّمَا	تَمُوتُ حَيَاةُ الخلي قَبْلَ مَمَاتِي
وَقالُوا عَجُوزٌ قُلْتُ كَلَّا فَإنَّنِي	تَلِينُ قَنَاةُ الدَّهْرِ دُونَ قَنَاتِي
وَكَيْفَ يُمَنِي نَفْسَهُ الشَّرَّ حَاسَدٌ	وَرُوحُ كِتَابِ اللهِ سِرُ حَيَاتِي
سَأَحْفَظُ عَهْدَ اللهِ حِفْظَ وَثَائَقِ	وَأرْعى مَعَانِى الْحَقِ وَهْيَ رُعَاتِي
إذَا فَرَّقَ الخطبُ الْخؤُونُ فَإنِّني	أنا الحافظ الجماع شملَ شَتَاتِ
وَقَالوا جَمَال الفَنِ قُلْتُ فَإنَّنِي	وَلودٌ وَهذا الْحُسْنُ بَعْضُ بَنَاتِي
كَأنَّ السَّمَاءَ الطِّرْسُ والزُّهْرُ أحْرُفٌ	يُؤَكِّدْنَ مَالِي مِنْ بَدِيْعِ صِفَاتِ
سَلِ الْكَوْكَبَ الدُّرِيَّ في أُفُقِ الدُّجى	يُخَبِّرْكَ عَنِّيَ وَهُوَ بَعْضُ بَنَاتِي
أنَا الْفَنُّ كَمْ ألْهِمْتُ حُسْناً مُغَيَّباً	بَدِيعَ الْمَعَانِي حَالِمَ النَّظَرَاتِ
أنَا الكَنْزُ لَا تُغْنِيكَ عَنِي مَعَادِنٌ	وَلَا أبْحُرٌ يَبْهَرْنَ بِالصَّدَفَاتِ
أنَا الْمَجْدُ كَمْ مِنْ شَامِخٍ قَدْ بَنَيْتُه	أثِيلِ فَسِيحِ الرَّحْبِ وَالْجَنَبَاتِ

(عبد الله بن نوح) — بوقور ـ إندونيسيا

ذكريات من المدينة

للشيخ عبد الحميد عباس

أيا نسيم الصَّبا بلِّغ أحبتنا ... أني مقيم على (العلياء) (١) أرعاها

ففي نسيماتها آثار نشركمُ ... وفي مرابعها ذكرى حفظناها

حيث العقيقُ وبطحانٌ وأقنية ... تروي النخيل ويشفى الناس ريَّاها

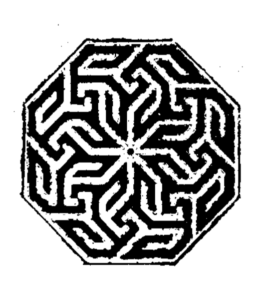
وحيث وادى قبا والماء يلبسُه ... بردَ الربيع وعادات ألفناها

وفي العوالي وفي قربانَ أودية ... يا حبذا هي مرتاداً وسكناها

ما أنس لا أنس وادي السُّدّ يجمعنا ... وكم به من ليال طاب مثواها

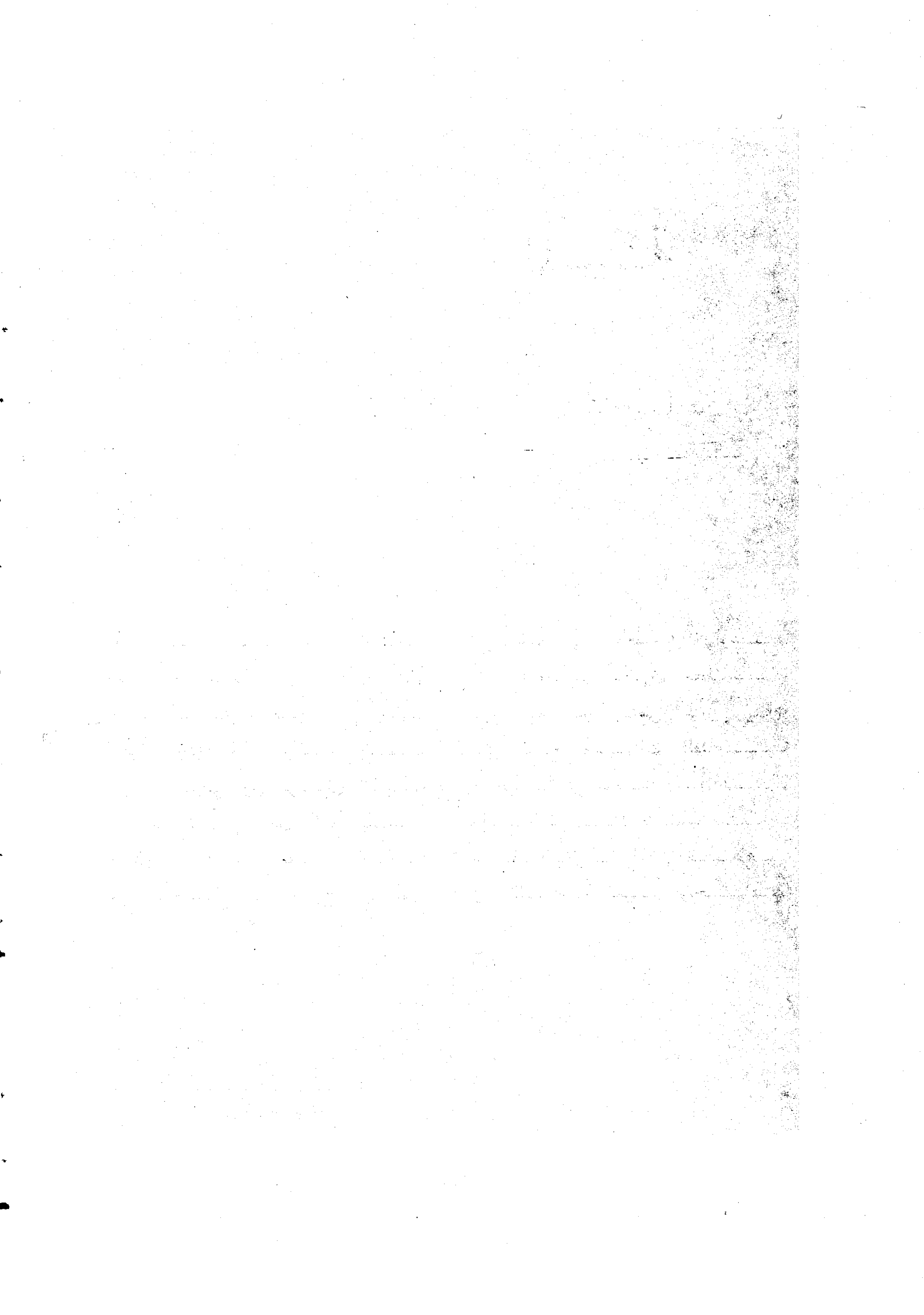
وبالأحبة شمس الوصل مشرقة ... سقيا لأيامها ماكان أحلاها !

مرَّت كحُلم ولم تبرح معالمُها ... في القلب ماثلةٌ تحيا ونحياها



---

(١) العلياء : مزرعة من ضواحي المدينة .





الحمد لله ، والصلاة والسلام على عبده ورسوله خير خلق الله محمد وآله وصحبه .. وبعـــــد :

فقد عرض على فضيلة نائب رئيس الجامعة الإسلامية سابقا (فضيلة الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد) السفر الى أندونوسيا في آخر السنة الدراسية قبل الماضية (١٣٩٨ / ١٣٩٩ هـ) للاطلاع على أحوال المسلمين هناك ـ ولا سيما المؤسسات الإسلامية المهتمة بالدعوة الى الله والقيام بما يستطاع من الدعوة والتوجيه) فاعتذرت آنذاك مضطرا لا مختارا ، لأن رغبتى في زيارة العالم ـ ولا سيما البلدان الإسلامية ـ شديدة ، لما في ذلك من العبر والاطلاع على الجديد المفيد في سلبه وايجابه ، يستفيد المسلم من الأحوال الطيبة التى يراها في العالم فيعمل بمقتضاها ، وهى ايجابية ، ويستفيد من الأحوال السيئة التى يشاهدها فيزداد بصيرة بها وابتعادا عنها ونهيا عنها ، وإن كانت سلبية ـ وقبل حينذاك فضيلته عذرى ...

.. وفي هذه السنة ١٣٩٩ / ١٤٠٠ هـ . عندما علمت أن السفر مقرر بادرت بنفسي فطلبت من فضيلة نائب رئيس الجامعة الدكتور عبد الله بن عبد الله الزايد أن تكون أندنوسيا هى التى أتوجه إليها إن كان ثمة سفر فحبذ ذلك فضيلته وكنت راغبا كذلك في زيارة بعض البلدان .. .. في الطريق إلى أندنوسيا وهى الهند ، وسيرالانكا ، وتايلند وماليزيا ، وسنغافورة ثم في العودة هونغ كونغ ، وحددت تلك البلدان لفضيلة النائب فوافق أيضا عليها

ولكن موعد السفر الذى تقرر في ٢٩ / ٧ / ١٤٠٠ هـ أجل إلى ١٥ / ٨ / ١٤٠٠ هـ . لمصالح تتعلق بالجامعة فكان ذلك سببا في حذف الهند وسيرالانكا وتايلند وسنغافورة ، وان كان هذان البلدان الأخيران قد مررنا بهما مرورا عاجـــلا .

.. واخترت للسفر معى فضيلة الشيخ عبد القوى عبد المجيد لثلاثة أمور :

الأمر الأول : تجربتى السفر معه قبل ذلك إلى بنغلاديش ، إذ وجدته يجمع صفات يستفيد منها رفيقه عبادة وترويحا .

الأمر الثـــانى : أنه يحفظ كتاب الله ويتلوه تلاوة ممتعة ونحن قد تقرر أن نكون في رمضان في أندنوسيا ويناسب أن يصلى بالمسلمين هناك صلاة التراويح .

الأمر الثـالث : إن عنده ما يفيدنا في المطارات والفنادق والأسواق والمطاعم في التفاهم مع الناس باللغة الإنجليزية .

وعندما قدمت لفضيلة نائب رئيس الجامعة اقتراح انتدابه وافق فضيلته وعرضت الأمر على فضيلة الشيخ عبد القوى فوافق أيضا وأخذنا نتشاور ونجمع شيئا من المعلومات عن هذا البلد للاستفادة منها .

وسافر هو قبلى إلى باكستان لقضاء بعض حاجاته هناك .

وفي يوم ١٤٠٠/٨/١٤ هـ ، ذهبنا إلى المسجد النبوى أنا والابن عبد البر الذى قررت سفره معى لتتوسع مداركه ويطلع معى على أحوال اخوانه المسلمين ولاسيما الشباب الذى في مثل سنه ليحفزه ذلك على الاهتمام بدينه علما وعملا ودعوة فصلينا في المسجد العصر وزرنا قبر الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم وقبرى صاحبيه وخليفتيه الراشدين : أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما وعن بقية خلفاء الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه . تاريخ طويل يمر بالخاطر في وقت قصير .

وفي هذا الوقت ـ وقت أداء صلاة العصر وزيارة الحبيب وصاحبيه أخذت أجول بخاطرى في نشوء الدعوة إلى الله في مكة وما ناله الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم من أذى في سبيلها . كما تذكرت تلك القوافل المؤمنة التى تركت البلد والأهل والمال وهاجرت بدينها راضية الى هذا البلد الحبيب ـ المدينة المنورة ـ بعد أن هدى الله طليعة الأنصار لمبايعة الرسول صلى الله عليه وسلم على الإسلام والجهاد في سبيل الله وتذكرت تلك

الليلة التى خرج فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه الى الغار للاختفاء من جند الشيطان ثم الهجرة الشريفة الى طيبة الطيبة التى كون بها صلى الله عليه وسلم من قاعدته الصلبة التى رباها في مكة على التوحيد والطاعة الكاملة لله ولرسوله وعلى الصبر والتحمل ومن أنصار الله ورسوله بالمدينة ، كون صلى الله عليه وسلم ذلك الإخاء الفريد في حياة البشرية . وأخذت أسرح الطرف في هذا المسجد العظيم فتصورت مشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ينقل الطين والحجارة وجريد النخل مع أصحابه ويبنى بيده الشريفة مهوى لأفئدة أصحابه يعبدون الله فيه ويتعلمون دين الله من وحيه الذى كان ينزل به جبريل طريا صباح مساء ، ويطبقون ما تعلموه عملا ودعوة .. وأخذت الصور تتتابع في ذهنى لتأسيس أول دولة إسلامية عالمية على وجه الأرض في هذه البقعة وكأنى أشاهد تلك السرايا التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثها للاستطلاع والاحتكاك بجند الشيطان تمهيدا لعقد الألوية وبعث الكتائب الجهادية في أنحاء الجزيرة العربية ، وتلك الغزوات التى شارك فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه فانتصر فيها على أعدائه ، وابتلى وأصيب بما أصيب به بسبب بعض المعاصى الصادرة من بعض أصحابه . وعرضت لى تلك الصور الرائعة : وفود الناس الداخلين في دين الله أفواجا ، واليهود الذين حدث لهم الاخاديد وقتلوا ودفنوا فيها جزاء غدرهم وكيدهم وزملاؤهم الذين حزموا حقائبهم وخرجوا إلى غير رجعة بعد أن تمكنوا مدة طويلة من السيطرة الاقتصادية والثقافية ومن العيث في الأرض فسادا في هذه المدينة وتسلسلت حوادث التاريخ الإسلامى في ذهنى إلى أن فتحت فارس والروم ثم امتدت فتوح الإسلام إلى شرق الدنيا وغربها .. .. .. ثم انتقل ذهنى الى تجار المسلمين وهم يفتحون البلدان بالقدوة الحسنة والمعاملات النظيفة الشريفة ، ومن تلك البلدان أندنوسيا التى أزمعت السفر اليها .

.. وقلت في نفسى : ما الذى سأعمله في هذه الرحلة القصيرة ، وما المنهج الذى أسير عليه ويفيد من سألتقى بهم في هذه المدة .. .. ..

ثم خرجنا من المسجد النبوى بعد أداء الصلاة وزيارة الحبيب صلى الله عليه وسلم وصاحبيه رضى الله عنهما ، ورجعنا الى المنزل فودعنا الأسرة وأخذنا أثاثنا وانطلقنا الى مطار المدينة المنورة ، وما كنت أفكر في قضاء رمضان خارج الحرمين الشريفين بما فيهما من روحانية إيمانية قلما توجد في غيرهما - ولكن ما أزمعت السفر من أجله كان يسلينى ويذكرنى بخروج أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم من هذا البلد الى غيره للدعوة الى الله ..

وفي قاعة المطار سرح خيالى الى وسائل المواصلات في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومن تبعهم في الدعوة الى الله والجهاد في سبيله وكيف استطاعوا أن يصلوا الى كل

بقعة في الأرض أمكنهم الوصول اليها فنشروا فيها هدى الله وراية الحق · وقارنت ذلك بما يسره الله لنا من الوسائل في هذا العصر من وسائل المواصلات وغيرها مما لو حصل ان استغله المسلمون في الدعوة الى الله لما بقى شبر في الأرض لم تبلغه الدعوة الى الله وأن المسلمين الآن كلهم آثمون لما يسره الله لهم من ذلك ومن عدم قيامهم بواجبهم من التخطيط العلمى الكامل والتنظيم الدقيق والسعى الجاد بكل قوة لإيصال دين الله إلى الناس كافة مسلمهم الجاهل وكافرهم الجاحد ·

وكنت قبل يوم السفر هذا بيوم واحد اجتمعت بالابن عبد البر الذى قررت سفره معى ونصحته وضربت له مثلا للمسافر الصالح وآخر للمسافر الفاسد ، قلت له : المسافر الصالح يجعل قدوته النحلة التى تقطف الأزهار النظيفة ذات الرائحة الطيبة والرحيق الشافى فتخرجه عسلا مصفى يشفى الناس من الآلام والأمراض ، وهكذا المسافر الصالح ينظر الى الأمور الطيبة والصفات الحميدة التى يجدها في الناس فيتحلى بها ويعود الى أهله وجيرانه بأخلاق زكية يهديها لهم قبل أن يهدى شيئا من الأمور المادية ·

أما المسافر الفاسد ـ فانه مثل الجعل الذى اعتاد أن يلقى بنفسه في وسط القاذورات المنتنة فيأخذ في تقليب أجزائها هنا وهناك اذا رآه أحد نفر منه فعليك يا ابنى أن تكون نحلة لا جعلا ··

وذكرت الابن مرة أخرى بهذا المثل في مطار المدينة وقلت له لا أريد أن أكرر عليك النصيحة فعليك أن تعض على نصيحتى بالنواجذ ·

١٤٠٠/٨/١٥ هـ في مطار جـــدة :

وفي صباح هذا اليوم أخلدنا إلى الراحة وغرقنا في بحر النوم العميق تعويضا عن فقده في الليلة السابقة ·

وفي الساعة الثامنة مساء تحركنا إلى مطار جدة الدولى وتم وزن العفش في الساعة الثامنة والنصف فودعنا أصدقاءنا في جدة ودخلنا قاعة الانتظار · (ألا أيها الليل الطويل ألا انجل) ·

وفي الساعة التاسعة والدقيقة الأربعين صعدنا الى الطائرة على أن يكون الاقلاع حسب الموعد في الساعة العاشرة والنصف ولكن الطائرة تأخرت الى الحادية عشرة وذلك أمر طبيعى كثيرا ما يحصل ، إلا أن المضيفة أعلنت عن وجود خلل في الطائرة يقتضى نزولنا الى قاعة الانتظار مرة أخرى فنزلنا وانتظرنا إلى الساعة الثانية عشرة فأعلن المذيع أسفه لتأخر الطائرة

مرة أخرى وأنها ستقلع في الساعة الواحدة وخمس وأربعين دقيقة فانتظرنا وتخلل هذا الانتظار التسلية المعتادة : توزيع شراب العصير ثم طبق العشاء الخفيف وتمنى الابن عبد البر لو استطعنا أن ننام ٠

فوضى المسلمين أزعجت بعض الكفار :

وفي الساعة الثانية عشرة والنصف أعلن عن موعد إقلاع طائرة مصرية الى القاهرة فأخذ الركاب يتزاحمون ويتدافعون ويتصايحون والأوربيون ينظرون إليهم نظر استغراب ويتعجبون من هذه الحالة السيئة ومن هذا المنظر الفوضوى ٠ وكان أحدهم قريبا منا يقف فينظر متعجبا ثم يقعد ثم يذهب بنفسه الى المسافرين لينظر اليهم من قريب ويسمع أصواتهم ثم يعود فيجلس فقلت للأخ الأندنوسى سل هذا الأوروبى من أين هو ؟ فسأله فقال له : من إيطاليا ، قلت له : هل يجيد اللغة الانجليزية ؟ فقال : لا ولكنه يتفاهم بها قليلا ٠

انظر إلى صفوف المسلمين في الصـــلاة :

قلت : فلنجعله في موقف الدفاع بعد أن نعتذر له من هذا المنظر ونبرىء منه الإسلام فقلت : أخبره بأن هذا المنظر لا يقره الإسلام وأن المسلمين الأصل فيهم الإيثار والصبر والنظام وسبب هذا هو جهل المسلمين بدينهم وبعدهم عنه فقال : لى ثلاث سنوات في المملكة العربية السعودية وقد تكرر هذا المنظر أمامى فقلت له : قل له : هل رأى المسلمين عندما يقفون في صفوف الصلاة في المسجد وراء الإمام ؟ قال : نعم : قلت :هذا نظام الإسلام في المسجد وفي الحرب وفي الحج وفي كل مكان ولكن جهل المسلمين هو السبب ٠

دعـــوة إلى الإســـلام :

سألناه هل يعرف شيئا عن الإسلام فأجاب قليلا عن طريق بعض الكتابات الصحفية ٠ وهل ترغب في دراسة الإسلام والدخول فيه فأجاب أنا ـ مثل المسلمين ـ أعتقد أن اله الكون واحد ، وإن كنت مسيحيا ٠

فطلبنا منه أن يدرس الإسلام وأن يدخل فيه لأن القرآن آخر ما نزل من الكتب السماوية وهو محفوظ والرسول آخر الرسل وخاتمهم والدين الإسلامى هو الدين الذى لا يرضى الله دينا سواه واتفقنا على أن نراسله ونبعث له بعض الكتب عن مبادىء الإســـلام ٠

وكان باستمرار يشرب الدخان ، فأشرنا إلى أضرار التدخين فاعترف بذلك ولكنه قال : (بروبلم) أى مشكلة - يعنى تركه صعب ·

وفي الساعة الواحدة والثلث أعلن عن استعداد الطائرة فصعدنا اليها وتحركت الطائرة في الساعة الثانية إلا عشر دقائق وفي الثانية والدقيقة الثانية عشرة كرر الأسف وعادت الطائرة الى مكانها بعد جولة في الأرض لا بأس بها ووعد المذيع بإعطاء معلومات جديدة وفي الساعة الثالثة نزلنا الى القاعة مرة أخرى وأعلن أن الإقلاع سيكون في الرابعة ·

ويسر الله تعالى أن أقلعت الطائرة فعلا في الساعة الرابعة والنصف صباحا بدلا من العاشرة والنصف مساء ، فكانت تلك الليلة طويلة علينا كطولها على امرىء القيس إلا أن السبب مختلف والهدف الذى كان يود هو أن يصبح من أجله - والإصباح عنده غير مفيد - غير الهدف عندنا ونحن على يقين أن ما اختاره الله كان خيرا ولكنا بشر نستعجل والحمد لله على كل حال ·

كان الابن عبد البر والأخ عبد الله بن سعيد باهرمز - أحد الطلبة الأندنوسيين في كلية اللغة العربية - في الدرجة السياحية ، وأنا في الدرجة الأولى لأن تذكرة سفرى الرسمية كانت كذلك ، وما كنت أظن أنى أجد صعوبة في طائرة سعودية في التخاطب · عندما أقلعت الطائرة جاءت المضيفة فخاطبتنى باللغة الانجليزية فقلت : (نو اسبيك انجلش) قالت : (نو اسبيك أرابيك) فأشرت اليها أن تأتى بمن يكلمنى باللغة العربية والظاهر أنها لم تفهم فواصلت المحاولة فقالت : « يو وونت تى قلت : يس » فجاءت بالشاى ثم قدمت طعام الإفطار ، واستغرقت بعد ذلك في النوم ونزلت الطائرة في مطار الظهران في الساعة السادسة والدقيقة الثامنة وواصلت أنا في المطار على مقعدى النوم · والظاهر أن المضيفة غيرت فجاءت مضيفة أخرى فأيقظتنى قبل إقلاع الطائرة وكانت هذه المرة عربية فقالت لى أتريد أن تستمر في النوم أم أصحيك بعد اقلاع الطائرة قلت : عجيب أمرك توقظينى من نومى لتسألينى هذا السؤال قالت : نعم لأجل الفطور فقلت دعينى فقد أفطرت ·

وفي الساعة السابعة والنصف أقلعت الطائرة من مطار الظهران وواصلت بعد ذلك نومي حتى سمعت المضيفة تعلن اقترابنا من مطار كراتشى · وهبطت الطائرة في مطار كراتشى في الساعة العاشرة إلا عشر دقائق بتوقيت المملكة ·

من كراتشى إلى فيصـل آبـاد :

وعندما انتهينا من الاجراءات اللازمة في الجوازات وتسلمنا أثاثنا قابلنا الأخ سهيل بن الشيخ عبد الغفار حسن الطالب بالدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وأخبرنا بأنه قد تم الحجز لنا في الطائرة التى تقلع إلى لاهور في الساعة الثانية وخمسين دقيقة حسب رغبة الشيخ عبد الرحيم أشرف رئيس جامعة تعليمات الاسلامية الذى كان الا بن الحسن عنده حيث تم الاتفاق معه على الاشراف عليه ليحفظ القرآن الكريم عند بعض حفاظ القرآن وكان قد سافر قبلنا مع الشيخ عبد القوى في ١٤٠٠/٨/٥ هـ ٠ ويقيم الشيخ عبد الرحيم أشرف في مدينة فيصل آباد ٠

وقد سميت باسم جلالة الملك فيصل رحمه الله بعد استشهاده ٠

وبقينا في مطار كراتشى إلى أن أقلعت بنا الطائرة إلى لاهور في الثالثة إلا عشر دقائق وهبطت بنا في مطار لاهور في الساعة الرابعة والربع ٠

استقبلنا أحد موظفى المطار بايعاز من الشيخ عبد القوى الذى كان في مدينة فيصل آباد ، ونزلنا بفندق امباسدور فنمنا نومة طويلة عوضنا عما فاتنا في الليلة الماضية ٠

وفي الساعة السادسة والنصف من صباح يوم الاثنين ٨/٧ جاءنا الشيخ عبد القوى الذى كان قد وصل إلى مدينة لاهور من مدينة فيصل آبـاد ليلا في القطار واصطحبنا إلى موقف السيارات فسافرنا إلى فيصل آبـاد في احدى حافلات النقل الجماعى وكان خروجنا في الساعة السابعة ٠

وفي الطريق كنت ألتفت يمنة ويسرة فأرى العمل الجاد من الشعب الباكستانى هذا يحرث ، وهذا يزرع ، وهذا يحصد ، وهذا يشق الأخاديد للمياه المتفرعة عن الأنهار ٠

ورأيت استغلالا كاملا لكل الإمكانات الموجودة ـ الثور يحرث ، والخيل ينقل ، والأخشاب تمد جسورا وهكذا .. ..

والبشر يسيطر على ذلك كله وكان وصولنا إلى مدينة فيصل آبـاد في الساعة العاشرة إلا ربعـا ٠

ونزلنا في أحد الفنادق وزارنا الشيخ عبد الرحيم أشرف وتحدث معنا في شئون الدعوة والصعاب التى نواجهها وأن تلك الصعاب ـ أصلا ـ قد خطط لها الاستعمار ٠ وقال إن الاستعمار يحلل الشعوب بعد دراستها وممارسة نشاطه فيها مدة طويلة ثم يخطط للجيل الحاضر ليكون

معبرا للجيل الجديد ثم يخطط كذلك لأجيال المستقبل وان هذا الاستعمار قد نجح في بذر أفكاره وإيجاد خدم له يقومون بتنفيذ مخططاته ·

وبذر الشقاق والنزاع بين الجماعات بل بين الجماعة الواحدة وإن على المصلحين أن يقوموا بواجبهم لربط الناس **بلا اله الا الله** · ودعانا لتناول طعام الغداء في منزله فقابلنا الشيخ عبد الفتاح العشماوى الذى كان قد انتدب ومعه الشيخ الدكتور ضياء الرحمن الأعظمى والشيخ صالح الهلابى وقد كانوا أوشكوا على اختتام نشاطهم هناك إذ قد ألقوا محاضرات مدة اقامتهم وكان الشيخ العشماوى يشكو كثرة الفلفل في الطعام حتى أصبح يشك في وجود طعام بدون فلفل ولو كان مربى ·

وفي ١٨ / ٨ :

دعينا لزيارة الجامعة وطلب منى القاء كلمة فكانت تدور حول وجوب اجتماع المسلمين ونبذ التفرق والخلاف وان الجماعة المتفقة في الهدف والوسيلة اذا تفرقت كلمتها فذاك دليل على نفاق في بعض أفرادها ·

وحصلت مذاكرة مع الشيخ عبد الرحيم في شأن الاستاذ المودودى فقال الشيخ كان المودودى يمتاز بأمور مهمة رفعت شأنه : وهى كثرة التفكر في أمور المسلمين وأمور الجماعة ووضع الأشخاص في مواضعهم · والأمر الثالث أنه كان يمسك زمام عواطفه بيده ·

ومن أهم الكتب التى رفعت من شأن المودودى كتاب الجهاد الذى طبع باللغة الأردية ·

وكان في المساء اجتماع في فرع جامعة تعليمات الإسلامية اختتم به الموسم الثقافى للجامعة لخص فيه الشيخ عبد الرحيم اشرف فوائد المحاضرات والندوات باللغة الأردية وتحدث كل من الدكتور الأعظمى والشيخ العشماوى ·

من الركشـــــة إلى الطائرة :

١٩ / ٨ :

بعد أن تناولنا طعام الإفطار جاء الأخ أحمد خان وقال لنا : انتظرونا سأذهب أنا والأخ الشيخ صالح الهلابى للبنك وأمر بكم لنذهب إلى المطار ، وكنا فهمنا أن موعد الاقلاع من فيصل آباد الساعة الحادية عشرة ، وتأخر الأخ أحمد خان فخرجنا نلتمس سيارة أجرة

توصلنا إلى المطار فلم نجد الا ما يسمونها بالركشة وهى دراجة نارية ركبت لها ثلاث عجلات ثنتان في الوراء وواحدة في الأمام وجهزت بمقعد يتسع لثلاثة أشخاص عند الضرورة من وراء السائق وذهبنا الى المطار في هذه الركشة وتعطلت في أثناء الطريق فنزل السائق وأخذ آلة من حقيبة عدته وركبها وأخذ في قيادتها كأن شيئا لم يكن وعندما اقتربنا من المطار في الساعة الحادية عشرة رأينا طائرة قد أقلعت من المطار فظننا أنها طائرتنا ولكن عند وصولنا المطار أخبرنا بأن الساعة الحادية عشرة هى موعد لوصول الطائرة وأعلن أن اقلاعها سيكون في الثانية عشرة غير أنها تأخرت لخلل فنى ـ وما أكثر ذلك في طائرات بعض الدول فلم نقلع إلا بعد الساعة الثانية والدقيقة العاشرة · وبعد خمس وعشرين دقيقة هبطت في مطار ملتان ، وبعد ساعة أقلعت إلى مطار كراتشى حيث وصلنا الساعة الخامسة وأخذنا نبحث عن غرفة مكيفة في كثير من الفنادق فلم نجد لزحمة النزلاء ، وبعد المغرب وجد فندق شاطىء البحر الفاخر على الساحل وهو غال الأجرة قذر المعنى ، لأنه لا يرتاده إلا القذرون أو المضطرون وقد علمنا ذلك بعد نزولنا وكان الشيخ عبد الرحيم أشرف نازلا هو والشيخ العشماوى في حجرة واحدة بجوارنا ·

وعندما طلبنا العشاء أكدنا على المضيف بأن لا يوضع في الطعام شيء من الفلفل ولكن القاعدة عندهم ـ في هذا الباب أن يسمعوا ويقولوا : سمعنا وعصينا وهكذا كانت مطاعم أندونيسيا ·

من كراتشى إلى بانكوك (٢٠ / ٨) :

غادرنا هذا الفندق إلى آخر يسمى فندق الخليج ، وبقينا فيه إلى الساعة الواحدة والنصف صباحا حيث ذهبنا إلى مطار كراتشى وبعد أن وزن العفش وختمت الجوازات انتظرنا في القاعة ثم صعدنا الى الطائرة التى أقلعت في الساعة الرابعة وخمس دقائق صباحا ·

وبعد الإقلاع أخبرنا المضيفين أننا نريد أن نصلى الفجر ، وكان المكان الذى نريد الصلاة فيه مجالا لخدماتهم ، فبسطنا السجادة وصلينا وعندما رأونا انكفوا عن هذا المكان حتى فرغنا من الصلاة ثم عادوا لتقديم خدماتهم ، وكان المضيف قد اقترب منا وبيده الزجاجة عارضا بضاعته الملعونة ، وعندما رفضنا قال : وماذا قلنا : ببسى وكان أحد الركاب أمامنا قد شرب حتى احمرت عيناه ، وذاك يسكب له في الكأس حتى أعادها مملوءة لعدم استطاعته المواصلة وبعد أن صلينا أخذت أنظر من النافذة إلى حيث شروق الشمس فكانت حمرة الأفق قانية والأفق يرتدى السحاب الذى يرى كأن نارا شديدة الاحمرار شبت فيه وأخذت تنهبه

نهبا وما ذلك إلا حمرة ضوء الشمس ، ولكن السحاب القريب منا يرى داكنا وكأنه مازال يغط في نومه والحمرة تمتد اليه شيئا فشيئا والظل يتقلص ولو شاء الله لجعله ساكنا ·

ثم استسلمنا للنوم إلى الساعة الثامنة إلا عشرين دقيقة حيث أيقظنا المضيفون للإفطار فتمطى الشيخ عبد القوى وقال : نمنا شوية - أى قليلا - قلت : نعم ثلاث ساعات ونصف الساعة وكانت كلمة شوية نكتة تقال كلما حصلت مناسبة مماثلة ·

وعندما حلقت الطائرة على الأراضى التايلندية أطللت من النافذة لأرى تلك الأرض التى غطاها خالقها ببساط أخضر من الغابات والمزارع تتخللها الأنهار والجداول المتفرعة عنها التى تبدو مثل الشرايين الدافئة ، وقد وشيت تلك الغابات والمزارع بالمنازل المسنمة التى تظهر كأنها مغروزة غرزا في ذلك البساط وقد صف على سطوحها الآجر الأحمر كقطع الصابون ، وهبطت بنا الطائرة في مطار بانكوك في الساعة التاسعة إلا عشرين دقيقة بتوقيت كراتشى ··

ونقلتنا السيارة – على حساب شركة الخطوط الجوية إلى الفندق ، وهو من الفنادق الفخمة النظيفة المظهر والقذرة المخبر ، وكان النزول فيه على حساب الخطوط كذلك لأن الحجز قد تم عن طريقها إلى كوالالمبور ، وكانت مدة الاستراحة في الفندق أربع ساعات تقريبا ·

وفي الطريق إلى الفندق كان الابن عبد البر راكبا بجوار السائق وأنا بجوار عبد البر فأخذ السائق يتحدث مع عبد البر باللغة الانجليزية بكلام لا يفهمه هو ولا أنا ، ولكن شعرت من حركاته أنه يذكر شيئا غير لائق ، فزجرته بصوت عال قائلا له : اسكت، واشرت به بأصبعى إلى فمى - والإشارة لغة عالمية - وقطبت له وجهى ففهم وأخذ يعتذر آىآم سورى - آسف - ولم يتكلم بعدها معنا ·

وبعد فراقه سألت الأخوين الشيخ عبد القوى والأخ عبد الله باهرمز أكنت محقا في زجر الرجل قالا نعم فقد كان يعرض بضاعة فاسدة فكان زجرك اياه في مكانه ·

نحن في كوالالمبور وأثاثنا في مانيلا :

وفي الساعة الرابعة وخمس عشرة دقيقة غادرنا الفندق إلى مطار بانكوك وتجولنا قليلا في دكاكين المطار ثم صعدنا إلى الطائرة التايلندية التى أقلعت إلى كوالالمبور في الساعة السابعة وكان ذلك عند غروب الشمس وكنت إذا نظرت إلى اليمين : جهة الغروب أرى السحاب محمرا مشربا بصفرة كأن نارا تلهبه ، وإذا نظرت إلى اليسار أرى ظلمة الليل قد اختلطت ببياض السحاب واسوداد الغابات وهى تلاحق النهار لتغطيه ، ولفت هذا نظرى إلى آية تكوير

الله النهار على الليل في الصباح كما مضى وتكوير الليل على النهار في المساء وقلت : سبحان الخالق .

عرض المضيفون الضيافة فطلبنا منهم أن يقدموا لنا خضارا وسمكا بدلا من اللحم خشية من لحوم الخنزير أو ذبح الوثنيين فأعطونا ما أردنا ، وهبطت بنا الطائرة في مطار كوالالمبور عاصمة ماليزيا في الساعة التاسعة إلا ربعا . وذهبنا إلى قاعة تسلم الأثاث الذى فارقناه في كراتشى لنتسلمه هنا ، وكان الشيخ عبد القوى يستعرض الساحب بشغف ليرى علامة تدل على وجود أثاثنا إلى أن توقف الساحب منهيا الطمع في وجود أثاث آخر على هذه الرحلة فذهب الشيخ ومعه الأخ عبد الله باهرمز لا بلاغ المسئولين عن فقد أثاثنا ففتشوا الأثاث الموجود فلم يجدوا شيئا ثم أخذوا بطاقة رسمية أعدت لمثل هذه الحالة وسجلوا بها المعلومات اللازمة من تذاكر السفر والجوازات ووعدوا ببعث تلكس إلى بانكوك وطلبوا منا تحديد مكان اقامتنا في كوالالمبور ليشعرونا بوصول العفش ، قلت للشيخ عبد القوى : لعل عفشنا ذهب مع الطائرة الفرنسية إلى مانيلا ليزور أساتذة كلية اللغة العربية ، ومنهم وكيل الكلية ـ الذين كانوا يعملون في دورة تعليم المدرسين المسلمين اللغة العربية في الفلبين ـ وكان هذا فعلا هو الواقع . أى أن العفش حلق فوق المحيط الهادى وألقى عصا ترحاله في مطار مانيلا .

ونزلنا في فندق : « قرين سنترال » واتصلنا بالأخ أنور إبراهيم وهو شاب نشط في بلاده فلم نجده ، وكان الشيخ عبد القوى بين آونة وأخرى يتصل بهاتف أنور فيجد بعض أقربائه ـ الذى لا يتكلم اللغة العربية ولا يجيد اللغة الانجليزية ـ فيحاول كل منهما تفهم صاحبه بصعوبة بالغة فشكا الشيخ عبد القوى من هذه الحالة فقلت له : ينطبق عليكما المثل اليمنى القائل : « عمياء تخضب مجنونة » .

إن الطيور على أشباهها تقع (وهكذا الفنادق) :

٢٢ / ٨ / ١٤٠٠ هـ :

وفي الصباح اتصلنا بالأخ أنور فوجدناه في الساعة الثامنة وقال لنا : بعد قليل يأتيكم من ينقلكم إلينا لنعمل لكم برنامج زيارة بعض الولايات ـ وما كنا قادرين على تلبية هذا الطلب وإن كان من أمانينا لضيق وقتنا لأن برنامجنا أصلا كان في أندونيسيا .

وفتحت نافذة الفندق واطللت منها فإذا الأرض كلها خضراء بأشجار فارعة الطول مثل النارجيل ومتوسطة كالببايا وقصيرة وما كنا رأينا ذلك قبل لأنا نزلنا ليلا .

وبعد قليل جاء الينا مندوب الأخ أنور وهو الغزالى نواوى الذى أخذ الماجستير من الأزهر والدكتوراه من لندن عام (١٩٧١ م) وقال لنا فور وصوله : ان في هذا الفندق دعارة وخمورا لأن مالكيه والعمال فيه صينيون فلابد من خروجكم منه - ولنا مع الفنادق مشكلات ومشكلات - ولكن نحمد الله الذى حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، فكم فندق نزلنا به في بلاد الشرق والغرب وهو يعج بالمعاصى والفساد وخرجنا منه غير مأسوف علينا من قبل أهله وهذا من فضل الله علينا ، وقد سبق الكلام على فندق شاطىء البحر الفاخر في كراتشى الذى نصحنا بالخروج منه الشيخ عبد الرحيم أشرف معللا بنفس العلة ، وذهبنا إلى فندق شيراز ويسمى بالفندق الإسلامى عند المسلمين وقد كنا حاولنا النزول به أول وصولنا فلم نجد فيه مكانا ونقلنا صاحبه بسيارته إلى هذا الفندق ولم نجد أيضا في الفندق غرفا فارغة ولكنا جمعنا في مطعم هذا الفندق الفطور والغداء معا - جمع تأخير - ثم زرنا المركز المعروف اختصارا بـ « أبيم » أى مركز حركة الشباب الإسلامى الذى يقع قرب مبنى الإذاعة ، وهو يشتمل على مدرسة ثانوية ومتوسطة ومكتبة بها مراجع ومطبوعات إسلامية ومكاتب إدارية وأهل المركز كلهم في حركة دائبة ونشاط مستمر في الدعوة إلى الله والتعليم ونشر مبادىء الإسلام بالوسائل المتاحة لهم .

ويحاولون محاولة جادة الحفاظ على أبناء المسلمين في عقيدتهم وأخلاقهم - لا في ماليزيا وحدها ، بل في كثير من مناطق جنوب شرق آسيا وقد لمسنا ثمرة جهودهم حتى في هونغ كونغ .

وقد يجمع الله الشتيتين :

وبعد أن صلينا الظهر في المركز تم الاتصال بالمسئولين عن العفش في المطار فبشرونا أن العفش قد وصل من مانيلا ، فذهب الأخ عبد الله باهرمز والا بن عبد البر وأحد شباب المركز فتسلموه وجاءوا به فحمدنا الله الذى جمع بين الشتيتين بعد أن ظنا ألا تلاقيا .

متع الدنيـــا والآخرة :

وقام الأخ دحلان يشرح لنا نشاط المركز الذى يقوم به أعضاؤه من تدريس وتوعية وطبع كتب وتوزيعها ، وإقامة مخيمات شبابية وغير ذلك مما هيأه الله لهم وهيأهم له في جنوب شرق آسيـــا .

طلب منا الأخوة أن نذهب إلى منطقة تسمى : « برطك » لهم فيها مقر أعارتهم الحكومة يقيمون فيه بعض نشاطهم لشبابهم من مؤتمرات ومحاضرات وندوات وغير ذلك فلبينا رغبتهم وكان قائد السيارة الذى نقلنا الشاب محمد أمين الذى كان مدرسا في المدارس الحكومية ثم انتقل يدرس في مدرسة المركز ولكنه عازم أن يعود إلى المدارس الحكومية ليقوم بواجب توعية أبناء المسلمين فيها ويفهمهم دينهم ويحميهم من التيارات الفكرية المضادة للإسلام .

وكان الشيخ عبد القوى يتمنى أن يحصل على فاكهة تسمى : « ليتشى » فمر بنا قائد السيارة فبحثنا عنها ولم نجدها ولكننا وجدنا فاكهة أخرى ـ وما أكثر الفواكه هناك ـ تسمى : « رامبوطن » وهى بيضاوية الشكل عليها غلاف غرز الخالق فيه ما يشبه الشوك إلا أنه ناعم ، عندما يزال هذا الغلاف ـ وازالته سهلة وآلتها الظفر ـ يظهر ما بداخله مثل البيضة في اللون والنعومة وفي داخل هذا اللب بذرة صلبة يأكل الآكل اللب ويرمى تلك البذرة وكنا نأكل

شيء في الشوارع التى ظهرت نظيفة غير محتاجة إلى جيش من المنظفين صباحا ومساء .

وقيمة الكيلو من هذه الفاكهة ريال وربع سعودى ، قال الشيخ عبد القوى إن الكيلو من هذه الفاكهة إذا جاء به التجار إلى المملكة يباع بأربعين ريالا .

ونحفظ القشرة والبذرة في السيارة ولانرميها في الشارع التزاما بالنظام الذى يحظر رمى أى

وكانت شوارع المدينة مع نظافتها وجمالها تزداد جمالا بتلك الحلية الربانية التى منحها الخالق : الأشجار التى تحفها من الجانبين وعندما خرجنا من المدينة زادت الدهشة من تلك الغابات التى تشبه السحب المتراكمة كالجبال بعضها فوق بعض ولا يرى الإنسان شيئا من اليابسة في الجبال والوديان اللهم إلا ذلك الطريق الملتوى مثل الثعبان بين تلك الجبال والغابات وبعض البيوت التى تكاد تكون محتجبة ماعدا اليسير فيها ، وكان في تلك الغابات الأشجار الطويلة الفارعة الطول كأشجار النارجيل التى تشبه أشجار النخيل ومنها المتوسط ومنها القصير ولذلك يرى الإنسان الغابة على هيئة طبقات مثل البحر الذى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ، ومنها ذو الثمرة كالمانجو والنارجيل والباباى والموز .. .. ومنه ذو القيمة التجارية والاقتصادية كالمطاط وإنها لتأخذ بالألباب إلى الخالق سبحانه .

قلت للشيخ عبد القوى : هل رأيت مثل هذا من قبل فقال : لا وإن كان يوجد في الباكستان ما يشبهه في بعض المناطق . قلت اسمع هذا الحديث عن الجنة « فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » فازدادت القلوب شوقا الى الجنة .

قال الأخ عبد الله باهرمز : لقد مررنا بجبل ونحن في طريقنا إلى المطار صباحا فاندهش عبد البر عندما رآه مكسوا بتلك الطبقات من الخضرة فقال : إننى أشعر كأننى في حلم ليت عندنا مثل هذا الجبل فقلت : سبحان الذى قسم أرزاقه بين خلقه كم من أمة تتمنى وجود المطر والغابات مثلنا وكم من أمة تتمنى وجود البترول الذى يوجد عندنا وقد خصها الله دوننا بكثرة الأمطار والغابات والفواكه ٠

ولكن عندنا فوق ذلك مالا يوجد عند غيرنا : « انها الكعبة ، المسجد النبوى الشريف وانا لأساتذة العالم بهما وبهذا الدين لو تمسكنا به وستكون الأرض كلها شرقها وغربها شمالها وجنوبها في أيدينا لو طلبنا العزة من الخالق سبحانه وتمسكنا بدينه وجاهدنا في الله حق جهاده ٠

وفي أثناء السير سأل الأخ محمد أمين سؤالا مهما جدا هو : كيف يقدر الداعى إلى الله أن يقوى الإيمان في قلوب المسلمين ويلهب عواطفهم ٠ ؟ ٠

قلت له : الجواب عليه هو الاجابة على السؤال الآتى كيف يبدأ الداعى الى الله بنفسه فيقوى إيمانه ويلهب عاطفة نفسه وأخذنا نناقش هذا الموضوع ولكنا وصلنا إلى المنطقة قبل اتمام الإجابة عليه وطلب الأخ أن نستمر في مذاكرة هذا الموضوع غدا واستأذن ليعود إلى كوالالمبور لارتباطه ببعض الأعمال هناك وتبعد المنطقة عن العاصمة أربعين ميلا تقريبا ٠

وسأل الشيخ عبد القوى عن الطائف وغامد وأبها وعن نصيبها من الأشجار والغابات وكان عبد البر قد زار الجنوب في إحدى رحلاتنا مع طلبة الجامعة الإسلامية قبل ثلاث سنوات فقال : أين تلك من هذه يا شيخ عبد القوى مستبعدا المقارنة ٠

واستقبلنا الأخوة المشتركون في النشاط مستبشرين بقدومنا ، وكانوا هم المسئولين عن الشعبة الاقتصادية للمركز وكان نشاطهم حول هذا الموضوع مع استغلال أوقاتهم كلها في طاعة الله من قراءة القرآن والذكر وقيام الليل وغير ذلك ٠

وقدموا لنا شيئا من الطعام تناولنا منه ما نريد ـ وهو مفلفل أيضا ـ ثم ذهبوا بنا إلى غرفة كبيرة بها أسرة كل سرير مكون من طابقين تتسع هذه الحجرة لاثنى عشر شخصا ، والمبانى كلها من الأخشاب والزنك وهى متسعة جدا ، لأنها أسست لاستيعاب أكبر عدد ممكن ممن تريد الحكومة تدريبهم من الشباب ، أو اقامة مؤتمرات أو غيرها وقال لنا الأخوة : خذوا راحتكم من الآن إلى ما بعد صلاة العشاء ثم نأتى لكم لتلقوا محاضرة في القاعة الكبيرة وبعد أن استحم كل منا وغيرنا ملابسنا التى بقيت علينا ثلاثة أيام لغياب عفشنا وصلينا المغرب والعشاء جاءنا الأخوة فانتقلنا إلى القاعة حيث بدأ فضيلة الشيخ عبد القوى بتلاوة آى من

القرآن الكريم ثم القيت المحاضرة وكانت متضمنة الإجابة عن سؤال الأخ محمد أمين الذى مضى قريبا لأنى رأيت أنه هو موضوع الساعة ·

وبعد الفراغ من إلقاء هذه المحاضرة القى بعض الحاضرين بعض الأسئلة وأجبنا عنها وكان المترجم الأخ عبد الله باهرمز لأن لغة الاندونيسيين والماليزيين مشتركة ·

وطلبوا منا أن نلقى محاضرة بعد صلاة الفجر موضوعها وسائل الانكفاف عن الربا واذا اتسع الوقت نجيب على بعض الأسئلة واستغرق وقت المحاضرة والإجابة عن الأسئلة في الليل ساعتين إلا قليلا ·

كيف نقضى على الربـــــــا ؟

٢٣/ ٨/ ١٤٠٠ هـ :

جاءنا بعض الشباب قبل صلاة الفجر بنصف ساعة فايقظنا لنستعد للصلاة فتوضأنا وذهبنا إلى المسجد ووجدنا الأخوة منهم من يقرأ ومنهم من يذكر الله ومنهم من يتوضأ وبعد أن أذن وصلى بنا صلاة الفجر قرأ الشيخ عبد القوى ما تيسر من القرآن الكريم ثم بدأت المحاضرة وكانت مناقشة لقضايا عامة وأصول يمكن الانطلاق منها إلى المطلوب وهى :

١ ـ هل يقبل أغلب المسلمين تنفيذ المعاملات الإسلامية عامة ومنها المعاملات الاقتصادية ·

٢ ـ هل يسهل تطبيق الأحكام الإسلامية كاملة في مجتمع يدين في تصرفاته بقوانين الجاهلية وأعرافها ·

٣ ـ هل توجد فئة صالحة قادرة على السباحة ضد التيار الجاهلى في بلدان العالم الإسلامى ـ فضلا عن بلدان الكفر ـ ·

٤ ـ كيف توجد الثقة في نفوس المسلمين بعضهم ببعض حتى يتعاونوا في تعامل بعضهم مع بعض بدلا من التعامل مع الكفار والإيداع في بنوكهم الذى يغريهم بالربا والفائدة الحرام ·

٥ ـ بيان أن كثيرا من المسلمين لا يسلمون أمرهم في أنفسهم وفي أموالهم وفي تصرفاتهم كلها لخالقهم اقتداء منهم بأعداء الله الكافرين الذين غرسوا في نفوسهم فصل الدين عن الدولة فأصبحوا يقولون بلسان حالهم : « يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء » ·

٦ ـ امتناع كثير من أغنياء المسلمين عن أداء الزكاة واقراض المحتاج مما يؤدى إلى اضطرار كثير من المسلمين إلى أخذ المال بالربا ٠

٧ ـ وجوب إقناع الناس بشمول منهج الله لحياتهم كلها ومنها المعاملات المالية ٠

٨ ـ إقامة شركات اقتصادية بين المسلمين مبنية على أسس الشركات والمصارف الإسلامية ٠

٩ ـ إقناع تجار المسلمين وأغنيائهم بوجوب تقديمهم ما أوجب الله في أموالهم لفقراء المسلمين ٠

١٠ ـ وجوب السعى الجاد للتخلص من الربا بصفة فردية وجماعية حسب الاستطاعة ٠

وكانت هذه الآيات الكريمة : « **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا مابقى من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لاتظْلمُون ولا تُظْلَمُون وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون** » (البقرة الآيات : ٢٧٨ ـ ٢٨٠) ٠ هى محور المحاضرة ٠

واستغرقت هذه المحاضرة ساعتين تقريبا وكان المترجم الأخ عبد الله باهرمز وكانت أصوات الطيور الكثيرة المختلفة تتخلل المحاضرة ٠

ذهبنا بعد ذلك لتناول طعام الإفطار الذى كان مشبعا بالفلافل قال الأخ عبد الله باهرمز : (هذا الطعام حار ؟ قلت لاحاجة إلى هذا السؤال فقد أصبحنا من أهل الفلفل على رغم أنوفنا ونخشى أن نعود إلى المدينة ونحن نحمل الدعوة إلى الإكثار من الفلفل في الطعام اقتداء بالباكستانيين والماليزيين ـ وكذلك الأندونيسيين كما ظهر لنا بعد ذلك ـ الذين ربما سمعوا المثل اليمنى القديم : « من دخل بلادنا حمر » فحرفوه بلسان حالهم قائلين : « من دخل بلادنا فلفل » فقد فلفلنا ٠ ثم خرجنا نجول في الأماكن القريبة نتمتع بتلك المناظر العجيبة لنرى ألوانا من الزهور وطبقات من الأعشاب والأشجار ، ونسمع خرير النهر الجارى في وسط الغابة وأصواتا موسيقية مباحة من أنواع كثيرة من الطيور ، والجبال تحيط بنا مختالة بتلك الملابس الخضراء الموشاة بأنواع الزهور وقد ارتفع فوق قممها السحاب المتنوع منه الأسود الداكن الذى يكاد يعصر منه المطر الغزير ، ومنه الأبيض الذى يشبه زبد الحليب الذى ارتفع عند الزناد ، والجو بذلك يشبه وقت طلوع الفجر ونحن في وقت الضحى والشمس قد ارتفعت في السماء ٠

وذهبنا إلى النهر الذى يجرى بين صفين من أشجار الغابة يحيطان به كما يحيط الغلاف بالكتاب وفي وسطه صخور منها ما يغطيه الماء ومنها العالى الذى لا يغطيه إلا عندما تغزر الأمطار وترتفع نسبة الماء واشتقت عندما رأيت الماء الجارى الشديد الصفا أن أبلل رجلى فيه فأخذت أقفز ، كافاً ثوبى ، من صخرة إلى أخرى ، وكان الشيخ عبد القوى ينظر إلىّ عازما على الاقتداء بى ، ووقعت رجلى على صخرة تطفو عليها الماء قد كساها الطحلب فسقطت في وسط النهر بملابسى فكان ذلك انذاراً للشيخ عبد القوى الذى قفز إلى خارج النهر بعد أن كان قد استعد للقفز من على الصخرة إلى وسطه ·

وبعد أن تمتعنا بتلك المناظر الطيبة والأصوات المطربة نقلنا أحد الأعضاء بسيارته إلى قرية مجاورة حيث استأجر لنا سيارة أخرى توصلنا إلى كوالالمبور ورجع هو إلى المكان لارتباطه ·

وفي طريقنا إلى تلك القرية سألت عن شجر المطاط الموجود بكثرة لِمَ لم يقطعوه وكنت أظن أن الشجر يقطع ويصنع منه المطاط فأخبرت أن المطاط لا يصنع من نفس الأخشاب وإنما يصنع من سائل يخرج منه أبيض يشبه الحليب فوقفنا لنرى تلك المادة وكيف تستخلص ، فرأينا أنه ينحت الخشب بقلع شىء من قشرة الخشبة ثم يعلق إناء في أسفل هذا النحت وفيه تنزل قطرات هذا السائل الأبيض تعلو هذا السائل قشطة مثل قشطة الحليب · قلت للشيخ عبد القوى ألاَ تذوق شيئا من هذا الحليب قال أنت أولى به ·

ولقد كانت هذه الجولة إلى هذه المنطقة (برطق) متعا مادية بمباهج الحياة الدنيا ومعنوية بالمذاكرة العلميه واللقاء الأخوى الإيمانى · وعندما ركبنا في سيارة الأجرة كان السائق يحاول الإسراع بصفة مخيفة ولكنه وافق أن اليوم يوم إجازة - يوم الأحد - وكان الشارع مزحوما فلم يجد بدا من التريث الاجبارى ·

ونزلنا في فندق شيراز الذى كنا حاولنا النزول فيه من قبل فلم نجد مكانا فارغا وكان يوجد به الطعام الحلال ، أما الشراب فكان يوجد فيه الحلال كما يوجد الحرام · وهذا أمر يؤسف له يقال عن بعض الفنادق إنها إسلامية ويفرح المسلم المسافر بهذا الوصف ثم يجد أنه يجاهر ببيع ما حرم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وكنا متفقين مع الأخ محمد أمين أن يأتى الينا قبيل صلاة العصر يرافقنا إلى شاطىء البحر لنجمع بين التمتع بمناظر الجبال والشعاب الخضراء وبين التمتع بمنظر البحر ولكن الأخ محمد أمين جاءنا بعد صلاة العصر معتذرا لأن سيارته أصيبت بخلل فعرضنا عليه أن نستأجر سيارة ونذهب فاستحسن أن نتأخر الى ما بعد صلاة الفجر ليأتى هو بسيارته أو غيرها من سيارات اخوانه فوافقنا على ذلك

وبخاصة عندما علمنا أنه يبعد ستين ميلا أو أكثر عن كوالالمبور والوقت بعد العصر قصير وعرض علينا أن كنا نحب أن نتمشى في المدينة فرأينا ألا داعى لذلك لأنه يوم إجازة يكون الزحام فيه شديدا وفيه مالا نحمد مشاهدته - وإن كان ذلك في شعب إسلامى ففضلنا الراحـــــة ·

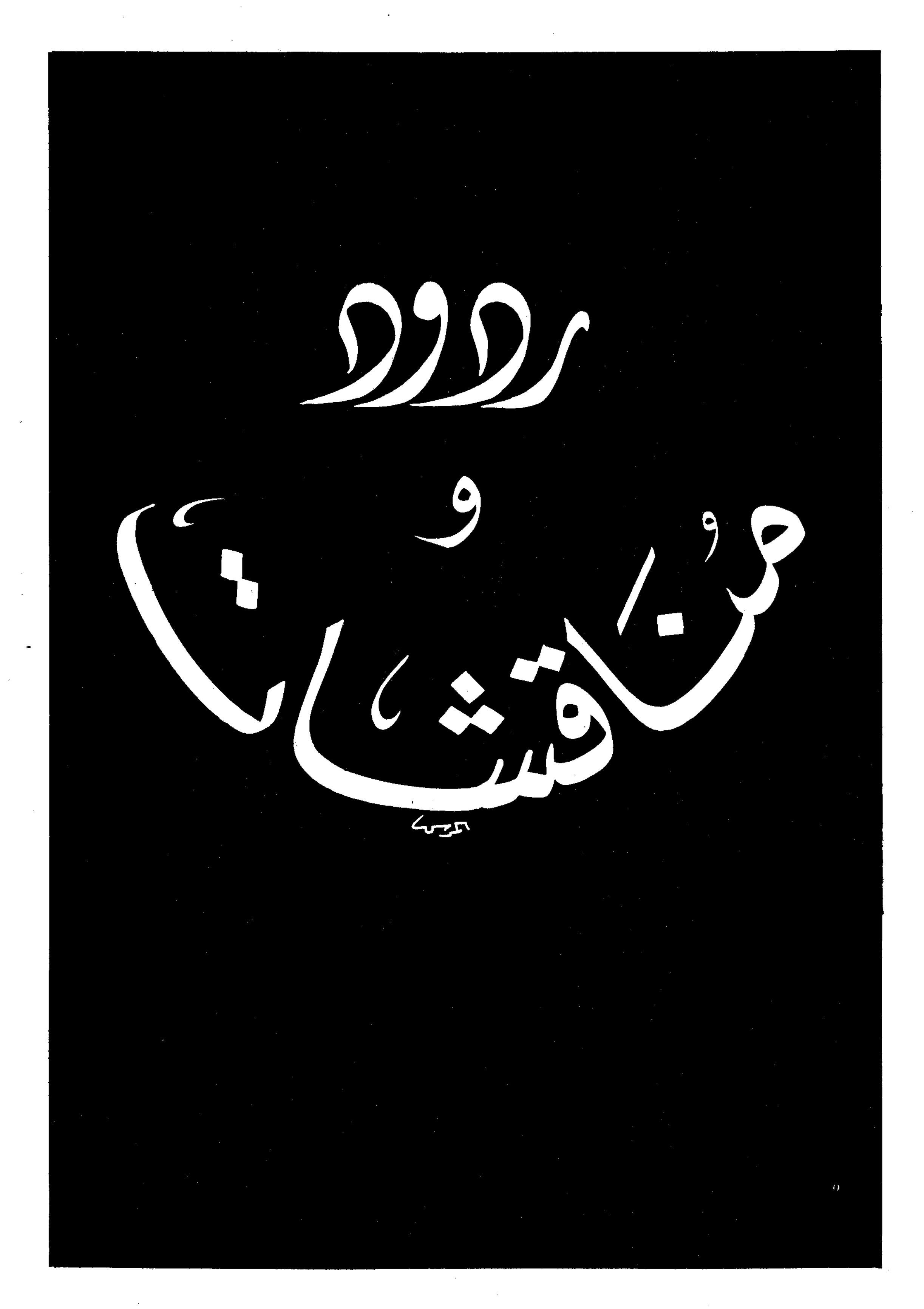
المسلمون أكبر أقليـة في بريطـانيا

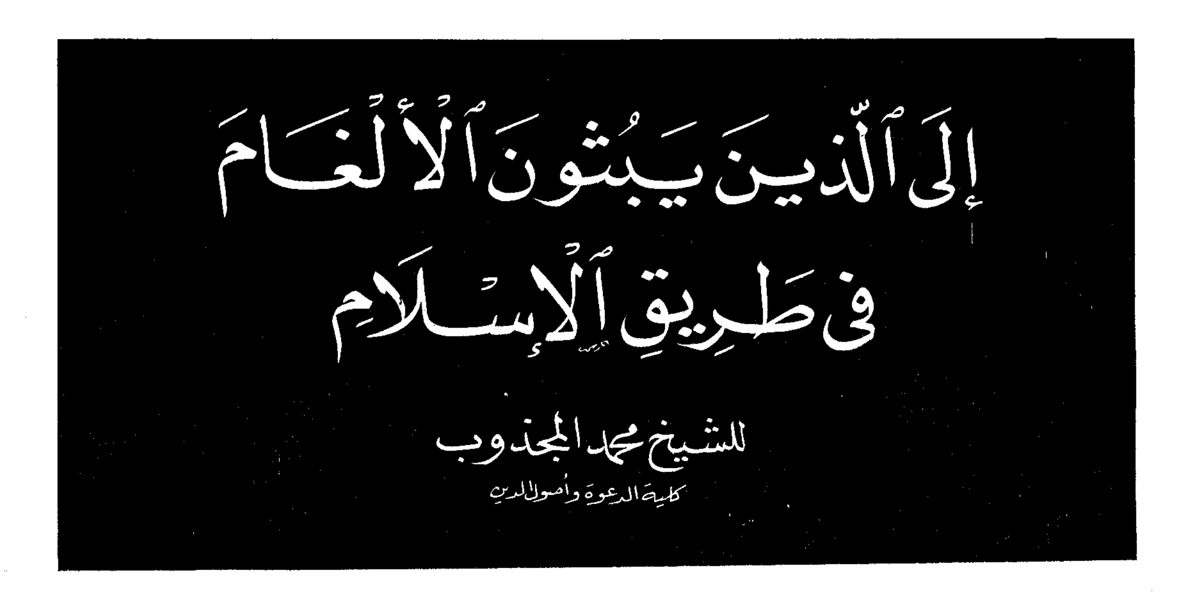
حل الإسلام محل اليهودية كأكبر دين بعد المسيحية في بريطانيا ، وبلغ الآن عدد المسلمين في بريطانيا ، وهم ينحدرون من أصل باكستانى ، وهندى وبنجلاديشى حوالى مليون ونصف مسلم ، وقد كان عدد اليهود قبل سنوات ، أكثر من أربع مائة ألف ، فكانوا يعتبرون أكبر أقلية في بريطانيا

ينتمى نصف عدد المسلمين في بريطانيا إلى باكستان ، وبنجلاديش ويبلغ عدد المسلمين القادمين من الهند حوالى مائة ألف ومعظمهم من ولاية كجرات ·

وكان أول فوج من المسلمين الذى دخل إلى بريطانيا من اليمنيين الذين دخلوا بريطانيا في عام ١٨٩٩ وبمساعيهم انتشر الإسلام في البريطانيين ·

الرائد الهندية


ردود
و
مناقشات



المؤامرات على دين الله الحق بدأت منذ أعلن ابليس الحرب على آدم وذريته قبل هبوط الفريقين إلى الأرض ، إذ قال لربه تصريحا بما يكنه لذرية آدم من الشر « لأقعُدنَّ لهم صراطَك المستقيم . ثم لآتينَّهم من بين أيديهم ومن خلفِهم وعن أيمانِهم وعن شمائِلهم .. » (الأعراف ١٥ ـ ١٦) **وقد فهم أولو العلم من هذا الوعيد أن عدو الله مصمم على صرف الإنسان عن شريعة الله بقعوده وذريته على منافذها لمنعهم من الوصول إليها ....**

ومنذئذ جعل هذا العدو يعبىء قواه بكل ما يملك من وسائل التزوير والإغراء والإفساد لإنفاذ وعيده ، فاستحوذ على الكثير من أهل الجهل والغفلة ، واتخذ منهم جنوداً يدعون إلى النار ، ويزينون لأمثالهم طريق قائدهم ، وهكذا استحالت البسيطة حلبة صراع لا ينطفىء أوارها بين الأشرار والأخيار ، والأحرار والأغرار ، حتى تقف مسيرة الحياة .. ويحشر المصلحون والمفسدون لأداء الحساب ...

ولقد اتخذ أعداء الحق في كل واحدة من مراحل المعركة أنواعاً من الأسلحة ، كان أهمها الانحراف عن منهج الله ، الذى زود به الإنسان لحماية نفسه وجنسه من كمائن الشيطان ، فأبى أكثر الناس إلا كفورا ، وألِفوا الانسياق في مواكب الضلال ، فكانت البدع ، وكانت آلاف النظم التى عمقت الهوة بين الإنسان وخالقه الرحمن .

• تذكرت هذا كله وأنا أقرأ زاوية الأستاذ أحمد بهاء الدين (مسلم .. ثم لماذا ؟) في عدد الأحد ١٩٨١/١١/٨ من « الشرق الأوسط » ، إذ وجدت فيها واحدة مصغرة من صور المعركة الأبدية ، التي عانى ولا يزال يعانى منها تاريخ الإسلام ، تارة على أيدى منافقى المدينة ، وأخرى من دسائس أهل الكتاب ، وثالثة من مؤامرات الباطنية ، التى بسطت سلطانها على الجاهلين والغافلين ، الذين لم يكن لديهم من الوعي ما يعصمهم من الاستجابة لكل ناعق .. وليس هجوم على عبد الرازق - في النصف الأول من العصر الحديث - على حمى الخلافة ، ودعوتُه المضللة إلى تبنى طريقة الغرب الصليبي اليهودي في فصل الإسلام عن ساحة الحكم ، سوى خطوة جديدة في طريق الهدم لأهم قواعد هذا الدين ، متمثلة في شهادة التوحيد ، التى تربط المؤمنين بعهد مع الله ألا يشركوا معه أحدا ، وأن يتخذوا من رسوله الأمين إماما ، يتبعون سبيله في أسس الحكم ، كما يتبعونه في عبادته وفي تصرفاته العامة جميعا ، حتى تصبح كل حركة وسكنة من وجودهم عبادة خالصة لله ..

لقد كانت دعوة هذا الشيخ الضال في كتابه (الإسلام وأصول الحكم) خرقا خطيرا في جدار الإسلام ، فتح الباب على مصراعيه للجهلة من حكام الشعوب الإسلامية ، فاتخذوه منطلقا لتخريب مجتمعاتهم ، وحجتهم في ذلك أن القائل بهذه التخرُّصات واحد من خريجى الأزهر ، وأحد رجال القضاء في بلد الأزهر ، فرأيه في قضايا الحكم هو دون ريب رأي الإسلام ! .

• ومن هنا اتخذت الفتنة الحديثة طريقها الجريء إلى تقويض دعائم النظام الإسلامى في نطاق السياسة ، التي أصبحت منذ ذلك اليوم ألعوبة الطواغيت ، يعبثون عن طريقها في كيان المسلمين ، كما تشاء لهم أهواؤهم ، وكما يوحي إليهم سادتهم من شياطين الشرق والغرب ..

وخلال النصف الثانى من القرن الجارى بلغ انقضاض الطواغيت على حرمات الإسلام أشده ، وأسلم معظمُهم أزمته الى ألد أعداء الإسلام ، حتى لم يعودوا يتحرجون من إعلان انصرافهم عن دين الله ، باعتباره قد استنفد أغراضه ، ولم يعد صالحا لأي عطاء ... ولم يكتف هؤلاء بمظلة الإستبداد والاحتماء بسلاح الأعداء ، فسخروا لخدمة أفكارهم الضالة عددا غير قليل من حملة الأقلام ، الذين أتقنوا فن الكلام ، مع الجهل التام لحقائق الإسلام ، وتوزعوا مهماتهم ، ففريق يعلن الحرب على هذا الدين منكرا عليه كل خير ، وناسبا إليه كل شر ، وآخر يتزلف إلى جماهير المسلمين بارتداء مسوح الغيرة على الدين ، فيهيب بالحكام أن يبعدوا الإسلام عن جراثيم السياسة ، ويقصروه على مهمته الأساسية من تهذيب النفوس ، وتنمية الأخلاق الفاضلة ، وتطويع الجماهير لسلطان الحكام في كل أمر أو نهي يصدرونه ، حتى ولو كان من ذلك أمرهم برفع الحجاب ، والغاء الفوارق الطبيعية بين الجنسين ،

وتعطيل شريعة الله في الإرث ، ومصادرة الأوقاف المحبوسة لبيوت الله ، وحظرهم لتعدد الزوجات ، ولو أدى ذلك الحظر إلى تكديس العوانس وشيوع الفحشاء ، التى تصبح تحت سلطانهم عملا مباحا بحماية القانون ....

وقد نسي هؤلاء (الغُيُر) على كرامة الإسلام من لوثات السياسة أن في رأس مهام الحكومة الإسلامية تطهير السياسة من جراثيم الفساد والكذب والخداع ، وذلك برد الحكم إلى وضعه الصحيح حتى يكون أمير المسلمين خادما للأمة ، وحارسا لأمنها وعزتها ، وحتى يكون عماله بمثابة الآباء لمن هم تحت ولا يتهم من المسلمين ، يعلمونهم ويسددونهم إلى كل ما هو مصلحة لهم ـ كما أعلن ذلك ثاني الراشدين على ملأ من جماهير الحجيج ـ .

● ويشاء الله لبعض الطغاة ، وهم في أوج قوتهم ، أن يسلط عليهم بعض شركائهم فيخلعوهم ، ويلقوا بهم في غيابات السجون ، التي طالما شحنوها بالأبرياء ... فتكون فرصة لمراجعتهم ماضيهم ، فلا يلبثون أن ينقلبوا عليه ، إذ يجدون في خلوتهم القاهرة فسحةً للاتصال بكتاب ربهم يتلونه صباح مساء ، فيشهدوا من آثاره وأسراره ما يردهم إلى الكثير من الخير ، حتى إذا فرج الله كربهم فأفرج عنهم ، غادروا سجونهم بنظر جديد وتصور ما كان ليخطر على بالهم ، لولا هذه المحن المطهّرة ، واذا هم دعاة للإسلام ، رافضون لكل ما سواه من أنظمة . وفي عبد السلام عارف من قبل ، وفي ابن بلّا هذه الأيام ، خير مثال لهذه الحقيقة ، التى تجلت في الكثيرين من الممارسين لتلك التجربة . ولكن المؤسف أن ردَّ الفعل هذا لم يقدَّر بعد لخطباء الفتنة من أصحاب الأقلام التى سخرها الشيطان لخدمة الطواغيت ، ذلك لأنهم سرعان ما ينتقلون من موكب أحدهم إلى موكب خصمه ، فيستأنفون كفاحهم من جديد .. معتذرين عن ذبذبتهم بما يسميه أحدهم (عودة الوعي) ! . ومن يدرى فلعلهم لو جربوا محنة السجن لاستردوا في ظلماته وعيهم ، ولعادوا إلى النتيجة نفسها التى انتهى إليها سادتهم التائبون .. وعلى هذا لا ندري ما الذي يجب علينا بالنسبة لهؤلاء الذين وقفوا أقلامهم على خدمة أنواع الطواغيت ، سواء من الأفكار الهدامة ، أو من المتسلطين الهدامين .. أندعو لهم بخلوة طويلة في سجون الظالمين ، تفتح لهم السبيل إلى توبة نصوح تكفر عنهم سيئاتهم ، أم ندعو عليهم بدعوة نبي الله موسى ، (ربنا اطمس على أموالهم ، واشدد على قلوبهم ، فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم) على أنا بدافع من الشفقة عليهم نؤثر لهم الحسنى ، فنسأل الله لفهمي هويدى ، وعبد العظيم رمضان ، واحسان عبد القدوس ، وتوفيق الحكيم ، وأحمد بهاء الدين ، والباقورى ، وسائر إخوانهم ، من تلاميذ مدرسة على عبد الرازق ، أن يرزقهم المحنة التى تطهرهم وتزكيهم وتردهم الى ساحة النور ، حتى يتولوا إصلاح ما أفسدوه من فطرة الجيل ، الذى طالما أحسن بهم الظن ، فدفعوه إلى حافة الهاوية الموصلة إلى ذلة الدنيا والآخرة ..

● ونعود إلى زاوية الأستاذ أحمد بهاء الدين لنحاوره في بعض أفكاره ، التي فقدت طرافتها لكثرة الاستعمال حتى الا بتذال ٠

لقد برع هذا الكاتب حقا في تمرير مقلبه إلى القارىء البسيط بما قدم له وما خالط كلامه من معسول الألفاظ ، التي يريد بها اقناعه بأنه على غاية من الاحترام لكتاب الله ، ولصحابة رسول الله ، الذين لا يضن على (بعضهم) بالترضي عنه ، ومن ثم يعرض ما يريده من تشكيك لذلك القارىء البسيط في صلاحية القرآن لاقامة الحكم الصالح في بلاده ..

فالقرآن باعترافه نزل لكل زمان ومكان ، وتحكيمه في حياة الناس أمنية مفضلة لديه ، تستحق أن يعبر عنها بـ (ياليت) إلا أنه مع ذلك لا يرى سبيلا لتحقيق هذه الأمنية في واقع الناس ، لسبب واحد هو فقدان العالِم الثقة الذى يصلح لتفسير أحكامه على الوجه الصحيح ولعله يريد بالصحيح الذى يُرضي مدرسته ـ ٠

ثم يمضي الكاتب في سرد الأدلة المؤكدة لما يذهب إليه من هذا الرأى . وفي رأسها الخلاف الذي نشب بين كبار الصحابة إثر وفاة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وما أفرزه من مذاهب (سنةٍ وشيعة وأموية (١) وخوارج ومعتزلة إلى آخره) إلى أن يقول بأن هذا الخلاف هو الذى دعا أمير المؤمنين عليا ـ رضي الله عنه ـ إلى القول (بأن القرآن حمال أوجه) ويفسر الكاتب هذه العبارة بقوله (أى يمكن تفسيره ألف تفسير ...)

ثم يعقب على ذلك بسرد أسماء كبار المصلحين الاسلاميين من المتأخرين ، ليرينا أنهم جميعا قد عجزوا عن حل الخلاف .. ومن هنا يأخذ بالالتفاف حول الجماعات الاسلامية الذين يحملون راية الدعوة إلى تحكيم الشريعة ، فيتهمها بالتآمر في ليل لغرض تفسير للقرآن لا تملكه ..

● وقبل الدخول في تقويم هذه المزاعم أراني مضطرا للاعتذار عن تعرضي لمناقشتها ، لأن مضمونها لا يرتفع إلى مستوى العلم الذي يستوجب النقاش ، ومرد ذلك كونها مجموعة من ادعاآت لا يفوت تهافتُها نظرَ لبيب ، ولولا خشية المسئولية أمام الله عن السكوت على المنكر لما حركت قلما في تفنيدها والله ..

ثم هناك سبب آخر يشدني بقوة إلى هذا التعقيب ، ذلك أن ادعاآت هذا الكاتب ليست وقفا عليه ، ولكنها شنشنة يرددها تلاميذ المدرسة (العرزقية) المنبثين في أرجاء العالم الإسلامي ، وكأنهم ينطلقون عن مخطط مدروس غايته الخلفية تشكيك أشباه العامة في

---

(١) يلاحظ أن الرجل يعتبر (الأموية) مذهبا .. وهو رأي فات علماء التاريخ والتشريع ! ٠

صلاحية الإسلام للحكم ، كي يكونوا مستعدين لقبول كل دعوة ينعق بها المنحرفون ، ومن هنا كان تعقيبي هذا بمثابة الرد العام على مزاعم هذه المدرسة جميعا ٠

فلننظر الآن في مستندات الأستاذ أحمد بهاء الدين التى يعتبرها حججا لا تقبل الرد ، وأهمها هو ذلك الخلاف القديم الذي نشب بين الصحابة حول تفسير القرآن - بزعمه -

والحق انه لزعم فيه الكثير من الطرافة ، ولا مردود له سوى التوكيد على جهل مطبق في تاريخ ذلك الخلاف ، إذ المتفق عليه بين أهل العلم أن أول خلاف حدث بين الصحابة كان حول قضية الخلافة ، ومن أحق بها من الأنصار والمهاجرين ، وقد حل الخلاف برد الأمر إلى نظام الشورى ، الذى قرره القرآن الكريم ، وأوضحه التطبيق النبوي ، فما إن طرح الموضوع على الحوار حتى انتهى الجميع الى الرضى بحكم الله ورسوله ، وتمت البيعة للخليفة الأول دون أى خلاف ، ٠ فأين ما زعمه هذا الكاتب من قصر الخلاف على تباين الآراء حول تفسير القرآن ! ٠

● وعلى أساس ذلك التعليل المهزوز يعرض لكلمة أمير المؤمنين على - رضي الله عنه - (القرآن حمال أوجه) ليؤكد بمنطقه المقلوب أن هذا القول من أمير المؤمنين اعتراف قاطع بأن لا سبيل الى الإجماع على تفسير موحد للقرآن ، واذا كان هذا رأي ذلك الصحابي الجليل ، وهو مَن هو علماً وفقهاً وسعة آفاق وقربا من ظلال النبوة ، فلا أمل إذن بالاتفاق على وحدة الاتجاه في فهم كتاب الله ..

وأنا لا أستطيع القول بعجز الكاتب عن الاحاطة بمدلول هذه العبارة لو كلف نفسه النظر في موردها ، والظروف التى قارنتها ٠ والذي أذكر من ذلك أن عليا قد وجه هذه الكلمة إلى عبد الله بن عباس حين هم بإرساله لمحاورة الخارجين عليه ، فنبهه إلى أنهم قوم محدودو المدارك يشتبه عليهم مفهوم الآي ، فيدخلون في جدال لا محصول له ، وانما عليه أن يكيف أسلوبه معهم وفق مستواهم عملا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (حدثوا الناس بما يعرفون ، أتريدون أن يكذب الله ورسوله ...) (١) ٠

ومعلوم أن الشرارة الأولى في خروج هؤلاء على عَلِيّ كانت انكارهم قبوله التحكيم في موضوع الخلاف بينه وبين معاوية ، أخذا منهم بظاهر قوله تعالى (إن الحكم الا لله) ومن ثَم رفعوا شعارهم القائل (لا حكم الا لله) .. واعتبروا كل خارج عليه من الكافرين ٠ ومن أجل ذلك كان توجيه على لابن عمه أن يأخذهم بمنطق السنة المفصِلة لمجمل القرآن ، لعلمه أن

---

(١) رواه الديلمي عن على مرفوعا ٠ ويقول الألباني في (ضعيف الجامع الصغير) رقم ٢٧٠ ، هو في البخاري موقوفا ، والموقوف هو الصحيح ٠

حجتهم الوحيدة في رفض التحكيم هي تقيُّدهم بحرفية النص . وعجزهم عن الاحاطة بمضمونه الفقهي العام ..

ولكن الأستاذ أحمد بهاء الدين يأبى الوقوف من عبارة أمير المؤمنين عند حدود المناسبة الخاصة . فيحاول أن يجعلها شاملة لكل ما يتصل بتفسير القرآن . ولا محصول لذلك فى النهاية سوى تعطيل علوم التفسير . ومن ثم صرف المسلمين عن كتاب ربهم . الذى لا مندوحة لهم عن الرجوع إلى الراسخين في العلم ليتعلموا منهم ما تعذر عليهم فهمه من آياته ومفرداته .. عملا بأمر الله الذي يقول (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) ..

● وهكذا رأينا الكاتب يتخذ من عبارة على ـ رضى الله عنه ـ تُكَأَةً ينطلق منها إلى انكار صلاحية القرآن لحكم الشعوب الإسلامية . وكان عليه أن يسأل نفسه إذا كان ذلك كذلك فبأي نظام إذن كان على ومعاوية يحكمان شعوبهما ؟ .. وبأي الأنظمة كانت هذه الأمة تساس طوال هذه القرون .. ؟

ولقد علم كل ذي صلة بالتاريخ أن هذه الشريعة الآلهية استمرت تحكم العالم الإسلامي كل هذه الأحقاب . وفي العصر العباسي بسطت جناحيها على أربعمئة مليون من مختلف الأجناس والألسنة . فساستهم بأفضل ما عرف البشر من العدالة والأمن .. وأن كل ما تواجهه اليوم من عقبات في ديار الإسلام إنما وفد عليها من أعدائه . الذين عجزت أسلحتهم عن قهره في سوح المعارك . فعمدوا إلى تطويع جيل من أبنائه للقيام بهذه المهمة . بعد أن غسلوا قلوبهم وأدمغتهم من كل أثر له . فراح هؤلاء يرددون ما لقنهم شياطينهم من مفترياتهم عليه . وليس هجومهم على نظام الحكم في الإسلام هذه الأيام سوى واحدة من صور المعركة بينهم وبين هذا الدين الخالد .

وليت هؤلاء قد رُزقوا حظا من الانصاف . اذن لتذكروا جيدا أن الجيل الذى قاد ملاحم الفتح . فوصل ما بين الصين وأوروبة . تحت راية القرآن . إنما حقق ذلك بفضل التزامه منهجه الأعلى . حتى إذا انتهى الأمر بالأجيال التالية إلى التهاون بذلك المنهج غلبتهم الأهواء فتفرقوا شَذَر مَذَر . وفقدوا ما أورثهم السلف الصالح من الأوطان والأمان .. وكفى بهذه التجربة برهانا على أنه لا صلاح لآخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ..

● ثم ليس من عاقل يشك أن هؤلاء المتطوعين لتشكيك المسلمين في صلاحية شريعتهم الالهية . على امتداد العالم الإسلامي . يدركون قدرة هذا الدين على الصمود بوجه كل التيارات الهدامة على اختلاف صورها وألبستها . إلا أنهم مصممون على الاستمرار في طرح وساوسهم . أملا في أن تترك آثارها في نفوس البسطاء من عامة المسلمين . فهم دائبون على قرع

آذانهم بمكر الليل والنهار ، على الرغم من صدمات الإخفاق التى ما انفكوا يواجهونها في أوساط الشعوب الإسلامية ، التى لا تدع المطالبة بتطبيق شريعة الله كلما أتاح لها الطاغوت الحاكم فرصة التعبير عن إيمانها العريق · وقد تجلت هذه الحقيقة على أتمها في استفتاء ين أجراهما أنور السادات فكان محصولهما وقوف ٩٠ ٪ بجانب الشريعة . ولكن هذه النتيجة ما لبثت أن لفها الصمت المريب · لأن المتسلطين على المسلمين لا يريدون حكم الله · الذي لن يكون مساعدا لحماة الفساد على البقاء في قمة السلطان ··

والغريب الذي لا نجد له تعليلا هو جرأة أصحاب الأقلام المسمومة على قلب الحقائق والعبث بنتائج الأحداث ·· فهذا أحمد بهاء الدين يعترف بقداسة القرآن العظيم ويصرح بأنه (نزل لكل زمان ومكان) ويعتبر تحكيمه أمنية مفضلة لديه ·· بيد أنه في النهاية يقرر استحالة تطبيقه ، وإذن فلا مندوحة للمسلمين من الانصراف عنه إلى أي نظام آخر سواه ، ما دام المسلمون غير مؤهلين ـ بزعمه ـ للوصول إلى تفسير للقرآن يجمعون على قبوله ·· فهو بذلك كالطبيب الذى يريد علاج الصُّداع بقطع رأس المريض ، بدلا من البحث عن الدواء المناسب ·

وما إخال مثقفا من أهل الإسلام يجهل قول الله تعالى في كتابه العزيز (منه آيات محكمات هن أم الكتاب) ، فهذه المحكمات هي المحددة لمقاصد الشريعة على الوجه الذى لا تتباين فيه أفهام الثقات من أولى العلم على الدهر (وأُخرُ متشابهات) وهى التي يتخبط فيها مرضى القلوب ابتغاء الفتنة ، ويقف أمامها الراسخون موقف التسليم لحكمة الله ، التي لا ينفك الفكر البشري يكشف منها كل يوم جديدا يضاعف إيمانهم واطمئنانهم · وصدق الله العظيم القائل في كتابه الكريم « **قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لَنفِدَ البحرُ قبلَ أن تنفَدَ كلماتُ ربي ، ولو جئنا بمثله مددا** » (الكهف / ١٠٩) ·

ومن هذا المنطلق جاء اتساع مجال الرؤية فتباينت المدارك ، وتعددت التفاسير دون أي تعارض ، بل هو تباين الطاقة على مدى المكتشفات المجدِّدة للمعاني ، تحقيقا لوعد الله « **سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق** » (فصلت / ٥٣)

● وحسِب الكاتبُ أنه قد فرغ من تثبيت ما يريد ، فتحول إلى غايته المنشودة من الطعن في ظهور المعتقلين من رجال الإسلام ، جامعاً أصنافهم في قَرَنٍ واحد ، وهو يعلم في قرارة نفسه أن بينهم القوَم الذين أحرجَ فسادَ الحكام صدورهم ، فأخرجهم من نطاق الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ، إلى منطق الصراع الدموى ، وبينهم آخرون لم يفارقوا أسلوب القرآن الحكيم في إسداء النصح الخالص لأئمة المسلمين وعامتهم ، أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر ، وجدالاً بالتي هى أحسن ، وهو انما يفعل ذلك أخذا بخطة الإعلام اليهودي ، الذي لا يذكر هؤلاء

الاسلاميين إلا باسم المتطرفين ، والحنفاء والسلفيين ، وانما يريد بهذا الوصف تنفير الجماهير من دعوتهم ، على اعتبار أنها رجعة إلى الوراء ، ومنع للمسلمين من مواكبة الركب البشري في طريق التقدم ! ..

ولعل مروجي هذا التشويه نفسهم لا يجهلون أن الإسلام في مفهوم هؤلاء الهداة المحتجزين ليس هو إسلاما أميركيا ولا ماركسيا ولا إشتراكيا ولا صهيونيا ولا شرقيا ولا غربيا ، ولكنه الإسلام الذي أنزله الله على قلب عبده محمد . قد عاهدوا الله على التزامه كله فلا مساومة على بعضه ، ولا نفاق فيه لحاكم . وأكبر نعم ربهم عليهم أن جعلهم حنفاء مائلين - عن كل شبهة من الشرك ، لا يفارقون في كل تصرفاتهم منهج الصدر الأول من السلف الذين سبقوهم بالايمان .. فلئن حقق الله بهم نصر ملته واعلاء كلمته فهي سعادتهم التى اليها يتطلعون ، وإذا قدر لهم الشهادة في سجون الظالمين ، وتحت سياط الجلادين ، فالى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ..

ولأعداء الله وأعوانهم جهنم ، وبئس مثوى المتكبرين ..

الإسلام في إفريقيا

إن الإسلام ينتشر في إفريقيا بسرعة لا يتأتى عليها الوصف ، وإننا لنرى الإسلام أوفق ما يكون لتهذيب الأمم المتخلفة وترقيتها ، أما الديانة النصرانية فلا تنالها عقولهم وبذا قد نفع الإسلام المدنية أكثر مما نفعتها النصرانية .

إن الإسلام يمتد في إفريقيا وتسير الفضائل معه حيث سار فالكرم والعفاف والنجدة من آثاره ، والشجاعة والاقدام من أنصاره . ومع الأسف إن السكر والفحش والقمار تنتشر بين السكان بانتشار دعوة المبشرين !

« إسحاق طيلر »

إحياء التراث الإسلامي

كتاب في

رؤية الله تبارك وتعالى

تأليف : أبي محمد عبد الرحمن بن عمر بن محمد المعروف بابن النحاس
٣٢٣-٤١٦هـ
-٢-

تحقيق وتخريج
الشيخ محفوظ الرحمن بن زين الله السلفي
المعيد في كلية الحديث بالجامعة

٦ ـ أنا أبو الفضل يحيى بن الربيع بن محمد بن الربيع العبدى نا بكر بن سهل الدمياطى (١) نا عبد الله بن صالح (٢) نا إبراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن عطاء بن يزيد الليثى ، عن أبى هريرة أنه قال ، قال الناس ، يا رسول الله أنرى ربنا عز وجل يوم القيامة ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

« هل تضارون (٣) في الشمس (٢٥١ /٢) ليس دونها سحاب ، هل تضارون في القمر ليلة البدر ؟ قالوا ، لا ، قال ، فكذلك ترونه ، يجمع الله الناس يوم القيامة ، فيقول ، من كان يعبد شيئا فليتبعه ، فيتبع من يعبد الشمس الشمس ، ويتبع من يعبد القمر القمر ويتبع من يعبد الطواغيت الطواغيت ، وتبقى هذه (٤) الأمة فيها شافعوها أو منافقوها فيأتيهم جل وعز في صورة غير صورته التى يعرفونه فيقول ، أنا ربكم ، فيقولون ، نعوذ بالله منك ، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فإذا جاء ربنا عرفناه ، فيأتيهم الله جل وعز في الصورة التى يعرفونه فيقول ، أنا ربكم ، فيقولون ، أنت ربنا فيتبعونه ، فيضرب الصراط بين ظهرانى جهنم ،

---

(١) بكر بن سهل الدمياطى ، أبو محمد ، قال النسائى : ضعيف ، وقال الذهبى : مقارب الحال مات سنة تسع وثمانين ومائتين · الميزان : ٣٤٥/١ ـ ٣٤٦ ، اللسان : ٥١/٢ـ٥٢ ·

(٢) عبد الله بن صالح بن محمد بن مسلم الجهنى ، أبو صالح المصرى كاتب الليث ، صدوق كثير الغلط ، ثبت في كتابه ، وكانت فيه غفلة ، مات سنة اثنتين وعشرين ومائتين · التقريب : ٤٢٣/١ ·

(٣) تُضارّون : بضم أوله بالضاد المعجمة وتشديد الراء ، بصيغة المفاعلة من الضرر أى لاتضرون أحدا ولا يضركم بمنازعة ولا مجادلة ومضايقة ، وجاء بتخفيف الراء من الضير وهو لغة في الضر أى لا يخالف بعض بعضا فيكذبه وينازعه فيضيره بذلك ·

وقيل : المعنى لا تضايقون أى لا تزاحمون · فتح البارى : ٤٤٦/١١ ·

(٤) في المخطوطة : هذا والتصويب من صحيح البخارى ٤٤٥/١١ (مع الفتح) ·

فأكون أنا وأمتى أول من يجيز (١) ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ، ودعوة الرسل يومئذ اللهم سلّم سلّم ، وفي جهنم كلاليب (٢) كشوك السعدان (٣) ، هل رأيتم شوك السعدان ؟ قالوا : نعم يارسول الله قال : فإنه مثل شوك السعدان غير أنه لا يدرى ما قدر عظمها إلا الله عز وجل ، فيتخطف الناس بأعمالهم ، فمنهم الموبق بعمله ومنهم المخردل (٤) أو كلمة تشبهها ، ثم يتجلى تبارك وتعالى فإذا أراد الله عز وجل أن يخرج من النار من كان لا يشرك بالله شيئا ممن يقول : لا إله إلا الله ممن أراد الله أن يرحمه ثم يعرفونهم في النار بأثر السجود ، تأكل النار ابن آدم الا أثر السجود حرّم الله على النار أن تأكل أثر السجود ، فيخرجونهم من النار قد احرقوا ، فيصب عليهم ماء الحياة (٢٥٢ / ١) فينبتون كما تنبت الحبّة (٥) في حَمِيل السيل (٦) ويبقى رجــل مستقبل بوجهه إلى النــار ، يقول : أى رب اصرف وجهى عنها

قد قَشَبنى (٧) ريحها وأحرقنى ذكاؤها (٨) فيدعو بما شاء الله أن يدعو ، فيقول : هل عسيت إن أعطيت ذلك أن تسأل غيره ؟ فيقول : لا وعزتك ، فيعطى ما شاء من عهود ومواثيق ، فيصرف الله وجهه عن النار ، فيسكت ما شاء الله ثم يقول : أى رب قدمنى الى باب الجنة ، فيقول الله : قد أعطيت عهودك ومواثيقك لاتسأل غير ما أوتيته ، ويلك يا ابن آدم ما أغدرك فلا يزال يدعو حتى يقول : هل عسيت إن اعطيت أن تسأل غيره ؟ فيقول : لا وعزتك لا أسأل غيرها ، فيعطى ربه عهودا ومواثيق ما شاء الله فيدنيه إلى باب الجنة فإذا قام على باب الجنة انفهقت (٩) له الجنة ، فرأى ما فيها من الحبرة (١٠) والسرور فيسكت ما شاء الله أن يسكت ثم يقول : أى رب أدخلنى الجنة ، فيقول : ويلك ابن آدم ما أغدرك ألم تعط عهودك ومواثيقك أن لاتسألنى غير ما أعطيت ؟ فيقول : أى رب لاأكون أشقى خلقك ، فلا يزال

---

(١) أى أكون أنا وأمتى أول من يمضي على الصراط ويقطعه · فتح البارى ٤٥٢/١١ ·

(٢) جمع كلّوب وهى حديدة ينشال بها اللحم · تاج العروس : مادة كلب : ٤٦١/٨ ·

(٣) السعدان : بالسين والعين المهملتين وهى جمع سعدانة وهو نبات ذو شوك ، فتح البارى : ٤٥٣/١١ ·

(٤) المخردل بالخاء المعجمة والدال المهملة وهو المرمى المصروع ، وقيل : المقطّع تقطّعه كلاليب الصراط حتى يهوى في النار ، يقال : خردلت اللحم ـ بالدال والذال ـ أى فضّلت أعضاءه وقطّعته · النهاية : ٢٠/٢ ·

(٥) الحِبّة ، بكسر المهملة وتشديد الموحدة بذور الصحراء ، والجمع حبب بكسر المهملة وفتح الموحدة فتح البارى : ٤٥٨/١١ ·

(٦) حَميل : بالحاء المهملة المفتوحة والميم المكسورة أى ما يحمله السيل ، والمراد أن الغثاء الذى يجىء به السيل يكون فيه الحبة فيقع جانب الوادى فتصبح من يومها نابتة ففيه إشارة إلى سرعة نباتهم · المصدر السابق ·

(٧) قشبنى : بقاف وشين معجمة مفتوحتين مخففا وحكي التشديد ثم موحدة ، أصل القشب : خلط السم بالطعام ، يقال : قشبه اذا سمه ، ثم استعمل فيما اذ بلغ الدخان والرائحة الطيبة منه غايته ، وقال النووى : معنى قشبنى : سمنى وآذانى وأهلكنى ··
شرح مسلم للنووى : ٢٣/٣ فتح البارى : ٤٥٩/١١ ·

(٨) يروى بالمد والقصر والمراد : كثرة لهبها وشدة اشتعالها ووهجها · راجع فتح البارى : ٤٥٩/١١ ـ ٤٦٠ ·

(٩) من الفهق وهو : الامتلاء والاتساع أى انفتحت واتسعت له ·

(١٠) الحبرة بالفتح : النعمة وسعة العيش وكذلك الحبور النهاية ، ١/ ٣٢٧ ، ٣ / ٤٨٢ ·

يدعو الله حتى يضحك الله منه (فاذا ضحك منه) (١) قال له : ادخل الجنة فإذا أدخله الجنة قال الله له : تمنّ ، فيتمنّى حتى أن الله عز وجل ليذكّره فيقول : بكذا وكذا ، فإذا انقطعت له الآمانى قال الله : ذلك لك ومثله معه ·

قال عطاء بن يزيد : وأبو سعيد مع أبى هريرة يحدث هذا الحديث لا يرد عليه شيئا من حديثه حتى إذا قال : ذلك لك (٢/٣٥٢) ومثله معه ، قال أبو سعيد : أشهد لحفظته من رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذلك لك وعشرة أمثاله معه ·

قال أبو هريرة : وذلك آخر أهل الجنة دخولا الجنة (٢) ؛

٧ ـ أنا أحمد أنا أبو الحسن على بن أحمد بن على الأنصارى الحربى (٣) نا ابو حفص عمر بن إسماعيل بن أبى غيلان الثقفى (٤) نا عثمان بن أبى شيبة أبو الحسن (٥) نا جعفر بن عون العمرى نا هشام بن سعد ، حدثنى زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد قال : قلت : يارسول الله هل نرى ربنا عز وجل يوم القيامة ؟ قال :

« هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة صحوا ليست بسحابة ؟ قال : قلنا : لا يارسول الله ، قال : هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليست بسحابة ؟ قلنا : لا يارسول الله ، قال : لاتضارون في رؤيته يوم القيامة الا كما تضارون في رؤية أحدهما (٦) ·

٨ ـ أنا على بن أحمد الحربى ناعمى (٧) نا عثمان نا عبد الله بن ادريس عن

---

(١) الزيادة من الجامع الصحيح للبخارى ٤٢٠/٨١ (مع الفتح) ·

(٢) لم أجد من اخرجه بهذا السند وفي سند المؤلف : بكر بن سهل وعبد الله بن صالح كاتب الليث وفيهما ضعف كما تقدم آنفا ولكن الحديث متفق عليه فأخرجه الامام البخارى في جامعه الصحيح في كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : (وجُوهَ يَومئِذٍ نَاضِرة إلى رَبِّها نَاظِرةٌ) عن عبد العزيز بن عبد الله ثنا ابراهيم بن سعد · ٤١٩/٨٣ ـ ٤٢٠ (ح٧٤٣٧) وأيضا في كتاب الرقاق ، باب الصراط جسر جهنم ، عن أبى اليمان أنا شعيب عن الزهرى · ٤٤٤/٨١ ـ ٤٤٦ (ح ٦٥٧١) ·

وأيضا في كتاب الأذان ، باب فضل السجود ، من طريق شعيب · ٢٩١/٢ ـ ٢٩٢ (ح ٨٠٦) ·

والإمام مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باب معرفة طريق الرؤية بسنده الى إبراهيم · ١٦٣/٨ ـ ١٦٥ (ح ٢٩٩) ·

(٣) على بن احمد بن على بن الحسن بن عيسى ، ابو الحسن الأنصارى الخزرجى ، ولد بالحربية في سنة ثمانين ومائتين وتوفي بمصر سنة خمس وخمسين وثلاثمائة ، قال الخطيب : ما علمت من أمره الا خيرا · تاريخ بغداد : ٣٢٣/٨١ ـ ٣٢٤ ·

(٤) عمر بن اسماعيل بن سلمة ، المعروف بابن أبى غيلان الثقفى ، كان ثقة ، مات سنة تسع وثلاثمائة المصدر السابق : ٢٢٤/٨١ ·

(٥) عثمان بن محمد بن ابراهيم بن عثمان العبسى ، ابو الحسن ، ابن ابى شيبة ، الكوفى ثقة حافظ شهير ، وله أوهام ، مات سنة تسع وثلاثين ومائتين · التقريب : ١٣/٢ ـ ١٤ ·

(٦) لم أجد من اخرجه بهذا السند ولكن الحديث متفق عليه فقد أخرجه البخارى في جامعه الصحيح في كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة) الآية بسنده إلى زيد بن اسلم في حديث طويل · ٤٢٠/٨٣ ـ ٤٢٢ (ح ٧٤٣٧) ومسلم في صحيحه في كتاب الايمان ، باب معرفة طريق الرؤية عن ابى بكر بن أبى شيبة · ١٧١/٨ (ح ٣٠٣) ·

(٧) لم أعثر عليه ·

الأعمش (١) عن أبى صالح (٢) · عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه ·(٣) ·

٩ ـ أنا ابو العباس ، محمد بن ملاق بن نصر بن سلام العثمانى نا يوسف بن يزيد القراطيسى ، نا أسد بن موسى نا قيس بن الربيع (٤) عن أبان (٥) عن ابى تميمة الهُجيمى (٦) أنه سمع أبا موسى يحدث أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول :

« يُبْعَثُ يوم القيامة منادٍ ينادى أهل الجنة بصوت يسمع أولهم وآخرهم إن الله عز وجل وعدكم الحسنى وزيادة ، والحسنى : الجنة ، والزيادة : النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى (٧) ·

١٠ ـ أنا ابو محمد عبد الله بن جعفر بن محمد بن الورد نا احمد (١/٢٥٣) بن

---

(١) هو : سليمان بن مهران ·

(٢) هو السمان واسمه ذكوان ·

(٣) ذكره الترمذى في سننه في باب ما جاء في رؤية الرب تبارك وتعالى ، بعد ذكر رواية الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة ، وقال : وحديث ابن ادريس عن الأعمش غير محفوظ ، وحديث أبى صالح عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أصح ، ثم قال : وقد روى عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم من غير وجه مثل هذا الحديث وهو حديث صحيح أيضا · ٣٣٤/٣ ·

وأخرجه ابن ماجه في سننه في المقدمة في باب فيما انكرت الجهمية ، بسنده الى عبد الله بن إدريس · ٦٣/١ ـ ٦٤ (ح ١٧٩) ·

وإسحاق بن راهويه في مسنده في مسند عائشة عن عبد الله بن ادريس · ٢ـ١/١٧٤/٤ · وعبد الحميد بن حميد في مسنده في مسند أبى سعيد عن ابن إدريس المنتخب من مسنده : ٢/١٢١ ـ ١/١٢٢ ·

وابن ابى عاصم في كتاب السنة ، بسنده إلى ابن ادريس · ١٩٦/١ ·

وأبو يعلى الموصلى في مسنده في مسند أبى سعيد عن أبى بكر وابن نمير قالا : ثنا ابن ادريس ١١٨/١ ·

وابن خزيمة في كتاب التوحيد عن يعقوب بن إبراهيم ثنا عبد الله بن إدريس ١٦٩ ·

والآجرى في التصديق بالنظر إلى الله تعالى بسنده إلى ابن ادريس · ٢/٩١ ·

والدارقطنى في كتاب الرؤية بسنده إلى ابن أبى شيبة ، وذكر الاختلاف على الأعمش ، فإن عبد الله بن إدريس يروى عنه فيقول : عن أبى سعيد والآخرون يقولون : عن أبى هريرة · ٢/١٦/١ـ١٨٧/١ ، ١٨٩/١ ·

لم ينفرد عبد الله بن إدريس عن الأعمش في ذكر أبى سعيد بل تابعه أبو بكر بن عيّاش كما أخرجه الإمام أحمد في مسنده في مسند أبى سعيد الخدرى ١٦/٣ ·

فيجوز أن الأعمش يروى أحيانا عن أبى هريرة وأحيانا عن أبى سعيد ، فلا شك أن الحديث صحيح ·

(٤) قيس بن الربيع الأسدى ، أبو محمد الكوفى ، صدوق ، تغيّر لما كبر ، أدخل عليه ابنه ماليس من حديثه فحدث به ، مات سنة بضع وستين ومائة · التقريب : ١٢٨/٢ ·

(٥) ابان بن عيّاش فيروز البصرى ، أبو اسماعيل العبدى ، متروك ، مات في حدود الأربعين ومائة · التقريب : ٣١/١ ·

(٦) هو : طريف بن مجالد الهجيمى ـ بجيم مصغرا ـ · التقريب : ٤٠٣/٢ ·

(٧) أخرجه اللالكائى في شرح السنن بسنده الى يوسف بن يزيد · ١٨٠/٣ ·

وابن جرير الطبرى في تفسيره في تفسير آية (لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ) بسنده إلى أبان ١٠٥/١١ ·

والدارقطنى في الرؤية بسنده إلى أبان بن أبى عيّاش ١/٤٨/١ ـ ٢ ·

هذا الحديث بهذا السند ضعيف جدا لأن أبان متروك ·

شعيب (١) انا عمرو بن يزيد البصرى (٢) نا سيف (٣) بن عبيد الله قال : وكان ثقة عن سلمة بن عيّار (٤) عن سعيد بن عبد العزيز عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال : قلنا : يارسول الله هل نرى ربنا ؟ قال :

« هل ترون الشمس في يوم لاغيم فيه ؟ وترون القمر في ليلة لاغيم فيها ؟ قلنا : نعم يارسول الله قال : فإنكم سترون ربكم عز وجل حتى ان أحدكم ليحاصر ربه محاصرة يقول : عبدى هل تعرف ذنب كذا وكذا ؟ فيقول : رب ألم تغفر لى ؟ فيقول : بمغفرتى صرت إلى هذا (٥) .

١١ ـ أنا ابو مروان عبد الملك بن فخر بن شاذان المكى املاء في صفر من سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة نا عبد الله بن أحمد بن أبى مسرة (٦) نا يعقوب بن محمد الزهرى (٧) نا عبد الرحمن بن المغيرة بن عبد الرحمن نا عبد الرحمن بن عيّاش الأنصارى ثم السمعى (٨) عن دلهم بن الأسود بن عبد الله بن حاجب (٩) (عن أبيه) (١٠) عن عمه لقيط ابن عامر أنه خرج وافدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه نهيك بن عاصم بن مالك

---

(١) هو الإمام النسائى .

(٢) في المخطوطة : المصرى والتصويب من الجرح والتعديل ٢٧٠/٨/٣ والتهذيب : ١٢٠/٨ .

(٣) في المخطوطة : سلمة وهو خطأ .

وهو : سيف بن عبيد الله الجرمى ـ بفتح الجيم ـ أبو الحسن السراج البصرى . صدوق ربما خالف ، من التاسعة (مات بعد المائتين) التقريب ٣٤٤/١ .

(٤) عيّار : بفتح العين والياء المشددة . واسم أبيه أحمد . الخلاصة : ١٤٨ .

(٥) أخرجه الدارقطنى في الرؤية . وقال : هذا حديث غريب من حديث سعيد بن عبد العزيز عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة رضي الله عنه . وهو مما تفرد به أبو عبد الرحمن بهذا الاسناد . وهو حديث صحيح من حديث الزهرى عن سعيد بن المسيب . لأن شعيب بن أبى حمزة وعقيل بن خالد وعبيد الله بن أبى زياد الوصافى ـ وهم من الثقات ـ رووه عن الزهرى عن سعيد بن المسيب وعطاء بن يزيد الليثى جميعا عن أبى هريرة رضى الله عنه . فصح القولان جميعا عن أبى هريرة . ٣٤/١ ـ ٣٥/١ .

وابن ابى عاصم في السنة من طريق شعيب عن الزهرى مختصرا ١٩٨/١ .

(٦) عبد الله بن أحمد بن زكريا بن الحارث المكى . أبو يحيى بن أبى مسرة . قال ابن أبى حاتم : كتبت عنه بمكة ومحله الصدق . الجرح والتعديل : ٦/٢/٢ .

(٧) يعقوب بن محمد بن عيسى بن عبد الملك بن حميد الزهرى المدنى . نزيل بغداد . صدوق . كثير الوهم والرواية عن الضعفاء . مات سنة ثلاث عشرة ومائتين . التقريب ٣٧٧/٢ .

(٨) عبد الرحمن بن عياش ـ بتحتانية ومعجمة ـ ويقال : بموحدة ومهملة ـ السمعى ـ بفتح المهملة والميم بعدها مهملة ـ المدنى القبائى ـ بضم القاف بعدها موحدة ـ مقبول . من السابعة . التقريب : ٤٩٤/١ .

(٩) دلهم ـ بسكون اللام وفتح الهاء ـ ابن الأسود بن عبد الله بن حاجب العقيلى ـ بضم العين ـ حجازى . مقبول من السابعة . المصدر السابق : ٢٣٦/١ .

(١٠) الزيادة من مسند أحمد ١٣/٤ وكتاب التوحيد لابن خزيمة : ١٨٦ .

وهو الأسود بن عبد الله بن حاجب بن عامر المنتفق ـ بضم الميم بعدها نون ساكنة ثم مثناة مفتوحة ثم فاء مكسورة بعدها قاف . مقبول من السادسة . التقريب : ٧٦/١ .

ابن المنتفق قال ، فقدمنا المدينة لانسلاخ رجب ، قال ، فصلينا معه صلاة الغداة فقام النبى صلى الله عليه وسلم خطيبا فقال ، ياأيها الناس انى قد خبأت لكم صوتى منذ أربعة أيام الا لأسمعكم اليوم ، وذكر الحديث بطوله - وقال فيه ، قلت ، يارسول الله كيف يجمعنا بعد ما تمزقنا الرياح والسباع والبلاء (١) قال ، أنبئك بمثل ذلك في آلاء الله ، الأرض اشرفت عليها وهى في مدرة بالية فقلت ، لاتحيا أبدا ثم أرسل الله عليها السماء فلم تلبث عليك إلا اياما حتى (٢) أشرفت عليها فإذا هى شربة (٣) واحدة ، ولعمر الهك لهو أقدر على (٢/٢٥٣) أن يجمعكم من الماء على أن يجمع نبات الأرض فتخرجون من الأصواء (٤) ومن مصارعكم ، فتنظرون إليه ساعة وينظر اليكم قال ، قلت يارسول الله كيف وهو شخص واحد ونحن ملء الأرض ننظر اليه وهو ينظر الينا ؟ قال ، انبئك بمثل ذلك في آلاء الله ، الشمس والقمر ، انهما صغيران (٥) وترونهما في ساعه واحدة وتريانكم ولاتضامون في رؤيتهما ولعمر إلهك لهو على أن يراكم وترونه أقدر منها على أن يريانكم وتروهما ، وذكره بطوله (٦) ٠

١٢ - نـا ابو القاسم سليمان بن داؤد بن سليمان البزار العسكرى (٧) املاء في مسجده بالعسكر سنة ثمان (وثلاثين) (٨) وثلاثمائة ، نـا ابو يزيد يعنى القراطيسى نـا أسد بن

---

(١) قال ابن القيم ، واقرار رسول الله صلى الله عليه وسلم له على هذا السؤال رد على من زعم أن القوم لم يكونوا يخوضون في دقائق المسائل ولم يكونوا يفهمون حقائق الإيمان ، بل كانوا مشغولين بالعلميات وأن أفراخ الصابئة والمجوس من الجهمية والمعتزلة والقدرية أعرف منهم بالعلميات ٠ زاد المعاد ، ٣ ، ٦٧ ٠

(٢) الزيادة من مسند أحمد ١٣/٤ والتوحيد لابن خزيمة ، ١٨٧ ٠

(٣) شربة بفتح الراء الحوض الذى يجتمع فيه الماء ، وبالسكون ، الحنطة ، يريد أن الماء قد كثر فمن حيث شئت تشرب ، وعلى رواية السكون ، يكون قد شبه الأرض بخضرتها بالنبات بخضرة الحنطة واستوائها ٠ زاد المعاد ٦٦/٣ ٠

(٤) الأصواء ، القبور وأصلها من الصوى ، الاعلام فشبه القبور بها ٠ النهاية ٦٢/٣ ٠

(٥) في مسند أحمد وغيره ، آية صغيرة منه ٠

(٦) أخرجه ابن خزيمة في كتاب التوحيد في باب ذكر البيان أن رؤية الله التى يختص بها أولياؤه يوم القيامة الخ عن محمد بن منصور ثنا يعقوب ثم ساق السند والمتن طويلا ٠ ١٨٦ - ١٩٠ وأحمد في مسنده عن عبد الرحمن بن المغيرة ٠ ١٣/٤ - ١٤ ٠

وابن أحمد في كتاب السنة بسنده إلى عبد الرحمن ، ١٥٥ - ١٥٨ ٠

وابن ابى عاصم في كتاب السنة ٢٨٦/٨ - ٢٨٩ ٠

وأيضا مختصرا ٢٣١/٨ وفيه ، عن جده بدل عن أبيه ٠

اسناده ضعيف فان فيه يعقوب وعبد الرحمن بن عياش ودلهم والاسود وقد تقدمت تراجمهم آنفا ، والله أعلم ٠

(٧) من عسكر مصر وكان ثقة ، توفي سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة ٠ الأنساب ٣٩٠/٢ ٠

(٨) الزيادة لا بد منها لأن المؤلف ولد سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة ٠ والله أعلم ٠

موسى نـا يعقوب بن ا براهيم (١) انا صالح بن حيان (٢) عن عبد الله بن بريدة عن أنس ا بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« اتانى جبريل بمثل المراءة فقلت : ما هذه ؟ فقال : الجمعة ، أرسلنى الله عز وجل بها إليك وهو عندنا سيد الأيام وهو عندنا يوم المزيد ، ان ربك عز وجل اتخذ في الجنة واد يا أفيح من مسك أبيض ، فإذا كان يوم الجمعة نزل عن كرسيه ونزل معه النبيون والصديقون والشهداء ثم حفت بالكرسى منابر من ذهب مكللة بالزبرجد واللؤلؤ والياقوت ، فجلس عليها النبيون والصديقون والشهداء ، ونزل أهل الغرف على كثيب (٣) من المسك الأبيض فيتجلى لهم ربهم تبارك وتعالى فينظرون إلى وجهه تبارك وتعالى ، قال : ألست الذى صدقتكم وعدى ؟ قالوا : بلى ربنا ، قال : ألست الذى اتممت (١/٢٥٤) عليكم نعمتى ؟ قالوا : بلى ربنا ، قال : هذا محل وعدى فاسألونى ، قالوا : نسألك الرضى ، قال : رضاى أحلكم دارى واشهدكم على الرضى عنكم فاشهدهم على الرضى عنهم فاسألونى فسألوا حتى انتهت رغبتهم فأعطاهم مالم يخطر على قلب بشر ولم تره عين ثم ارتفع على كرسيه جل وعز وارتفع أهل الغرف إلى غرفهم في خيمة بيضاء من لؤلوة لافصم فيها ولا نظام ، أو في خيمة من ياقوتة حمراء أو في خيمة من زبرجدة خضراء فيها أبوابها ومنها غرفها مطرد فيها أنهارها مذلل فيها ثمارها ، فيها خدمها وأزواجها فليسوا إلى شيء أشد شوقا وأشد تطلعا منهم إلى يوم القيامة لينزل إليهم ربهم عز وجل ليزدادوا إليه نظرا ، وعليه كرامة فلذلك يدعى يوم الجمعة يوم المزيد (٤) .

١٣ ـ أنا أبو العباس محمد بن ملاق بن نصر بن سلام العثمانى ، نـا يوسف بن يزيد نـا أسد بن موسى نـا محمد بن خازم عن عبد الملك بن ا بجر (٥) عن ثوير بن ا بى

---

(١) يعقوب بن إبراهيم ا بو يوسف القاضى صاحب الإمام أبى حنيفة ، قال البخارى : تركوه ، وقال الفلاس : صدوق كثير الخطأ ، وقال أبو حاتم : يكتب حديثه وقال النسائى : ثقة وذكره ا بن حبان في الثقات ، وقال ا بن عدى : ليس في أصحاب الرأى أكثر حديثا منه إلا أنه يروى عن الضعفاء مثل الحسن بن عمارة وغيره وكثيرا ما يخالف أصحابه ويتبع الأثر وإذا روى عنه ثقة وروى هو عن ثقة فلا بأس به ، توفي سنة اثنتين وثمانين ومائة .

الجرح والتعديل ٢٠١/٢/٤ ـ ٢٠٢ ، الكامل ١٦٤/٣/٣ ، تاريخ بغداد : ٢٤٢/١٤ ـ ٢٦٢ ، الميزان : ٤٤٧/٤ ـ ٤٤٨ ، اللسان : ٣٠٠/٦ ـ ٣٠١ .

(٢) صالح بن حيّان القرشى الكوفى ضعيف من السادسة . التقريب : ٣٥٨/١ .

(٣) على الحاشية : كثب .

(٤) لم أجد من أخرجه بهذا السند والمتن .

وأخرجه ا بن عدى في الكامل في ترجمة صالح بن حيان مختصرا وقال : عامة ما يرويه غير محفوظ . ١٧٦/١/٢ .

وذكره الذهبى في العلو للعلى الغفار وقال : صالح ضعيف تفرد به عنه القاضى ا بو يوسف .

الحديث ضعيف بهذا السند ولكن ورد في هذا المعنى بأسانيد أخرى عن انس بن مالك فأخرجه الطبرانى في الأوسط باسناد جيد راجع مجمع البحرين : ٨١ ،٤٧٦ والدارقطنى في كتاب الرؤية ٥٣/١ ـ ٦٥/٢ .

فالمتن حسن وقد أطال فيه الكلام الشيخ عبد القدوس في رسالته التى قدمها لنيل درجة ماجستير عنوانها : أحاديث الجمعة .

(٥) عبد الملك بن سعيد بن حيان بن ا بجر ـ بالموحدة وجيم ـ ثقة من السادسة (مات بعد المائة) . التقريب : ٥١٩/١ .

فاختة (١) عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إن ادنى أهل الجنة منزلة لرجل ينظر في ملكه الفى سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه ، ينظر في أزواجه وسرره وخدمه ، وإن أفضلهم منزلة لمن ينظر في وجه الله جل وعز كل يوم مرتين (٢) ·

١٤ ـ نا ابو عمرو عثمان بن شعبان القرظى الياسرى (٣) من ولد عمار بن ياسر ، سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة ، نا احمد بن حيان الرقى ـ نسبة إلى ابى جده وهو : احمد بن يحيى بن خالد بن حيان ـ نا ابراهيم بن خرّزاذ (٤) (٢/٢٥٤) وهو اخو عثمان بن خرّزاذ نا سعيد بن هشيم (٥) عن أبيه عن كوثر (٦) عن نافع عن عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« يوم القيامة أول يوم نظرت فيه عين إلى الله عز وجل » (٧) ·

١٥ ـ أنا احمد نا ابو الحسن على بن احمد بن على الحربى نا عمر بن اسماعيل بن ابى غيلان نا عثمان بن ابى شيبة نا جرير بن عبد الحميد وحماد بن أسامة قالا : نا إسماعيل بن ابى خالد عن قيس عن جرير البجلى قال : كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة اربع عشرة فقال : « إنكم سترون ربكم كما ترون هذا لاتضامون في رؤيته . فإن استطعتم أن لاتغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها

---

(١) ثوير ـ مصغرا ـ ابن أبى فاختة ـ بمعجمة مكسورة ، ومثناة مفتوحة ـ سعيد بن علاقة ـ بكسر المهملة ـ الكوفى . أبو الجهم . ضعيف ، رمي بالرفض ، من الرابعة (مات بعد المائة) المصدر السابق : ١٢١/٨ ·

(٢) أخرجه الدارقطنى في كتاب الرؤية بسنده إلى محمد بن خازم : ٢/٨١٣/٢ ·
واللالكائى في شرح السنن بسنده إلى محمد بن خازم ٢/٨٠٩ ـ ١/٨١٠ ·
وعبد بن حميد في مسنده في مسند ابن عمر بسنده إلى ثوير · المنتخب من مسنده : ١/٨٠٨ ·
وابن جرير الطبرى في تفسيره في تفسير آية (وجوه يومئذ ناضرة) الآية . بسنده إلى ثوير · ١٩٣/٢٩ ·
هذا الحديث بهذا السند ضعيف لأن مداره على ثوير وهو ضعيف كما تقدم آنفا ·

(٣) عثمان بن شعبان أبو عمرو القرظى الياسرى ـ بفتح الياء وكسر السين المهملة وفي آخرها الراء ـ من أهل مصر حدث عن عثمان ابن معاوية ومحمد بن جعفر الإمام ، روى عنه أبو محمد عبد الرحمن البزار ـ الأنساب : ١/٥٩٦ ·

(٤) هو : إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن خرزاذ ـ بضم المعجمة وتشديد الراء بعدها زاى ـ أخو عثمان التقريب ترجمة عثمان ١١/٢ ·

(٥) سعيد بن هشيم ، ذكره ابن أبى حاتم في الجرح والتعديل وسكت : ٧١/٨/٢ ·

(٦) كوثر بن حكيم ، قال أحمد : متروك الحديث ، وقال أبو حاتم : ضعيف الحديث ، وقال البخارى : منكر الحديث وذكره في « ما بين عشر الى ستين ومائة » ·
التاريخ الكبير : ٢٤٥/٨/٤ ، التاريخ الصغير : ١٨١ ، الجرح والتعديل : ١٧٦/٢/٣ ·

(٧) أخرجه الدارقطنى في كتاب الرؤية ١/٨١٤/٢ ·
الحديث ضعيف جدا لأن مداره على كوثر وهو متروك الحديث ·

فافعلوا ، ثم قرأ هذه الآية (١) (فَسَبِّح بَحَمدِ رَبكَ قَبْلَ طُلوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُروبِها) (طه : آية ١٣٠) .

١٦ ـ أنا احمد نا على بن احمد الحربى نا عمر بن إسماعيل نا عثمان نا وكيع نا إسماعيل بن ابى خالد عن قيس بن ابى حازم عن جرير بن عبد الله البجلى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« إنكم ستعرضون على ربكم وترونه كما ترون هذا القمر لاتضامون في رؤيته ، فان استطعتم أن لاتغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ، ثم قرأ (فَسَبِّح بَحَمدِ رَبكَ قَبلَ طُلوعِ الشَمسِ وقبل غروبها) (٢) .

١٧ ـ أنا ابو سعيد احمد بن محمد بن الاعرابى نا الحسن بن محمد بن الصباح الزعفرانى ، نا وكيع بن الجراح وأخبرنا ابو على الحسن بن يوسف بن مليح نا إبراهيم بن مرزوق (١/٢٥٥) نا عثمان بن عمر قالا : نا إسرائيل عن ابى إسحاق (٣) عن عامر بن سعد أن ابا بكر الصديق رضى الله عنه قال في هذه الآية (للذينَ أحْسَنُوا الحُسْنى وزيادة) (يونس : آية / ٢٦) قال : الزيادة : النظر الى وجه ربهم تبارك وتعالى واللفظ لابن مليح (٤) .

١٨ ـ أنا محمد بن ملاق بن نصر نا يوسف بن يزيد نا اسد بن موسى نا قيس بن الربيع (٥) عن ابى إسحاق عن عامر بن سعد عن سعيد بن نمران عن ابى بكر

---

(١) أخرجه الطبرانى في الكبير بسنده إلى ابن أبى شيبة ٢/٣٣٢ (ح ٢٢٢٧ ـ ٢٢٢٨) والدارقطنى في كتاب الرؤية بسنده الى ابن أبى شيبة ١/٦٨/٨ ـ ٢ .

الحديث صحيح فقد أخرجه الإمام البخارى في جامعه الصحيح في كتاب التفسير ، تفسير سورة «ق» عن اسحاق بن ابراهم عن جرير ابن عبد الحميد ٨/٥٩٧ (ح٤٨٥١) .

(٢) تقدم تخريجه في الحديث رقم : ١٠ .

(٣) هو السبيعى .

(٤) أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده عن وكيع ٤/٢٨٧٤ .

وابن أبى عاصم في السنة : ٢٠٦/٨ .

وابن خزيمة في كتاب التوحيد في باب ذكر سياق أن رؤية الله التى يختص بها أولياءه الخ عن سلم عن وكيع : ١٨٣ .

وأيضا بسنده إلى إسرائيل : ١٨٣ .

والدارقطنى في الرؤية بسنده الى وكيع ٢/٢٨١٩ .

واللالكائى في شرح السنن بسنده إلى وكيع ٣/٢٨٠

وابن جرير الطبرى في تفسيره بسنده إلى إسرائيل ١١/١٠٤ .

والبيهقى في الاعتقاد بسنده إلى أبى إسحاق : ٤٨ ـ ٤٩ .

(٥) تقدمت ترجمته في الحديث رقم : ٩ .

الصديق (١) ·

ومحمد بن يوسف (٢) عن يونس بن ابى اسحاق (٣) عن ابى اسحاق عن عامر بن سعد عن ابى بكر الصديق في قوله (لِلَّذِينَ أَحْسَنوا الْحُسنى وزيادة) (٤) ·

آخر كتاب رؤية الله تبارك وتعالى

فرغ هذا الكتاب بالنسخ والمقابلة يوم الأربعاء لسبع عشرة ليلة خلت من صفر من سنة سبع وأربعين وأربعمائة ، فرحم الله الناسخ والقارىء والمستمع آمين رب العالمين ·

(سمعت جميع هذا الكتاب على الشيخ أبى بكر محمد بن الحسن الرازى وذلك في شهر شوال · وحرر في ذى القعدة من سنة ست وأربعين وأربعمائة) (٥) ·

فهرس الآحـــاديث والآثـــار

الحـــــديث	الحديث رقم
ـ أتانى جبريل بمثل المرءاة ، فقلت : ما هذه ؟	١٢
ـ إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار	٥
ـ أما أنكم ستعرضون على ربكم عز وجل	١
ـ إن أدنى أهل الجنة منزلة الرجل ينظر في ملكه	١٣
ـ إنكم سترون ربكم كما ترون هذا لاتضامون	١٥
ـ إنكم ستعرضون على ربكم وترونه	١٦
ـ ترون هذا القمر ؟ ترون ربكم عز وجـــل	٤

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره في تفسير سورة يونس بسنده إلى قيس ١١/١٠٤ـ١٠٥ ·
والدارقطنى في كتاب الرؤية بسنده الى قيس ٢/١٢٠ـ٢/١٢١ـ٢ ·

(٢) هو الفريابى ·

(٣) يونس بن أبى إسحاق السبيعى ، أبو اسرائيل الكوفى ، صدوق يهم قليلا ، مات سنة اثنتين وخمسين ومائة على الصحيح · التقريب : ٢/٣٨٤ ·

(٤) أخرجه الدارقطنى في كتاب الرؤية بسنده إلى يونس ٢/١٢٠/١ ·
وذكره في العلل وقال : والمحفوظ من ذلك قول إسرائيل ويونس ومن تابعه عن أبى إسحاق عن عامر بن سعد عن أبى بكر ٨/٢٤/١ـ٢ ·
وأخرجه ابن أبى الزمنين في أصول السنة بسنده الى يونس ١/٣١ ·

(٥) ما بين القوسين لعله نقل من الأصل الذى نسخت منه هذه النسخة ·

ـ الزيادة : النظر الى وجه ربهم تبارك وتعالى (اثر أبى بكر)	١٧
ـ هل ترون الشمس في يــوم لاغيم فيــه	١٠
ـ هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة	٧
ـ هل تضارون في الشمس ليس دونها سحــاب	٦
ـ يا أيها الناس انى قد خبأت لكم صوتى	١١
ـ يبعث يوم القيامة مناد ينادى أهل الجنــة	٩
ـ يوم القيامة أول يوم نظرت فيه عين إلى الله عز وجــل	١٤

ثبت المرجع والمصـــــادر

المخطوطـــــــــــات :

١ ـ أصول السنة لابن ابى زمنين ، ابو عبد الله محمد المالكى (ت : ٣٧٨ هـ) مصورة من ديوان كشك بتركيا .

٢ ـ الأنساب للسمعانى ، عبد الكريم بن محمد (ت : ٥٦٢) مصور بالأوفست في مكتبة المثنى بغداد .

٣ ـ تاريخ دمشق لابن عساكر ، على بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١ هـ) مصورة من دار الكتب الظاهرية بدمشق .

٤ ـ التصديق بالنظر إلى الله تعالى للآجرى ، محمد بن الحسين البغدادى (ت : ٣٦٠ هـ) مصورة من دار الكتب الظاهرية بدمشق .

٥ ـ ذيل الميزان للعراقى ، عبد الرحيم بن الحسين (ت : ٨٠٤ هـ) مصور من مكتبة شهيد على بتركيا .

٦ ـ الرؤية للدارقطنى ، على بن عمر البغدادى البغدادى (ت : ٣٨٥ هـ) مصورة من اسكوريال بأسبانيا .

٧ ـ سير أعلام النبلاء للذهبى ، محمد بن أحمد بن عثمان (ت : ٧٤٨ هـ) مصورة من مكتبة أحمد الثالث بتركيا .

٨ ـ شرح السنن للالكائى ، هبة الله بن الحسن الطبرى (ت : ٤١٨ هـ) مصورة من دار الكتب الظاهرية بدمشق ٠

٩ ـ العلل الواردة في الأحاديث النبوية للدارقطنى على بن عمر (ت : ٣٨٥ هـ) مصورة من دار الكتب المصرية ٠

١٠ ـ الكامل في ضعفاء الرجال لا بن عدى ، عبد الله الجرجانى (ت : ٣٦٥ هـ) مصور من أحمد الثالث ٠

١١ ـ مجمع البحرين في زوائد المعجمين للهيثمى ، نور الدين على بن أبى بكر (ت : ٨٠٧ هـ) مصور من دار الكتب الظاهرية ٠

١٢ ـ مسند أبى يعلى ، احمد بن على الموصلى (ت : ٣٠٧ هـ) مصور من تركيا ٠

١٣ ـ مسند اسحاق بن راهويه (ت : ٢٣٨ هـ) مصور من دار الكتب المصرية ٠

١٤ ـ المنتخب من مسند عبد بن حميد الكشى (ت : ٢٤٩ هـ) مصور من أحمد الثالث ٠

١٥ ـ الوفيات للحبال ، إبراهيم بن سعيد بن عبد الله (ت : ٤٨٢ هـ) مصورة من دار الكتب الظاهرية ٠

المطبوعـــــــات :

١٦ ـ الاعتقاد على مذهب السلف للبيهقى ، احمد بن الحسين (ت : ٤٥٨ هـ) طبع سنة ١٣٨٠ هـ ٠

١٧ ـ الأعلام للزركلى الطبعة الثانية ٠

١٨ ـ تاج العروس للزبيدى محمد بن محمد المرتضى ، دار ليبيا للنشر والتوزيع بنغازى ٠

١٩ ـ تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ، احمد بن على بن ثابت (ت : ٤٦٣ هـ) ، مكتبة الخانجى القاهرة ٠

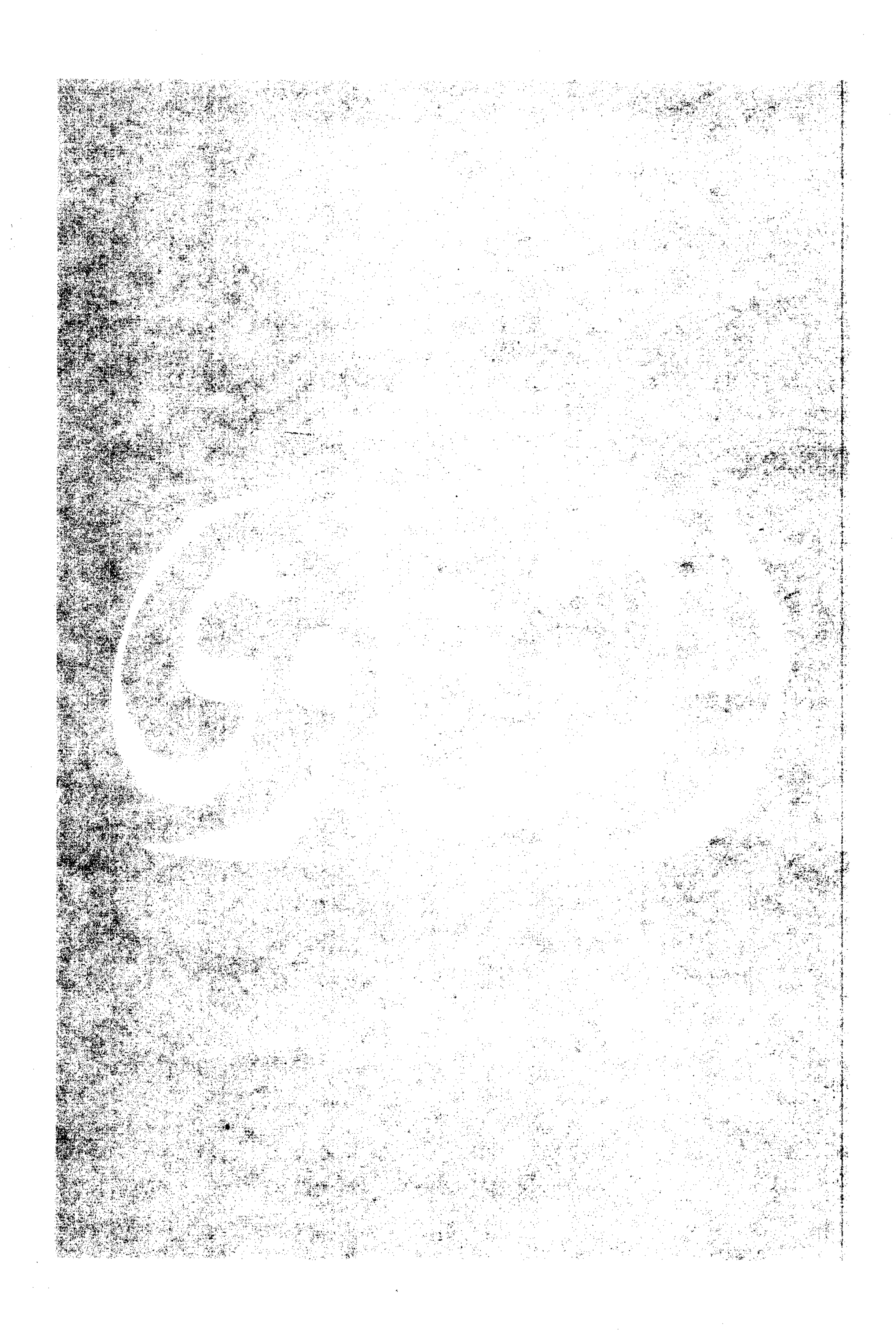
٢٠ ـ تاريخ التراث العربى لفؤاد سزكين ٠ الهيئة المصرية للكتاب ٠

٢١ ـ التاريخ الصغير للبخارى ، محمد بن إسماعيل (ت : ٢٥٦ هـ) ، المكتبة الأثرية سانكله هل باكستان ٠

٢٢ ـ التاريخ الكبير للبخارى ، دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الهند ٠
٢٣ ـ تبصير المنتبه بتحرير المشتبه لابن حجر العسقلانى ، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٦٦ ٠
٢٤ ـ تذكرة الحفاظ للذهبى ، تصحيح عبد الرحمن بن يحيى المعلمى ، دار احياء التراث العربى ٠
٢٥ ـ تقريب التهذيب لابن حجر ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت ـ لبنان ٠
٢٦ ـ تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى ، دائرة المعارف العثمانية حيدرا باد ٠
٢٧ ـ التوحيد وإثبات صفات الرب لابن خزيمة ، محمد بن إسحاق (ت ، ٣١١ هـ) مراجعة محمد خليل هراس ، مكتبة الكليات الأزهرية سنة ١٣٨٧ هـ ٠
٢٨ ـ جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبرى ، أبو جعفر محمد (ت : ٣١٠ هـ) مطبعة مصطفى البابى الحلبى ٠
٢٩ ـ الجامع الصحيح للبخارى مع فتح البارى . المطبعة السلفية بالقاهرة ٠
٣٠ ـ الجرح والتعديل لابن ابى حاتم ، عبد الرحمن بن محمد الرازى (ت : ٣٢٧ هـ) مجلس دائرة المعارف العثمانية ٠
٣١ ـ خلاصة تذهيب تهذيب الكمال للخزرجى ، صفى الدين احمد بن عبد الله (ت : ٩٢٣ هـ) مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب ١٣٩١ هـ ٠
٣٢ ـ زاد المعاد في هدى خير العباد لابن القيم ، محمد بن ابى بكر ٠ (ت : ٧٥١) مطبعة مصطفى البابى الحلبى ١٣٩٠ هـ ٠
٣٣ ـ السنن للترمذى ، محمد بن عيسى بن سورة (ت : ٢٧٩ هـ) مع شرحه تحفة الأحوذى ، الطبعة الهندية ٠
٣٤ ـ السنن لأبى داؤد سليمان بن الأشعث (ت : ٢٧٥ هـ) مع عون المعبود ، الطبعة الهندية ٠
٣٥ ـ السنن لابن ماجة ، محمد بن يزيد القزوينى (ت : ٢٨٣ هـ) تحقيق فواد عبد الباقى دار احياء الكتب العربية ١٣٧٢ هـ ٠
٣٦ ـ السنة لابن احمد ، عبد الله بن أحمد (ت : ٢٩٠ هـ) المطبعة السلفية ومكتبتها ١٣٤٩ هـ

٣٧ ـ السنة لا بن ابى عاصم تحقيق الألبانى ، المكتب الإسلامى بدمشق ٠
٣٨ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب لا بن العماد الحنبلى ، عبد الحّى بن احمد (ت : ١٠٨٩ مكتبة القدس بالقاهرة) ٠
٣٩ ـ شرح مسلم للنووى ، يحيى بن شرف (ت : ٦٧١ هـ) ، دار الفكر بيروت ٠
٤٠ ـ الصحيح لمسلم بن الحجاج القشيرى (ت : ٢٦١ هـ) مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه بالقاهرة ٠
٤١ ـ العبر في خبر من غبر للذهبى ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، دائرة المطبوعات والنشر في الكويت ٠
٤٢ ـ العلو للعلى الغفار للذهبى ، المكتبة السلفية بالمدينة ، الطبعة الثانية ١٣٨٨ ٠
٤٣ ـ فتح البارى لا بن حجر ، المكتبة السلفية بالقاهرة ٠
٤٤ ـ فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية بدمشق للشيخ محمد ناصر الدين الألبانى ٠
٤٥ ـ لسان الميزان لا بن حجر ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية الهند ٠
٤٦ ـ مسند الإمام احمد بن محمد بن حنبل (ت :٢٤١ هـ) المكتب الإسلامى للطباعة والنشر بيروت ٠
٤٧ ـ المعجم الكبير للطبرانى ، سليمان بن أحمد بن أيوب ، تحقيق حمدى عبد الحميد السلفى ، الدار العربية للطباعة ، اعظمية نجيب باشا ٠

٤٨ ـ المغنى للفتنى ، محمد طاهر بن على الهندى (ت : ٩٨٦ هـ) ، دار نشر الكتب الإسلامية باكستان ٠
٤٩ ـ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لا بن الجوزى عبد الرحمن بن على بن محمد (ت : ٥٩٧ هـ) دائرة المعارف العثمانية بحيدرأباد الهند ٠
٥٠ ـ ميزان الاعتدال للذهبى ، تحقيق على محمد البجاوى ، مطبعة عيسى البابى الحلبى بالقاهرة ٠
٥١ ـ النجوم الزاهرة لتغرى بردى جمال الدين ابى المحاسن بن تغرى بردى (ت : ٨٧٤ هـ) مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ٠
٥٢ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر لا بن الأثير المبارك بن محمد الجزرى (ت : ٦٠٦ هـ) دار احياء التراث العربى بيروت ، لبنان ٠
٥٣ ـ هدية العارفين لإسماعيل باشا البغدادى ، مكتبة المثنى بغداد ٠



فتاوى شرعية

لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز
الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

(١)
إطلاق حرية العقار موافق للشرع والمصلحة العامة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه أما بعد :

فقد اطلعت على الكلمة المنشورة فى الصفحة السادسة من جريدة الندوة الصادرة بتاريخ ٧ / ١١ / ١٤٠١ هـ بعنوان (حرية العقار) فوجدتها تتضمن تحبيذ الكاتب تأجيل إطلاق حرية العقار عدة سنوات ... الخ .

وأقول وبالله التوفيق لا شك أن هذه المسألة من المسائل الشرعية العامة التى قضى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحكم الله القاطع الذى ليس لأحد معه رأى ولا اجتهاد ولا استحسان . فالواجب على صاحب المقال وغيره تقوى الله والتعلم والامتثال لحكم الله ورسوله قال الله تعالى : (**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما**) (النساء الآية ٦٥) (**وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا**) (الأحزاب الآية ٣٦) . وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم فى خطبته فى حجة الوداع « إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا » فلا يحل أخذ مال امرىء مسلم بأى وجه من الوجوه إلا بحق شرعى ومعلوم من قواعد الشرع المطهر لكل ذى علم وبصيرة أن تقييد حرية العقار بأجرة معينة أو نسبة معينة يعتبر ظلما لمالكه وأخذاً لماله بغير حق ومصادمة للنصوص الشرعية ومخالفة لأمر الله ورسوله وحكما بغير ما أنزل الله واجتهادا فى غير محله .

فالله سبحانه وتعالى هو العليم بمصالح عباده وبعواقب الأمور كلها وهو أحكم الحاكمين وأرحم بالخلق من أنفسهم لذلك شرع لهم من الأحكام ما يصلحهم فى كل زمان ومكان . أما ما ذكره صاحب المقال من المشاكل التى يتوقع حصولها بعد إطلاق حرية العقار فهذا استعجال للأمور قبل أوانها بل إن ذلك من إيحاء الشيطان وتوهيمه كما قال الله تعالى : **(الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم)** (البقرة الآية ٢٦٨) . وقال تعالى : **(ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ، إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله مالا تعلمون)** (البقرة الآية ١٦٨ _ ١٦٩) .

فالواجب على المسلم أن يكون قوى الثقة بربه سبحانه فى جميع أحواله وأموره حسن الظن به بعيدا عن التوهمات والتوقعات التى تثبطه عن تنفيذ أمر الله والرضى بحكمه وأن يعتقد اعتقادا جازما أن تطبيق أحكام الشرع المطهر لا ينتج عنه إلا كل خير فى العاجل والآجل بل إن الشر والضرر فى عدم تطبيقها أو الإخلال بذلك .

ولقد أحسن صاحب المقال المنشور فى الصفحة السادسة من جريدة عكاظ الصادرة فى ١١ / ١١ / ١٤٠١ هـ بعنوان ما هى أبعاد إطلاق حرية العقار مع بداية عام ١٤٠٣ هـ فجزاه الله خيرا وأكثر من أمثاله فإن الدولة وفقها الله ساهمت فى حل أزمة العقار مساهمة إيجابية ظهرت آثارها لكل منصف وذلك بالعطاءات السخية من القروض ومنح الأراضى وشجعت على توفير المبانى السكنية وقد استفاد الكثير من المواطنين من صندوق التنمية العقارية وبنك التسليف كما استفاد أيضا الكثير من التجار والشركات والمؤسسات فى بناء الفنادق والأسواق التجارية والمشاريع السكنية وبذلك انحلت الأزمة وتوفرت المساكن والمحلات التجارية وانخفضت الأجور بشكل ظاهر . بل إن كثيرا من المساكن والمحلات مقفل بسبب نزول أسعار البيع والإيجار ولا ينكر ذلك إلا جاهل أو مكابر . أما ما قد يقع من المشاكل بين المؤجر والمستأجر فالمحاكم الشرعية كفيلة بحلها والحمد لله .

وبذلك يعلم أن إطلاق حرية العقار هو الأمر المتعين شرعا وهو الموافق للمصلحة العامة والسياسة الحكيمة .

فنسأل الله أن يوفق ولاة الأمور لكل ما فيه رضاه وصلاح عباده وأن يصلح أحوال المسلمين جميعا ويرزقهم التمسك بشريعته والثبات عليها إنه جواد كريم .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .

②
يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده وبعد :

فقد اطلعت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء على ما ورد إلى سماحة الرئيس العام من المستفتى (عبد الله ناصر أحمد) ، والمحال إلى اللجنة من الأمانة العامة والسؤال هو : **لى أخ من أبى ، وله أخت من الرضاع ، ولها بنت ، هل يجوز ان أتزوجها** (أى بنت المرأة التى رضعت مع أخى من أبى) ؟

والجـــــواب :

إذا كانت المرأة التى تريد الزواج بابنتها رضعت خمس رضعات فأكثر وكان فى الحولين فلا يجوز لك الزواج بابنتها . **لأن الراضعة أختك أيضا من الرضاع ، وتكون خالا لابنتها ، وبالله التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .**

③
متى تكون الذبيحة حلالاً لنا أو حراماً علينا....؟

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسوله وآله ، وبعـــد

فقد اطلعت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، على السؤال المقدم من صالح بن أبى بكر عيسى العالى ، إلى سماحة الرئيس العام ، والمحال إليها من الأمانة العامة برقم ٧٣٥ / ٢ وتاريخ ٤ / ٥ / ١٣٩٦ هـ .

ومضمونه أن جماعة من طلبة العلم يزعمون حل ذبائح من يستغيث بغير الله ، ويدعو غير الله ، فيما لا يقدر عليه إلا الله ، إذا ذكروا عليها اسم الله ، مستدلين بعموم قوله تعالى (فكلوا مما ذكر اسم الله عليه) (الأنعام الآية ١١٨) .

وقوله تعالى : (وما لكم ألاّ تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلاّ ما اضطررتم إليه ، وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم ، إن ربك هو أعلم بالمعتدين) (الأنعام الآية ١١٩) **ويرون أن من يحرم ذلك من المعتدين الذين يضلون بأهوائهم بغير علم .**

ويقولون : ان الله فصل لنا ما حرم علينا فى قوله (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به ..) (المائدة الآية ٣) **وقوله : (إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به)** (النحل الآية ١١٥) **الى أمثال ذلك من الآيات التى فصلت ما حرم من الذبائح ولم يذكر فيها تحريم شيء مما ذكر اسم الله عليه ولو كان الذابح وثنيا أو مجوسيا .**

ويزعمون أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، كان يأكل من ذبائح الذين يدعون زيد بن الخطاب إذا ذكروا عليها اسم الله .

فهل قولهم هذا صحيح ؟ وبماذا نجيب عما استدلوا به إن كانوا مخطئين ؟ وما هو الحل فى ذلك مع الدليل ؟ ..

الجـــــواب :

● يختلف حكم الذبائح حلا وحرمة باختلاف حال الذابحين . فإن كان الذابح مسلما ولم يعلم عنه أنه أتى بما ينقض أصل إسلامه . وذكر اسم الله على ذبيحته . أو لم يعلم أذكر اسم الله عليها أم لا فذبيحته حلال بإجماع المسلمين . لعموم قوله تعالى : (فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين ، ومالكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم اليه) (الأنعام الآية ١١٨ ـ ١١٩) .

ـ وإن كان الذابح كتابيا يهوديا أو نصرانيا . وذكر اسم الله على ذبيحته فهى حلال بإجماع لقوله تعالى : **(وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم)** (المائدة الآية ٥) .

وإن لم يذكر اسم الله ولا اسم غيره عليها ففى حل ذبيحته خلاف ، **فمن أحلها** استدل **بعموم قوله تعالى : (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم)** ومن حرمها استدل بعموم أدلة وجوب التسمية على الذبيحة والصيد ، وبالنهى عن أكل مالم يذكر اسم الله عليه في قوله تعالى **(ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه)** (الأنعام الآية ١٢١) وهذا هو الظاهر .

ـ وإن ذكر الكتابى اسم غير الله عليها ، كأن يقول باسم العزير ، أو باسم المسيح ، أو الصليب ، لم يحل الأكل منهما لدخولهما فى عموم قوله تعالى آية ما حرم من الطعام : **(وما أهل لغير الله به)** . اذ هى مخصصة لعموم قوله تعالى : **(وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم)** .

ـ وان كان الذابح مجوسيا لم تؤكل ، سواء ذكر اسم الله عليها أم لا . بلا خلاف فيما نعلم إلا ما نقل عن أبى ثور من إباحته صيده وذبيحته لما ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه

قال : « سنوا بهم سنة أهل الكتاب » [1] ولأنهم يقرون على دينهم بالجزية كأهل الكتاب ، فيباح صيدهم وذبائحهم .

وقد انكر عليه العلماء ذلك واعتبروه خلافا لإجماع من سبقه من السلف قال ابن قدامة فى « المغنى » قال ابراهيم الحربى : **خرق أبو ثور الإجماع** ، قال أحمد : **« هاهنا قوم لا يرون بذبائح المجوس بأساً** ، ما أعجب هذا ؟ يعرض بأبى ثور .

ومما رويت عنه كراهية ذبائحهم : ابن مسعود ، وابن عباس وعلى وجابر وأبو برزة ، وسعيد بن المسيب وعكرمة ، والحسن بن محمد ، وعطاء ، ومجاهد وعبد الرحمن بن أبى ليلى ، وسعيد بن جبير ، ومرة المهرانى ، والزهرى ، ومالك والثورى والشافعى وأصحاب الرأى قال أحمد : **« ولا أعلم أحدا قال بخلافه إلا أن يكون صاحب بدعة »** .

ولأن الله تعالى قال : **(وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم)** فمفهومه تحريم طعام غيرهم من الكفار ولأنهم لا كتاب لهم فلا تحل ذبائحهم كأهل الأوثان . ثم قال ابن قدامة : **« وإنما أخذت منهم الجزية ، لأن شبهة الكتاب تقتضى تحريم دمائهم فلما غلبت فى تحريم دمائهم وجب أن يغلب عدم الكتاب فى تحريم ذبائحهم ونسائهم احتياطا للتحريم فى الموضعين ولأنه إجماع ، فإنه قول من سمينا ، ولا مخالف لهم فى عصرهم ولا فيمن بعدهم إلا رواية عن سعيد روى عنه خلافا » انتهى من « المغنى »** .

● **وإن كان الذابح من المشركين عباد الأوثان ومن فى حكمهم ممن سوى المجوس وأهل الكتاب ، فقد أجمع المسلمون على تحريم ذبائحهم سواء ذكروا اسم الله عليها أم لا ، ودل قوله تعالى : (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم)** بمفهومه على تحريم ذبائح غيرهم من الكفار ، « وإلا لما كان لتخصيصهم بالذكر فى سياق الحكم بالحل فائدة .

---

(١) رواه مالك فى « الموطأ » فى كتاب الزكاة « باب جزية أهل الكتاب والمجوس » ٢ : ٣٧٤ . « عن عبد الرحمن بن عوف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « سنوا بهم سنة أهل الكتاب » قال ابن عبد البر : هذا الخبر منقطع إلا أن معناه متصل من وجوه حسان .

ورواه عبد الرزاق فى « مصنفه » فى كتاب أهل الكتاب « باب أخذ الجزية من المجوس » ٦ : ٦٩ . وفى كتاب أهل الكتابين « باب هل يقاتل أهل الشرك حتى يؤمنوا من غير أهل الكتاب . وتؤخذ منهم الجزية » ١٠ : ٣٢٥ . وروى عبد الرزاق فى البابين من طريق أخرى « عن الحسن بن محمد بن على » نحو هذا الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفى آخره : « ولا تؤكل لهم ذبيحة ولا تنكح منهم امرأة » قال البيهقى فى « السنن الكبرى » ٩ : ١٩٢ و ٢٨٥ » هذا الخبر مرسل . وإجماع أكثر الأمة عليه يؤكده .

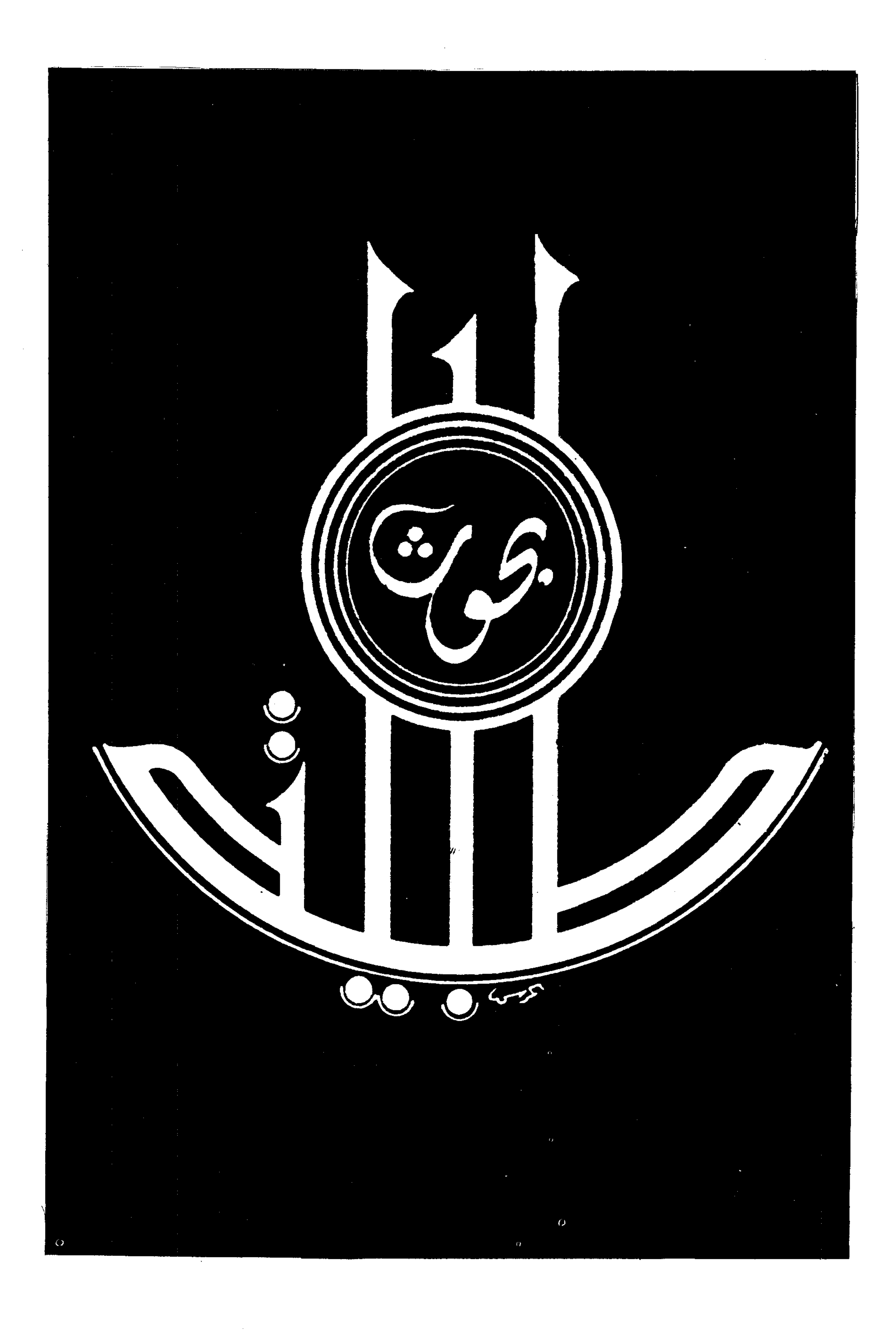
وكذا من انتسب إلى الإسلام وهو يدعو غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله ويستغيث بغير الله فذبائحهم كذبائح الكفار الوثنيين والزنادقة فلا تحل ذبائحهم كما لا تحل ذبائح أولئك الكفار لشركهم وارتدادهم عن الإسلام .

وعلى هذا فالإجماع على تحريم ذبائحهم ودلالة مفهوم الآية على ذلك كلاهما مخصص لعموم قوله تعالى : (فكلوا مما ذكر اسم الله عليه) وقوله : (وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه) الآية .

فلا يصح الاستدلال بهاتين الآيتين وما فى معناهما على حل ذبائح عباد الأوثان ومن فى حكمهم ممن ارتد عن الإسلام بإصراره على استغاثته بغير الله ودعائه إياه من الأموات ونحوهم فيما لا يقدر عليه إلا الله بعد البيان له وإقامة الدليل عليه فإن ذلك شرك كشرك الجاهلية الأولى .

كما أنه لا يصح الاعتماد فى حل ذبائح **من استغاث بغير الله من الأموات ونحوهم واستنجد بغير الله فيما هو من اختصاص الله** اذا ذكر اسم الله عليها بعدم ذكر ذبائحهم صراحة فى آية **إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله** وما فى معناها من الآيات التى ذكر الله فيها ما حرم على عباده من الأطعمة فان ذبائح هؤلاء وإن لم تذكر صراحة فى نصوص الأطعمة المحرمة **فهى داخلة فى عموم الميتة** ، لارتدادهم عن الإسلام من أجل ارتكابهم ما ينقص أصل إيمانهم وإصرارهم على ذلك بعد البيان .

ومن زعم أن إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، كان يأكل من ذبائح أهل نجد وهم يدعون زيد بن الخطاب **فزعمه خرص وتخمين ومجرد دعوى لا يشهد لها ما نقل عنه رحمه الله بل هى مخالفة لما تشهد به كتبه ومؤلفاته** من الحكم على من يدعو غير الله ، من ملك مقرب ، أو نبى مرسل ، أو عبد صالح ، فيما لا يقدر عليه إلا الله ، بأنه **مشرك مرتد عن الإسلام** ، بل شركه أشد من شرك أهل الكتاب ؛ **وإن ذكروا عليها اسم الله** ؛ لأن التسمية على الذبيحة نوع من العبادة ، فلا تصح إلا مع إخلاص العبادة لله سبحانه ، لقوله سبحانه : **(ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون)** (الأنعام الآية ٨٨) . **والله سبحانه وتعالى أعلم وأحكم .**


بحوث

نظـرة إسـلاميَّة
إلى البحث والكشف والابتكار

(١)

للدكتور أبو الوفاء عبد الآخر
صيدلى بمستشفى الجامعة

الحمد لله .. خلق الإنسان واستخلفه في الأرض ، وأنعم عليه بخصائص فاق بها سائر الخلق ... والصلاة والسلام على أكرم المرسلين ، وعلى آله وصحابته وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين   أمـــا بعــــد

فلقد تميز التفكير الإنسانى بالقدرة على التعلم والحفظ والنمو ، وهذه من أفضل وأعظم خصائص الجنس البشرى ، وبها أصبح الإنسان قادراً على النظر والتأمل ، وعلى التعلم والبحث والاكتشاف والابتكار .

ولقد كانت الأمة الإسلامية في عصور نهضتها الفكرية ، أمة باحثة ومبتكرة ، ثم تخلفت عن ركب الحضارة وأصبحت أمة مقلدة ، تلتقط فتات الفكر الحضارى من موائد غيرها من الأمم ... ثم بدأت صحوة المسلمين من جديد ، وظهرت في العالم الإسلامى بشائر البحث والكشف والابتكار ، في ميادين الطب والصيدلة والعلوم الطبيعية ، وفي ميادين الصناعة وغيرها من مطالب الحياة .

● ولهذا أصبح من الضرورى زيادة الاهتمام (بإعداد الباحث المبتكر) ، وإيقاظ ملكات البحث والكشف والابتكار ، بين أبناء الأمة الإسلامية ، حتى تصير أمة الإســلام خير أمة أخرجت للناس ، في ركب الحضارة بقدرتين متلازمتين : قدرة العمل ، وقدرة البحث والكشف والابتكار ، وحتى تصبح أمة قائدة لا مقودة ، ومبتكرة لا مقلدة .

مفـــاهيم :

- **البحث :** هو الوسيلة التى بها يتوصل الإنسان إلى الاكتشاف والا بتكار ٠
- **الاكتشـــاف :** هو التعرف على الموجودات بالكون من مواد وقوانين ، والتى لم تكن معروفة من قبل ٠
- **الابتكار :** هو بمفهومه العام ، كل ما أوجده الإنسان ، مما لم يكن له سابق عهد به ، سواء كان مادة في حالة معينة ، أم جهازاً وآلــة ، أم فائدة جديدة لشيء معروف ، أم اسلوبا جديداً للعمل والأداء والكشوف والابتكارات ، منها الهام الذى يكون بمثابة نقلة ثورية في العلم ومطالب الحياة ، كالمضادات الحيوية في علاج الأمراض ٠٠ (والصفر) العربى في الحساب ٠ وهناك التطوير والتحسين ، وهما أقل درجة من الا بتكار ٠

مصادر البحث والكشف والابتكار :

أولا : الكون ، بأرضه وسمائه ، فقد علّم (الله سبحانه وتعالى) آدم ، أسماء المسميات « **وعلم آدم الأسماء كلها** » ، ثم استخلفه في الأرض ، وقد جعلها ـ سبحانه وتعالى ـ وما فيها مسخّرة لآدم وذريته « **هو الذى خلق لكم مافي الأرض جميعا** » ٠ وأودع ـ وهو اللطيف الخبير ـ في بنى آدم الخصائص المناسبة التى تعينهم على التعلم والبحث والاكتشاف والا بتكار « **والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون** » (النحل الآية ٧٨) « **اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم** » (سورة العلق ـ الآيات ٣ ، ٤ ، ٥) وأشار ـ في كتابه العزيز ـ إلى الأرض وما عليها ، والسموات وما بينها ، كموضوعات للنظر والتفكير والتأمل « **الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار** » (آل عمران ـ الآية ١٩١) « **قل انظروا ماذا في السموات والأرض ..... الآية** » (يونس الآية ١٠١) « **قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق** » (العنكبوت ـ الآية ٢٠) « **سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم ...... الآية** » (فصلت ـ الآية ٥٣) « **يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا ، لاتنفذون إلا بسلطان** » (الرحمن ـ الآية ٣٣) ٠

• وما دام الله سبحانه وتعالى قد أودع في بنى آدم القدرة على البحث والاكتشاف والابتكار ، ومادام الكون بأرضه وسمائه وآفاقه هو المستهدف للنظر والتأمل والمعرفة ، فإن أرجاء الكشف والابتكار فسيحة ، وفسيحة جدا ، وسوف يصل الإنسان في العلم والمعرفة والسيطرة آمادا بعيدة يظن بها أنه أصبح قادرا على الأرض ـ وهذا يذكره الحق تبارك وتعالى في كتابه العزيز في قوله « **حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازَّيَّنت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس ، كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون** » (يونس ـ الآية ٢٤) ٠

• بل إنه قد يصل الحال بالإنسان إلى محاولة التغيير في خلق الله سبحانه وتعالى اتباعا لأمر الشيطان واستعلاء وكفراً وطغيانا ، فيحكى القرآن على لسان الشيطان « **ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فَلَيُبَتّكُنَّ آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ، ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبيناً** » (النساء ـ الآية ١١٩) ، ومن محاولات الإنسان في هذا المجال ما يقوم به من تحويل بعض خصائص الإناث إلى الذكور وبعض خصائص الذكور إلى الإناث ، وما يقوم به من دراسات ومحاولات لتغيير بعض صفات الجنين ، اعتمادا على التحكم في بعض عناصر التغيير ، وبهذا يتدخل في فطرة المخلوقات ويعمد إلى تغيير حالتها الطبيعية دون أن يكون من وراء ذلك فائدة محققة ، وإنما تماديا في اللهو ، « **إنما الحياة الدنيا لعب ولهو ....** » وتطرفا في العناد والخصام « **أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين** » (يس ـ الآية ٧٧) ٠

ثانيــا : القرآن الكريم : وهو كلام الله ، وكتابه الذى يخاطب به عباده ، وهو المعجزة الخالدة التى تقوم شاهدا على أن (الإسلام) هو دين الله وخاتم الأديان ، وهو حجة الله على عباده بإعجاز الخلق ، إعجازا غير موقوف على فصحاء العرب ومن لف لفهم في الفصاحة والبيان ؛ ولكنه إعجاز لابد أن يتضح لكل إنسان ولو كان أعجمى اللسان ، لتلزمه حجة الله إن أبى الإسلام ، ابتداء من نزول القرآن وبعثة نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، وإلى أن تقوم الساعة ، ويرث الله الأرض ومن عليها ٠

هذا النوع من النظر والتفكير يؤدى إلى نتيجة لازمة : أن لإعجاز القرآن نواحى غير الناحية البلاغية ، وغير ناحية التنبؤات التى كانت غيبا حين نزل القرآن ، ثم حققها الله فعلاً فيما استقبل الناس من زمان ٠

الواقع أن موضوع إعجاز القرآن لا يزال بكراً برغم كل ما كتب فيه ، لكنى لست

أريد أن أتناوله إلا من تلك الناحية التى لا يتوقف تقديرها والتسليم بها على معرفة لغة لا تتيسر معرفتها لكل أحد ، هذه الناحية هى الناحية العلمية من الإعجاز ٠

فضلا عن ذلك فإن الإعجاز يشمل الناحية النفسية ، إذ قد اقتاد القرآن النفس لردها إلى فطرتها ٠ كما يشمل الإعجاز الناحية التشريعية ، والتاريخية التى كشف عنها التنقيب الأثرى فيما بعد ٠ وكذلك شمل الإعجاز الناحية الكونية ، لما فطر الله عليه الكائنات في الكون ٠

هذه النواحى هى التى ينبغى أن يشمر المسلمون للكشف عنها وإظهارها للناس في هذا العصر الحديث ، ولن يستطيعوا ذلك على وجهه حتى يطلبوا العلوم كلها ليستعينوا بكل علم على تفهم ما اتصل به من آيات القرآن ، واستظهار أسرار آياته التى اتصلت بالعلوم جميعا ٠ ولا غرابة في أن يتصل القرآن بالعلوم كلها (١) ٠

والعلماء من عباد الله المؤمنين الذين يقول عنهم الحق سبحانه وتعالى في كتابه العزيز « **إنما يخشى الله من عباده العلماء** » ، يغوصون في أعماق هذا القرآن الكريم ، ويتتبعون تصريحاته وإشاراته ، ليستخرجوا منها الحقائق العلمية ويستلهموا منها سر الآيات الكونية التى تفتح لهم أبواب البحث ، وتقودهم إلى ينابيع المعرفة والابتكار والكشف ٠

ولديهم أيضا السنة المشرفة ، يبحثون فيها عن الحقائق العلمية التى تقودهم إلى أعظم الاكتشافات ٠ وعلى ضوء هذا الإدراك السليم لكتاب الله سوف يزداد المسلم نفعا به ، فيتلوه كتابا تعبديا ، ويقرؤه حقائق علمية ٠ وما ينطبق على كتاب الله الكريم ، ينطبق على سنة رسوله الصادق الأمين ٠

هدف الكشف والابتكـــــار :

إن الهدف الأسمى للكشف والابتكار هو التعرف على آيات الله ، ليزداد المؤمن إيمانا ٠ وليحققوا الحكمة من خلقهم في قوله تعالى : « **وما خلقت الجن والإنس إلاَّ ليعبدون** » ٠

أما الأغراض الدنيوية من الكشف والابتكار فهى تنظيم أمور الحياة وتيسيرها ، وتوفير أسباب الأمن والصحة والراحة بما يتناسب وفطرة الإنسان التى فطره الله عليها ٠

---

(١) الاسلام في عصر العلم ـ تأليف الأستاذ محمد أحمد الغمراوى ـ الناشر دار الكتب الحديثة (ص ٢٥٧ / ٢٥٨) ببعض التصرف ٠

لهذا يجب أن يراعى في تقييم الكشوف والا بتكارات ما يلى :

- مدى مواءمتها للطبيعة البشرية ٠

- مدى تحقيقها للمصلحة الإنسانية على أساس النظرة الصائبة الشاملة ، باعتبار كون الإنسان جسداً وروحاً ، وكذلك على أساس النظرة المرتبطة بالأخلاقيات والقيم والغايات التى بينها سبحانه وتعالى في كتابه العزيز ، ودعى إليها رسولنا محمد صلوات الله وسلامه عليه ٠

- ولو أننا فرضنا أن ابتكاراً يحقق راحة عضلية ، أو لذة حسية ، أو متعة نفسية ، ولكنه يعطل العمليات التنسيقية للجسم أو يسبب إرهاقا للحواس ، أو يتعارض مع مكارم الأخلاق ، أو يصرف الإنسان عن طاعة الله ، فيجب أن نقيم الابتكار ، واضعين في الاعتبار أن هذه الأمور من النقائص التى إذا استفحل خطرها ، يجب التخلى عن هذا الابتكار ٠

تحـــذير وذكرى :

على المؤمن أن لا ينبهر ، ولا ينخدع بأية اكتشافات أو ابتكارات تزيد من قدرات الإنسان وتحكمه وسيطرته على هذه الأرض وما حولها ، وعليه أن يصمد أمام كل مفاتن العلوم والاكتشافات والابتكارات ، وفتنها ؛ وبجانب هذا التحذير ، فإننى أذكرٍّ بالحقائق التالية ، وإن الذكرى تنفع المؤمنين :

- الإنسان مطالب من قبل المولى سبحانه وتعالى بالنظر والتأمل والبحث في آيات الله في الكون ، « **قل انظروا ماذا في السموات والأرض** » إذاً فالكون من سموات وأرضين ، سخره الله سبحانه وتعالى وأمر الإنسان بالنظر فيه متدبراً متفكراً دارساً وباحثا ٠

- يعلم الحق سبحانه وتعالى بنى آدم ـ على مر العصور ، من خزائن علمه ـ كثيراً من أسرار الكون وسننه كما قال سبحانه : « **سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم ..... الآية** » (فصلت الآية ٥٣) « **وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون** » (الأنبياء ٨٠) « **والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ، ويخلق مالا تعلمون** » (النحل الآية ٨) « **وإن من شىء إلَّا عندنا خزائنه وما ننزله إلَّا بقدر معلوم** » (الحجر الآية ٢١) ٠

إذاً فسيحصل الإنسان على معارف كثيرة عن الكون ٠ وكل ما يتعرف عليه الإنسان من أسرار الكون ، ومايصل إليه من اكتشافات وابتكارات ، ليس تحدياً لقدرة الله .. بل هو عطاء من عند الله ، وتعطف على الإنسان ، الذى كرمه الله سبحانه وتعالى بالعقل والعلم « **علم الإنسان مالم يعلم** » ٠

● ومهما عرف الإنسان من أسرار الكون وأسرار الحياة ، ومهما حقق من اكتشافات وابتكارات ، فنهايته الموت « **كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون** » (العنكبوت الآية : ٥٧) ومهما عرف الإنسان عن جسمه وعن الأمراض وعلاجها ، ومهما حاول وفعل لإطالة عمره ، فهو إلى موت وفناء · ثم إلى بعث وجزاء « **كل من عليها فانٍ ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام** » (الرحمن آية ٢٦ ، ٢٧) « **يوم يبعثهم الله جميعا فيُنَبِئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه ، والله على كل شىء شهيد** » (المجادلة الآية ٦) ·

● سيصل الإنسان لبعض أسرار الكون ، وسيصل باكتشافاته واختراعاته إلى درجة فائقة من التحكم والقوة ، يخيل إليه أنه قادر ومسيطر على كل شىء في هذه الحياة الدنيا · وعندما يصل إلى هذه الحالة من التحكم والسيادة ، ومن الغرور والطغيان ، ستكون نهاية الأرض التى يعيش عليها « **حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازّينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تَغْن بالأمس** » (يونس الآية ٢٤) ·

إذاً فأمام الإنسان الكثير من الاكتشافات والابتكارات في كل ميادين الحياة على وجه الأرض التى يعيش عليها ، يزداد بها سيطرة ، ويزداد بها رخاء وتَرَفاً غير أنه في كل خطوة يخطوها نحو هذا الكسب الدنيوى ، يزداد قربا من لحظة الفناء لهذه الأرض التى يعيش عليها ·

الإعجاز العلمى للقرآن :

إن لكل رسول معجزة ، ومعجزة نبينا (محمد) ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ هى (القرآن الكريم) أساسا ، وهو المعجزة الخالدة ، الباقية في تحديها لكافة الإنس والجن ، والمتجددة في تحديها الى أن يرث الله الأرض ومن عليها · ومعجزة هذا شأنها ، لا بد أن تكون متعددة الجوانب في إعجازها ، حافلة بالأسرار في أعماقها ، دائمة الخير في عطائها · ولمّا كانت أمة الإسلام في صدر الإسلام ، تتميز بالفصاحة والبيان ، ولمّا كانت اللغة العربية عند العرب ـ أول من دعوا إلى الإسلام ـ هى صناعتهم المفضلة التى برزوا فيها ، وفَنّهم الأصيل الذى تفاخروا به ، وتحدوا بعضهم بعضاً نظماً ونثراً ···· فقد ظهر الإعجاز البلاغى للقرآن ، أكثر الجوانب إشراقا ، وبرز في وجه الكفرة والمنافقين سلاحا فتاكا للتحدى والإعجاز وقد ظل (هذا الإعجاز البلاغى) ، حتى يومنا هذا في الصَدارة ، وكاد أن يحجب ماعداه من أوجه الإعجاز الأخرى

بشدة وَلَع علماء المسلمين به على مر العصور ، ولانصراف المفسرين إليه دون غيره قرنا بعد قرن ، حتى سيطر على عقول الكثيرين أن « الإعجاز البلاغى والبيانى للقرآن الكريم » هو الوجه الأوحد لتلك المعجزة الكبرى ·

ولقد كان من الواجب والمناسب أن يهتم علماء الأمة الإسلامية ، بذلك الإعجاز ويقتصروا على دراسته - دون باقى أوجه الاعجاز القرآنية - في وقت كان له بين العرب وفصحائهم : قوة الإقناع ، وعلو الحجة وشدة التأثير ، وكان موضوع التحدى للمعارضين الذين كانوا على قمة الفصاحة في اللغة العربية ، هذا بالإضافة إلى عدم اتساع دائرة العلوم الطبيعية والدراسات الكونية ، والاكتشافات ، وعدم اهتمام الحضارات السابقة بهذا الجانب الفكرى مما جعل البشرية قاصرة عن إدراك الإعجاز العلمى للقرآن · أما وقد وصلت الدراسات الإسلامية عن (الإعجاز اللغوى والبيانى للقرآن) شأنا عظيما ، وتأصلت أهمية ذلك الإعجاز ، هذا بالإضافة إلى سيادة العلوم الطبيعية على الحضارات المعاصرة وما حققته من إنجازات ضخمة في حياة الإنسان ، فقد برزت أهمية (الإعجاز العلمى للقرآن) كحجة على الإنسانية المعاصرة أعجميها وعربيها ؛ وما دام منطق العصر وأدلة الإقناع ، صارت مستمدة من العلوم الطبيعية (التطور - المادية - العلوم التجريبية - الخ) فقد أصبح الإعجاز العلمى للقرآن ، أكثر إقناعا من الإعجاز البيانى والبلاغى ، لهذا أصبح من الواجب ومن الضرورى على علماء المسلمين - في كل مجالات الفكر والمعرفة - أن يشمروا لدراسته واظهاره للفكر الإنسانى المعاصر ، أكثر اشراقا ، وأعظم أثراً وأقوى حجة من ذى قبل ·

● وبالرغم من كون « الإعجاز العلمى للقرآن » حقيقة يدركها كل من يتلو القرآن بفهم وتدبر ، خاصة أولئك الذين لديهم معرفة أو إلمام بالعلوم الكونية ، ومن يتابعون الثقافات المعاصرة المليئة بمعطيات العلوم الطبيعية ومعارفها ، فإن هناك من يحملون حملة شعواء على من يحاول إظهار ما استكن في القرآن من آيات الله في الخلق وسنن في الفطرة ، سبق إليها القرآن قبل أن يكشف عنها علماء العصر الحديث · وهناك من يتخوفون ويشككون في الإقدام على دراسة هذا الجانب الإعجازى للقرآن ، ويعترضون على أهل التفسير العلمى لكونيات القرآن ويقولون بأن المعارف العلمية متغيرة ، فلا يجوز أن نربط تفسير آيات القرآن الكريم بهذه المتغيرات العلمية ، والتى تتمثل في الافتراضات والاكتشافات الأولية والنظريات ·· الخ ويسوقون الحجج بنظرة موضوعية ضيقة ، فيقولون بأن القرآن الكريم كتابٌ تعبدي وليس كتابا تعليميا ، ولم يبعث به الرسول الخاتم (صلوات الله وسلامه عليه) ليعلم المسلمين دروسا في الفلك والرياضيات والطب والعلوم الطبيعية ·· الخ ·

وهؤلاء وأولئك من المعترضين على أهل التفسير العلمى للقرآن ، يرتكبون بمعارضتهم هذه خطأ فاحشا ، وكأنهم يريدون أن لا يُفهم القرآن إلا كما كان يفهمه العرب الذين نزل القرآن بينهم ، وغاب عنهم أن القرآن ليس مراداً به العرب وحدهم وقت نزوله ، ، بل أريد به البشرية كلها في كل مكان وزمان بحيث يفهم من آياته أهل كل عصر بقدر ما قدر الله سبحانه وتعالى لهم من العلم · والمعترضون باعتراضهم هذا يعطلون تجديد حجة الله سبحانه للناس بتجدد إعجاز القرآن العلمى من خلال فهمه على ضوء المعطيات الحديثة للعلوم ·

● وهناك الرأى الآخر الذى يدعو إلى دراسة « الاعجاز العلمى للقرآن » ، وأنصار هذا الرأى يدركون أهمية هذا الجانب الإعجازى للقرآن ، ويعملون جاهدين على إظهاره للناس : وتدعيما للدعوة إلى الإسلام ، بين محصّلى العلم الحديث ، وتحديا متفوقا ضدّ (الأيديولوجيات) المادية ·

ويقول أستاذنا الأستاذ الدكتور (١) محمد أحمد الغمراوى (رحمه الله) « هذا التدرج في إتمام المطابقة بين القرآن والفطرة أمر لا مفر منه في الواقع ، ثم هو مطابقة لحكمة الله سبحانه وتعالى في جعل الإسلام آخر الأديان ، وجعله للقرآن معجزة الدهر ، أى معجزة خالدة متجددة ، يتبين للناس منها على مر الدهور ، ما لم يكن قد تبين ، فيكون هذا التجدد في الإعجاز العلمى تجديد للرسالة الإسلامية ، كأنما رسول الإسلام ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ قائم في كل عصر يدعو الناس إلى دين الله ويريهم دليلاً على صدقه آية جديدة من آيات تطابق ما بين الفطرة وبين القرآن » (٢) (انتهى) ·

وكان أستاذنا ـ رحمه الله ـ من أبرز علماء المسلمين المتخصصين في العلوم الكونية في العصر الحديث ، الذين اهتموا بالإعجاز العلمى للقرآن ، وقاموا بتفسير الآيات الكونية على ضوء المعارف العلمية الحديثة · وكتابه « الإسلام في عصر العلم » ومحاضراته بكلية أصول الدين وكتاباته بمجلة الأزهر الشريف ، تعد من أمتع الدراسات لهذا الجانب من الإعجاز القرآنى وبها كثير من التفسيرات القرآنية التى تتمشى مع المكتشفات العلمية الحديثة ، ومن أئمة علماء المسلمين الذين كان لهم السبق في هذا النمط من التفسير : الزمخشرى والفخر الرازى ، من قدامى المفسرين ، والإمام الشيخ محمد عبده من المحدثين ·

---

(١) عالم الكيمياء المصرى وأستاذ الكيمياء بكلية الصيدلة بالقاهرة ، ومؤسس وعميد كلية الصيدلة بجامعة الرياض الأستاذ بكلية أصول الدين بالأزهر الشريف لمادة التفسير والأستاذ بقسم الدراسات العليا بالكلية وهو من الرعيل الذى دافع عن الاسلام ضد أعداء الاسلام ، وتصدى بعلمه وقلمه لتيارات الإلحاد ، ولد عام ١٨٩٣ م وتوفى عام ١٩٧١ ، رحمه الله وأثابه عن جهاده في سبيل الإسلام ·

(٢) الاسلام في عصر العلم ص ٢٥٨ ، ٢٥٩

بل إن هذا الإعجاز القرآنى ، قد شد انتباه بعض العلماء من غير المسلمين الذين قاموا بدراسة الكتب السماوية دراسة موضوعية ، فلم يجدوا غير (القرآن الكريم) كتابا سماويا ، يحوى الكثير من الحقائق العلمية - إشارة أو تفصيلا - وكان هذا دليل صدق وإعجاز لمن أراد منهم الإيمان ، وحجة بالغة على من كفر بالرحمن .

● ولا يقول الفريق المناصر لدراسة « إعجاز القرآن العلمى » والمطالب بتفسير كونيات القرآن تفسيرا علميا مطابقا لأحدث المعارف والدراسات الكونية ، بأن كتاب الله العظيم ، جاء ليعطى دروسا في الرياضيات والفلك وعلوم الأرض والطب والنبات والهندسة ... الخ ، بل ينظرون إلى هذا (الكتاب الإلهى) ، باعتبار أن كلماته وآياته ، تشير إلى حقائق في شتى العلوم البشرية ، وباعتبار أن كلماته : عبارات وإشارات تنبههم طبق ما تقتضيه حكمة الله سبحانه وتعالى في مخاطبة خلقه ، وباعتبار أن الآيات الكونية من القرآن الكريم يجب أن تفهم على ضوء الحقيقة ولا يعدل من ترك الحقيقة إلى المجاز إلاَّ إذا قامت القرينة الواضحة التى تمنع من حقيقة اللفظ وتحمله على مجازه .

● كما يرى الفريق المناصر لقضية الإعجاز العلمى للقرآن أن لا يُفسر القرآن إلاَّ باليقين الثابت من العلم ، لا بالفروض ولا بالنظريات التى لا تزال موضع بحث وتمحيص ، فكلمات الله الكونية ينبغى أن تفسر بها نظائرها من كلمات الله القرآنية .

● وهم لا يرون أى مبرر للخوف أو الانزعاج إذا ما تغيرت نظرة علمية عن سنة كونية ، فالخطأ يرد إلى المفسرين نتيجة حتمية لقصور الفكر الإنسانى ، ولا يُردُّ إلى ماطرأ من انفكاك في المقابلة بين السنة الكونية ونظيرتها القرآنية . ولا يغيب عن بالنا أن « المتعرضين لتفسير كتاب الله عرضة للخطأ ، وإلاَّ لاشترطنا في المفسر أن يكون معصوما من الخطأ ، وهو شرط مستحيل تحققه في غير نبى ، وتكون النتيجة تحريم تفسير آيات القرآن على كل لسان بعد عهد النبى عليه الصلاة والسلام ، يستوى في ذلك التفسير الكونى وغير الكونى من آيات القرآن (١) .

كما أن ظاهرة اختلاف المفسرين في تفسيرهم لكتاب الله ، لم يوقف المسلمين عن تفسيرهم لكتاب الله عصراً بعد عصر وجيلاً بعد جيل ، ورغم ما قد يوحى به هذا الخلاف من وجود تناقض بين معانى آيات القرآن الكريم ، ولم نر من يطالب بعدم التعرض لكتاب الله شرحاً أو تفسيراً أو إظهاراً لغريب كلماته ، أو بيانا لإعجازه لغويا ، وقد قام الخلاف المعروف ولا يزال بين مدارس اللغويين والنحويين بشأن تفسير القرآن الكريم .

---

(١) الاسلام في عصر العلم « دكتور محمد أحمد الغمراوى » ص ٣٠٩

• بل إن علماء (الطبيعة) في بحثهم عن أسرار الكون ، قد يصلون إلى نتائج قد تحتاج إلى تعديل فيما بعد لأنها ـ دائما ـ في حدود التجارب التى يقومون بها ، ناظرين إلى تجاربهم كأنها مطلقة . فقالوا مثلاً أن الذرة لا تنقسم ، وغفلوا عن أن ذلك في تجاربهم كان خاصا بالتفاعلات الكيميائية ، ثم وفقهم الله سبحانه وتعالى إلى الكشف عن العناصر المشعة ، وقاموا بأبحاثهم التى صححت معلوماتهم ونتائجهم عن الذرة .

وقالوا إن المادة لا تفنى ولا تتجدد ، ونسوا أن ذلك لا يصدق ، إلاَّ على التفاعلات الكيميائية ، فهداهم الله من تركيب الذرة وتحولها إلى ما استيقنوا معه أن المادة تفنى بتحولها إلى طاقة منطلقة في كون الله بسرعة الضوء ، إلى غير ذلك من الحقائق التى يصل إليها الإنسان في إطار علمه المحدود الذى يتسع كلما اتسع هذا الإطار . فيطرأ التعديل والتبديل على بعض هذه الحقائق المعلومة للإنسان .

وعليه فإن علوم الكون وعلوم القرآن وتفسيره قد يقع فيها الخطأ ، وقد تحتاج ، في سبيل التصويب ـ إلى التعديل والتبديل ، حتى ولو كانت حقائق كما أشرنا من قبل . ويكون الخطأ مرده خطأ الإنسان وسوء فهمه ، ولا يكون الخطأ ـ بأى حال من الأحوال ـ في حقائق القرآن المطلقة ، المودعة في آياته ، كما لا يكون في سنن الله في خلقه .... هذا ما يجب العلم به وما يجب التنبيه إليه ؛ فلا تعارض ولا تناقض في القرآن الكريم ، ولا تناقض في حقائق الكون ، ولا خوف ولا انزعاج من ربط علوم الكون بعلوم القرآن .

مناهج التفسير للآيات الكونية في القرآن :

إن تفسير الآيات الكونية في القرآن والتى تزيد عن ثمانمائة آية ، يمكن إدراجه في مناهج ثلاثة :

أولا : المنهج التقليـــدى :

وهو المنهج الذى درج عليه علماء التفسير ـ من قدامى ومحدثين ـ وهو يعتمد على المعلومات العلمية العامة لتفسير تلك الآيات . كما يكثر في هذا المنهج التقليدى صرف الحقيقة إلى المجاز .

أمثلة لتفسير الآيات الكونية حسب المنهج التقليدى :

• قوله تعالى « **أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتْقاً**

ففتقناهما » (الآية ٣٠ الأنبياء) - أى أن السموات كانت رتقا لا تمطر وكانت الأرض رتقا لا تنبت ، فلما خلق الله الأرض أهلًا ، فتق هذه بالمطر ، وفتق هذه بالنبات ٠

• قوله تعالى « **يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان** » (الرحمن ٢٢) يشير لفظ (منهما) إلى البحرين المذكورين في الآية ١٩ « **مرج البحرين يلتقيان** » أوَّلُوهُ إلى ما يعرفون من وجود صدف اللؤلؤ في أحد البحرين في الخليج العربى فقالوا إن ما يصدق على أحدهما يصدق على مجموعهما ، وأهملوا احتمال أن يوجد اللؤلؤ أيضا في النهر عند ملتقى البحرين من بعض الأقطار فيكون إخباراً عن حقيقة اللؤلؤ النهرى الذى تذكره بعض دوائر المعارف ، والذى لم يكن يعرفه العرب حول الخليج ٠

• « **والسموات السبع** » عند الرازى هى أفلاك السيارات السبعة التى قدرها اليونان ٠

ثانيـــا : المنهج العلمى :

وفيه يكون التفسير للآيات الكونية في القرآن على ضوء المعارف العلمية المتخصصة ، ووفق الحقائق النهائية التى يصل إليها علماء الكونيات ٠ وقد شاع هذا اللون من التفسير في العصور الحديثة التى أصبحت فيها علوم الكون خاضعة لأساليب الدراسة التجريبية ، وقائمة على وسائل البحث والمشاهدة المدعمة بالأجهزة والآلات ذات الكفاءة العالية في التقدير ٠ وأكثر القائمين بهذا العمل الهام هم من المتخصصين في العلوم الكونية والمزودين بالدراسات الإسلامية ، أو من المفسرين الذين يتابعون أحدث البحوث والاكتشافات العلمية ، ويستعينون بها في فهم وتفسير الآيات الكونية بالقرآن الكريم ٠

والغرض من هذا المنهج العلمى في تفسير تلك الآيات القرآنية ، هو إيضاح معانٍ جديدة للقرآن الكريم ، وإثبات صدقه وإعجازه ، وزيادة حجته وقوة إقناعه ٠ وهذا القدر من الفائدة هام جداً في مجال الدعوة الإسلامية في العصر الحديث - عصر العلوم الكونية - بين قوم أصبح فكرهم مرتبطاً ارتباطا وثيقا بهذه العلوم الكونية ، وانعكس ذلك على اقناعهم والتأثير فيهم ٠

أمثلة لتفسير الآيات الكونية في القرآن حسب المنهج العلمى :

• قوله تعالى « **سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون** » (يس الآية ٣٦) إن الحقائق العلمية الواردة في الآية القرآنية الكريمة عن الزوجية نموذج للقضايا الكلية التى تنضوى تحتها قضايا جزئية ، ولقد ثبت

بعضها فعلاً وفي استجلاء المزيد عن هذه السنة الكونية الهامة « الزوجية » نجد اشارة إلى وجود هذه الزوجية بصورة أوسع من الذكورة والأنوثة في الإنسان وفي النباتات ، التى لم يكن معروفا وقت نزول القرآن إلا (أزواج النخيل) وقد كشف العلم الحديث أن الزوجية يتسع مداها فهى تشمل أيضا الأزواج الموجبة والأزواج السالبة التى تتكون منها دقائق المادة ، كما كشف العلم « الكهيرب الإلكترونى الموجب » نقيض « الكهيرب السالب » ، وكشف أيضا عن « البروتون - الأبيب - السالب » نقيض « الأبيب الموجب » - وهكذا تكشفت وتتكشف أنواع متعددة للزوجية لا تقف عند حصر ، وذلك مصداقاً لقوله سبحانه وتعالى « **ومما لا يعلمون** » .

● وقوله سبحانه وتعالى « **والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم** » (يس الآية ٣٨) ، لقد توقف الفهم القديم لجريان الشمس من المشرق إلى المغرب ، كما توقف فهم الآية القرآنية على ضوء هذه الحركة الظاهرية ، والتى ثبت أنها نتيجة لحركة الأرض ، وما زالت الآية الكريمة محتفظة بصدقها ودلالتها على أن الشمس تجرى لمستقر لها « **والشمس تجرى لمستقر لها** » . وقد أثبت العلم الحديث حركة حقيقية ذاتية للشمس ، مما أبرز وأوضح تلك المعجزة العلمية التى أتى بها القرآن الكريم في قوله « تجرى » ولم يكن هذا الكشف يخطر على بال أحد إلى أن تهيأت للإنسان آلات الرصد وأدوات التحليل الضوئى التى سهلت له اكتشاف هذه السنة الكونية ، وذلك في القرن التاسع عشر ، وبذلك ظهر التطابق بين حقائق الله القرآنية وحقائق الله الكونية وقد قدر علم الفلك سرعة حركة الشمس بركنيها أى من حيث المقدار والاتجاه . فأما المقدار فهو اثنا عشر ميلاً في الثانية تقريبا ، وأما الاتجاه فهو نحو النجم المسمى (فيجا) في الانجليزية (والنسر الواقع) في العربية .

ثالثـا : المنهج التطبيقى :

وهو المنهج الذى نسلط الأضواء عليه ، وندعو علماء الأمة الإسلامية إلى الاهتمام به ، حتى يأتى بالنفع العظيم - إن شاء الله - في مجال الدراسات العلمية .

وبهذا المنهج لا يقف المفسرون عند تفسير الآيات القرآنية الكونية على ضوء المعارف العلمية المتقدمة والحقائق الكونية التى يصل إليها علماء الكونيات ، بل إنهم يقدمون لعلماء الكونيات - بفقههم وتفسيرهم لتلك الآيات - دراسات تصلح لأن تكون بداية لتأملات علمية في السنن الكونية ، وتصلح لأن تكون منطلقاً لأفكار وفروض علمية ، تتلوها - عن طريق البحوث القائمة على التجريب - اكتشافات ونظريات ، تعمق إيمان المؤمنين ، وتهدى الحيارى المتشككين وتنفع البشرية في دنياها وآخرتها .

ومما تقدم نرى أن الفرق بين (المنهج العلمى) و (المنهج التطبيقى) هو أنه في المنهج الأول ، يكون التفسير على ضوء المعارف العلمية المتخصصة ، فالعلماء يكتشفون ، والمفسرون يفقهون آيات الله الكونية على ضوء هذه الكشوف ٠

أما في المنهج الثانى ، فإن المفسرين بفقههم لآيات القرآن الكونية ، يقدمون تفسيرات تتضمن أفكاراً علمية عن الكون ، قابلة للبحث والدراسة ، والعلماء ـ انطلاقا من هذه الأفكار العلمية ـ يبحثون في الكون عن حقيقة ما أشار إليه القرآن وأوضحه المفسرون ٠

وبعبارة أخرى ، يكون القرآن في (المنهج العلمى) تابعاً في فهمه وتفسيره لحقائق العلم ، أما في (المنهج التطبيقى) ، فيكون العلم تابعاً في اكتشافاته وحقائقه لما جاءت به الآيات القرآنية وأوضحه المفسرون ٠ وشتان ما بين أن يكون القرآن تابعاً في منهجه لمكتشفات العلم ، وأن يكون متبوعا ، تنطلق منه : الأفكار العلمية ، فيصبح بذلك مصدراً هاما للبحوث العلمية عن الكونيات ، ويقود المسلمين إلى هذا المجال الواجب من المعرفة ٠

قال الله تعالى :

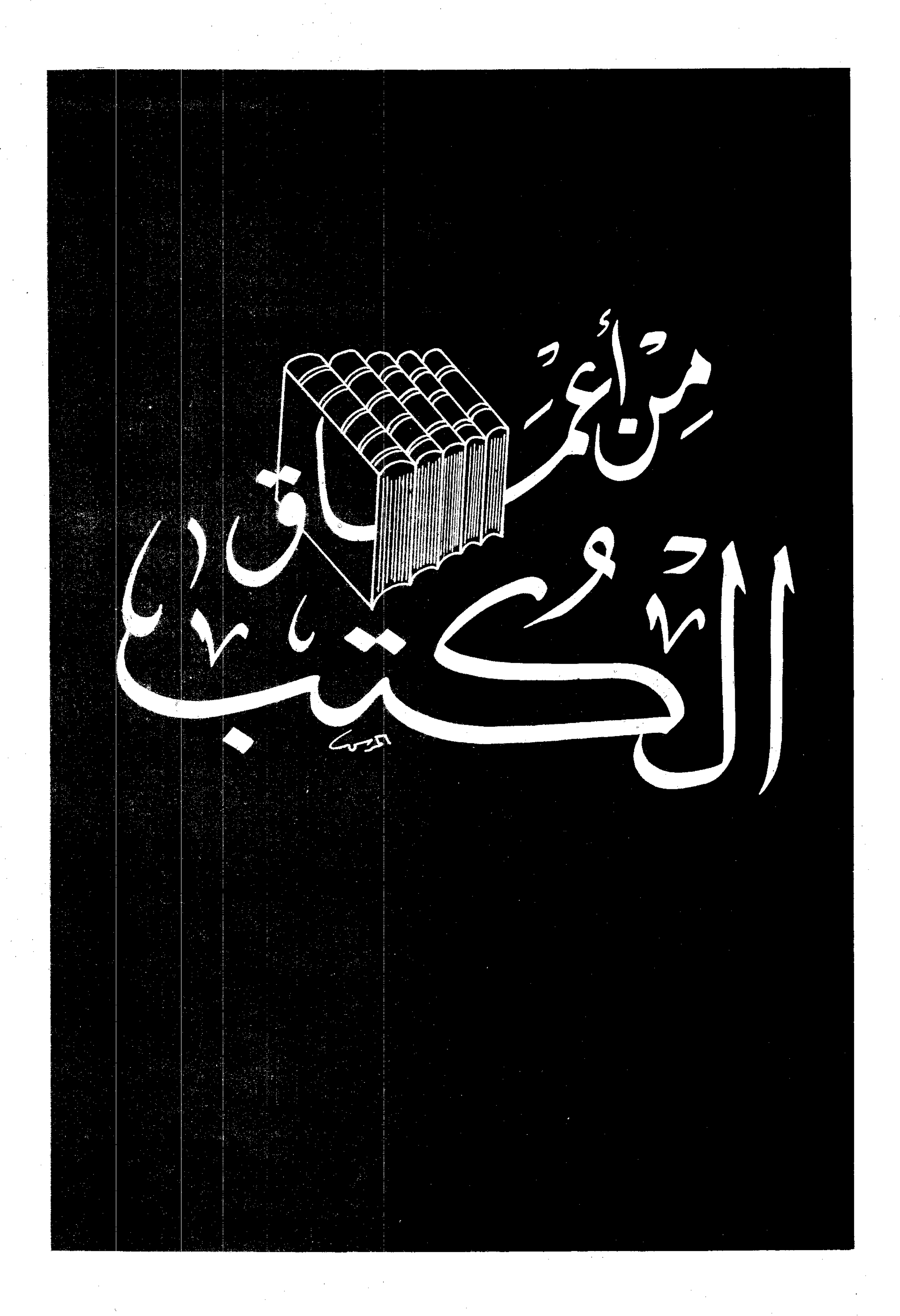
لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ

سورة الحديد الآية (٢٥)

مؤتمر طبى اسلامى عالمى بالولايات المتحدة

من المقرر أن يجتمع خمسمائة طبيب وكيميائى، وحكيم هندى، كلهم مسلمون، يحضرون من كافة أرجاء الولايات المتحدة، وكندا، والهند، ليجتمعوا بمدينة (أورلاندو - فلوريدا) بالولايات المتحدة الامريكية، حيث يناقشون موضوعا مهما بالنسبة لأطباء القرن العشرين، ذلك الموضوع هو: (الطب الاسلامى في القرن الخامس عشر الهجرى).

صرح بذلك الدكتور (بشير أحمد زكريا) مؤسس ورئيس (الجمعية الاسلامية الطبية) في الولايات المتحدة، وقال: (اننا نهدف هنا في الولايات المتحدة: الى تجميع الأطباء المسلمين ورفع مستواهم العلمى، ودفعهم الى العمل في خدمة الاسلام والدعوة الاسلامية في امريكا.. وكذلك تشجيعهم على اجراء البحوث العلمية والدراسات الميدانية في مجال الطب والبحوث الطبية، وكذلك توفير التجارب العلمية والمعملية لتكون في خدمة الأمة الاسلامية في جميع أنحاء العالم)..


من أعماق الكتب

الكتاب : دور الدول الاشتراكية فى تكوين إسرائيل

المؤلف : الدكتور إبراهيم الشريقى

هذا الكتاب خطير ومهم لأنه أحد الكتابات النادرة فى موضوعه ولأنه يضم وثائق وحقائق عن الدور الكبير الذى قامت به الدول الاشتراكية فى سبيل إقامة دولة اسرائيل وتدعيمها وهو الدور الذى تسكت عنه جميع أجهزة الإعلام فى البلاد العربية ويتناساه دعاة الشيوعية عندما يتبجحون بالإمدادات العسكرية السوفيتية لبعض الدول العربية الموالية لها ٠

يعرض الكتاب دور الإتحاد السوفيتى بخاصة وبعض الدول الاشتراكية بعامة فى خمسة مجالات تخدم إسرائيل ويخص كل مجال بفصل مستقل ٠

ففى مجال تأسيس دولة إسرائيل : يورد المؤلف الوثائق التى تبين اهتمام السوفيت بإقامة إسرائيل والوفود التى ارسلتها منذ عام ١٩١٩ إلى يهود فلسطين لإقامة الحزب الشيوعى اليهودى وتشكيل فرقة منهم لحماية اليهود والمبالغ التى خصصتها لشراء أراضٍ لليهود الروس فى فلسطين ويظهر حقيقة تذكرها جميع مصادر اليهود فى ذلك الوقت وهى أن الأموال الواردة من الاتحاد السوفيتى لشراء الأراضى تشكل ٤٠ ٪ من صندوق الأموال اليهودية العامة وهذه أعلى نسبة واردة من دولة واحدة ٠

وفى المجال السياسى : يبين الدور السياسى الكبير الذى لعبه السوفيت فى فرض التعويضات الألمانية لليهود وفى حملتهم الشديدة التى شنوها ـ هم وبقية دول الكتلة الشرقية ـ فى الأمم المتحدة لانتزاع الاعتراف بشرعية الكيان اليهودى فى فلسطين ودعمهم لمشروع التقسيم وإصرارهم عليه ومواقفهم الكثيرة المؤيدة لتأسيس دولة اسرائيل والمحفوظة فى وثائق الأمم المتحدة ٠ ويقدم المؤلف صورا لبعض هذه الوثائق ٠

وفى مجال الهجرة اليهودية يبين إسهام الإتحاد السوفيتى فى تدعيم الوجود الصهيونى بشريا حيث بلغ عدد اليهود الوافدين إلى فلسطين من روسيا خلال الأعوام ١٩٢١ ـ ١٩٣٩ نحو ١٦٥ ألف يهودى بينهم مجموعة من الضباط وصف الضباط ويضاف إلى هذا العدد الضخم ٢٨٥ ألفا من أوروبا الشرقية ٠

وفى مجال التسليح العسكرى يبين أن الأسلحة التى حصل عليها اليهود وحاربوا بها عام ٤٧ ـ ٤٨ كانت من دول أوروبا الشرقية وقد استولى عليها الشيوعيون فى أعقاب الحرب الثانية ، وبأمر من موسكو سمح للبعثة اليهودية أن تشحن ما يلزمها من معدات حربية على بواخر يوغسلافية ورومانية إلى ميناء حيفا ، ولولا هذه الأسلحة وأسلحة ثقيلة أخرى ، وطائرات زودتها بها روسيا ودول الكتلة الشرقية ، لما استطاعت إسرائيل أن تثبت إقدامها بعد يوليو ١٩٤٨ م ٠

وفى المجال الاقتصادى : يتحدث عن علاقات روسيا وبقية دول الكتلة الشرقية بإسرائيل اقتصاديا ، ويبين أن أول اتفاق وقعته إسرائيل كان مع روسيا فى عهد ستالين ، تلته عدة اتفاقات فى عهد خروتشوف ، إضافة إلى الاتفاقيات الثقافية والسياحية والملاحة التجارية ٠

ومازالت هذه الاتفاقيات متوالية ويعرض المؤلف مقتطفات منها تبين دعم دول هذه الكتلة الكبيرة لاقتصاد إسرائيل ٠

وبعد : فالكتاب وثيقة مهمة يتضمن مستندات من محاضر جلسات هيئة الأمم المتحدة وسجلاتها وبعض التقارير السرية الدولية ووثائق الاتفاقيات بين إسرائيل والدول الاشتراكية ، وبعض الرسائل السرية بين رؤساء الدول الغربية ، والنشرات التى أصدرها اليهود فى أوروبا وأمريكا بالإضافة إلى مذكرات أقطاب الصهيونية وكتبهم أمثال وايزمن وزاندا وأراماند شنتر وجون سوريل وغيرهم ٠ والكتاب يضىء جانبا يحرص المضللون والعملاء والشيوعيون على أن يبقى مظلما ، ومن الضرورى أن ينتشر ويميز الحق من الباطل وهو مناسب فكرةً وأسلوباً لجميع المستويات ٠

عرض وتحليل : د ٠ عبد الباسط بدر

مراكز تقدمية

إن الإسلام يخوض فى هذا العصر أعظم معاركه طرا ، معركة الدفاع عن البقاء ٠ والدفاع عن المثل ، والدفاع عن الأرض ، والصمود في وجه التيارات السامة الوافدة من الغرب الصهيونى ، ومن الشرق الملحد على السواء ·· وفي كنف هذا الواقع الرهيب لا بد من استعمال الوسائل المشروعة كلها لإفساد خطط الغزاة رجالا أو أفكارا ٠ وإقامة مراكز لهذه الغاية في قلب الغرب والشرق من أهم هذه الوسائل ٠ ولا شك أننا قد سجلنا بعض النجاح حتى الآن في مضمار الشكل ، فهناك مراكز فخمة فى الولايات المتحدة وأوربا إلى حد معقول ٠ ولكن نظرة فاحصة إلى المضمون تكشف لنا حقيقة مؤسفة ، وهى أن في هذه المراكز كل شيء من ألوان الدعاية السياسية إلى ألوان الترفيه ، إلى حسن استقبال الراغبين في الاطلاع على أشياء من حياة الشرق ، ونحو ذلك ·· أما عرض الإسلام ، والدعوة إليه ، وتعهد أبناء الجاليات الإسلامية بما يحفظ لهم دينهم فى تلك الأوساط ، التى لا تتصل بالمعانى الإسلامية من قريب أو بعيد ، فذلك آخر ما يخطر فى بال القائمين على معظمها ·· وليس هذا بالأمر الغريب ، ما دام هؤلاء إنما يمثلون (التيارات التقدمية) فى بلادهم ، فلا يهمهم من أمر الإسلام إلا ما كان ذا نفع مباشر لهذه الغاية الأولى ··

ولقد حدثني بالأمس طبيب عربي كان عائداً لتوه من الغرب ·· فقال : قصدت إلى المركز الإسلامى فى ··· يحدوني شوق حار لسماع الأذان والانتظام في صفوف الجماعة ، وما إن بلغته حتى فوجئت بأبوابه مغلقة وثلاثة من مستخدميه على مقربة منه ، فسلمت وسألت : أليس هذا وقت صلاة العصر ؟ ·· قالوا : بلى ٠ قلت : فعلام لا أسمع أذانا ولا أرى صلاة ؟ ·· فقال كبيرهم : لأننا لا نفتح المسجد إلا أيام الجمعة والعيدين ··

وراح المستخدم يعلل ذلك بقوله : إن افتتاح المسجد في سائر اليوم يكلف جهودا ومصروفات .. هذا إلى قلة الراغبين في صلوات الجماعة .. قلت : الجماعة تنعقد باثنين فأكثر ، وأنتم ثلاثة فلم لا تقيمونها بكم على الأقل ؟ . ثم قلت : ألا تفتحون المسجد لأحد خلال الأسبوع ؟ . فأجاب : بلى نفتحه للراغبين في مشاهدة داخله .. قلت : فاسمحوا لى إذن بذلك .

وفتح المسجد ودخلت ، ولم أتردد فأقمت الصلاة بنفسى وحيدا ، وهم ينظرون ويستغربون لأنى خالفت شرطهم .

قال الطبيب : وأغرب من هذا ما لقيت في .... إذ كنت أقضى فترة تخصصي في بلد بعيد عن المركز الإسلامى فجئته ذات يوم لاستطلاع أحواله وللنظر فى ما يمكن أن نفيده منه ، فوجدته مفتوحا ، وكان المسئول الكبير وهو من حملة الدكتوراه في الدراسات الشرعية غائبا ، فانتظرت حتى عاد ، وهناك قلت : لا بد أنكم تقومون بجهد مشكور في ميدان الدعوة إلى الإسلام وتعريفه والدفاع عنه .. فارتبك الرجل ولم أظفر منه بجواب شاف ، فقلت : نحن في شهر رمضان ، وهو موسم العبادة والقرآن ، فلو أنكم خصصتم بعض الوقت من كل يوم لتفسير بعض الآيات أو الأحاديث لوجدتم إقبالا من الطلاب المسلمين ، ولكان في ذلك خير كثير . فقال : ولكن أوقاتنا فيما قبل الظهر مشغولة كلها بين حاجات البيت واستقبال الزوار وإعداد الشاى .. وما بعد الظهر فهو وقت راحة لا مكان فيه لغيرها !.. »

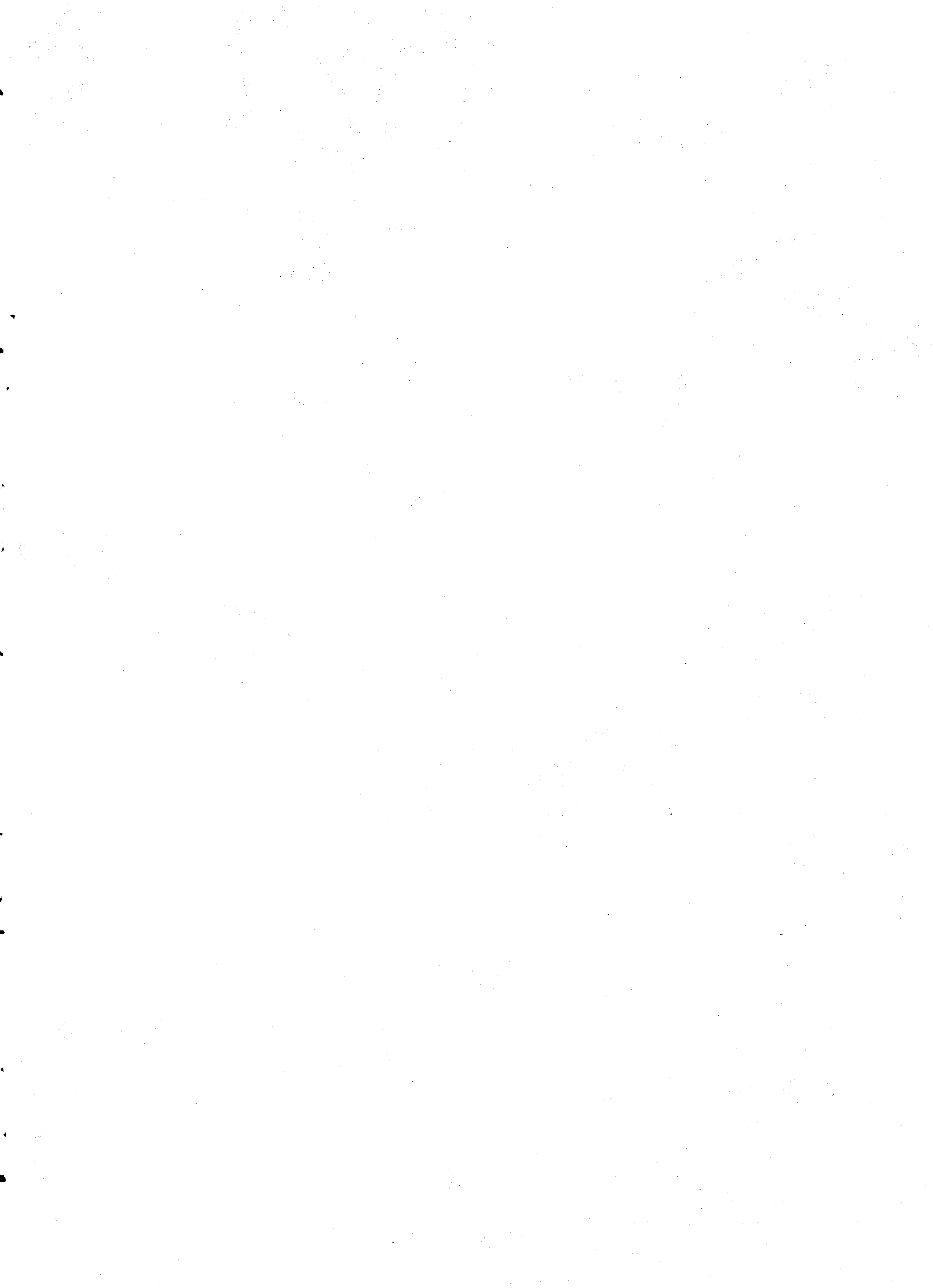
وما أراني بحاجة للتعليق على هذه الطرائف ، فهى بنفسها ناطقة بواقع تلك المراكز ، التى لا تختلف عن أية دائرة حكومية في الدولة التى تسيطر عليها عن طريق هؤلاء الممثلين الأفاضل !..

ولقد حدثني هذا الطبيب النسيب أيضاً بأن اتفاقا تم بين الحكومة الانجليزية والحكومة المصرية ذات يوم على أن تمنح كل منهما الأخرى أرضاً صالحة لإقامة معبد عليها ، فأما الأرض المصرية فقد ارتفعت عليها الكنيسة المنشودة في أقصر وقت ممكن .. في حين بقيت الأرض الانجليزية خاوية على عروشها .. تنتظر حجر الأساس للمسجد المتفق عليه !..

وطبيعى أن لمثل هذا التصرف الرسمى إيحاءه العميق في نفوس الممثلين الرسميين ، الذين لا يكلفهم أحد أن يكونوا ملكيين أكثر من الملك .

من كتاب
(مشكلات الجيل في ضوء الاسلام)


مختارات من
الصحف



في ندوة الإسلام في كوريا :

سمو الأمير نايف : نجح في التوسط لدى الحكومة الكورية بإنشاء جامعة إسلامية

جـدة ــ فى ندوة هامة استمرت زهاء ٣ ساعات من مساء أمس الأربعاء تحدث عدد من الأساتذة ورجالات الفكر عن الإسلام فى كوريا وقد افتتحت الندوة بآي من الذكر الحكيم ألقى بعدها معالى الدكتور عبد الله محمد نصيف مدير جامعة الملك عبد العزيز بجدة كلمة ضافيه هنأ فيها الكوريين بانتشار الإسلام فى بلادهم وحمد الله عز وجل على الصحوة الإسلامية التى تعيشها الأمة الإسلامية والشعوب والأقليات المسلمة تحدث بعد ذلك السيد بى جون تشانج سفير كوريا لدى المملكة فذكر أن عدد المسلمين فى كوريا يبلغ ٢٠,٠٠٠ مسلم وهناك قرية كل سكانها مسلمون ويبلغ تعدادهم ٣٥٠٠ نسمة وقال إن مسجد باتجو الذى افتتح مؤخرا يقوم بدور كبير فى توعية المسلمين وتنظيم المحاضرات الدينية التى يلقيها الأساتذة هناك والزائرون من البلاد الإسلامية .

ثم بدأت الندوة فتحدث الأستاذ حامد تشوى يونج كيل من قسم الدراسات الإسلامية واللغة العربية بجامعة بيونج جى بسؤال فاستعرض التاريخ الكورى القديم ووصول العرب إلى كوريا والإسلام بعد ذلك وقال إن الإسلام وجد أرضا خصبة خضراء لنمو بذرة الإسلام بسهولة وامتدح دور المملكة العربية السعودية وجهودها لرفع راية الإسلام ودعم القضايا الإسلامية وما بذلته من جهود موفقة ساهمت فى تشكيل جمعية تمثل مسلمى كوريا وبناء مركز إسلامى ومسجد جامع سنة ١٩٧٦ م ومركز إسلامى آخر سنة ١٩٨٠ وقال إنه حدث تطور ملموس فى مسيرة الدعوة الإسلامية فى كوريا الجنوبية ، حيث انشئت جامعة إسلامية فى سيئول لتحمل

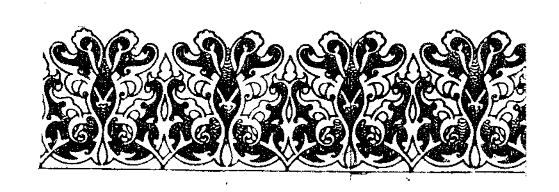
مسئولية التربية الإسلامية ، وتنمية الروح الإسلامية فى الشباب الكورى وا بعادهم عن الأجواء المسمومة بالعقائد الباطلة . وقال صاحب السمو الملكى الأمير نايف بن عبد العزيز قد توسط لدى الحكومة الكورية التى استجابت فتبرعت بأرض مساحتها ٤٣٠ر٠٠٠ مترا مربعا لاتحاد المسلمين لينشئوا هذه الجامعة عليها .

وقال السيد حامد إن مما ساعد على نشر الإسلام بسهولة فى كوريا هو التقاليد الكورية التى تدعو إلى الاحتشام وعدم الاختلاط والالتزام بالآداب والأخلاق وهذه كلها يدعو اليها الإسلام . وذكر أن مائة وخمسين ألف من الكوريين يعملون فى المملكة يقتبسون العادات والتقاليد الإسلامية فينشرونها فى بلادهم وقال إن عدد المسلمين فى كوريا يتزايد يوما بعد آخر .

وتحدث البروفسور لى يونج بوم الحاصل على دكتوراه فى الآداب وأستاذ التاريخ الشرقى بجامعة دونج كوك عن نفوذ العرب والفرس وأثر الثقافة الإسلامية على تاريخ كوريا وشعبها وضرب الأمثال واستشهد بالصور التاريخية القديمة التى كان لها ارتباط بتاريخ كوريا .

ودارت مناقشات بعد ذلك حول كيفية انتشار الإسلام فى كوريا وتسهيلات الحكومة الكورية للمسلمين ودعمها المادى الذى يشكل أهم المكاسب التى تفتقر اليها الأقليات الإسلامية فى بلدان كثيرة هذا وقد عقدت الندوة فى اطار الموسم الثقافى الذى تنظمه اللجنة الثقافية بجامعة الملك عبد العزيز بجدة وحضرها عدد كبير من رجال الفكر والآداب والصحافة وأساتذة وطلبة الجامعة كما حضرها ممثلو الشركات الكورية العاملة فى المملكة وا بناء الجالية الكورية بجدة .

المدينة



الأُمِّيُّ الَّذِي أَصْبَحَ دُكْتُورًا..

(انَّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد)

أعجبت كثيرا بكفاح هذا الرجل الذى يسر له الله أن يرتفع إلى مصاف الذين يعتد بهم بعد أن لم يكن شيئا مذكوراً ، وأهيب بالكسالى المتقاعسين أن ينهجوا نهجه وقد لخص هذا الرجل كفاحه فيما يلى :

الجهل ما ألده من عدو .. إنه العدو اللدود الذى يفتك بالشعوب ويشتت خيراتها .. إنه آفة الشعوب ومخدر طاقاتها .. إنه الوحش الكاسر .. ولو كانت قوة الجسم وبروز العضلات تقضى عليه لكنت منذ سنين عديدة قد قضيت عليه .. ولكننى ما زلت ألبس رداءه الحالك السواد .. يطاردنى فى كل ثانية من ثوانى حياتى .. فى البيت .. فى الشارع .. مع الأصدقاء فى كل ناحية حتى عند وقت الهجيع إلى النوم .. لقد أذاقنى العلقم وجعل حياتى ظلاما دامسا لا أتبين طريقى من خلاله .. انتقلت من مكان لآخر أتلمس طلب العمل لأعيش ويعيش من يضمنى معهم بيت واحد ويظلنا سقف واحد ولكن محاولاتى باءت بالفشل فى أيامها الأولى وذلك لجهلى التام الذى يطلقون عليه ـ تأدبا ـ (الأمية) وأخيرا بعد طول عناء ومشقة قبلت فى إحدى الشركات كفراش براتب زهيد .. اعتقدت أن مشكلتى قد انتهت وأن الشبح الذى كان يلازمنى قد انتصرت عليه .. لكنه ما زال يخيم على حياتى ويكدر صفوها .. فقد عانيت منه الكثير حتى وأنا اتفيأ ظلال عملى الجديد فكم من المرات جرحت كرامتى بكلمات لاذعات بسبب هذا الجهل ..

ولكن هل استسلمت ورضيت من الغنيمة بالإياب ؟!! لا .. لقد بيت أمرا وعزمت على تنفيذه ولم تزدنى تلك المعاملة وذلك الوضع (المزرى) إلا اصرارا على تنفيذ ذلك الأمر إنه التعليم .. فقد التحقت بالمدارس الليلية لمواصلة تعليمى ولألتحق بركب العلم .. وهكذا كنت

(كادا) كادحا بالنهار ساهرا مجدا بالليل ·· وهذه هى خطوات حياتى الأولى ·· وبدأت أشق طريقى عبر هذا الطريق الشاق الشائك ·· أذكره لك كى تعلم كم عانيت فى السنين الماضية من جراء أميتى وكم تحملت من لذع الكلام وسىء التصرف بسبب هذا الكابوس · إن الجهل - يا صديقى - ثوب أشد سوادا من الليل ·· إنه الموت البطىء والحياة المسلوبة ·· ولكن لكل عقدة حلًا ولا بد لليل من نهار يجلى سواده ··

أنت ترانى الآن على خير حال فقد بلغت فى المنصب علوا وفى الجاه منزلا كل ذلك بفضل الله تعالى ثم بقوة عزيمتى وصدق نيتى ·

هذه بدايتى مع معترك الحياة ·· فلم أرس على الشاطىء إلا بعد أن تقاذفتنى الأمواج حتى كدت أن أغرق ·· ولم تأت هذه الشهادة التى أنا أحملها (الدكتوراه) من فراغ ·· وليست هذه البحوث والمؤلفات المنشورة باسمى إلا عصارة تلك الأيام ··

انه لشىء عجيب غريب أثار اندهاشى وحرك مكامن الفضول فى نفسى لتسأل الكثير ·· ولكن أكتفى بما سمعته ففيه الكفاية ·· ولا يسعنى وأنا أسمع ملحمتك هذه مع الحياة ونصرك المؤزر على نكبات الدهر الا أن أهنئك وأشد على يدك وادعو لك بالخير والسداد ·· فنعم الرجل انت ··

نهض مسرعا وقال : أرجو أن تأذن لى بالانصراف ··

مع السلامة ··

لقد تصدع رأسه بما سمع ونهض مسرعا موليا رغم كلمات الإعجاب التى قالها ·· إنه لا يكاد يتصور هذا المشوار المفروش بالشوك فتجربته مع الحياة كانت وما زالت غير ذلك ·· والاتكالية التى عاشها وجعلته لا يعرف من الحياة إلا هذه البجبوحة التى يعيش فيها انكرت عليه صدق قولى عن الحياة ومشوارى ·· ولكن الفرق كبير والبين واضح بين من يبنى مجده وحياته بيده وبين من يتكل على يد غيره لتبنى له ربما الحنان أو العطف ارغماها على ذلك ·· ولكن النتيجة ستكون كمثل هذا ·· جهل ·· ولكنه يرتدى ثوبا براقا يخفى خلفه معالم الجهل الحقيقى وهذا الجهل أشد وبالا وأعظم وطأة من ذلك الجهل ·· لأن الواضح المرئي ·· لا كالمتخفى خلف كواليس تبرق فى عين الرائي فتقلب له الحقيقة خيالا ·

(المدينة)

أحداث
العالم الإسلامي

تعليقات وتحليلات

للشيخ محمود محمد سالم

١- الناس يدخلون فى دين الله أفواجا .

« الإيمان نور يقذفه الله فى قلب من أحب من عباده » وإذا امتلأت به النفس صار فيها قوة بناءة تتضاءل أمامها كل قوى البشر وما تملكه من الترغيب والترهيب ، لأنها يوم تمتلىء بالإيمان الحق يستوى عندها الذهب والحصى فى هذه الدنيا إذ تنشد بأعمالها وأقوالها ما عند الله من نعيم خالد لا يزول .

نقول هذا بمناسبة ما تواترت به الأنباء فى الآونة الأخيرة عن اعتناق ٤٠٠ أربعمائة هندوسى من المنبوذين للإسلام فى مقاطعة ثاميل نادو فى جنوب الهند .

وقد كان لهذا الحادث أثره فى إثارة سخط الحكام الهنود . فقد هرع وزير الداخلية الهندى إلى زيارة هذه المقاطعة للتحقيق فى أسباب هذا الإسلام الجماعى بين الهندوس . وقد حَرَّضتْ الحكومة ثلاثة آلاف من الطبقة العليا الهندوسية ليهجموا على قرى المنبوذين ، وأحرقوا مائة وخمسة وثمانين بيتا . وسلبوا أموالهم ودسوا لهم السم فى مياه آبار القرية . وتظاهر هؤلاء العلية فى تلك القرية يندددون بالجريمة الشنعاء التى ارتكبها هؤلاء الذين أسلموا . ويعلن رئيس المقاطعة عن قوله : لن أتردد فى التحرك لمنع أهل هذه البلاد من التحول من ديانة الهندوس إلى الإسلام .

وخرجت صحيفة « تايمز أف إنديا » تتهم الدول الإسلامية المجاورة بالتآمر ضدها . فهى تتهم دولة باكستان صراحة بأنها من وراء هذا الحادث وأنها تعمل ضد أمن الهند وتمارس دعايتها الشريرة . كما تتهم بلدانا إسلامية أخرى فتمنع دعاتها المسلمين من دخول الهند .

ومع أن الدستور الهندى يكفل لكل الهنود حرية كل فرد فى اعتناق الدين الذى يرتضيه إلا أن ردود فعل الأوساط الرسمية من إسلام هؤلاء المنبوذين اتسمت بالغضب .

لماذا يسلم هؤلاء المنبوذين ولم يقدم لهم أحد إغراء بالمال أو الجاه أو السلطان · كما أنهم يرون المسلمين فى الهند يلاقون أشد أنواع التعذيب والنكال على أيدى حكومات الهند المتعاقبة · لا شىء من متاع هذه الدنيا يجنيه هؤلاء فلماذا يسلمون ؟ لقد قال أحد الهندوس الذين أسلموا : إننى أكره الهندوسية لأنى فى ظلها لا يسمح لى بدخول المعابد أما فى الإسلام فهناك إله واحد هو الله · والأغنياء والفقراء يعاملون المعاملة نفسها فى المسجد · والهندوس لا يسمحون لنا بمشاركتهم فى المائدة أما المسلمون فإننى لا أشاركهم المائدة نفسها فحسب بل أدخل بحرية إلى منازلهم ·

ويقول أحد الذين أسلموا : إنهم كانوا يشعرون بضيق الأرض والنفس قبل إسلامهم · وبرحابة الصدر والنفس بعد إسلامهم » وصدق الله العظيم إذ يقول : **(فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء) ·**

هذا وقد أعلنت السلطات الهندية مجموعة من الإجراءات التعسفية ضد سكان هذه المقاطعة · إذ ألغت كافة التسهيلات التى كان يحصل عليها هؤلاء الذين اعتنقوا الإسلام ومنها حرمانهم من الوظائف وتسهيلات الأراضى وبناء المساكن ودخول أبنائهم المدارس والجامعات · وكان رد فعل هؤلاء أن قابلوا تلك الإجراءات بالتحدى لذلك الإعلان الحكومى · ولسان حالهم يقول ما قاله السحرة لفرعون بعد إسلامهم وتهديد فرعون لهم : اقض ما أنت قاض · إنما تقضى هذه الحياة الدنيا ·

وقد حملت الأنباء أن أحد زعماء إفريقيا فى داهومى « بنين » وهو (مانيو كير كير) قد اعتنق الإسلام ، وتسمى باسم أحمد وينتظر أن يسلم على يديه الكثير من أتباعه ·

كما أعلن اثنا عشر قسيسا فى السودان ، إسلامهم أمام ملأ من الجماهير المحتشدة فى قاعة المحاضرات بجامعة الخرطوم ، عقب حوار دينى بين هؤلاء القساوسة وعدد من علماء المسلمين ومفكريهم فى السودان ·

وفى إحصائية نشرت فى الولايات المتحدة ، أن عدد الذين يعلنون إسلامهم فى أمريكا الشمالية لا يقل عن مائة فرد يوميا · وتؤكد مصادر رابطة العالم الإسلامى واتحاد الطلبة المسلمين فى الولايات المتحدة الأمريكية أن الأمريكى لا يدخل الإسلام إلا عن اقتناع تام وعن عقيدة صحيحة ·

وفى إحصائية فرنسية ذكر أن عدد المسلمين فى فرنسا بلغ أربعة ملايين مسلم فرنسى ، من بينهم خمسة وعشرون ألف مسلم فرنسى جديد ·

ومن الصين حملت الأنباء أن عددا كبيرا من أعضاء الحزب الشيوعى الصينى فى إحدى المقاطعات النائية وبعض الزعماء المحليين قد أعلنوا إسلامهم وأصبحوا دعاة للإسلام ، يعلمون الناس مبادىء الإسلام · وقد جاء ذلك فى تقرير رسمى من شنغهاى فى شمال غرب الصين نشرته إحدى الصحف الرسمية واتهمت هؤلاء الذين أسلموا بالانحراف عن المبادىء الماركسية اللينينية باعتناقهم مبادىء دينية ·

ومما تجدر الإشارة إليه أن معظم سكان شنغهاى هم من الأقليات الإسلامية التى سحقتها الثورة الشيوعية فى الصين · وتؤكد الأنباء مؤخرا أن هذه الأقليات تسعى لاستعادة هويتها الإسلامية ·

٢- سياسة التهويد والاستيطان الصهيونى فى الأرض العربية ·

إن مأساة المسلمين فى قلب ديار العروبة والإسلام تتجدد مع الأيام · وفى كل يوم تحمل الأنباء مزيدا من المأساة التى لم تتم فصولها بعد « لأن دولة الكيان الصهيونى المزروعة فى قلب بلاد الإسلام تفعل ما تريد لأنها تعرف ما تريد ، ويؤيدها فى عدوانها على أرض الإسلام وتكريس اغتصابها كل القوى العالمية التى تلتقى مع الصهيونية فى عدائها للإسلام والمسلمين » ·

إن الأنباء تتواتر بأن العدو الصهيونى يمضى فى تنفيذ مخططاته التى ترمى إلى تكريس احتلاله لما استولى عليه من الأراضى العربية قبل وبعد عدوان سنة ١٩٦٧ م · ويسعى جاهدا فى بناء المستوطنات وتوطين اليهود المهجرين من أنحاء العالم فى كل من هضبة الجولان السورية والضفة الغربية وغزة بعد أن اطمأن قادة الصهيونية على انسحاب مصر من قضية النزاع العربى الإسرائيلى ، وخلا لهم الجو بتمزيق وحدة الصف العربى ، وتصدع بنيانه المتين ·

لقد أعلن الصهاينة بأن ضم الجولان واجب على الدولة اليهودية وعلى مستوطنيها ، وأن الجولان جزء لا يتجزأ من أرض اسرائيل وأن عدم الموافقة على ذلك يجعل الاستمرار هناك فى

شك ، وفى إطار هذا القرار أقام العدو الصهيونى فى هضبة الجولان السورية منذ ٦٧ حتى نهاية ١٩٧٨ م (٣٥) مستعمرة صهيونية ، ومن مشاريعهم الاستيطانية فى الجولان العمل على إقامة ١٤ أربع عشرة مستعمرة جديدة ، ولتكريس هذا الاستيطان قامت السلطات الصهيونية بشق شبكة واسعة من الطرق ، أهمها شبكة طرق فى شمال هضبة الجولان لإحاطة جبل الشيخ وإغلاقه إغلاقا محكما وهناك شبكة أخرى على امتداد نهر اليرموك ٠ حتى تحكم قبضتها على مصادر المياه فى جنوب الهضبة كما شرع فى إقامة مستوطنة جديدة فى منطقة واسط فى المرتفعات السورية ٠

وهم يهدفون بضم الجولان وبناء المستعمرات فيها إلى منع المواقع الإسرائيلية من الوقوع تحت رحمة المدفعية السورية ، تحسبا للمستقبل وقد زودوا سكان المستوطنات بالأسلحة للدفاع عن أنفسهم ، هذا بالإضافة إلى أهداف أخرى اقتصادية وعمرانية ٠

والجديد فى هذا الخبر أن الصهاينة قد أغروا كثيرا من سكان هضبة الجولان ـ وكثير منهم من الدروز ـ بحمل الهوية الإسرائيلية ٠ ومنتهم الأمانىَّ ، وفى الآونة الأخيرة حملت الأنباء أن كثيرا ممن يحملون الهوية الإسرائيلية من الدروز قد هرعوا بالمئات إلى مكتب الحاكم العسكرى الإسرائيلى فى الجولان ليعيدوا الهوية الإسرائيلية قائلين : إن إسرائيل لم تعطهم أية حقوق تزيد عن تلك التى تعطى للدروز الذين لا يحملون الهوية الإسرائيلية ٠

أتراهم لو منحوا ما وعدتهم به إسرائيل كانوا يرضون عن تلك الهوية النجسة التى لا يحملها إلا من ليست له هوية من أرض ولا دين ولا خلق ٠٠ ؟

أما فى الضفة الغربية وقطاع غزة فقد زاد عدد المستوطنات فى الضفة ، حتى بلغ أكثر من سبعين مستوطنة ، وزاد استيلاء العدو على أراضى المواطنين لبناء المصانع والمنشآت الإسرائيلية تبلغ مساحتها مئات الآلاف من المتر المربع ، ومع تزايد التجبر الصهيونى فى معاملة سكان الضفة والقطاع تزداد المقاومة الوطنية لهذه الإجراءات التعسفية التى تحاول طمس معالم الأرض العربية ، وقد أصدرت قوات الاحتلال العسكرى قرارات بالإقامة الجبرية على عدد كبير من السكان سواء فى ذلك رؤساء البلديات أو الشخصيات الأخرى منعا لهم من مزاولة أى نشاط سياسى أو الاتصال بالبلاد العربية شعوبا أو حكومات ٠

وتزداد المقاومة الفلسطينية من داخل الأرض المحتلة قبل عام ١٩٦٧ م وبعد ١٩٦٧ م ٠ فتشهد الضفة الغربية والقطاع مظاهرات غاضبة فى كل مدن الضفة والقطاع تردد الشعارات التى تتحدى ذلك الاستيطان الصهيونى ، وترفض مشروع الحكم الذاتى الذى ترفضه كل فصائل المقاومة الفلسطينية ، وقد رفض السكان « مشروع شارون » الذى عين « مناحم ميسلون » حاكما مدنيا بدلا من الحكم العسكرى ٠ وتسعى قيادة العدو إلى البحث عن خونة

من سكان الضفة أو القطاع يقبلون التعاون معهم فى مهزلة المفاوضات التى تحاول فرضها على الشعب الفلسطينى لتنتهى بقرار الاستسلام الذى تسميه « السلام الشامل الدائم » ولكن لم يفلح العدو حتى الآن فى شق الصف الفلسطينى الذى يعترف العالم كله بحقه · وإن لم يتحول هذا الاعتراف بعدُ إلى عمل إيجابى جاد يعيد الحق إلى أصحابه ·

فهل تتحول الحرب بالكلمات على أعواد المنابر ، وينتهى الضجيج والصراخ والهتاف بالحناجر إلى عمل علمى مدروس يتم فى صمت المفكرين العقلاء ؟ وهل ينتهى المتاجرون بالقضية الفلسطينية عن غيهم ، ويتركوا الساحة لأهلها بعد أن اتضح للعالم أن غيبة أصحاب القضية عن حلها وغيبوبة دول المواجهة التى لا تواجه إلا مشاكلها الداخلية هى السبب فى عربدة الصهيونية من غير حساب ، إن مصاير الأمم لا تقرره الأيدى المرتعشة ، بل تقرره القيادات الأمينة التى ترى حكم الشعوب أمانة توجب عليهم الصدق فى القول والجد فى العمل ·

٣- عدوان الكيان الصهيونى على المساجد فى الأرض المحتلة .

حملت الأنباء أن دولة الكيان الصهيونى قررت هدم مسجد فى مدينة « يافا » العربية فى الأرض المحتلة قبل سنة ١٩٦٧ م وهو مسجد حسن بك · وقررت تحويل هذا المسجد إلى مركز سياحى ترفيهى ، وقد توجه آلاف المواطنين الفلسطينيين من كافة الأرض المحتلة لأداء صلاة الجمعة فى مسجد حسن بك احتجاجا على قرار سلطات الاحتلال ·

والطريف فى الأمر أن سلطات الاحتلال قد حركت عملاءها من أمناء الوقف الإسلامى ليقترحوا تغيير اسم المسجد من مسجد حسن بك إلى مسجد السادات ·· !!

وماتزال تتوالى صيحات الاستنكار لهذا القرار فهل يسمع المعتدون أصوات الضعفاء الذين لا يستندون فى حقهم إلى القوة ؟

٤- شعب فطاني المسلم وحملات الإبادة الجماعية .

ماتزال الأنباء تتوالى عن حملات الإبادة الجماعية التى يتعرض لها المسلمون فى إقليم فطانى من تايلاند الجنوبية على أيدى حكام تايلاند الوثنيين ٠ وأن هذه الحملات تزداد عنفا وقسوة يوما بعد يوم ٠ وتزداد معها أعداد اللاجئين من الأطفال والنساء والشيوخ ٠ فرارا بدينهم من وجه قوى البغى والعدوان وقد وصل أكثرهم إلى حدود ماليزيا سيراً على الأقدام بعد أن جردتهم الحكومة من أموالهم وأمتعتهم أو أعجلهم العذاب عن حمل ما يحتاجون إليه ، وقد أرسل السيد بدر حمدان رئيس جبهة التحرير الوطنية الفطانية برسالة إلى رابطة العالم الإسلامى ، وبقصاصات من جريدة « أوتوش ملايو » كبرى الصحف الماليزية التى تناولت فيها أخباراً عن أساليب الإبادة والتهجير التى يتعرض لها شعب فطانى المسلم ٠ وقال فى رسالته :

« إن المسلمين الفطانيين اللاجئين إلى ماليزيا يواجهون ظروفا معيشية صعبة فى المخيمات التى أقامتها لهم حكومة ماليزيا ، وأن هذا المخطط الإجرامى الوحشى يهدف إلى محو الشعب الفطانى المسلم من خريطة الوجود » ٠

٥- جبهة مورو الإسلامية فى جنوب الفلبين وقوات ماركوس الصليبية .

تجددت حرب الإبادة الجماعية التى تشنها قوات حكومة الفلبين الصليبية برئاسة العميل الأمريكى الخائن ماركوس ضد مجاهدى جبهة مورو الإسلامية وضد جميع المسلمين الصامدين فى جنوب الفلبين . وتشير الأخبار الصحفية الواردة عن تجدد هذه الحرب إلى أنها جاءت بعد الانتصارات الساحقة التى حققها المجاهدون المسلمون على قوات الحكومة الصليبية إذ كبدها المجاهدون ١١٩ جنديا فى معركة واحدة ٠ وأن هذه الحرب تجددت بعد الزيارة غير

المقدسة التى قام بها بابا روما للفلبين . وتفيد الأنباء الواردة عن جهات مسئولة فى جبهة مورو أن المعارك مستمرة بين المجاهدين المسلمين والقوات المسلحة الفلبينية .

إن ملحمة البطولة والفداء من أجل الإسلام تلك التى يخوضها الشعب المسلم فى جنوب الفلبين لهى من أروع الملاحم من أجل الإسلام . وإنها لتستحق الإعجاب والتقدير . كما توجب على العالم الإسلامى حكومات وشعوبا أن يقف إلى جانب هؤلاء المجاهدين الفلبينيين .

لقد كافح مسلمو الفلبين قوات الغزو الأسبانى ثلاثة قرون من ١٥٦٥ م إلى ١٨٩٨ م . كما قاوموا الاحتلال الأمريكى من ١٨٩٨ م إلى ١٩٤٦ م ولم تشأ أمريكا دولة الحرية أن تمنح الفلبين استقلالها إلا بعد بيع جنوب الفلبين للحكام المسيحيين الذين كانوا يحكمونها منذ الغزو الأسبانى ولم تفلح صيحات الاحتجاج التى وجهها المسلمون فى جنوب الفلبين إلى أمريكا بل ذهبت ادراج الرياح .

إن اغنى مناطق الفلبين هى الجنوب الذى يتمركز فيه المسلمون منذ القديم بما فيه من الثروات المعدنية والطبيعية والاراضى الزراعية الخصبة . وقد اكتشف فيها النفط أخيرا ولكن سكان هذه المنطقة الإسلامية أفقر مواطنى الفلبين لسيطرة الإقطاعيين على تلك الثروة منذ تولى ماركوس السلطة ١٩٦٦ فأصبح هو وزوجته وعائلتهما وأصدقاؤهم هم الذين يسيطرون على هذه الثروة ويحرمون منها اهل هذه البلاد . وقد كون ماركوس عصابة من الإرهابيين المسيحيين لحكم الجنوب . وتؤكد الأنباء أن المنظمة المسيحية « إيلاجا » التى ينتمى إليها الحكام المسيحيون للجنوب على صلة بإسرائيل وبالحركة الصهيونية العالمية وانها تتلقى منها الدعم المادى من المال والسلاح وتتخذ إزاء المسلمين سكان الجنوب نفس الخطة التى اتخذتها العصابات الصهيونية فى تأسيس دولة إسرائيل بطرد السكان الأصليين . وقد بدأت هذه المنظمة نشاطها الإجرامى ضد المسلمين من عام ١٩٧٠ بتقتيل المسلمين وإحراق بيوتهم ومساجدهم ومدارسهم . وقد تحولت الحركة الإسلامية المسالمة فى الفلبين إلى حركة مجاهدة لتصد عن نفسها العدوان .

وقد نبهت حركة مورو إلى أن هناك شرذمة من الشيوعيين يلبسون لباس الإسلام وينتسبون إلى حركة الجهاد ويتحركون فى أقطار العالم الإسلامى يطلبون منها المعونات المالية . ويشككون فى القادة الحقيقيين لجبهة مورو . لتشويه الحقائق وتضليل الرأى العام الإسلامى والعالمى . وهذه الشرذمة تمارس نشاطها خارج الفلبين في البلدان الإسلامية إما لجهل هذه البلاد بأهداف هذه الشرذمة ومكرها وإما لأن بعض البلدان الإسلامية ذات تأثر بالتيار الشيوعى وتعمل لحسابه وتساعد هؤلاء المخادعين لحساب موسكو التى يهمها فى المقام الأول

ضرب كل الحركات الإسلامية فى أى مكان وبكل الأساليب الإرهابية التى يجيدها الشيوعيون وأعوانهم وحلفاؤهم فى شتى أنحاء العالم ·

هذا وتلقى جبهة مورو الإسلامية دعما من رابطة العالم الإسلامى وقد أوصت اللجنة الرباعية الخاصة بقضية مسلمىَ الفلبين بتأييد جبهة مورو وبمناشدة الدول الإسلامية أن تدين الأعمال الإرهابية التى تقوم بها حكومة ماركوس ضد الجبهة كما أوصت بتقديم كل ألوان الدعم لمسلمى الفلبين معنويا وماديا وبالتنديد بموقف حكومة الفلبين الذى يرفض تطبيق اتفاقية مانيلا ·

هذا · ويرى بعض المفكرين أن أمثال ماركوس وبيجن وأشباههما من أعداء الحياة لا يصلح معهما أسلوب الدبلوماسية الرقيق ، ولا أسلوب الشجب والتنديد · بل يجب أن يعاملا على المستوى الدولى من الحكام والشعوب معاملة مجرمى الحرب · أو قطاعى الطرق لا معاملة الحكام المسئولين . وفى جعبة الدول الإسلامية ـ لو أرادت ـ كثير من الإجراءات التى تردع أمثاله ، وتجعله يفكر ألف مرة قبل أن يقدم على ضرب المسلمين الآمنين ·· ؟ فهل تريد هذه الدول الإسلامية ؟ وهل تفعل ما تريد ·· ؟ ·

٦- بطولات رائعة للمجاهدين الأفغان ضد الغزو السوفيتى .

توالى قوات الاحتلال السوفيتى لأفغانستان ارتكاب أبشع الجرائم وأفظع صور العدوان على شعب أفغانستان المسلم · تسانده حكومة « كابل » العميلة ، وجماعات من الخونة المأجورين الذين يبيعون دينهم وحرية أوطانهم بدنيا غيرهم :

وقد استخدم السوفيت فى هجمتهم للاستيلاء على وادى بنجشير كل أنواع الأسلحة الحديثة من الدبابات والمدرعات والمدافع الثقيلة ، وكل ما أنتجته ترسانة السلاح السوفيتى الرهيب من طائرات الهيلكوبتر وقاذفات القنابل ، وشنوا هجوما وحشيا استمر سبعة عشر يوما قصفوا فيها المنازل جوا وأرضا وأطلقوا ملايين الرصاصات وآلاف القنابل على القرى ومواقع المجاهدين فى غارات جوية وحشية لم يسبق لها مثيل · ولكن صمود المجاهدين المسلمين الأفغان كبد قوات الغزو خسائر فادحة فى الأرواح والمهمات ·

لقد أعاد غزو السوفيت إلى الأذهان ما فعله ستالين وخلفاؤه من الشيوعيين الحمر حكام الكرملين بالمسلمين فى الجمهوريات الإسلامية التى ضموها بعد إبادة الملايين من أبنائها ليكونوا منها ما يعرف الآن بالاتحاد السوفيتى ، إنهم قد ارتكبوا فى أفغانستان من جرائم القتل والتنكيل والإبادة الجماعية وقتل الأعراض ودفن البشر أحياء ما يكفى لأن يلطخ جبينهم إلى الأبد بعار لا يزول ·

إن من المشاهد المروعة فى حرب السوفيت لافغانستان المسلمة أن الأطفال الأيتام أبناء المجاهدين الشهداء خرجوا يطوفون بشوارع كابل وهم يصرخون : اقتلونا اقتلونا كما قتلتم آباءنا ولكن لن نستسلم · الله أكبر والعزة للمجاهدين المسلمين ، وما إن وصلت صرخات هؤلاء الأطفال الأبرياء إلى أسماع القيادة السوفيتية حتى دارت معركة رهيبة ، بين هذه الوجوه الملائكية وبين قوات الغزو السوفيتى استخدمت فيها أحدث الدبابات والطائرات التى ضربت هؤلاء الثوار الصغار بكل « العنف الثورى » الذى تشتهر به القيادات الشيوعية · وقتل مئات الأطفال الأبرياء ليرووا بدمائهم شجرة الحرية ، وليكتبوا صفحات من نور فى سجل الجهاد الإسلامى من أجل هذا الدين ·

ومع استمرار الهجمات الوحشية على القرى الآمنة تدفق مليون مهاجر إلى مغاور الجبال والكهوف والبلاد المجاورة · ولم تشأ قيادات المجاهدين أن تترك هؤلاء إلى مشاكل الانحراف والبطالة بل أخذت على عاتقها تدريب هؤلاء على السلاح وتعليمهم وإعدادهم للجهاد ضد أعداء الإسلام ·

٧- امتداد يقظة المسلمين فى الجمهوريات الإسلامية وراء الستار الحديدى.

تواترت الأنباء فى الاونة الأخيرة مؤكدة أن هناك يقظة إسلامية تسرى فى خفاء ، وتمتد فى إصرار وثبات بين المسلمين فى الجمهوريات الإسلامية وراء الستار الحديدى فى الاتحاد السوفيتى ، وتشير هذه الأنباء إلى تمسك هؤلاء المسلمين بعقيدتهم الصحيحة ، وأنهم يمارسون شعائر الإسلام سرا فيقيمون الصلاة ، ويقرأون القرآن ويتبادلون الكتب الإسلامية الصادرة فى المشرق الإسلامى ، وقيل إن من بين هذه الكتب التى تروج بين المسلمين فى

الاتحاد السوفيتى كتاب معالم فى الطريق · وفى ظلال القرآن للمرحوم سيد قطب ·

وهم يفعلون ذلك بالرغم من كافة صور الاضطهاد التى يتعرضون لها من قبل النظام الشيوعى الذى جعل الإلحاد مادة أساسية من مواد التعليم فى مدارس الاتحاد السوفيتى · وأخذ على عاتقه بكل أنظمته ومستوياته مهاجمة الدين عامة والإسلام خاصة ·

لقد بقى المسلمون فى الاتحاد السوفيتى كغيرهم من سكان الاتحاد السوفيتى معزولين تماما عن العالم ولكنه فى السنين الأخيرة وخاصة بعد ١٩٥٥ ــ و ١٩٦٧ تسربت الأنباء عن أحوال المسلمين هناك · وهى أوضاع تقلق قادة الكرملين · وأهمها تزايد المواليد بين المسلمين بنسبة أكبر من بقية سكان الاتحاد السوفيتى ، كما أن برامج إذابة المسلمين فى المجتمع الشيوعى لم تتم بالصورة التى يريدها الملحدون ، إذ ما يزال المسلمون يحتفظون بكثير من مظاهر الشريعة الإسلامية فى شئون الزواج والأعياد ومراسم دفن الموتى وتسمية المواليد ·

ومع التعتيم الإعلامى المفروض على جميع الأحداث والأخبار عن أحوال المسلمين فى الجمهوريات الإسلامية الست إلا أن الهجوم الذى يشنه المسئولون السوفيت على جميع الحركات الإسلامية التى تحاول العودة إلى القرآن والاسترشاد به ، يكشف عن قلق القيادة السوفيتية كما يدل على تزايد هذه الحركات الإسلامية التى تسرى سريان النار تحت الهشيم ·

وإن كثيرا من المحللين السياسيين قد رأى فى غزو السوفيت لأفغانستان خطة سوفيتية لتطويق المد الإسلامى فى الجمهوريات الإسلامية ، ومن أخبار حرب السوفيت لأفغانستان أن كثيرا من الجنود والضباط الذين ينتمون الى أصل إسلامى وشاركوا فى حرب السوفيت لأفغانستان قد هربوا من الجيش الأحمر وانضموا إلى المجاهدين الأفغان · مما اضطر السوفيت إلى استبدال آخرين بهم ، وأن هؤلاء كانوا يبحثون عن القرآن الكريم ويتبادلونه سرا ·

إن الإسلام الذى يخشاه السوفيت ليس هو الإسلام الذى يمثله العلماء الرسميون الذين يتلقون تعليماتهم من الملحدين وإنما هو الإسلام الذى تمثله الحركات الإسلامية التى تعمل فى صمت وخفاء · وقد نقلت الأخبار أنها حركات متأصلة الجذور وأنها استطاعت الصمود والتمسك بالإسلام بالرغم من كل حملات الإبادة التى شنها النظام الشيوعى للقضاء عليها قضاءً مبرما ·

وقد ذكر أحد علماء الاجتماع السوفيت فى دراسة علمية له عن أحوال الديانات فى الجمهوريات الإسلامية : أن ما يزيد عن نصف المؤمنين فى شمال القوقاز ينتمون إلى الإخوان الصوفيين وهو المصطلح الذى يطلق على المسلمين غير الرسميين فى الاتحاد السوفيتى ، وذكر أنهم يقومون بدعاية دينية مضادة ونشطة ضد التعاليم الشيوعية · وأن العلماء غير الرسميين بين هذه الجماعات يقومون بتأدية جميع الفروض الدينية · ويديرون مدارسهم الدينية

ومساجدهم تحت الأرض . ويناهضون كل الاتجاهات العلمانية والمذاهب المادية التي تحرص قيادة الكرملين على نشرها بكل الوسائل .

إن وجود هذه الحركات دفع رئيس رجال المباحث في أذربيجان إلى الهجوم الشديد على ما أسماه بالحركة الدينية السرية الإجرامية ووصفها بأنها تخريبية . ووصف رجال الحركة الإسلامية من العلماء غير الرسميين بالرجعية والفساد والتآمر ضد السلام وحركة التقدم التي يزعم السوفيت أنهم دعاتها وحماتها في العالم الحديث .

فهل آن الأوان لأن يكفر العالم الإسلامي عن آثامه التي ارتكبها بإهماله وصمته عن جرائم الشيوعية ضد المسلمين هناك وفي كل مكان ؟ أما آن الأوان لأن يفيق المتمركسون من حكام المسلمين . وهم يرون بأم أعينهم ما يمارسه السوفيت من أبشع الجرائم والعدوان على المسلمين ؟ .

هل يفيق النائمون ؟ هل يهتدي الضالون ؟ اللهم إنه قدرك وحكمتك أن تبتلي عبادك المسلمين المؤمنين تمحيصا لهم ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيَّ عن بينة .

مائتا ألف مسلم من « بورما » هجروا ديارهم .. !!

بسبب العدوان الشيوعي من الحكومة البورمية على المسلمين من أبناء بورما ـ هاجر مائتا ألف من المسلمين هناك وطنهم ، واقاموا على الحدود في مستوطنات ميدانية اقامها لهم رابطة العالم الاسلامي ، كما تبرعت لهم حكومة المملكة العربية السعودية بالمواد الغذائية والكسائية ، وقد اجتمع أخيرا في مكة المكرمة سعادة الشيخ محمد صفوت السقا « الأمين العام المساعد لرابطة العالم الاسلامي » برئيس جمعية العلماء ببورما والوفد المرافق له ، وتم بحث أوضاع المسلمين في بورما ، واحتياجاتهم من الكتب والمدرسين وغير ذلك ، بعد ان عادوا الى وطنهم في بورما نتيجة للجهود المكثفة من (رابطة العالم الاسلامي) ومنظمة المؤتمر الاسلامي ، وحكومة بنجلاديش .

أخبار الجامعة

الجــامعة والدعوة الإسلامية

أولا : زيارة نائب رئيس الجامعة لزنجبـار

في اطار الجولة التى قام بها فضيلة الدكتور عبد الله بن عبد الله الزايد نائب رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وزار فيها كثيراً من بلدان العالم ، واطلع على أحوال كثير من الأقليات المسلمة في كل من أوربا وآسيا وزار فضيلته جزيرة زنجبار بدعوة من نائب رئيس جمهورية تنزانيا الحاج عبود جمبى وبموافقة صاحب السمو الملكى الأمير فهد الرئيس الأعلى للجامعة ، وذلك على رأس وفد من الجامعة الإسلامية ، واستقبلهم كبار المسئولين وفي مقدمتهم معالى وزير التعليم في جمهورية تنزانيا ، ورئيس القضاء الشرعى ، والأمين العام للمجلس الأعلى لمسلمى زنجبار ، وعدد كبير من أعضاء هيئة التدريس بالمعهد الإسلامى ، وقد عبر كبار من الأعيان والمسئولين في تنزانيا وزنجبار عن فرحتهم بهذه الزيارة التى رأوها مظهرا حقيقيا للتعاون والاخاء الإسلامى العميق الذى يحمله المسلمون في زنجبار لاخوانهم في الإسلام عامة وللمسلمين في مواطن الوحى في مكة المشرفة والمدينة المنورة ، كما أعرب كثير من كبار المسئولين في تنزانيا وزنجبار عن تقديرهم لقادة المملكة العربية السعودية وعلى رأسهم جلالة الملك خالد بن عبد العزيز ، وصاحب السمو الملكى الأمير فهد بن عبد العزيز ولى العهد ولشعب المملكة العربية السعودية ، وذلك للدور الرائد الذى تقوم به المملكة في مجال خدمة الإسلام ونفع المسلمين ونشر العقيدة الصحيحة والدعوة إلى الله ، وكذا في مجال المساعدات السخية للجماعات والجمعيات الإسلامية وما تقوم به من نشاط في انشاء المساجد واقامة المدارس ونشر اللغة العربية والإسلام .

واطلع وفد الجامعة الإسلامية على المعالم والآثار الإسلامية في زنجبار وعلى صورة من مخططات المشروعات الإسلامية المزمع انشاؤها ، ومنها مشروع المسجد الجامع لمسلمى الجزيرة ومركز المجلس الأعلى الإسلامى ، كما زار الوفد كثيرا من المدارس والكتاتيب التى تعلم القرآن ومبادىء القراءة والكتابة العربية ، وتم كثير من اللقاءات مع العاملين وأعضاء الجماعات والجمعيات الإسلامية ، وألقى الدكتور عبد الله بن عبد الله الزايد في هذه اللقاءات كلمات توجيهية في مبادىء الإسلام وما يتميز به من سماحة ما يقدمه للبشرية من خير وسعادة في الدنيا والآخرة ، وقدم باسم الجامعة الإسلامية مساعدات سخية للقائمين على شئون الشعائر الإسلامية من المؤذنين والأئمة ، كما قدم أعداداً ضخمة من المصاحف والكتب الدينية للمعاهد والمدارس والكتاتيب التى زارها ، كما وعد باسهام الجامعة في فرش وتأثيث بعض الكتاتيب التى رآها بحاجة إلى ذلك توفيرا للجو الذى يساعد التلاميذ على التحصيل العلمى والاقبال على حفظ القرآن الكريم كما زار وفد الجامعة المعهد الإسلامى في (مزيزين) حيث رحب مدير المعهد وأعضاء هيئة التدريس بفضيلة الدكتور عبد الله بن عبد الله الزايد والوفد المرافق له وأعربوا عن اغتباطهم بهذا اللقاء الإسلامى في أسمى معانيه ، وقد رحب معالى وزير التعليم التنزانى بوفد الجامعة الإسلامية ، وشرح أوضاع المعهد الإسلامى الراهنة وما يتطلع اليه المسئولون نحو توسيعه ليستوعب الأعداد المتزايدة من الراغبين في دراسة الإسلام من طريق هذا المعهد الذى يعتبر المنهل الرئيسى لتلقى العلم الإسلامى في زنجبار وتنزانيا ولكل المسلمين من دول شرق آسيا ، وقد عرض المسئولون عن المعهد بعض الطلبات العاجلة لهذا المعهد ٠

وفي (بيت الرأس) إحدى ضواحى مدينة زنجبار زار الوفد كلية تدريب المعلمين وألقى الدكتور عبد الله بن عبد الله الزايد كلمة توجيهية تربوية في طلاب هذه الكلية كان لها أعظم الأثر في نفوسهم واستجابة لطلب من وزير التعليم في تنزانيا وعد فضيلته بأن يرسل لهذه الكلية اثنين من مبعوثى الجامعة الإسلامية لتدريس الدين واللغة العربية لما يمثله هذا من مطلب حيوى لخدمة الإسلام لأن خريجى هذه الكلية هم الذين يتولون تدريس الدين واللغة العربية في كافة أنحاء الجزيرة ٠

وفي لقاء موسع للوفد في مقر الضيافة قدم الدكتور عبد الله بن عبد الله الزايد هدايا رمزية لعدد من القيادات الإسلامية في زنجبار وقدم مساعدة الجامعة في انشاء مسجد كبير في أحد شوارع زنجبار وتقوم لجنة بجمع التبرعات لاتمام بنائه ٠

وقد صرح الدكتور عبد الله بن عبد الله الزايد أثر عودته من هذه الزيارة بأنه أعجب كل الاعجاب بجو الهدوء والاستقرار والروحانية الإسلامية العالية الذى يعيش فيه المسلمون في زنجبار خاصة ، وفي كل بلاد تنزانيا عامة ، كما أثنى فضيلته على اهتمام نائب الرئيس الحاج

عبود جمبى بشئون المسلمين في هذه المنطقة ، وأشاد بالدور الذى يقوم به دولته في هذا المجال ، كما أشاد بفخامة رئيس تنزانيا المعلم نيريرى لأنه يعطى المسلمين في تنزانيا الحرية في ممارسة شعائر دينهم دون اعتراض أو تضييق ، مما يتيح للمسلمين هناك شعوراً بالرضا ، ويهئ للدولة كثيرا من الاستقرار السياسى والرخاء والأمن ، ويتيح للدولة كذلك فرصاً أكثر في توثيق صلاتها ببلدان العالم الإسلامى الذى يزداد وزنه الدولى يوما بعد يوم ٠

ثانيا ـ زوار وضيوف الجامعـــة :

تفتح الجامعة الإسلامية قلبها وذراعيها مرحبة بضيوفها وزوارها المسلمين الأماثل من جميع أنحاء العالم ، وتحرص على عقد اللقاءات والإجتماعات مع هؤلاء الزوار والضيوف تتدارس فيها معهم أحوال المسلمين ، وشئون الدعوة الإسلامية في بلادهم ، وتقدم العون المادي والمعنوي سخياً لكل من يحتاج إليه من الجماعات والجمعيات الإسلامية التى تمثل المسلمين في أوطانهم ، وإن الجامعة تعد ما تقدمه للمسلمين جزءاً من رسالتها وواجباً تفرضه مبادىء الإسلام الذى يرى المسلمين إخوة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً ٠

ومن زوار الجامعة وضيوفها الذين استقبلتهم الجامعة خلال الأشهر الأخيرة من العام الهجرى ١٤٠١ هـ :

* الشيخ محمد فتاح ساخوا رئيس الاتحاد للتعاون الإسلامى بالسنغال وبرفقته الشيخ عمر ساخوا سكرتير الاتحاد وقد وصلا إلى المدينة يوم ٣ / ١٠ / ١٤٠٠ هـ ٠

* والأستاذ إبراهيم باشا من غانا ٠

* وفد طلابى من جامعة الإمارات العربية المتحدة بأبي ظبي وكان الوفد مكوناً من أربعة عشر طالباً وقد استقبلهم فضيلة الدكتور عبد الله الزايد نائب رئيس الجامة مرحبا بهم ومجيباً عن أسئلة الطلاب عن نشأة الجامعة وتطورها وأهدافها ورسالتها وعدد المنح الدراسية التى تقدمها كل عام كما أجاب فضيلته عن أسئلتهم الفقهية ، ووجه النصح للشباب بالجد والمثابرة والاستقامة والتزود بعلم الشريعة والعقيدة الصحيحة التى هي طريق السعادة في الدنيا والآخرة ٠

وقد زودتهم الجامعة بمجموعات من الكتب الدينية والجامعة ٠

* وفد طلابي من غامبيا تحت إشراف الشيخ أحمد شرتو درامي وهذا الوفد جاء مشتركاً في مسابقة القرآن الكريم ٠

* وزار الجامعة ابتداء من يوم ٧ / ١١ / ١٤٠١ هـ فضيلة الشيخ محمد الغالى مدير مدارس الفلاح بموريتانيا ومستشار رئيس الجمهورية للشئون الدينية ٠

* استقبلت الجامعة وفدا من كبار الشخصيات من السنغال وهم معالي وزير التربية السنغالي الشيخ عبد القادر فال ، ومعالى رئيس مجلس الأمة السنغالى الشيخ عامر عثمان ، والشيخ مصطفى درامي المستشار التعليمى للغة العربية بدولة السنغال .. وقد استقبلهم بمكتبه فضيلة الدكتور عبد الله الزايد صباح يوم ٢٨ / ١٠ / ١٤٠١ هـ مرحباً بهم ومشيداً بالعلاقات الوثيقة التى تربط بين المملكة العربية السعودية وإخوانهم المسلمين في السنغال ٠ وقد شكر المسئولون السنغاليون قادة المملكة العربية السعودية وعلى رأسهم جلالة الملك خالد بن عبد العزيز وصاحب السمو الملكى الأمير فهد بن عبد العزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء وحكومة المملكة على ما يقدمونه لإخوانهم المسلمين من عون في كل مكان ٠ وعلى ما يولونه من إهتمام وبذل لكل القضايا المصيرية التى تهم المسلمين والعالم الإسلامي ٠

* وقد نزل ضيفاً على الجامعة الشيخ جمعين أمير نائب رئيس الجمعية الإسلامية بجمهورية زائير وكانت ترافقه أسرته وذلك اعتبارا من ٢٤ شهر ذى القعدة ١٤٠١ هـ ٠

* وقد زار الجامعة الإسلامية سعادة الدكتور أحمد توتونجى الأمين العام المساعد للندوة العالمية للشباب الإسلامى قادما من الرياض ، حيث التقى بفضيلة الدكتور عبد الله الزايد وتباحث مع فضيلته فيما يهم الندوة العالمية للشباب ، وما تقدمه الجامعة لمجتمع الشباب من خدمات في الداخل والخارج في مختلف المجالات سواء على المستوى الأكاديمى أو على مستوى الأنشطة الحرة خارج قاعات الدراسة وكانت هذه الزيارة يوم ١٠ / ١١ / ١٤٠١ هـ ٠

* ونزل ضيفاً على الجامعة الشيخ أحمد لوح المدير المؤسس لمدرسة منار الهدى الإسلامية في مدينة لوغا بجمهورية السنغال وكانت زيارته للمدينة والجامعة من ١٧ / ١١ / ١٤٠١ هـ حتى ٢١ / ١١ / ١٤٠١ هـ ٠

* وزار الجامعة الشيخ أمين الدين أبو بكر رئيس جماعة الدعوة في كانوبنيجيريا ونزل ضيفاً عليها اعتبارا من ١٨ / ١١ / ١٤٠١ هـ حتى تاريخ مغادرته للمدينة المنورة يوم ٣٠ / ١١ / ١٤٠١ هـ ٠

* وزار الجامعة وحلَّ ضيفا عليها فضيلة الدكتور يوسف حامد العالم عميد كلية الدراسات الإجتماعية بجامعة أم درمان الإسلامية ، وبرفقته الأستاذ أحمد حسن ابراهيم السكرتير الإدارى لجامعة أم درمان الإسلامية ، وقد تباحث الدكتور يوسف العالم مع كبار المسئولين في الجامعة حول صور الدعم التى تقدمها الجامعة الإسلامية لجامعة أم درمان

الإسلامية ضمن ألوان الدعم التى يقدمها عدد من جامعات المملكة العربية السعودية لجامعة أم درمان حتى تتمكن من مواصلة رسالتها في خدمة الإسلام ونشر التعليم الدينى في جمهورية السودان الشقيق ، وتمت هذه الزيارة يوم ٢٥ / ١١ / ١٤٠١ هـ ٠

* وزار الجامعة الشيخ محمد الأمين سيس رئيس الجمعية الإسلامية ورئيس جمهورية غامبيا ونزل ضيفاً عليها إبتداء من ٢٥ / ١١ / ١٤٠١ هـ حتى مغادرته المدينة المنورة ٠

* وكان من زوار الجامعة وضيوفها أعضاء المجلس الأعلى للجامعة الذين شاركوا في أعمال الدورة الثانية عشرة للمجلس ، وقد أقامت الجامعة لأعضاء المجلس حفل غداء على شرف صاحب السمو الملكى أمير منطقة المدينة المنورة نائباً عن صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز ولى العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء والرئيس الأعلى للجامعة ٠

وقد أقيم حفل الغداء بفندق شيراتون يوم الخميس الموافق ١٢ / ١١ / ١٤٠١ هـ ٠ وقد حضر هذا الحفل عدد كبير من كبار الشخصيات في المدينة المنورة من العلماء والأدباء والمفكرين ٠

* وزار الجامعة الدكتور محسن اميان من استراليا وكان ذلك يوم ٢٨ / ١١ / ١٤٠١ هـ ٠

* كما زارها الشيخ كاكا محمد عمر أمين عام جامعة دار السلام بالهند ونزل ضيفا عليها اعتباراً من ١٩ / ١٢ / ١٤٠١ هـ حتى غادر المدينة المنورة عائدا الى الهنـد ٠

* وزار الجامعة ونزل ضيفاً عليها وفد طلابى من ماليزيا يتكون من أحد عشر طالبا اعتبارا من ٢٠ / ١٢ / ١٤٠١ هـ حتى غادروا المدينة المنورة ٠

* وحل ضيوفا على الجامعة وفد من جامعة الخرطوم بالسودان برئاسة الدكتور ابراهيم أحمد الحردلو عميد كلية الآداب ومعه الدكتور ابراهيم أحمد عمر رئيس قسم الدراسات الإسلامية والدكتور الطيب جبارة الأستاذ بكلية العلوم والأستاذ اسماعيل عبد الله المراقب المالى لجامعة الخرطوم ومعهم ثلاثة طلاب هم : أمين عباس محمود ، ومحمد أحمد مسلم ، والريح مكى دفع الله ٠ وتمت زيارتهم للجامعة يوم ٢٣ / ١٢ / ١٤٠١ هـ وظلوا ضيوفا على الجامعة حتى غادروا المدينة الى السودان الشقيق ٠

* وزار الجامعة معالى الشيخ عبد الباقى وزير الأوقاف الباكستانى ومعه مجموعة كبيرة من مرافقيه في إطار بعثة الحج الباكستانية .. ونزل هذا الوفد الباكستانى ضيفا على الجامعة مدة إقامتهم بالمدينة المنورة اعتبارا من ٢٦ / ١٢ / ١٤٠١ هـ حتى مغادرتهم للمدينة ٠

* وزار الجامعة وفد يضم ٢٤ مسلماً من ألمانيا الغربية في إطار التعاون الذى تقدمه الجامعة الإسلامية للمسلمين والمراكز الإسلامية في ألمانيا وغيرها من دول أوروبا وآسيا وقد قام هذا الوفد بجولة تعرف فيها على الوحدات التعليمية للجامعة ومرافقها وزار المكتبة المركزية ومستوصف الجامعة ومطابع الجامعة ، وكانت هذه الزيارة إبتداء من ٣٠ / ١١ / ١٤٠١ هـ

وظل هذا الوفد ضيفاً على الجامعة حتى غادر المدينة المنورة .

* وزار الجامعة ضيفاً عليها الشيخ محمد على حميد رئيس المجلس الإسلامى بدار السلام بتنزانيا إعتبارا من ١٥ / ١١ / ١٤٠١ هـ حتى غادر المدينة المنورة .

* وزار الجامعة الحاج مالك زرومى السفير المتجول الفولتاوى .

* والشيخ حسن ثابت أحد الدعاة من جمهورية زائير .

* وزار الجامعة وفد من كشمير بالهند وعلى رأسه فضيلة الشيخ سعد الدين وكان ذلك يوم ٣٠ / ١١ / ١٤٠١ هـ ، وظل هذا الوفد ضيفاً على الجامعة مدة إقامته بالمدينة المنورة .

سماحة الشيخ أبو الحسن الندوى
يحاضر فى الجامعة الإسلامية
نظرة المسـلمين إلى أنفسهم

ألقى سماحة الشيخ أبو الحسن الندوى رئيس ندوة العلماء في منتصف شهر ربيع الثانى ١٤٠٢ هـ محاضرة قيمة بقاعة المحاضرات الكبرى بالجامعة الإسلامية موضوعها : **النظرة القرآنية والنبوية إلى الأمة الإسلامية ، ونظرة المسلمين إلى أنفسهم ..**

وكان سماحته قد وصل إلى الجامعة الإسلامية واجتمع مع فضيلة الدكتور عبد الله الزايد نائب رئيس الجامعة وبحث معه موعد اجتماع ندوة كبار العلماء والتى دعى إلى حضور اجتماعاتها كثير من المفكرين الإسلاميين من مختلف أنحاء العالم الإسلامى .

محتويـــــــات العـــدد

الموضــــــوع		الصفحة
• قبس من كتـاب الله		
• من نـور النبـوة		
• حكمـة العـدد		
• كلمـة التحرير	د . أحمـد عطية الغامدي	١٣

بحـوث إسـلاميـة

التفسـير وأصـولـه :

ـ لا خيرة للمؤمن إذا قضى الله ورســوله	للشيخ أبى بكر الجزائري	٢١

الحـديث وأصـولـه :

ـ كشف الستور في نهي النساء عن زيـارة القبـور	للشيخ حماد الأنصاري	٢٩

العقيــدة :

ـ مفهوم الأسماء والصفات	للشيخ سعـد نـدا	٥٣

الفقـه وأصـولـه :

ـ فضل صيام رمضان وقيامه مع بيان أحكام مهمة قد تخفى على بعض الناس .	لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ...	٦١
ـ رخصة الفطر في سفر رمضان ، وما يترتب عليه من آثار	د . أحمد طه ريـان	٦٦
ـ فريضة الحج وجواز النيابة فيها	د . محمد عبد المقصود جاب الله	٧٧
ـ الرق في الجاهلية والإسلام	للشيخ إبراهيم الجمل	٨٣
ـ دراسات في أصول الفقه	د . على أحمد بابكر	٩٤

ثقافـة إسـلامية :

ـ إنما المؤمنون إخـوة	لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ...	١٠٣
ـ أساليب الدعوة إلى الله تعالى في القرآن الكريم	د . أبو المجد نوفـل	١٠٦

الموضـــــــوع		الصفحة
ـ التربية الإسلامية ومراحل النمو	د • عباس محجـوب	١١٣
ـ حقوق الإنسان في الإسلام	للشيخ عبد الفتاح عشماوي	١٣٢

ســـــيرة وتـــاريخ

ـ نماذج أخرى من الدعاة الصالحين (على بن أبي طالب رضي الله عنه)	للشيخ أبى بكر الجزائرى	١٤٥
ـ قوة العقيدة سبيل النصر في غزوة بـــدر الكبرى	د • محمد عبد المقصود جاب الله	١٥٤
ـ جيش العسرة	د • عبد العظيم حامد خطاب	١٦٦
ـ من أعلام الدعوة الإسلامية في الهند	د • محي الدين الألوائي	١٨٣

هيـــا بنـــا نسلم

ـ لمـــاذا أسلم هؤلاء		١٩١

لغـــــــة وأدب

ـ رسائل لم يحملها البريد	للشيخ عبد الرؤوف اللبدي	٢٠١
ـ حول الشعر التعليمي	د • صالح آدم بيلــــو	٢٠٦
ـ الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة	د • عمر عبد الرحمن الساريسي	٢٢٢
ـ صفحة لغة (قـل ـ لا تقـل)	للشيخ ضياء الدين الصابوني	٢٤٠
ـ برهان الحق في الخلق (شعر)	د • عز الدين على السيد	٢٤٤
ـ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن (شعر)	للشيخ يوسف الهمذاني	٢٤٨
ـ أنــا الكنز والمجـــد (شعر)	للشيخ عبد الله نــوح	٢٥٠
ـ ذكريات من المدينة (شعر)	للشيخ عبد الحميد عباس	٢٥١

جولات عالميـــــــــة

ـ في المشارق والمغارب (جنوب شرق آسيـــــــا)	للشيخ عبد الله قادري	٢٥٥

الموضـــــــوع		الصفحة

ردود ومنـاقشـــات

ـ إلى الذين يبثون الألغام في طريق الإســــلام	للشيخ محمد المجذوب	٢٧٥

إحيـاء التراث الإسـلامي

ـ كتاب في رؤية الله تبارك وتعالى	تحقيق الشيخ محفوظ الرحمن السلفي	٢٨٥

الفتـــاوى

ـ فتاوى شرعية	لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ...	٣٠١

بحـوث طبيـــة

ـ نظرة إسلامية إلى البحث والكشف والإبتكـــــار	د . عبد الوفاء عبد الآخر	٣٠٩

من أعماق الكتب

ـ كتاب : دور الدول الاشتراكية في تكوين اسرائيـل		٣٢٥
ـ مراكز تقدمية من كتاب (مشكلات الجيل في ضوء الإسلام)		٣٢٧

مختارات من الصحف

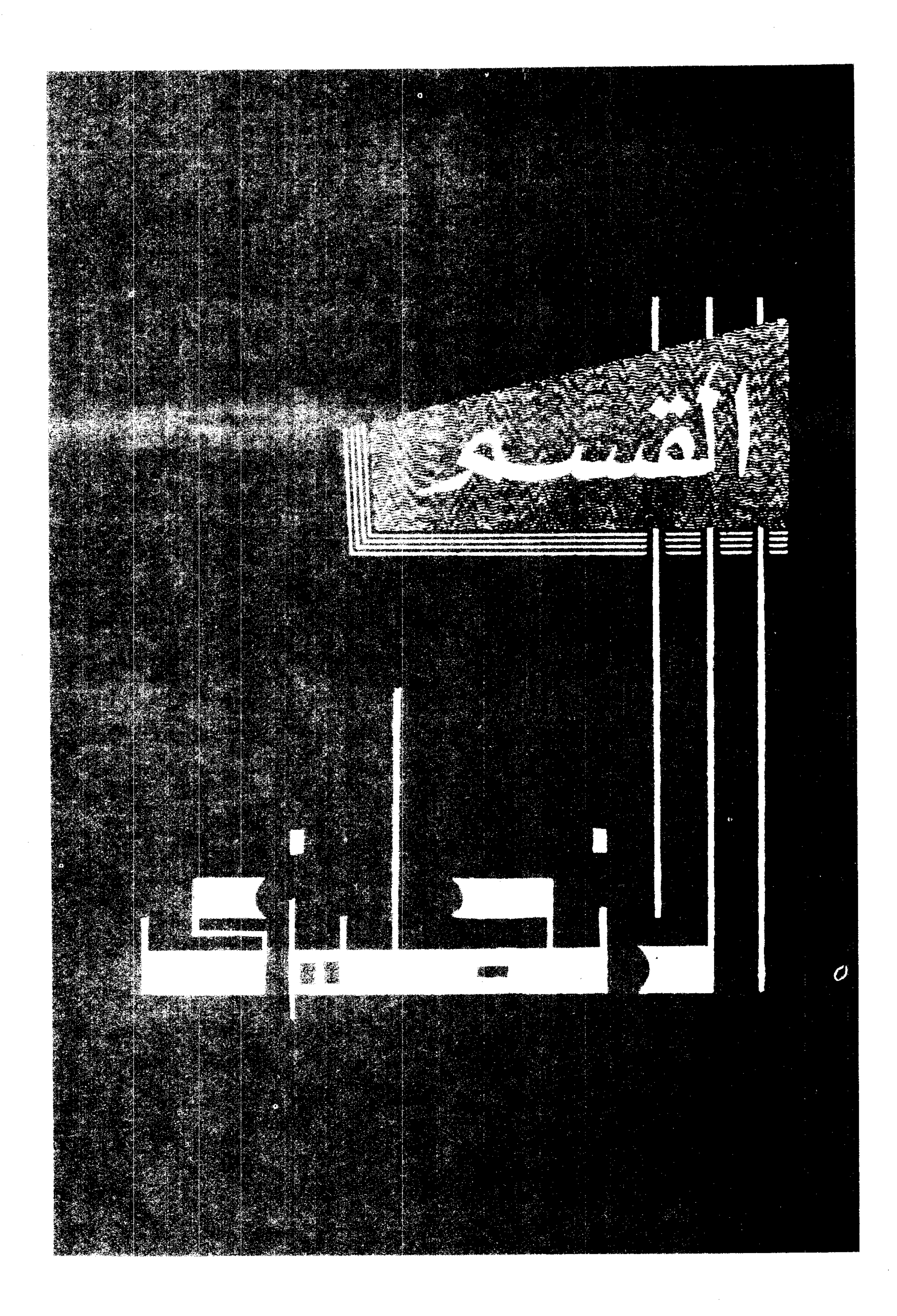
ـ سمو الأمير نايف ينجح في التوسط لدى الحكومة الكورية بإنشاء جامعة إســلامية		٣٣١
ـ الأمي الذي أصبح دكتوراً		٣٣٣

أحداث العالم الإسلامي

ـ تحليلات وتعليقـات	للشيخ محمود سالم	٣٣٧

أخبار الجامعة الإسلامية

ـ الجامعة والدعوة الإسلامية		٣٤٨
محتويـــات العـــدد		**٣٥٤**
القسم الإنجليزي		**٣٥٧**


القسم

ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا ● أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا » (النساء ١٥٠ ـ ١٥٢) .

It means : " Lo ! Those who·disbelieve in Allah and His messengers and seek to make a distinction between Allah and His messengers and say : we believe in some and disbelieve in others, and seek to choose a way in between, those are disbelievers in truth ! and We have prepared for the disbelievers a humiliating chastisement ". 4 : 150

Islam also requires us to believe that Prophet Muhammad is the last of all prophets and that his message is for all mankind. The Holy Quran says :

« ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » (الأحزاب ٤٠) .

It means : " Muhammad is not the father of any man among you, but he is the Messenger of Allah and the Last of the prophets ". 33 : 40

The Holy Quran clearly states that the message of prophet Muhammad is general to all nations till the end of this world. The Quran says :

« قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا » (الاعراف ١٥٨) .

It means : " Say; O Mankind ! Surely I am the messenger of Allah to you all ". 7 : 158

In fact no other prophet is spoken of either in the Holy Quran or in any other Scripture as having been sent to the whole of humanity. He is expressly described as being a mercy to all nations :

« وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » (الأنبياء ١٠٧) .

It means : " And We have not sent you, but as a mercy to all the nations ". 21 : 107

envy, and he will follow the way of truth in all of his actions because he is sure that his Creator knows everything. Allah is nearer to him than himself.

The belief in the existence of Allah and His Oneness obliges one to act according to His laws and orders and he will hasten to do good services and actions for the benefit of all mankind. The Prophet Muhammad commanded :

« الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

(Ehsan means that you worship Allah as if you see Him, if you see Him not, He sees you).

The second sentence of Shahada, that is, to ' bear witness that Muhammad is the messenger of Allah ', signifies the belief in the finality and the universality of the Prophethood of Muhammad, peace be upon him. According to the Holy Quran, the prophethood is a free-gift of Allah, not the result of anything done on the part of man. That is to say, no man can rise to the dignity of prophethood by his own efforts. It is Allah Who raises someone to that dignity when He intends it. The Holy Quran declares that :

« الله أعلم حيث يجعل رسالته » (الأنعام ١٢٤) .

It means : " Allah knows best where He places His Message ". 6 : 124

The faith in the Divine revelation is one of the essentials of Islam, and since revelation must be communicated to the people through a man, faith in the messenger is a natural sequence. The Prophet is not only the bearer of the Divine message, but also shows how that message is to be interpreted in practical life; and therefore he is the model or example to be followed.

Islam requires its followers to believe in all the prophets and messengers sent by Allah to bring forth mankind from darkness into light. Those who disbelieve in one of them are considered disbelieving in all of them.

The Holy Quran says :

« إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن

The Holy Quran also describes some attributes of Almighty Allah in the following verse :

« الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ، له ما فى السموات وما فى الأرض ، من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء ، وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم » (البقرة ٢٥٥) .

It means : " Allah–There is no god save Him, The Ever–living, the self subsistent by Whom all subsist, slumber takes Him not, nor sleep; to Him belongs whatever is in the heavens and whatever is in the earth; Who is he that can intercede with Him but by His Permission ? He knows what is before them and what is behind them, And they encompass nothing of His knowledge except what He pleases; His knowledge extends over the heavens and the earth and the preservation of them both tires Him not; And He is the Most High, The Great ". 2 : 225

The Effects of the Belief In Tauheed :

The believer in the Oneness of Allah will have no fear from anybody and he will not submit himself to anything but the real Lord of this Universe. One who believes that there is no god but Allah, undoubtedly, knows that there is no harm and benefit except through Him. All glory and power are only due to Him. It is He Who bestows mercy and prosperity;

He is the Owner of life and death. This belief creates in the soul of man courage and bravery, because he will have no fear of any power and will not be subject to anyone but the Cherisher of the Worlds. Also this belief creates in him humility, for he knows that there is no power and distinction except from Allah. He cannot pride over others because he realises that there is no distinction between man and man except through good actions.

This faith also creates in man will of power for he is not dismayed by misfortune or despair. He knows that the power of Allah is above all powers. He Who believes in the Supreme authority of Allah will be free from greed,

It means : " Lo ! Allah will not forgive that a partner should be ascribed unto Him; but He forgives anything else to whom He will. Whosover ascribes partners to Allah has indeed devised a great sin ". 4 : 48

There are three compulsory parts for Tauheed. Tauheed al–Rububiyah, ' Tauheedal–Uluhiyah ' and ' Tauheed al–Sifat.

Tauheed al–Rububiyah means to believe that Allah has created man, the heavens and the earth and everything in this Universe. He is the Cherisher of mankind. He subjected the sun and the moon, He sends down rain from the sky and He gives sustenance to all.

Tauheed al–Uluhiyah means to believe that Allah is that Only One Who is distinguished by worship, and nobody is asked for help or mercy save Him. He is the All–kind and All–knowing. He knows all things both secret and open.

Tauheed al–Sifat means to believe in the names and attributes of Allah as mentioned in the Quran and the Sunna of the Prophet without any ' Taaweel ' (interpretation) or ' Tashbeeh ' (likening). These are the integral parts or perfect and sound Tauheed.

It is recalled that the belief in the Only Lordship (Rububiyah) of Allah is not enough for a real Tauheed but we should also believe that we must worship or invoke none for help save Allah. Although the unbelievers of Makkah, in the time of the Prophet Muhammad (peace be upon him), believed in the Tauheed al–Rububiyah yet Allah described them as Mushrikeen (polytheists), because they set up some idols (like Latha, Uzza and Manath) as partners with Allah in worship.

The Holy Quran teaches Tauheed in most perfect and excellent way. The Quran says :

« قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفواً أحد » (الاخلاص ١ ـ ٤) .

It means : " Say, He is Allah the One. Allah the Absolute. He begets not, nor is He begotten. And there is none like Him ". 112 : 1–4

It means : " This day I have perfected for you your religion, and completed My Favour upon you, and have chosen for you Islam as the religion ". 5 : 3

And :

« إن الدين عند الله الإسلام » (آل عمران ١٩) .

It means : « Lo : The religion before Allah is Islam » . 3 : 19 ; And :

« ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » (آل عمران ٨٥) .

It means : " If anyone desires a religion other than Islam it will not be accepted from Him, and he will be a loser in the Hereafter ". 3 : 85

SHAHADA (The Witness) :

Islam is based on five pillers. The first piller is to witness that :

« أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أن محمداً رسول الله » .

It means : " I bear witness that there is none worthy of worship except Allah, and Muhammad is the Messenger of Allah ". The first sentence of this Shahada signifies the belief in the Oneness of Allah. It is the key of Islamic Faith. Heartily believing in the Oneness of Allah and His attributes is called ' Tauheed '. Against Tauheed is ' Shirk ' (Polytheism]. It means setting up partners with Allah in His Being or in His attributes. It is the worst crime and most unforgivable sin; The Holy Quran says :

« إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما » (النساء ٤٨) .

It means : " So set your face truly to the religion, as man by nature is upright–the nature (framed) of Allah in which He has created man, there is no altering the law of Allah's creation. That is the right religion but most men do not know ". 30 : 30

We have seen in this verse that there is no conflict or contrast between the religion of Allah and the original nature of man, because He revealed the religion and He created man's nature. The Holy Quran declares that Islam is the ' Straight Path ' and the standard religion :

« وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله »
(الأنعام ١٥٣) .

It means : " This is My Way; leading straight; follow it; and do not follow other ways, they should scatter you from His (Straight) Path ". 6 : 153

There is but one true relgion, the universal religion for all mankind, and the Quran calls it " Islam ". This is the straight and true natural Divine Guidance for all, without distinction of race, colour, country or nationality. It was the religion preached by all the earlier prophets. It was the truth taught by all the Revealed Books. In essence it amounts to a cognition of the Will and Plan of Allah and a complete submission to that Will and Plan.

If anyone seeks a religion other than Islam, then he is false to his own nature, as well as to Allah's Will and Judgment. Thus the Holy Quran stated that the message of Prophet Muhammad is not only the last of all Divine Messages and that Muhammad is the last of all Prophets but also stated that the religion of Islam is the only true, natural and complete religion chosen by the Lord of the Universe for all mankind. The last Quranic verse revealed chronologically in the tenth Hijra year, during the Prophet's Farewell Pilgrimage to Makkah at Mount Arafat declares :

« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا »
(المائدة ٣) .

It means : " And that man can have nothing but what he strives for. And that his striving will be seen. Then he will be rewarded for it with the fullest reward. And that to your Lord is the Goal ". 53 : 39–42

The Holy Quran states that the life of everyone in the Hereafter, with its reward or punishment, whether abiding in Paradise or in Hell, depends upon the course of his life in this world. The Almighty Allah says :

« فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » (الزلزلة ٧ ـ ٨) .

It means : " So he who does an atom's weight of good will see its outcome; and he who does an atom's weight of evil will see its outcome ". 99 : 7–8

This belief leads a Muslim to the belief in the Oneness of Allah, in His Mercy, Love and His sustenance; and to the practice of goodness, universal charity, patience and steadfastness in the trials of life.

The religion of Islam has a distinctive appelation; it is not derived from the name of the Prophet Muhammad or any other Prophet whereas other religions : Christianity, Judaism, Budhism and Zoroastrianism, etc. are known by the respective names of their teachers. Some people may mistakingly or deliberately call the religion of Islam as Muhammadanism, after the name of Prophet Muhammad. As a matter of fact, the Prophet himself repeatedly stated that he was only a servant of Allah and his messenger.

Besides, Islam interprets the true nature of man and establishes coordination and peace between him and his nature, and regulates his course of life according to the nature (Fitrat) in which Allah has created man. The Holy Quran says :

« فأقم وجهك للدّين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيّم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » (الروم ٣٠) .

THE SIGNIFICANCE OF ISLAM

By :

Dr. Mohiaddin Alwaye.

Islamic University,
Madinah'

In order to have the right idea about the religion of Islam it is necessary to understand the true significance of the word " Islam ". The word Islam means to ' submit ' and to ' yield '. The Arabic noun derived from it (salam or salamah) means peace, safety, salvation and greeting. The Religion of Islam is characterised by absolute submission to the Will of Allah. Its principles are endowed in the Holy Quran. It Makes a complete system that deals with all walks of human life.

The wonderful adaptability of Islamic rules to all ages, places, nations and circumstances, their entire agreement with the light of reason and absence of all mysterious ideas, prove that Islam represents the latest development of the religious faculties of a human being.

Islam signifies a religion of right–thinking, right–speaking and right–doing, founded on Divine Love, universal charity and human brotherhood. A true Muslim is fully conscious of the fact that present life is the seed–ground of the future life. Out of this belief he endeavours with honesty, sincerity and devotion to implement the teachings of his Lord in all the spheres of his everyday individual and social life, in order to attain the Mercy of Allah, and obtain salvation and success in this world and in the Hereafter.

Islam tries to attain this object by advocating the principle that man will be judged only by his work alone. The Holy Quran says :

« وأن ليس للإنسان إلا ما سعى . وأن سعيه سوف يرى . ثم يجزاه الجزاء الأوفى .
وأن إلى ربك المنتهى » (النجم ٣٩ ـ ٤٢) .

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي

لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي

وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا

الكهف ١٠٩

IN THE NAME OF GOD, THE COMPASSIONATE, THE MERCIFUL

Say, "If the ocean were an ink-well for the words of my Lord, the ocean would run out before the words of my Lord run out, even if twice as much ink were provided."

(Qur'an 18:109)

Journal of

THE ISLAMIC UNIVERSITY

OF

MADINAH MONAWWARAH

SHAWWAL – DHUL–KEIDAH –
DHUL–HIJJAH 1401 H.

S[QUARTERLY]

52 **13** th YEAR